كتاب الزينة

في الكلمات الإسلامية العربية

تاليف

الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي

المتوفى سنة ٣٢٢ هـ

عارضه بأصوله وعلّق عليه

حسين بن فيض الله الهمداني

اليعبري الحرازي

مركز الدراسات والبحوث اليمني

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ ١٩٩٤م

مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

الإهداء

إلى صديقنا البار الكريم

الرئيس يوسف علي علي بهائي كريم جي جيون جي

الذي ساعدنا على إظهار

كتاب الزينة

ولم يبتغ من وراء ذلك غير وجه الله

وصل الله إحسانه وأيده بروح منه

حسين الهمداني

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس

عميد كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

ودّ كثير من الدارسين في العصر الحديث لو أمكن أن نتتبّع الألفاظ العربية في العصور المختلفة، لنتبيّن مدى تطوّرها من حيث الدلالة، ولنقف على ما أصابها كلّها أو بعضها من تغيّر في الإستعمال العلميّ أو الأدبي جيلاً بعد جيل حتى صارت إلى ما نألفه منها الآن.

وتلك الدراسة التي هي أمنية الكثيرين منا، تعدّ بين اللغويين المحدثين في الجامعات الأوربية دراسة حديثة نسبياً حين تقاس بالنواحي الأخرى من الدراسات اللغوية؛ فهم يطلقون عليها Semantics، ويعنون فيها بدلالة اللفظ ونشأتها ونموّها ومجال استعمالها في اللغة، وما فيها من عنصر مركزيّ يشترك فيه كلّ أفراد البيئة اللغوية، وعنصر هامشي يختلف عادة باختلاف الناس. ثم يعرضون لتطوّر هذه الدلالة بتطوّر العصور والأجيال وأسباب هذا التطوّر وعوامله في بحوث مستفيضة توشك أن تصبح علماً مستقلاً من علوم اللغة. وأول من وجّه الأنظار إلى هذه الدراسة في أوروبا Michel Bréal في بحث جليل الشأن سمّاه Essai de Sémantique، وجه فيه عنايته لبحث

الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة التي تنتمي إلى فصيلة واحدة كاليونانية واللاتينية والسنسكريتية، وانتهى من بحثه هذا إلى قواعد عامّة في تطوّر الدلالة. غير أن دراسة الدلالة في بادىء الأمر قد اقتصرت على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى ممّا ورد في نصوص قديمة ليمكن إرجاعها إلى أصل معيّن تفرّع إلى عدّة فروع في أنحاء مختلفة. ولم يوجّه الدارسون في بادىء الأمر عنايتهم إلى الجانب الاجتماعي وأثره في تطوّر الدلالات، ولا إلى المظاهر الإنسانية الأخرى ذات الأثر في تغيرها وتطوّرها، أي أن دراستهم كانت منصبّة على النواحي الداخلية في الألفاظ دون كبير اهتمام بالعوامل الخارجة عنها. ثم تطوّرت الدراسة، وبدأت تعنى بالعوامل الخارجية من إنسانية أو اجتماعية، وبدأوا يتساءلون عن الأسباب التي جعلت بعض الكلمات تنكمش في دلالتها، وبعضها ينحدر بعد أن كان سامياً أو يسمو بعد أن كان منحطاً. ويعزون كلّ ذلك إلى أسباب وعوامل مرّت في تاريخ الأمم وأدّت إلى مثل هذا التطوّر أو التغيّر. على أن بين هؤلاء الدارسين من وجّه كل عنايته إلى النفس الإنسانية وإلى العاطفة التي تظلّل الكلمات حين يستعملها الأفراد، وتلك ناحية قد تختلف باختلاف الفرد، فمن الناس من يفهمون الشيء المعيّن فهماً خاصّاً يخالف فهم غيره، ويصطبغ فهمه بصبغة عاطفية شخصية. فإذا حدث أن مثل هذا الاستعمال الفردي الشخصي يصادف هوى في نفوس جماعة من المستمعين قلّدوه، فذاع وشاع، وترتّب على ذيوعه وشيوعه نوع من التطوّر في الدلالة.

ولعلّ أحدث الاتجاهات في دراسة الدلالة أن يعمد الدارس إلى مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى مجال واحد، ثمّ يدرسها ليتبين منها ما نمت دلالته، وما انكمشت فيه تلك الدلالة، بل وما اختفت فيه هذه الدلالة على مرّ الأيام. وهكذا اتجه JosT Trier الألماني إلى بحث الكلمات التي تتصل بالذكاء، والتي وردت في نصوص القرون الوسطى للغة الألمانية، كما اتجه غيره إلى دراسة الكلمات التي تتصل بالأخلاق والفضيلة في شعر تشوسر (Chaucer). ويرى هؤلاء الباحثون أن مثل هذه الدراسة أجدى وأنفع من دراسة الكلمات منفردة منعزلة.

ولما كان العام ١٩٢٣ طلع علينا كتاب The Meaning of Meaning لمؤلفيه C.K. Ogden و I. A. Richards، فعالجا مشاكل الدلالة من نواحيها المتعدّدة المعقّدة، وبحثاها في ضوء النظم الاجتماعة وفي ضوء الشعور والعاطفة والإرادة وغير ذلك من مشاكل علم النفس، فأخرجا لنا عملاً علمياً جليل الشأن.

ولم يكد ينتهي النصف الأول من القرن العشرين حتى شهدنا قوماً من غير اللغويين يقتحمون مجال البحث الدلاليّ، ويدلون فيه بدلوهم متأثرين في ذلك بما احترفوه من مهن، أو تخصّصوا فيه من دراسة. فعالم الطبيعة P. V. Bridgeman في كتاب له سمّاه Logic of Modern Physics (نيويورك ١٩٣٨) يحدثنا أن عالم الطبيعة أمام كلمات مثل «الزمان، المكان، الصوت» يقف موقفًا مبايناً لما يشيع بين جمهور الناس، ويفهمها فهماً خاصّاً. ويحاول هذا الباحث أن يضع لنا قواعد نستدل بها على الدلالة في كتاب آخر سماه The Intelligent Individual and Society (نيويورك ١٩٣٨). ويرى أن الدلالة يجب أن تخضع للتجربة كما تخضع لها الظواهر في المعمل. فإذا لم تخضع إحدى الدلالات للتجربة وجب اعتبار مثل هذه الكلمات مما لا معنى له. فكلمات مثل الديكتاتورية، الديمقراطية، الحرية، إذا كان لم يبرهن على وجودها عن طريق التجربة عدّت عبثاً وهراء ووجب إهمالها. أي أن هذا الباحث يرى إخضاع كل شيء في الكون إلى الأثر الشخصي للفرد في المجتمع، مهملاً بهذا صلة المرء بمجتمعه، ومتجاهلاً أن القدرة على الكلام لا تتم إلا في مجتمع إنساني. كذلك اصطبغت دراسة Thurman Arnold في كتابه The folklore of Capitalism (نيوهافن ١٩٣٧) بعمله كرجل من رجال القانون حيث حدثنا عن سيطرة الألفاظ علينا وخضوعنا لها خضوعاً يشبه الرق والعبودية، ثم أيأسنا من علاج هذه الحال، ولم يجد لنا مخرجاً منها إلا بدواء مؤقّت يمكن أن نستمدّه من تحديد الدلالات.

أما أولئك الصحفيون من هواة البحث اللغوي أمثال Alfred Korzybski في كتابه Science & Sanity و Stuart Chase في كتابه Tyranny of Words (نيويورك ١٩٣٨) فقد نزلوا بالبحث الدلالي إلى مستوى جمهور الناس، وأوحوا إليهم بآمال كبار عن طريق البحث في الدلالة، ذلك البحث

الذي سيؤدي في رأيهم إلى تجنب ما يصيب الإنسانية من ويلات، وإلى علاج متاعب البشر من منازعات أو خصومات أو حروب. وهم في كتابتهم متأثرون بجوّهم الصحفي وما فيه من إسراف في عرض المسائل. ولذا كانت كتبهم أشبه بأعمال الهواة منها ببحوث العلماء المتخصّصين.

ومهما يكن من شيء، فدراسة الدلالة قد تخدم النواحي الاجتماعية في كثير من مظاهرها. وهذه الدراسة التي يعدها الأوروبيون حديثة، هي في الحقيقة من المحاولات القديمة التي وضع علماؤنا من العرب اللبنة الأولى فيها. ولو قد أتيحت لها فرص النموّ والازدهار لوجدنا بين أيدينا الآن فيما يتعلّق بألفاظ اللغة العربية بحوثاً علمية كاملة النمو واضحة المعالم. غير أن المحاولة الأولى لبعض علماء العربية قد أصابها في العصور المتأخرة ما يشبه النكسة. وظلّت جهود العلماء المتقدمين تتردّد كما هي في كتب المتأخرين دون فهم صحيح لها في غالب الأحيان. ومن المعروف لدى الدارسين أن هدف المتقدّمين من الدراسة اللغوية كان مقصوراً في بادىء الأمر على خدمة الدين. وذلك للصلة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي. ولذلك لا ندهش حين نرى أبا عبيدة في أواخر القرن الثاني الهجري يوجه عنايته إلى شرح ألفاظ القرآن وتفسيرها في كتابه «مجاز القرآن» الذي يعدّ بحق اللبنة الأولى في تلك الدراسة الدلالية، رغم ما عرف عن بعض معاصريه من العلماء من التحرج في الإقدام على تفسير ألفاظ القرآن وبحثها على ضوء ما ورد منها في نصوص أخرى شعرية أو نثرية. فقد عرف عن الأصمعي ذلك الحرج وإباؤه الخوض في تفسير ألفاظ القرآن ومقارنتها بنظائرها في الأشعار والنصوص الأدبية الأخرى. ثم كان أن تخلص بعض العلماء من ذلك التحرج، وبدأوا يكتبون في تفسير الألفاظ القرآنية وغيرها من مصطلحات دينية في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع. وهكذا مهد السبيل أمام عالم عاش في تلك الحقبة من الزمن لوضع كتاب في البحث الدلالي اعتبر عمدة الباحثين في العصور التي جاءت بعده ـ ذلك هو «كتاب الزينة» لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي.

وقد تردّد ذكر هذا الكتاب في ثنايا الكتب التي ألّفت في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع من الهجرة. وأشار إليه المؤلفون في تلك القرون

كمرجع من مراجعهم يوثقون ما جاء فيه، ويأخذون بأقوال صاحبه في شرح الكلمات، ثم اختفى ذكر الكتاب بعد ذلك عدّة قرون، حتّى قيض الله له في عصرنا الحديث من عثر على عدّة مخطوطات منه، فقام بتحقيقه، وأعاد على الناس نشره. ورغم أنّ صفحات هذا المخطوط لا تكاد تجاوز أربع مئة صفحة من القطع الكبير، ورغم أنّ ما اشتمل عليه من ألفاظ أعدّت للشرح والتفسير في حدود أربع مئة لفظ أيضاً، فإن هذا الكتاب لأصالة بحثه وقدم عهده يعدّ خير مرجع لشرح هذه الألفاظ.

وليست العبرة بكثرة الألفاظ أو قلّتها، بل العبرة بأهمّية هذه الألفاظ من الناحية الدينية والاجتماعية، فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية، بعضها ورد في القرآن الكريم، وبعضها ورد في الأحاديث الشريفة، وبعضها يتردّد على ألسنة الفقهاء من رجال الدين، وكلّها مما يحتاج إلى الشرح والبيان، ومما تختلف فيه وجهات النظر؛ فهي كلمات شائكة الدلالة، وعليها ظلال من القدسيّة أو الروحانية، وتتطلّب ممن يعرض لها الحيطة والحذر. وذلك لأن أقلّ انحراف في شرحها قد يجلب على الشارح نقمة العامّة أو الخاصّة أو الحكام، وقد يوصف شارحها بالإلحاد والزندقة؛ وهي نفس الكلمات التي فرّقت المسلمين الأوّلين شيعاً وأحزابًا، وجعلت منهم فرقاً متخاصمة متناحرة، وأشعلت بينهم نار الفتن والخصومات. فلا غرابة إذن أن تناولها المتأخرون على حذر، واقتصدوا في الخوض فيها أو الإسهاب في شرحها، مكتفين بترديد كلمات أبي حاتم في تفسيره، ومعتمدين عليه، ليجنّبوا أنفسهم أيّ حرج، وليجدوا من كلامه وهو العالم المتقدّم ما يؤيد آراءهم، فلا يتعرضوا لنقمة أو خطر. فكلّما عرضت لهم إحدى تلك الكلمات التمسوا العون من أقوال أبي حاتم، وحرصوا على نسبة الرأي إليه. ويكفي أن نعرف أن من بين هذه الكلمات: العرش، واللوح، والروح، وجنّات عدن، والقيامة، والوحي، وغير ذلك من ألفاظ قد يجلب الخوض فيها أشد النقمة وأقسى العذاب في الدنيا والآخرة!

وكان أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي نفسه يتناول هذه الكلمات على حذر، ويمر ببعضها مروراً عابراً، لأنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري حين ساد القلق والاضطراب بين المسلمين من الناحيتين الدينية

والسياسية. ففي عهده كانت المؤامرات على الخلافة العباسية من الأمراء والحكّام وقوّاد الأتراك والمغاربة، كما شهد أبو حاتم صراعاً دينياً بين السنة والشيعة وبقايا المعتزلة؛ ففي عصره كان المعتزلة قد تقلّص ظلّهم بعد محنة التوكّل، فانتصر مذهب أهل السنّة في المشرق، وظهر المذهب الفاطمي في المغرب.

ولهذا فإنّ أبا حاتم في كتابه يبدو لغوياً أكثر منه فقيهاً، فهو يطنب فيما يتطلّبه اللفظ من بحث لغوي، ويقتصد فيما يتطلبه من شرح ديني، أخذاً بالحيطة، وابتعاداً عن مجال الظنّة والمسائل الشائكة. وهكذا يعتبر كتابه كتابًا لغوّياً يمكن أن تتبّين منه تطوّر هذه الألفاظ في دلالاتها، وما عرض لها من تغير أو تحوّل. وهكذا نراه يجاهر بانتمائه للمذهب السّني ويأخذ بقول القائلين إن اللغة توقيفية ووحي من عند الله. ولعله بهذه المجاهرة يهدف إلى أن يجنّب نفسه تهمة التشيع، وأنه داعية الفاطميين في المشرق، كما يرى بعض الباحثين من المتأخرين. وسواء كان أبو حاتم سنياً أو فاطمياً، فهو في رأيي ينتمي إلى مدرسة لغوية سادت في عصره وهي «مدرسة الاشتقاقيين»، الذين ربطوا بين الألفاظ ومدلولاتها ربطاً وثيقاً: وحاولوا إرجاع كثير من الألفاظ المشتركة في حروفها إلى معنى أصلي عام منه اشتقّت تلك الكلمات. فمعاصره ابن دريد المتوفى ٣٢١ صاحب معجم الجمهرة، له كتاب صغير سمّاه «الاشتقاق»، حاول فيه أن يرجع كل الأعلام المشهورة في شبه الجزيرة إلى مواد لغوية اشتقت منها، وتكلّف في هذا وتعسف، إلى حد جعل اسم قبيلة «قضاعة» مشتقاً من انقضع الرجل أي ابتعد عن أهله، وذلك لأن قبيلة قضاعة رحلت من جنوب الجزيرة إلى شمالها!

ويسلك أبو حاتم نفس المسلك في علاجه للألفاظ، فجنّة عدن في رأيه مأخوذة من عدن بالمكان أي أقام، ومنه المعدن الذي يثبت في الأرض ولا يبرحها!! غير مدرك أن كلمة «عدن» وردت في النصوص العبرية القديمة في سفر التكوين (الإصحاح الثاني والثالث) في صورة لا تدع الباحث يتردّد في أنها علم على مكان، في الأرض أو في السماء لا ندري، أي أنها اسم من أسماء الجنة. ومن الخير ألاّ نسرف الربط بينها وبين المادة العربية المألوفة.

وقد بلغت هذه المدرسة الاشتقاقية الذروة على يدي ابن فارس في أواخر القرن الرابع الهجري في معجمه «مقاييس اللغة»؛ وهو ممن قالوا أيضاً بأن اللغة توقيفية ووحي من عند الله. فأصحاب هذه المدرسة يرون أن الاشتراك في الحروف بين مجموعة من الألفاظ لم يكن عبثاً أو وليد المصادفة، بل لتشترك هذه الألفاظ في دلالة عامة. ولذا كانوا يلتمسون أدنى ملابسة للربط بين الألفاظ المشتركة في كل الحروف أو بعضها. فاسم «إبليس» في رأيهم مشتق من أبلس، و«جهنّم» لديهم مشتقّة من التجهّم، وغير ذلك مما يوصف بالتكلّف والتعسّف. وقد أحب هؤلاء الاشتقاقيون اللغة العربية حبًا جمّاً، وفتنوا بألفاظها فتنة أوشكت أن تصبح عبادة. لذلك تصوّروا في تلك الألفاظ ما ليس فيها، وحملوها ما لا تحتمل. ولا أدلّ على ذلك من ذلك الفصل الذي عقده أبو حاتم في كتابه للاستدلال على فضل اللغة العربية وسُمُوِّها على كل لغات البشر، ففي رأيه أن العربية في الذروة من اللغات، وأن العبرية والسريانية والفارسية تحل مراتب أدنى منها! أما اليونانية والهندية فلا ينسب لهما أي فضل، بل يقول عنهما: «وإن القول بأن لها أيّ فضل يعتبر قولاً منبوذاً عند أهل الملل»!! وحجته الكبرى في فضل العربية أنها استكملت الحروف والأصوات، فلما تذكّر أن بالفارسية حروفًا ليست بالعربية، سماها حروفًا مولّدة، لا أصالة لها ولا خير فيها!!

ورغم شهرة أبي حاتم عن طريق كتبه فقد ضنّت عليه كتب التراجم على كثرتها بترجمة واضحة لحياته، فلا ندري أين نشأ ولا أين تعلم. وقد تخبّط الرواة في أمره، فهو في رأي بعضهم أحد دعاة الفاطميين الوافدين إلى المشرق لنشر الدعوة، غير أنّا لا نكاد نعرف له ذكراً بالمغرب. وإنما نسمع عنه دائماً بالشرق، فهو ممن اتصلوا بثعلب، وهو يجادل الرازي الفيلسوف في بعض المجالس، ويناقش النسفي في بعضها الآخر. ولعل فكرة التشيع عنه قد أصابته من تلك الإشارات الكثيرة التي وردت في كتابه عن علّي وآل عليّ، فهو إذا ذكرت نشأة النحو نسبها لعلي كرم الله وجهه، وإذا ذكر عروض الخليل جعله من وحي رجل من أصحاب علي بن الحسين رضي الله عنه.

ومع كل ما ذكرناه، فلسنا ننتقص من قيمة كتاب الزينة أو ننكر فضله

بين كتب اللغة، فيكفي أنه أول كتاب في العربية يعالج دلالة اللفظ وتطورها، ويسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول: ويرتِّبها بعض الأحيان ترتيبًا تاريخياً، يتبين القارىء منه أصل الدلالة وكيف تطورت، ويستطيع أن يستنبط سبب هذا التطور. وتلك هي الظاهرة التي افتقدناها في كل معاجمنا العربية من الجمهرة إلى القاموس المحيط رغم ضخامتها وشمولها لمعظم ألفاظ اللغة.

ولعل السر في انصراف أصحاب المعاجم عن هذا الترتيب التاريخي لدلالة الألفاظ العربية أنهم نظروا إلى كل عصور الاحتجاج في اللغة على أنها عصر واحد، وأنه يكفي في اللفظ أن يكون عربياً صحيحاً، فصيحاً كان أو غير فصيح، ليستحق التدوين والتسجيل في تلك المعاجم. وهكذا خلقوا لنا مشكلة الترادف والاشتراك اللفظي التي اضطربوا في شأنها، واختلفوا في تفسيرها، وورثونا من جرائها آلافًا من الكلمات الحائرة التي أطلقوا عليها المترادفات والمشترك اللفظي؛ ولعل كثيراً منها بل لعل معظمها لم يكن إلا وليد التطور التاريخي في صورته أو في دلالته. ولو قد نهج أصحاب المعاجم نهج أبي حاتم لكان بين أيدينا الآن معجم تاريخي لألفاظ اللغة في العصور المختلفة. وتلك هي الأمنية العزيزة التي يتطلع إليها كل محب للغتنا العربية، والتي دعت المستشرق فيشر Fischer إلى أن يقضي من عمره حوالي نصف قرن محاولاً تحقيقها، من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٥٠، ثم توفي غير مخلف لنا سوى جذاذات لمشروعه الضخم الذي نرجو أن يضطلع المجمع اللغوي بإخراجه في يوم من الأيام. فاستمع إلى بروفيسر فيشر إذ يقول في تقريره المقدم للمجمع اللغوي: «ويرجع تفكيري في تأليف معجم كبير للغة العربية الفصحى يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر إلى العشر الأول من القرن الحالي. وقد عرضت أمري هذا لأول مرة على الرأي العام في سنة ١٩٠٧ في بازل (Basle) للمستشرقين الألمان»، وحين يقول: «وهذا المعجم كما يستدل من عنوانه معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة الفصحى من الكمال».

ولعل في نشر كتاب الزينة ما يحفز الهمم بين الدارسين في عصرنا الحاضر على أن يتوفروا على تلك الدراسة الدلالية للألفاظ العربية متخذين

من ذلك الكتاب الأسوة الحسنة. ويقوم الآن على نشر الكتاب وتحقيقه صديقنا الفاضل الدكتور حسين الهمداني وهو من أهل العلم النابهين المتواضعين، وقد قضى في إخراج الكتاب زمناً طويلاً، فرجع إلى كل ما وجد من النسخ المخطوطة، وقارن بينها في أمانة العلماء ودقتهم وتحريهم الصواب، وهو مع هذا يتواضع فيقول إنه لم يحقق كل ما كان ينشده في نشر هذا الكتاب وإخراجه. والدكتور الهمداني من ذوي الثقافة الواسعة والاطلاع الوافر، ولا غرابة أن يخرج لنا هذا العمل المتقن الذي يعد مثلاً يحتذى لكل من يرغب في تحقيق أثر من تراثنا العربي القديم. وقد ظفرت كلية دار العلوم بالدكتور الهمداني مرجعاً علمياً زاخراً لكل الدارسين فيها. ويسرني كعميد لهذه الكلية وكأستاذ لمادة فقه اللغة أن أكتب هذا التصدير، سائلاً المولى أن ينفع بجهود الدكتور الهمداني طلابه والمعجبين به، وأن يجزيه عن العلم وأهله خير الجزاء.

كلية دار العلوم جامعة القاهرة

القاهرة في ١٩٥٦/١٢/٨

إبراهيم أنيس

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى العلم والحكمة، «وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله.

اسمك يا ألله كان أوّل اسم عرفته الدنيا، وخشعت له الخليقة. وباسمك يا باسط الكون ويا رافع السماء، سبّح آدم ومن بعده الأنبياء والرسل. وبأسمائك كلّها التي علّمتها آدم: قدرنا أن نلم بما اتّسعت له عقولنا وما امتدّت إليه بصائرنا. فلك الحمد، ولك الشكر، يا من نوّرت بصائرنا، ويا من جعلتنا نسمو على بقية الكائنات بالعقل الراجح والفكر السابح!

وبعد فقد وضع الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي كتابًا جامعاً في أوائل القرن الرابع، كان أوّل مرجع يتضمّن الأسماء العربية التي نطق بها القرآن، والأسماء التي اصطلح عليها المسلمون، وسمّاه كتاب الزينة. وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يجمع من شتى الألفاظ العربية، ألفاظاً تغيّرت مدلولاتها ومعانيها في العصر الإسلامي، عما كانت عليه في العصر الجاهليّ. وبعمله هذا وضع اللبنة الأولى في علم معاني الأسماء العربية والمصلحات الإسلامية (Arabic Islamic Semantics). وقد تتبعنا ما وُضع من الكتب في هذا الموضوع حتى القرن الرابع، فلم نعثر على كتاب يعالج هذا اللون من الدراسات[1]، غير أننا نعتقد أن صاحب الزينة وضع كتابه على

---

(١) وجه الأستاذ عبد العزيز الميمني نظرنا إلى كتاب الزاهر لأبي بكر بن الأنباري (تو ٣٢٨) وإلى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (تو أواخر القرن الثالث) وهما وضعا في نفس العصر الذي وضع فيه كتاب الزينة. نقول أن صاحب الزاهر أوضح في مقدمة الكتاب أنه يفسر في مؤلفه «ما يستعمله الناس في صلاتهم ودعائهم... وما يستعمله العوام في أمثالها ومحاورتها من كلام العرب...». وأما الفاخر فهو في الأمثال، لا في موضوع الزينة. =

هَذي ما جاء في كتاب غريب القرآن لابن قتيبة[١].

ومن العلوم الحديثة التي يتميّز به عصرنا هذا، علم معاني الأسماء.

ومن موضوعات علم الأسماء ومعانيها معرفة الأسماء (Nomenclature) ومعانيها (Significance) وأصولها واشتقاقاتها وبنيتها، وعلاقاتها بالعلوم اللغوية أو الفلسفية أو الطبيعية، وتطوّرها التاريخي، وتنقلها من مكان إلى مكان، ومن بيئة إلى بيئة، ومن جماعة إلى جماعة، وتطبيقها في لغة التخاطب والكتابة. ويشمل هذا العلم علوماً شتى كما أنه يستمدّ أصول مادته من معارف متنوعة. وليس البحث بحثاً لغوياً صرفًا، بل يتناول جميع المعارف التي أدركها العقل الإنساني والمجهود البشري من علوم ولغات وكشوف ومخترعات ونظريات. وقد سُمِّي هذا النوع من البحث في فقه اللغة في لغات الغرب باسم «سيماسيولوجيا» (Semasiology) أو «سيمانتكس» (Semantics)[٢]؛ وقد تطوّر هذا العلم وازدهر في اللغة الألمانية، وهو يُعرف بها باسم «الأسماء والأشياء» (Namen u. Sachen)[٣].

وفي سنة ١٨٩٧م ظهرت رسالة للعالم اللغوي الفرنسي مايكل بريال (Michel Bréal) تحت عنوان Essai de Sémantique وضع فيه أصول علم الأسماء ومعانيها (Science de Sémantique)، ثم قامت السيدة الإنجليزية ويلبي (Lady Welby) في الموسوعة البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) بتوسيع موضوع بحثها وسمّته «سيغنيفكس» (Significs) أي علم معاني الألفاظ، وذلك أنها أدخلت في أبحاثها هذه عناصر تطبيق نظريات العلم في جميع أطوار النشاط الفكري، وفي لغة التخاطب والكتابة. وازداد اهتمام علماء الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين بدراسة تطور اللغات وعلاقاتها بالمدنية والحضارة. وذلك لأنهم وجدوا في اللغة وسيلة هامة إلى

= وأشار الأستاذ الفاضل إلى أسماء هذه الكتب الثلاثة قائلاً أنها تدل على ازدهار علوم العربية وتنمية معارف الإسلام في ذلك العصر.

(١) اطلب ص ٢٣ هامش رقم ٢ من هذه المقدمة.

(٢) هي مأخوذة من كلمة يونانية «سيما»(Σημα) وهي الإشارة والرمز، ومنه «سيما نتيكوس» (Σημαντιχεσ) أي المعنى.

(٣) وقد سبق صاحب الزينة عصرنا هذا إذ تحدث عن الأسماء والأشياء والاسم والمسمى في باب ما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم من كتاب الزينة.

فهم الحضارات. فمنهم من حاول إثبات القرابة والنسب بين الحضارات القديمة من السمات الهامة في اللغات الرئيسية، ومن أراد تفسير طبيعة التغيرات اللغوية من طبيعة التغيرات في العالم الطبيعي، ومن أشار إلى الدوافع النفسية الفسيولوجية (Psycholophy siological) في التغيرات اللغوية وإلى الظاهرة الاجتماعية في النظام اللغوي. وقد نتج عن ذلك أن اتسعت أمام علماء الغرب رقعة البحوث في هذا الموضوع مما جعله من بعد آدابًا ضخمة في لغاتهم.

وتاريخ تطور هذا النوع من علم فقه اللغة حديث وقديم، فهو حديث للمعنى الذي ذكرناه فيما سبق؛ وهو قديم لأنه يرجع إلى أول ساعة نطق لسان الإنسان فيها بالصوت واللفظ والاسم، وإلى ساعة أن نشأت اللغة من بدء الخليقة. ومهما كان اختلاف علماء اللغة في كيفية نشوء اللغات، إما بالتوقيف والوحي، كما ذكره صاحب الزينة وغيره من العلماء، وإما بالتواضع والاصطلاح، كما قاله ابن جِنّي والمعتزلة، وإما بأنها نشأت من الأصوات المسموعة، أو انتزعت من الرموز، فقد أجمع الجميع على أن «الفضل في معرفة أسماء الأشياء»، كما ذكره صاحب الزينة في مقدمة الكتاب وكان الفلاسفة في جميع العصور أكثر اهتماماً بكيفية نشوء اللغات من علماء اللغات ومؤرخيها. وبالرغم من أن الفلاسفة وعلماء اللغة أتوا بنظريات عديدة وآراء مختلفة فإنها لم تحل هذه المشكلة بعد، حتى التجأ بعض المعاصرين منهم إلى القول إن اللغات علّمها الله الآدميين الأولين (راجع Enc. Br. مقال Languago).

وكان لفلاسفة اليونان نظريات وآراء في هذا الشأن، كما كان لهم سبق في غير ذلك من ميادين المعارف والعلوم ويكفي هنا أن نشير إلى ما قال هرقليطس الأفسوسي وأنا كساغوراس والرواقيون عن وظيفة العقل (Noūs)، وأفلاطون عن تأثير خالق محرك ذي عقل (Anuioupyós)، وأن نشير إلى ما أتى فيلون الإسرائيلي الإسكندراني بنظرياته الخطيرة عن «الوغوس» (Aóyos) وهي الكلمة. وظلت «الوغوس» محتفظة بصفتها التجريدية عند فيلون، حتى تجسمت في إنجيل يوحنا، لأن القديس جعل المسيح كلمة مجسّمة ـ كلمة خالدة أزلية «ألقاها إلى مريم». وكانت «الكلمة» التي تحولت إلى «اللحم» قد عاشت منذ الأزل، وتبلورت في المسيح بوصفه «كلمة الله».

وتبعهم المفكرون من المدرسة الأفلاطونية الحديثة، ووضعوا كلامهم عن العقل الفعّال وهو الكلمة والنفس المنبعثة منه، ثم أتوا بنظمهم من الإبداع والانبعاث والعوالم. فكأن الأصل، كما قررته، مدرسة الإسكندرية، هو العقل (Noûs) أو الكلمة (Λόγος) التي نشأت عنها الكائنات واللغات والعلوم والمعارف(١).

* * *

وأمّا في العهد الإسلامي فقد أدرك العلماء من الصحابة والتابعين من الصدر الأوّل، علاقة الألفاظ باللغة والقرآن والحديث، وبدأوا بتفسير غريب القرآن، واحتجُّوا بالشعر واللغة. وقد خاض علماء العربية وأئمة اللغة في هذا الميدان، وذلك لتعلّقهم بالقرآن وسنة النبي، ولاعتقادهم أن اللغة ليست إلا أداة للتعبير عن ظاهر اللفظ من كلام الله وتفسير معاني الألفاظ التي نطق بها القرآن والكلمات التي سنها النبي. وكان أن أوجد هذا الاعتقاد في وظيفة الكلمة أثراً بليغاً في تطور الآراء والأفكار الإسلامية، إلى أن أصبح متعذراً على المسلمين أن يفكروا ـ ولو لحظة ـ في فصل اللغة العربية عن علوم الإسلام، أو أن يفكروا في علوم الإسلام وعلوم الشريعة، بدون استخدام اللغة العربية. وكان أصحاب العربية يرون أن دراسة العربية يجب ألاّ تكون لشيء إلا خدمة القرآن وسنة رسول الله. وكان أبو عمرو بن العلاء إمام العربية وأحد القرّاء السبعة المشهورين قد خرج من هذا إلى أن لغة القرآن ودراسة معاني ألفاظ القرآن يجب أن يكون هدفه وهدف كل مسلم، وإلى أن الشعر واللغة لا يقصد بدراستهما إلا خدمة الإسلام. وكان أبو سعيد الأصمعي أكثر صرامة في تدينه ممن سبقه من أصحاب العربية، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن. ولذلك خالف أبا عبيدة معمر بن المثنى فيما أتى به في كتابه «مجاز القرآن» من تفسيرات لغوية. وكان أبو عبيدة قد أسس مدرسة في تفسير القرآن «عملتها الأولى الفقه بالعربية

---

(١) اننا لا نستبعد العلاقة بين «اللغة» و«لوغوس»، ونميل إلى الاعتقاد أن لفظ اللغة قد تكون العرب أخذته من «لوغوس»، ثم عربته. ولم نعثر عليه في الشعر القديم إلا في بيت نسب إلى عنترة (وليس البيت من ديوانه)، ولم يرد في التنزيل العزيز.

وأساليبها» (راجع مقدمة محمد فؤاد سزگين للمجاز ١/١١). ولم يسلك أبو عبيدة مسلكه اللغوي في تفسير القرآن وحده ولأول مرّة، بل سبقه العلماء من الصحابة مثل عبد الله بن عباس ومن بعدهم التابعون والفقهاء الذين كانوا يحتجون باللغة والشعر في غريب القرآن والحديث. وكان الفقهاء والمحدثون المحافظون قد بدأوا منذ فجر الإسلام في معارضة المحاولة التي قام بها اللغويون لتفسير معاني القرآن والحديث. وقد اضطر أصحاب العربية إلى أخذ نهج المحدثين في التثبت والإسناد. وأملي حفاظ اللغة من اللغويين المتقدمين بإسنادهم كلاماً عن العرب فيه غريب يحتاج إلى تفسير. وكانت طريقتهم في الإملاء والجرح والتعديل هي طريقة المحدثين سواء بسواء، كما قال السيوطي (المزهر ٢/ ٣١٢): «وعلم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد واحد».

وهذا الاتجاه الديني في منهج اللغويين واضح كل الوضوح في معالجة مسألة الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية. وقديماً دخلت كلمات أعجمية كثيرة إلى لغة العرب، كما نرى في شعر عدي بن زيد والأعشى الأكبر وأمية بن أبي الصلت؛ ولم ينكر أحد وجودها في اللغة. وأما القرآن فكان هذا فيه أمراً غير هيّن في نظر المفسرين وعلماء العربية، لأنهم وجدوا فيه «كلمات لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم»، ووجدوا فيه «شيئاً من ألفاظ العجم ولغاتهم». فأثار وجود هذه الكلمات في اللغة البحث: هل ينافي ذلك ما جاء في التنزيل من أنه «بلسان عربي مبين». وبعد أن رأينا ما كان من أثر التفكير الإسلامي السائد في معالجة المسائل اللغوية فإننا لا نرى غرابة فيما زعمه أبو عبيدة وغيره من أصحاب العربية من أن القرآن ليس فيه شيء من كلام العجم. وقد وافقه على هذا الرأي معظم اللغويين، كما ذكر بعض المصادر، مع أن الفقهاء والمحدثين في الصدر الأول تمسكوا بما روى عن العلماء من الصحابة والتابعين من وجود كلمات أعجمية في القرآن، إلا أن الإمام الشافعي في الرسالة/ شاكر ٤٠ أعلن أن الأحرف التي يقال إنها أعجمية ما هي إلا كلمات عربية في أصولها وبنيتها.

وأراد أبو عبيد القاسم بن سلاّم الأزدي (تو ٢٠٤) إمام أهل عصره في علوم الحديث واللغة أن يوفق بين المدرستين، وأن يحل هذه المشكلة حلاً

علمياً سليماً، إذا أثبت وجود كلمات «أعجمية الأصول عربية الألفاظ». وعلى حين كان أبو عبيد يوفق بين وجهتي النظر، كان يؤيد ما قاله المفسرون من الصحابة والتابعين من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن. وبالرغم من أن النصر قد كتب لرأي أبي عبيد فإن المفسرين واللغويين لم يقبلوا رأيه في كل تفاصيله وفي كل زمان؛ ومال بعضهم إلى ما قال أبو عبيدة (المجاز/ سزگين ١٧/١) من أن «اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد». وقد أيد الطبري في تفسيره ٦/١ والثعالبي في فقه اللغة ٣١٥ نظرية أبي عبيدة من أن هذه الألفاظ قد تكون من توافق اللغات، أي توجد في اللغات وتوجد في العربية. ويبدو أن أبا حاتم يؤيد رأي أبي عبيد، غير أنه لا يقول هذا في صراحة.

ومما سبق نرى أن بين اللغة العربية وعلوم الإسلام رابطة لا تنفصم بأي حال من الأحوال، رابطة قلما توجد في حضارات العالم بين لغاتها ودياناتها. وقد بدأت الدراسات اللغوية في جميع المناحي على أساس التفكير الإسلامي. ولذلك نرى أن أبا حاتم الرازي قد بين في مقدمة كتابه الزينة أن «الذي يريد تفسيره من معاني الأسماء:

١ ـ ما هي قديمة في كلام العرب، واشتقاقاتها معروفة؛ ومنها أسام دل عليها النبي ﷺ في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة، لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب.

٢ ـ وما جاءت في القرآن ولم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم...

٣ ـ وما جاءت في القرآن من ألفاظ العجم».

جمع المؤلف في كتابه هذا بعض الأسماء التي وردت في القرآن، والألفاظ التي اصطلح عليها المسلمون، وذكر معانيها ومدلولاتها الجاهلية والإسلامية، واستشهد على ذلك بالشعر المعروف، وأورد فيها ما روى عن علماء العربية وأهل التفسير في تفسير كل كلمة، «إذ كانت متفرقة في مصنفاتهم ورواياتهم، ولا يوقف منها إلا على الحرف بعد الحرف إذا مرَّ في كتاب أو ذُكر في رواية. وكثير منه مما لم يُدوَّن عنهم، ولم يفسر تفسيراً شافياً».

وبالرغم من أن الذي أراد المؤلف تبيانه هو تفسير كلمات جاءت في القرآن والشريعة، كما ذكره في مقدمة الكتاب، فإنه يدخل في ميدان أوسع من المقصود الأصلي، لأنه يفسر كلمات توجد في العالم(١) مثل السماء والأرض والإقليم والجزيرة وغيرها من أسماء المدن العربية المشهورة، وكلمات دار حولها كلام المسلمين مثل القدر والقضاء والعرش والقلم وأسماء المذاهب الإسلامية، وكلمات لها خطر في حياة المسلمين الدينية والعلمية والاجتماعية.

وقد ذكرنا آنفًا أن موضوعات كتاب الزينة كانت منتشرة متفرقة في مؤلفات علماء العربية والمفسرين. ويدل على ذلك ما يكثر في الكتاب من ذكر مجازات أبي عبيدة ومعاني الفراء وتفسيرات ابن قتيبة الدينوري(٢). فأخذ أبو حاتم على عاتقه أن يجمع في الزينة بعض تلك الكلمات التي شاعت في كتب العلماء، والتي صارت بفضل اهتمامهم واستعمال الأمة (usus) مصطلحات في المجتمع الإسلامي.

وحاول صاحب الزينة أن يفسر معاني الكلمات التي تغيرت مدلولاتها

---

(١) ومن الطريف أن كلمة كوسموس (Cosmos) اليونانية وهو النظام الحسن (bon ordre) في العالم تقلها المترجمون القدامى بلفظ «الزينة»، كما أشار إليه صديقنا الدكتور محمود الخضري.

(٢) ونخص هنا بالذكر ابن قتيبة الدينوري، لأن أبا حاتم - كما يظهر وضع كتابه الزينة على هدْي ما جاء في الجزء الأول من كتاب غريب القرآن (خط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠٠) لابن قتيبة، ولا نستبعد أن يكون غريب القرآن لدى صاحب الزينة نواة لمشروع كتابه. يفتح ابن قتيبة كتاب غريب القرآن بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته التي جاء ذكرها في التنزيل، ويتبع ذلك «ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب» مثل الجن والإنس وإبليس والشيطان والنفس والصور واللعن والشرك والكفر والظلم والفسق والفجور والنفاق والصلاة والزكاة والشعائر والحج والقرآن والسورة والآية والمثاني والمفصل والتوراة والانجيل والزبور والكتاب وأساطير الأولين، ويتلو هذا الجزء تفسير سورة الفاتحة. وهذه الألفاظ هي نفس الألفاظ التي أوردها أبو حاتم في كتاب الزينة، وضم إليها جميع تفسيرات ابن قتيبة. وكان ابن قتيبة يهدف إلى تفسير غريب القرآن، فمر بهذه الكلمات مر الكرام، وانصرف إلى تفسير الغريب. ثم أخذ أبو حاتم يوسع رقعة البحث عن أسماء الله الحسنى وعن الكلمات التي كثر ترددها لا في الكتاب فحسب، بل فيما جاء في سنة رسول الله، وفيما جاء في الشريعة، وفيما وضعه المسلمون، فجعل كتابه كتابًا مستقلاً في تفسير معاني الكلمات العربية الإسلامية.

في العصر الإسلامي عما كانت في العصر الجاهلي، وإن لم تكن هذه المحاولة مطردة متواصلة. فهو يبدأ أحياناً بشرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب قبل الإسلام، ثم يسير إلى أن يشرحها كما وردت في القرآن والحديث، ويورد فيها آراء اللغويين والنحويين المتقدمين. وأحياناً نراه لا يراعي هذا التسلسل الزمني، بل يبدأ بمدلولها الإسلامي ويستشهد بالقرآن والحديث قبل أن يحتج بالشعر واللغة. وكثيراً ما يفسر الكلمات تفسيراً لغوياً صرفًا، يأتي باشتقاقاتها ومعانيها، ولا يهدف فيه معنييها الجاهلي والإسلامي.

وإذ كان صاحب الزينة يجمع الأسماء والكلمات التي شاعت في بحوث علماء العربية وأهل التفسير، وإذ كان يجمع الألفاظ التي استعملها المسلمون واصطلحوا عليها بمدلولات حديثة ومعان لم تكن العرب تعرفها قبل مبعث النبي، فإنه كان يضع كتابًا في «سيمانتكس» أي علم الأسماء ومعانيها، في نطاق إسلامي محدود. ولم يكن هدفه جمع الأسماء العربية ومعانيها ومصطلحات المسلمين إلا إيثار «النفع لأهل الرغبة في العلم والأدب، ولأهل الدين والحسب، لسقوط مؤنة البحث عنه والمشقة في تتبع حرف بعد حرف منه في الكتب والشعر»، وسمّاه «كتاب الزينة»، إذ كان من يعرف ذلك يتزين به في المحافل، ويكون منقبة له عند أهل المعرفة.

وكان صاحب الزينة يهدف في جمعه الأسماء العربية والمصطلحات الإسلامية وتأليفه وتفسيراته، إلى تحقيق هدف لغويّ صرف، وإلى تحقيق هدف إسلامي بأعم معنى الكلمة؛ ويحاول أن يكون بعيداً عن اختلافات أصحاب الملل والنحل، وبعيداً عن اختلاف الفقهاء في فروع المسائل الفقهية، وبعيداً عن اختلاف النحويين في دقائق النحو ـ يحاول كل هذا إن وجد إلى ذلك سبيلاً. وهو يسلك المنهج المألوف ـ منهج الاشتقاقيين، ويأتي بتفسيرات لغوية واشتقاق كلمات في أسلوب علميّ سلس لا تومىء إلى أنه ينتمي إلى مدرسة خاصة، غير أنه كان ـ كما يظهر مما أشار إليه في كتاب الزينة ـ على اتصال وثيق بمعاصره أبي العباس ثعلب، ببغداد.

* * *

وكان المؤلف محافظاً في ميوله الدينية، وكان محدثاً مبرزاً، فيستشهد

بأحاديث معروفة، ويجانب منها الضعيف والموضوع، ويحاول ألاّ يظهر بمظهر الرجل الذي يتبع نحلة دينية خاصة. وكان حين يفسر أسماء الملل والنحل تفسيراً لغوياً، يحاول جهده أن يأتي بحقائق معروفة، ثم يتركها بدون تعليق، إلا أنه ينسب نفسه إلى أهل السنة والجماعة. وحبه للإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته واضح وضوحاً كبيراً.

وعلى الرغم من أنه حاول جاهداً إخفاء آرائه وميوله فقد كان من المتعذر عليه التزام المنهج اللغوي البحت. والواقع أن الخلاف الديني كان قد تغلغل بين المسلمين منذ الصدر الأول لدرجة تعذّر معها عدم تحيزه والكشف عن ميوله ومحاباته. وليس أدل على ذلك من وصفه لفرق أصحاب الإرجاء التي أقحم فيها مذاهب أهل السنة ومذاهب أهل الحديث وأصحاب الرأي والاعتزال، وكذلك من وصفه لفرق الخوارج وبعض فرق الشيعة. ومع ذلك استطاع أن يبدو محايداً وغير متحيز في نظر بعض الناس على الأقل، كما يتضح مما تصوره مرتضى بن الداعي الحسنى الرازي صاحب كتاب تبصرة العوام/ عباس إقبال ١٤٦ و١٥٧ من أنه (أي أبا حاتم) كان من الشافعية، كما ظن صاحب الروضات ١/٨٨ أنه إمامي جعفري. وهكذا لم ينسب إليه العلماء أمثال البطليوسي وياقوت الحموي والعيني والبقاعي والسيوطي شيئاً من الميل الديني والتحيز السياسي.

وقِسم المِلل والنحل والمذاهب الإسلامية من أهم أقسام الكتاب. وهذا الجزء يعتبر من أقدم المصادر لتاريخ تطور الآراء الدينية. وبعد أن يصف أبو حاتم الأديان الأخرى يتحدث عن معاني «أهل السنة» و«الشيعة» و«المرجئة». وهو يصف أهل السنة بأنهم جميع أولئك الذين انضموا واتحدوا تحت زعامة إمام واحد، وأهل الشيعة بأنهم أولئك الذين اتبعوا الإمام علي بن أبي طالب. ويصف الإمام بأنه المثل الأعلى لأهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدعة والفرقة، والمؤلف في هذا المقام لا يذكر شيئاً عن الطائفة التي ينتمي إليها. وهو لا يذكر مذهب الدعوة الفاطمية وأصلها وفروعها، ولا يقول إنه من أولى الدعوة.

وكان أبو حاتم حَذِراً كل الحذر في معالجة موضوع الملل والنحل الإسلامية فقد سلك فيها مسلك اللغوي، حتى وصفه الشيوطي فعلاً بأبي

حاتم اللغوي، وقد أصبح كتاب الزينة عند السيوطي مرجعاً للألفاظ الدخيلة في القرآن. ومع ذلك فإن فاطمية أبي حاتم كانت من الشهرة والذيوع بحيث لا تترك مجالاً لمناقشتها، كما أن ميوله للمذهب الفاطمي لا تخفى على من له إلمام بمبادىء هذه الدعوة، وقد أشرنا إليها في مظانها. ولم يكن أسلوبه الذي سجل به كتابه إلا وسيلة دقيقة للتأثير في الدارسين، حتى لا يتأثروا أو يصدموا بحقيقة معتقداته الدينية وميوله السياسية.

ثم إن القول بأن بعض الكتاب كالأشعري وابن حزم والبغدادي والشهرستاني وغيرهم قد عالجوا موضوع الملل والنحل بتفصيل لم يقم به أبو حاتم ما هو في الواقع إلا قول لا يقلل من قيمة إنتاج أبي حاتم وأهميته. والواقع كذلك أن كل من يقرأ ما أورد أبو حاتم في الزينة، لا يسعه إلا أن يبدي إعجابه بسعة أفقه، وبتقديمه أصول مادته تقديماً واقعياً ويكفي أن نشير أن هذا القسم من الكتاب من أقدم المصادر لموضوع المذاهب الإسلامية.

* * *

ونحن لا نعرف على وجه التحديد متى وأين ألف أبو حاتم كتاب الزينة. والغالب على الظن أنه ألفه قبل تأليف النوبختي (المتوفى قبل سنة ٣١٠) كتاب فرق الشيعة، أي في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وذلك لأننا بمضاهاة ما جاء في الكتابين عن الملل والنحل نخرج بالرأي أن أحدهما لا بد أن يكون مرجعاً للآخر. ونحن نميل في هذا الصدد إلى ما قاله عباس الهمداني في مقاله التالي:

«وذكر أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيني الرازي (٢٦٠ - ٣٢٩) أن المحدث أبا القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القُمّيَ (وكان من رواته مقدماً) كان قد أخذ عن «أبي حاتم الرازي». وقد ظن الطوسي (رقم ٥٩٩) أنه يعني أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي (تو سنة ٢٧٥). وينقل الكشي والطوسي في كتبهما عبارات للقمي. وهذه العبارات لا تختلف عما جاء في كتاب فرق الشيعة للنوبختي. وقد أشار بروكلمان في GAL, suppl. 1 ص ٣١٩ أن هذه العبارات التي نقلها الكشي والطوسي من روايات القمي، تدل على أن القمي والنوبختي كلاهما يستند

إلى «الأصل المشترك». ونحن نرى أن هذا الأصل المشترك ما هو إلا كتاب الزينة، وأن أبا القاسم القمي كان قد أخذ عن أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي. وإذا ضاهينا ما أورده أبو حاتم عن فرق الإسلام ومذاهبه بكتاب فرق الشيعة للنوبختي، وجدنا بينهما أوجه شبه كثيرة، منها مثلاً وصفهما للفرق التي قالت بإمامة حسن بن علي، فهما لا يختلفان لا في لفظهما لا في معنييهما، بل يكاد يكون وصف كل منهما مطابقاً للآخر كل المطابقة، حتى في ترتيب هذه الفرق وتحديدها. ولا يجد القارىء في كثير من موضوعاتهما أي تناقض في الرأي أو أي اختلاف في وجهات النظر؛ وذلك يثبت أن أحدهما لا بد أن يكون قد اطلع على إنتاج الآخر. وإني أرى أن النوبختي قد توسع في كتابه فرق الشيعة عما أورده أبو حاتم في الزينة من وصف بعض الفرق، وغيّر بعض الشيء بحسب ميوله، وأضاف إلى الفرق التي ذكرها أبو حاتم طائفتي البشرية والنميرية، كما أضاف ثلاث فرق أخرى إلى الفرق التي ذكر أبو حاتم أنها قالت بإمامة حسن بن علي.

«وجاء في السبع الخامس من كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين القرشي اليمني أن «كتاب الزينة، لما ألفه صاحبه أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، حمل هذا الكتاب إلى القائم بأمر الله [ابن المهدي عبيد الله] في أجزاء كثيرة وكراريس غير مجلدة. فدفع منه إلى المنصور بالله [ابن القائم] أجزاء، وأمره أن ينظر فيه ويتدبره...» إلخ. وإذ قال قائل: إن الكتاب قدم للخليفة الفاطمي الثاني القائم (٣٢٢ ـ ٣٣٤) عقب توليه الخلافة مباشرة، فإننا نقول: إن عبارة العيون لا تدل دلالة واضحة على أنه قدم بعد توليه الخلافة (أي سنة ٣٢٢)، وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم. وهذا القول ما هو إلا فرض وتخمين».

* * *

ومهما يكن الأمر، فإن أبا حاتم قد نجح إلى حد كبير في تقديم موضوعات الكتاب تقديماً لغوياً واقعياً. وقد نجح كذلك في أن يجعل كتابه نافعاً للأديب والفقيه والعامة والخاصة. وبقي كتاب الزينة مرجعاً ثابتاً للدارسين طوال هذه القرون. وقد ذكر ابن النديم كتاب الزينة ومؤلفه مرتين في الفهرست/ فلوغل ١٨٨ و١٨٩. ورجع إليه أبو محمد عبد الله بن محمد

عبد الله بن السيد البطليوسي (٤٤٤ ـ ٥٢١) في كتابه الانتصار ممن عدل عن الاستبصار في ذكر مذهب القطعية من الشيعة فقال: قال أبو حاتم الرازي: إن هذه الفرقة سميت القطعية، لقطعهم على موته، والقول بإمامة علي بن موسى بعده... إلخ. وأورد ياقوت الحموي (تو ٦٢٦) في معجم البلدان/ وستنفلد ج١ المقدمة ب٢ ص٢٦ آراء العلماء في اشتقاق «الإقليم» فقال: وعلى ما ذكر أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة هو النصيب مشتق من القلم إفعيل...» إلخ. وحكى أبو محمد بدر الدين محمود العيني (تو ٨٥٥) في الجزء الأول من عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان (خط دار الكتب المصرية ١٥٨٤ تاريخ) عما أتى به أبو حاتم في كتاب الزينة من معاني العرش (ص ١٣ و١٩) واللوح (ص ٢٥). وذكره الداعي إدريس عماد الدين القرشي اليمني(تو ٨٧٢) في السبع الخامس من كتاب عيون الأخبار (خط المكتبة المحمدية الهمدانية) فقال: إن مؤلف كتاب الزينة هو الداعي أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي. واعتمد البقاعي (تو ٨٨٥) في تفسيره المسمى «المناسبات» على كتاب الزينة عند تفسيره الآية «وإثمهما أكبر من نفعهما»، فقا ل(ص ٣٧٩): قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة: وقال بعض أهل المعرفة: والنفع الذي ذكر الله في الميسر أن العرب في الشتاء والجدب يتقامرون بالقداح على الإبل، ثم يجعلون لذوي الفقر والحاجة... إلخ. وينقل عبارات كثيرة (ص ٣٨٠ و٣٨١ و٣٨٣) في بيان الميسر والقداح عن كتاب الزينة. وقال جلال الدين السيوطي (تو ٩١١) في الإتقان (ج١ ن٣٨) في تفسير «الرِّبِّيون»: ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة أنها بالسُّريانية[1]. وقال في نفس المرجع (ج١/ ن٣٨) في تفسير «الصراط»: حكى النقاش وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم. ثم رأيته في كتاب الزينة. وقال في نفس المرجع (ج١/ ن٣٨) في «سجين»: ذكر أبو حاتم في كتاب الزينة أنه غير عربي. وكذلك أشار إليه الشيخ إسماعيل بن هبة الله الهندي (القرن الحادي عشر) بصورة عابرة في فهرست كتب الدعوة الفاطمية المستعلية اليمنية (ص ٩٩ ـ ١٠٠). وحكى

(١) وذكر السيوطي كتاب الزينة وصاحبه أيضاً في رسالته المسماة «المتوكلي» عند كلامه عن الألفاظ الأعجمية في القرآن.

السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري (من علماء القرن الثالث عشر) صاحب الروضات ١/٨٨ في ترجمة أحمد بن خلكان ما معناه أن اسم الشيعة كان على عهد النبي كما يشعر بذلك أبو حاتم الرازي.

ومما سبق يمكن إثبات أن حاجي خليفة (تو ١٠٦٧) كان بعيداً عن الصواب حين نسب في كتابه كشف الظنون ١٤٣٣ كتاب الزينة إلى أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (تو ٢٥٠).

* * *

وأما ترجمة حياة أبي حاتم فإننا لا نعلم عنها إلا لمحات عابرة، فقد وردت فقرات مبعثرة في بعض المراجع، أمكننا أن نجمعها فيما يلي:

هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي الليثي[1] كما ذكره الحافظ في لسان الميزان ١/ رقم ٥٢٣. ولم تتحدث المراجع عن مولد أبي حاتم أو عن مسقط رأسه غير أن الإسفراييني أبا المظفر (تو ٤٧١) أشار في كتابه التبصير في الدين ص ٨٤ إلى أن جماعة من أهل المغرب أجابوا دعوة المهدي عبيد الله بن الحسين حينما قدم إلى المغرب، وأن رجلاً منهم يدعى أبا حاتم خرج إلى أرض الديلم، فأجابته منهم جماعة، ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولّى فيه هراة ومرورود وحكى البغدادي (تو ٤٢٩) في الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ أن أبا حاتم «دخل أرض الديلم فاستجاب له جماعة من الديلم، منهم أسفار ابن شيرويه» وبناء على ماقامه البغدادي والإسفراييني هل يكون أبو حاتم عربياً من المغرب؟ ويؤيد هذا اسمه ولقبه العربيان وتحمُّسه البالغ لفضل العرب ولغتهم. وقد يكون أبو حاتم استقر في الريّ ونسب إليها. وأما ما قال أبو حاتم عن تمكنه في اللغة الفارسية ونشأته فيها في كتاب الزينة (فصل لغة العرب تامة الحروف) فهذا لا يدل على أنه فارسيّ. أو قد يكون أبو حاتم من أهل الري، وزار المغرب قبيل قيام المهدي عبيد الله بقيروان سنة ٢٩٧. وكان أبو حاتم قد أقام ببغداد، كما يظهر من اتصاله الشخصي بأبي العباس ثعلب (تو ٢٩١)[1]. ويرى عباس الهمداني أن أبا حاتم «لم يزر

(١) لاتدري ماهاتان النسبتان اللتان ذكرهما الحافظ ولا التي ذكرها عبد الجبار (أطلب ص ٣١).

شمال أفريقية أبداً، وذلك لأن القاضي النعمان (تو ٣٦٣) لم يشر إلى أبي حاتم في كتابه افتتاح الدولة الزاهرة، الذي يعتبر وثيقة معاصرة لتاريخ الدولة الفاطمية، من أيام تأسيسها إلى إبان حكم المعز لدين الله (تو ٣٦٥). ولم يتخلف صاحب الافتتاح عن ذكر مثل هذا العالم الجليل ورئيس الدعوة في الشرق لو حضر أو وجد يوماً من الأيام بمقام الإمامة ومقر الخلافة». نقول إن مؤلف الافتتاح لم يشر إلى أمور كثيرة وأشخاص كثيرين في سجله هذا. وما حكاه الإسفراييني من خروج أبي حاتم من المغرب يدل على الأقل على وجود أبي حاتم في شمال أفريقية في وقت من الأوقات. والله أعلم.

وأضاف الإسفراييني قائلاً إن أبا حاتم «قُتل، وقام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفي المعروف بالبرذعي. وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سجستان». ولم يذكر الإسفراييني أين ومتى ولماذا قتل أبو حاتم، كما لم تشر المراجع التي تحت أيدينا إلى مقتله، بل قال الحافظ (لسان الميزان ١/ رقم ٥٢٣) إنه مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وأشار البغدادي (نفس المرجع ٢٦٧) إلى مقتل زميليه النسفي والسجزي «على ضلالتهما»، ولم يقل شيئاً عن موت أبي حاتم أو قتله.

والواقع أننا لا نستطيع أن نجزم برأي عن موطنه الأصلي أو عن أحوال حياته وموته إلا إذا عثرنا على مصادر تفيدنا بمعلومات عن ترجمة حياته. وقد قال الحافظ (نفس المرجع) إن أبا الحسن بن بابويه ذكر أبا حاتم في كتابه تاريخ الري. ولكن هذا الكتاب لم يعثر له على أثر.

* * *

وقد عاش أبو حاتم، كما ذكر عباس الهمداني[٢]، «في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يجتاز فيه مرحلة دقيقة، من حيث انهيار الحكم العباسي وسيادة روح التنافس بين الحكام والرؤساء وسريان روح اليأس في نفوس الناس مما أدى إلى

(١) أشرنا إلى هذا الاتصال في مظانه. وقد يكون أبو حاتم قد أخذ عن أبي العباس ثعلب.

(٢) لخصنا ما يلي من حالة الزمن الذي عاش فيه أبو حاتم من مقال عباس الهمداني الذي قدمه في مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين المنعقد بباريس سنة ١٩٤٨.

ظهور أفكار جديدة، عَرَفت كيف تستغل سوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وحاولت أن تعيد الوحدة الضائعة بطريقتها الثورية الخاصة. وقد نجحت هذه إلى حد بعيد، حتى أصبحت التقليد السائد آنذاك. وظهرت هذه الأفكار في الشرق في فترة الانتهازية السياسية والمناورات والدسائس التي انتهت بتنصيب الخليفة المقتدر، ثم بخلعه ثم بتنصيبه على العرش من جديد. وكذلك كانت الحال بالنسبة للوزراء، فقد عُيِّن أبو فرات مثلاً ثم عُزل.

«أما الرؤساء العسكريون في الديلم، فقد كان بعضهم يقاتل بعضاً، إما بجانب الخليفة أو بجانب عدوه. وقد أدى هذا إلى تخريب بلاد ما وراء النهر وطبرستان وأذربيجان. وكان القرامطة يقومون في ذاك الوقت بنشاط ملموس في العراق والبحرين. وذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي (تو ٤١٥) في كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد (خط مكتبة شهيد علي باشا باستنبول رقم ١٥٧٥) ورقة ١٥٠ أن أبا حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي[١] وغيره من الدعاة كانوا في حالة قلق واضطراب من جراء تصرفات أبي طاهر الجنابي القرمطي وتسليمه أمر الدعوة إلى زكريا الأصفهاني. حتى ظن الناس أنه (أبا طاهر) هو المهدي أو فوق المهدي.

«وقتل العالم الرباني المتصوف الشهير حسين بن منصور الحلاج. وقامت في التركستان فيما بعد حركة لاستئصال شأفة أنصار الخلافة الفاطمية، وكان من بين ضحاياها العلمان الحبران محمد بن أحمد النسفي (النخشبي)[٢] وأبو يعقوب السجزي (السجستاني) زميلا أبي حاتم الرازي[٣].

«وقد مرت ببلدة أبي حاتم الري أوقات عصيبة، فقد تعرضت لاحتلال عدة من العسكريين حتى استولى عليها السامانيون بإشارة من الخليفة. وكانت هذه المدة قصيرة، إذ تمكن قائدهم أسفار بن شيرويه الديلمي، من إعادة استقلال بلاده الري. وفي سنة ٣١٨ قتل القائد أسفار بيد أحد ضباطه

(١) كذا ورد لقبه في الأصل، فقد يكون الكلائي. والله أعلم.
(٢) نخشب اسم قرية في ما وراء النهر، والنسف معرب منه. وتسمى القرية الآن قرشى.
(٣) قتلا بعد وفاة أبي حاتم بتسع سنوات، أي في سنة ٣٣١.

مردويج ابن زيار، الذي تحكم في أراضي سيده، وظل في الحكم حتى سنة ٣٢٣ حين اغتيل.

«وأما المغرب حيث كان أبو حاتم يتوجه إليه بميوله الدينية والسياسية فكانت تسيطر عليه دولة أهل البيت برياسة المهدي عبد الله بن الحسين الفاطمي. وقد ظلت الدعوة الفاطمية التي كانت تسعى إلى تدمير الخلافة العباسية، تدافع عن الدولة الفاطمية[1]. وفي هذه الأحوال السياسية برز أبو حاتم».

* * *

وكانت الري بلدة أبي حاتم معقل علماء الحديث، وأساطين الكلام والفلسفة. ونحن لا نرى أنه كان من المحال اتصال أبي حاتم أحمد بن حمدان صاحب الزينة، بمواطنه الأكبر وسميِّه الأشهر أحد أئمة الحديث أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي (تو سنة ٢٧٥). وكان هذا الأخير مع رفعة شأنه، وعظم قدره، وسعة حفظه، «ثقة وشيعياً مفرطاً»، كما حكاه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ٣١/٩ ـ ٣٤ عن مسلمة. وكذلك كان عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس من الشيعة الذين كانوا يقدمون علياً على عثمان كالأعمش وعبد الرازق. ويرى السليماني وابن خزيمة أن ابن أبي حاتم تلقَّف ذلك من أبيه وقد نشأ أبو حاتم في بيئة علمية بين علماء العربية وأهل الحديث؛ فقال الحافظ في لسان الميزان ج١ رقم ٥٢٣ إن أبا حاتم أحمد بن حمدان «كان من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيراً، وله تصانيف».

وأخذ الحافظ على أبي حاتم ميله للفاطميين، وقيامه بدعوتهم، قائلاً إنه «أضل جماعة من الأكابر» ولعله يشير إلى نشاط أبي حاتم السياسي والديني في الديلم. وكان أبو حاتم قد أظهر في أوائل القرن الرابع نشاطاً كبيراً في طبرستان وأذربيجان والديلم وفي أصفهان والري، حتى أجاب القائد الأمير الديلمي أسفار بن شيرويه ومنافسه القائد مرداويج بن زيار، دعوة الخلفاء الأئمة الفاطميين. وإلى دوره هذا بوصفه داعية الفاطميين في الديلم،

---

(١) أطلب JRAS (١٩٣٣) ٣٦٦.

أشار نظام الملك (تو ٤٨٥) في سياست نامه/ شيفر ١٨٦ والبغدادي (تو ٤٢٩) في الفَرق بين الفِرق ٢٦٧.

* * *

وقد جرت بين أبي حاتم الرازي ومعاصره ومواطنه الفيلسوف محمد ابن زكريا الرازي (تو ٣١١) مناظرة وكلام حول النبوة «والسبب الموجب في حكمة الحكيم، تخصيص قوم بالنبوة والفضيلة دون قوم وإحواج الناس إلى الأنبياء». فأورد أبو حاتم ما جرى بينه وبين «الملحد» من الكلام حول هذا الشأن في كتابه أعلام النبوة (خط المكتبة المحمدية الهمدانية)(١). وقد أعلمنا الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني (تو بعد ٤١٢) حجة العراقين في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٩٠ ـ ٤٠٨) في مقدمة كتابه الأقوال الذهبية (خط المكتبة المحمدية الهمدانية) ص ٥ أن المراد بالملحد هو الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب الطب الروحاني(٢). وذكر الكرماني أن «ما جرى بينه وبين الشيخ أبي حاتم الرازي صاحب الدعوة بجزيرة الري، كان في أيام مرداويج وبحضرته». وقد دحض أبو حاتم بعض وجهات نظر الفيلسوف؛ ومن ذلك أن ما قاله من أزلية الأصول الخمسة وهي الخالق والروح والمادة والمكان والزمان هو رأي غير صحيح؛ وأن اعتراضه على ظهور الأنبياء في قوم دون قوم لا يستند على أساس، وأن الحطَّ من شأن «التقليد» والاهتمام الزائد «بالقياس» لا يؤديان إلى الغرض المنشود. ويتحدث أبو حاتم في كتابه عن وجوب النبوة ويناقش ويفحص الكتب المقدسة لموسى وعيسى وغيرهما ويخرج منهما بأنه على رغم اختلاف ظاهر اللفظ في هذه الكتب، فإنها في رسالتها ومعناها لا تختلف في الأساس.

---

(١) نشر باؤل كراؤس P. Kraus هذه المناظرة التي جرت بين الرازيين الواردة في أعلام النبوة في مقالة عنوانها Raziana II من مجلة Orientalia ٥/ ٣٥.

(٢) وفي كتابه راحة العقل (المشرع الثالث من السور الأول) ذكر الكرماني أبا حاتم الرازي في مقدمة العلماء الذين يجب أن تقرأ كتبهم قبل النظر في كتابه. ولم يكتف الكرماني بالقسط الذي قام به أبو حاتم في كتابه أعلام النبوة رداً على مزاعم الفيلسوف، بل قام بالتوسع بمهارة فلسفية فائقة فيما أهمله أبو حاتم في رد ما جاء في كتاب الطب الروحاني بتأليف كتاب الأقوال الذهبية (راجع كتابنا الصليحيون ٢٥٩).

وبعد أن أيّد نبوة محمد ونظرية الأعلام (الآيات والمعجزات) ولا سيما إعجاز القرآن انتقل إلى تناقض الفلاسفة في آرائهم وتخبطهم، ورفض أن يؤيد ما ذهبوا إليه في كلامهم النظري (Speculation) وفي مزاعمهم عن المعرفة واليقين، وأكد أن سر المعرفة الصحيحة إنما هو كامن في تعاليم الأنبياء والرسل والأئمة.

وكان أبو حاتم، كما رأينا مما سبق، محافظاً سلفياً في آرائه الدينية والكلامية واللغوية. وقد دخل في نقاش وجدل مع زميله في الدعوة وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي (قتل سنة ٣٣١)، ووجه في كتاب الإصلاح نقداً لاذعاً لبعض النتائج التي خلص إليها النسفي في كتابه المحصول كتقديمه القضاء على القدر وغير ذلك. وقد انبرى الشيخ أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني لتأييد أستاذه النسفي صاحب المحصول في كتابه النصرة. وجاء الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني بعد ذلك، فوفّق في كتابه الرياض بين وجهات نظر «الصادين»: صاحب الإصلاح (أبي حاتم الرازي) وصاحب النصرة (أبي يعقوب السجستاني) بشأن كتاب النسفي المتنازع فيه المسمى بالمحصول. ويخرج القارىء من هذه المناقشات العلمية بصورة لاتّساع الأفق الذي تميّز به من حملوا لواءها، ولتبادل الآراء الذي يُهْدَف إليه في الجدل الحر البعيد عن العاطفة.

من الكتب التي نعلم أن أبا حاتم أحمد بن حمدان الرازي قد ألفها: (١) كتاب أعلام النبوة و(٢) كتاب الإصلاح و(٣) كتاب الرجعة و(٤) كتاب الجامع و(٥) كتاب الزينة. وقد أشرنا فيما سبق إلى موضوعات (١) كتاب أعلام النبوة و(٢) كتاب الإصلاح و(٥) كتاب الزينة. وتوجد مخطوطات هذه الكتب في مكتبتنا المحمدية الهمدانية. وأما (٣) كتاب الرجعة فقد ذكره المؤلف في كتاب الزينة، ولم نعثر عليه. وكذلك (٤) كتاب الجامع فإننا لم نعثر عليه.

* * *

وقد ذكرنا فيما سبق أن ابن النديم أشار في الفهرست إلى اسم كتاب الزينة ومؤلفه، وأن البطليوسي (تو ٥٢١) نقل عنه، وكذلك ياقوت الحموي (تو ٦٢٦) والعيني (تو ٨٥٥) والبقاعي (تو ٨٨٥) والسيوطي (تو ٩١١).

وهذا يدلّ على أن الكتاب كان في متناول أيدي العلماء في أنحاء العالم الإسلامي إلى ما بعد القرن التاسع الهجري. ثم اختفى الكتاب عن نظر العلماء في القرون الأخيرة. غير أن الدعوة اليمنية كانت تحتفظ به كما كانت تحتفظ طوال القرون الماضية بكثير من التراث الفاطمي العلمي بمعاقل الدعوة وحصونها بجبال حَرَاز المنيعة. وذكره في العهد الأخير السيد محمد باقر في الروضات، وهو من علماء القرن الثالث عشر. وقد وجدنا نسخة خطية من الكتاب في خزانة كتب جدنا العلامة سيدي محمد علي الهَمْداني اليعْبُري الحرَازي المسماة بالمكتبة المحمدية الهمدانية (أشرنا إليها بحرف «م»)، وكذلك وجدنا نسخة أخرى في خزانة كتب سيدي عبد الله حكيم الدين بسورت الهند (سميناها بحرف «ح»). وبدأنا قبل بضع سنين بدراسة متن الكتاب من طريق مضاهاة هاتين المخطوطتين بعضهما ببعض واتخذنا الأولى «م» أساساً وأصلاً، لأنها كانت أجود من الأخرى «ح». وقد حدث في أثناء ذلك أن أوفدت إدارة الثقافة التابعة لوزارة التربية والتعليم المصرية بعثة إلى اليمن لتصوير المخطوطات اليمنية؛ وهناك كشفت البعثة عن وجود ثلاث نسخ خطية قديمة يُكمّل بعضها بعضاً، لأنها كانت ناقصة كلُّها. وقد قدمت إلينا دار الكتب المصرية، بناء على طلبنا، هذه النسخ المصورة (رمزنا إليها بحروف «ي» و«س» و«ك»)، وقمنا بمعارضة الجزء المحقّق من المتن بهذه النسخ، وواصلنا عملنا في إخراج المتن على أساس أقوى مما سبق.

وبينما كنا نستعد لطبع الجزء الأول من الكتاب علمنا من اطلاعنا على مقال للدكتور كوركيس عواد نشره في مجلة معهد المخطوطات العربية لجامعة الدول العربية (العدد الأول مايو سنة ١٩٥٥) بعنوان مخطوطات مكتبة المتحف العراقي بوجود نسخة خطية قديمة في المتحف العراقي ببغداد. وقد تفضّل المتحف العراقي ومعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ومكتبة جامعة القاهرة بتزويدنا بنسخة مصورة من المخطوط العراقي المشار إليه بحرف «ع». وبرغم أن بعض هذه الأصول أقدم من غيرها، ليست لدينا نسخة منها يصح أن نتخذها أصلاً يقوم عليه إخراج متن الكتاب، فضلاً عن أنها كلها ناقصة. وأما المخطوطتان «م» و«ح» فهما كاملتان على حداثتهما.

ونحن لا نستطيع أن نقول إن الأصول التي في متناول أيدينا فيها ما يكفي لتقرير نص الكتاب تقريراً نهائياً. وقد أشرنا في الهوامش إلى الغموض

والتعسّف والحذف والزيادات التي أدخلت على العبارات. فتمسّكنا باختيارنا بمخطوط «م» أصلاً، لأننا وجدنا نصّه أكمل وأجود على وجه العموم من غيره، غير أننا لم نتبع ما ورد فيه في كل موضوع، بل التجأنا إلى الأصول كلها في اختيار الأصح أو الأجود من الروايات. وهاك بيان النسخ التي بين أيدينا الآن:

نسخة م: هي النسخة المحفوظة بمكتبتنا المحمدية الهمدانية بسورت الهند. كتبت بخطوط مختلفة من أصل يمني، وراجعها سيدي العلامة محمد علي الهمداني، وعليها هوامش وعناوين بخط يده. وهي تقع في ٣٩٥ صفحة، وعدد الأسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط، ومتوسط الأسطر ٢٥ سطراً في الصفحة. وقد ضبطت وشكلت الآيات القرآنية والأحاديث التي وردت فيها، كما حدث مثل هذا في بعض الشواهد والكلمات. أما عناوين الأبواب والفصول فقد كتبت بالحمرة. وحجم هذه النسخة ٢٣ × ١٦س م. وقد جاء في آخرها: وقع الفراغ من انتساخ هذ الكتاب المسمى بكتاب الزينة في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر المظفر من سنة ست وثلاث مائة بعد الألف من هجرة النبي المختار صلى الله عليه وآله الأطهار بخط الأحقر العاجز المسكين إبراهيم ولد الشيخ الفاضل...؟... ابن المرحوم ميان خان وفقه الله لمرضاته بمحمد وآله عليهم أفضل صلواته. كتبته لأجل المنعم الكريم البار الرحيم ميان صاحب محمد علي نجل الشيخ المقدس ميان صاحب فيض الله أطال الله عمره إلى يوم الدين.

وقد اتخذنا هذه النسخة أصلاً في إخراج الكتاب، وأشرنا إلى صفحاتها بأرقام بين مربعين في داخل المتن.

نسخة ح: وهي النسخة الحديثة العهد المحفوظة بخزانة الأمير الأجل سيدي عبد الله حكيم الدين بمدينة سورت تفضل نجله الكريم البار المغفور له سيدي أحمد ابن سيدي عبد الله حكيم الدين بإعارتنا إياها عندما بدأنا بعملنا هذا. جزاه الله خير الجزاء! ويبدو أن هذه النسخة، وكذلك النسخة م، استنسختا من أصل يمني مشترك وهي لا تختلف عن «م» إلا في أنها لم تُقابل بنسخ أخرى ولم يُعتن بها. وهي تقع في ١٣٥٧ صفحة، وعدد الأسطر في كل صفحة منها ١٥ سطراً، وحجمها ١/٢ ٢٢ × ١٤س م. وقد

كتبت بخط واحد واضح، وعناوين الأبواب بالحمرة. وتوجد في أول الكتاب، وقبل تصدير المؤلف، فهرسة تفصيلية كاملة لمحتويات كتاب الزينة. وجاء فيها بعد باب الشرك: تم الجزء الأول من كتاب الزينة ويتلوه الثاني الإلحاد. . . الخ.

نسخة ي: وهي النسخة المحفوظة بمكتبة الإمام يحيى المتوكل على الله بصنعاء اليمن تحت رقم ٦٣ أدب. وبدار الكتب المصرية نسخة منها مصورة على الشريط المصغر (ميكروفيلم). وبمكتبتنا كذلك نسخة مصورة أخرى منها. ينقص منها ما يقارب نصفها من الآخر، وآخر الموجود منها يتناول الكلام عن «النفاق». كتبت بخطوط مختلفة يمنية يرجع تاريخها إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري. وهي تقع في مئة وخمس عشرة ورقة، وعدد الأسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط، ومتوسط الأسطر ٢٣ سطراً في الصفحة. وهي مضبوطة بشكل في بعض الكلمات، وعناوين الأبواب بخط كبير كتب بعضه بالحمرة. وحجمها ١٩ × ٣٠ س م. وعلى الصفحة الأولى منها عنوان الكتاب وهو «كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي رضي الله عنه»، ثم عبارة تمليك لخزانة الإمام يحيى نصها: بسم الله. من خزانة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين حفظه الله وأدام نصره، بتاريخ شهر شعبان ١٣٤٥ هـ.

نسخة س: وهي النسخة المحفوظة بمكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء تحت رقم ٤٥ لغة. وتوجد منها بدار الكتب المصرية نسخة مصورة تحت رقم ٣٣٦ج وهي ناقصة من أولها ومن آخرها. وأول الموجود منها ما كتب عن أسماء الله الحسنى. أما آخرها فينتهي عند الكلام عن «الربانيين والأحبار». وقد اختلطت أوراق هذه النسخة فحدث فيها تقديم وتأخير. وقد أشرنا إلى هذا الخلط في مواضعه. ويبدو أنه قد قوبلت هذه النسخة على أصلها أو على نسخة أخرى مما يظهر من كثرة ما كتب على حواشيها من استدراكات وزيادات وتفسيرات لبعض الكلمات من كتب اللغة. وفي الورقة ٥١ ينتهي الجزء الأول من الكتاب، ويبدأ الجزء الثاني وأوله الكلام على «الإلحاد». وهذا يتفق مع الجزء الثاني الوحيد من نسخة «ك» التي سيأتي وصفها فيما بعد. وبسبب فقدان أول هذه النسخة وآخرها لم يتضح لواضع

فهرسة مكتبة الجامع الكبير حقيقتها، وقد أشار إليها في الفهرست على أنها «كتاب في اللغة غير معروف اسمه». والموجود من هذه النسخة ٧٦ ورقة وهي بخط يمني، لعله يكون من خطوط القرن التاسع أو العاشر. ومتوسط الأسطر فيها ٣٠ سطراً، وحجمها ٢٠ × ٢٥ س م.

نسخة ك: وهي النسخة المحفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٤٦ لغة. وبدار الكتب المصرية نسخة مصورة منها تحت رقم ٤٣٣٧ج. وأصل هذه النسخة يقع في قسمين لم نجد منهما غير القسم الثاني وحده. وأوله البسملة، ثم الكلام على «الإلحاد»، وينتهي بتمام الكتاب. وهو مكتوب بخط واضح جلي لعله من خطوط القرن السابع الهجري، وبعض كلماته مضبوطة بالشكل وعناوين أبوابه مكتوبة بالحمرة بخط كبير. وفي بعض مواضعه تفسيرات لألفاظ من كتب اللغة. وقد روجعت على أصلها المنقولة منه في اليوم الثامن من رجب سنة ٩٢٤، أثبت من راجعها هذه العبارة: «قال في الأصل المنتسخ منه بعد التصحيح: وبقيت فيه أبيات لم تعرف صحتها وألفاظ نادرة يبحث عنها يسر الله بمنه إصحاحها». وعلى حواشي هذه النسخة ذكر الناسخ في بعض المواضع تجزئة المصنف لكتابه، ففي الورقة الخامسة من هذ الجزء كتب بالهامش «الجزء السادس» وهو يشتمل على موضوع الملل والنحل. ويبدأ الجزء التاسع من باب الكتاب، والجزء العاشر من باب الفريضة، والثاني عشر من باب النكاح. وعند ذكره الجزء العاشر كتب: «الجزء العاشر من أجزاء أبي حاتم رضي الله عنه». أما في بقية الأماكن فلم يذكر هذه التجزئة. ومن هذا يبدو أن لهذه النسخة صلة بأصل المؤلف أو بنسخة منسوخة منه. ويقع هذا الجزء في ٢٢٠ ورقة، وعدد أسطر الصفحة الواحدة منها ١٧ سطراً.

هذا وقد حصلت البعثة المصرية التي أوفدتها وزارة التربية والتعليم في شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ إلى اليمن على صور من هذه النسخ الثلاث، وكانت قد أوفدت إلى هناك لتصوير نوادر المخطوطات فيها (راجع تقرير الدكتور خليل يحيى نامي ١٩٥٢).

نسخة ع: وهي النسخة المحفوظة بالمتحف العراقي ببغداد تحت رقم ١٣٠٦. وتوجد بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة منها مصورة على

الشريط المصغر (الميكروفيلم). كبرت منها نسخة لمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٤٠١. وهذه النسخة ناقصة من أولها ومن آخرها. ويقع أصلها في سجلدين ينتهي الأول عند صفحة ١٨٦، ثم يبدأ الثاني بالكلام عن «الإلحاد» كغيرها من النسخ. وأول الموجود منها عند الكلام على «النحو» (أشرنا إليه في مكانه). ويقدر ما ينقص من أول الكتاب بحوالي ٢٠ ورقة. أما آخر ما فيه فينتهي عند الكلام على «العائف والقائف والزاجر»، وتلي ذلك ورقة واحدة فيها الكلام على «الإثم والوزر»، وهي موضوعة في غير مكانها. ومن هذا يتضح أن الناقص من آخر الكتاب يبلغ حوالي ٤ ورقات. وهذه النسخة مكتوبة بخط قديم واضح، لعله من خطوط القرن السادس الهجري، كما قدره صديقنا الفاضل فؤاد السيد. وتقع في ٤٨٥ صفحة وعدد الأسطر في كل صفحة ٢٣ سطراً. وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط حديث «كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي». وعلق بعضهم على ذلك بقوله: «هو غير الكتاب الذي لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥». وهذا كله خلط بعيد عن الصواب. وعلى الصفحة الأولى والثانية كتابات دقيقة باللغة اللاتينية. ومن الخاتم المطبوع على الورقة الأولى يبدو أن النسخة كانت في حيازة جماعة المرسلين الأرمن في بغداد.

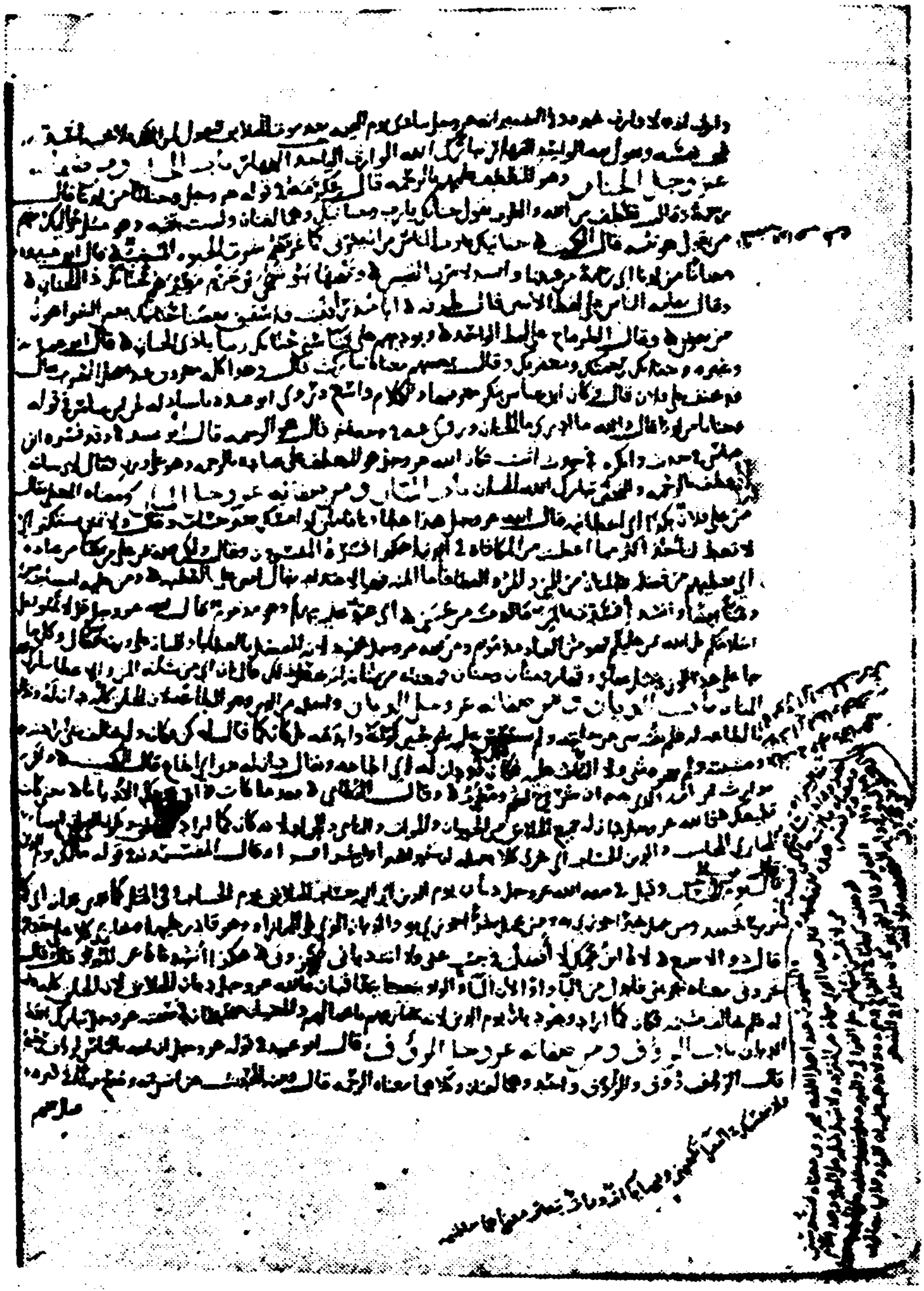
ونقدم نماذج مصورة من النسخ التي ذكرناها آنفًا:

قال الهذلي هو ابو ذؤيب . فمنهم في صحف كالرياط . فيهن ارث كتاب محي . فجاز الارث في اصل
الكتاب وبقية منها بعد ان عاثت محي واستثبت ايضا واشعث بالدار ذي لمة . لطا ارث حوض نغاه
لا يبقى منه بقية حوض قد بقي اسفله بما اهله . وقال العجاج [illegible] من رماد كامنة حام بلا
الفطار جثوم الموارث بعد ما ولى اي بقية بعد ما بقي من اثار الدار والميراث اخذ من ذلك معنا
الميراث ايضا ارث لانه بقية من سلف على خلف قد بقي بعد موتهم فسمي ما يبقى بعدهم ارثا وميراثا
قيل لما يحوي مورثه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه قال لعلي كرم الله وجهه انت اخي ووارثي
قال فما ارثك يا رسول الله قال ما ورث الانبياء قبلي كتاب الله وسنتي فلم يعن صلى الله عليه
ان ما فيها هي السنة من دون الامة ولكنه كان وارث علم الكتاب وعلم السنة فهو وارث الكتاب والسنة
وفي الحديث العلماء ورثة الانبياء كان العلم بقية من الانبياء وكذلك الكتاب والسنة هو البقية
التي تركها النبي صلى الله عليه من بعده ومن اجل ذلك سمي اليهود التوراة ارثا يعنون انه
الكتاب الذي ورثوه عن موسى عليه السلام فقيل لله عز وجل وارث لانه يبقى بعد فناء الخلائق
ملكوا الدنيا فلما يكون ما ملكه غيره من الخلائق وان كانوا وما يملكون في هذه الدنيا ملكهم فانه
عز وجل وهبهم ما ملكوا في الدنيا لغناه عنها فاذا بادوا وهلكوا وبقيت ما ملكهم به ما ملكه غيره وصار
ما ملكهم ارثا اي بقايا بعدهم ولا يكون لها من يحوزها قبل الله عز وجل وارث اذ لا وارث غيره
في التفسير ان الله عز وجل ينادي يوم القيامة بعد موت الخلائق فيقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد
فيجيب نفسه ويقول لله الواحد القهار تبارك اسم الوارث . ما جاء في معنى الحنان ومن صفاته
عز وجل الحنان وهو المتعطف عليهم بالرحمة قال عكرمة في قوله عز وجل وحنانا من لدنا
رحمة وقال مجاهد تعطف من الله والعرب تقول وحنانك يا رب وحنانيك وهما لغتان
ليس بتثنية [illegible] ومنهم من يقول هو تثنية قال الكميت حنانيك رب الملك
[illegible] ترشف الماء المنقى قال ابو عبيدة وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا
وانشد للحطيئة يعني [illegible] بني تميم اباجرم [illegible] حنانك ذا الحنان [illegible] قال ابا منذر
[illegible] قال طرفة ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض
[illegible] على اللفظ الاول [illegible] حنانك ربنا يا ذا الحنان قال ابو عمرو
[illegible] يعني تباركت فقال بعضهم معناه تباركت قال وهذا كله معروف عند العرب
[illegible] قال وكان ابو عبيد [illegible] والكلام واسع وروي عن
ابن عباس في قوله وحنانا من لدنا قال والله ما ادري ما الحنان [illegible]
[illegible] الرحمة قال ابو عبيد [illegible] ابن عباس [illegible] وانكره في حديث [illegible]

مخطوطة « م » بمكتبتنا المحمدية الهمدانية

وذهبت مالكهم بلا إنكار لا عمر وصارت مالكهم إرثا أي بقايا بعدهم ولا كمون
لها من يحوزها فيقال لله عز وجل وارث ذلك وارث عمر وفي التفسير أنه عز وجل
ينادي يوم القيامة بعد موت الخلائق فيقول لمن الملك فلا يجيبه أحد فيجيب
نفسه ويقول لله الواحد القهار تبارك الله الباعث الوارث الواحد
القهار باب الحنان ومن صفاته عز وجل وحنانا من لدنا
قال رحمة وقال مجاهد تعطفا من الله والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك
وهما لغتان ولفت بتثنيه وهو مثل حواليك ومنهم من يقول لبيه
قال الكميت حنانيك رب الناس من أن تغرني كما غرهم شرب الحياة المنضب
قال أبو عبيدة وحنانا من لدنا أي رحمة من عندنا وأنشد لامرئ القيس
ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان وقال عامر
على إثر الأمين قال طرفة
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
وقال الطرماح على لفظ الواحد
وتوجيههم تقي على ثنايا حنانك ربنا ذا الحنان قال أبو عمرو ومعنى حنانك
رحمتك ومغفرتك وقال بعضهم معناه تباركت قال وهذا كله معروف
عند العرب يقال تحنن على فلان قال وكان ابن عباس لا يعرفها والكلام
فاش وروى أبو عبيدة بإسناده عن ابن عباس في قوله وحنانا من لدنا قال
والله ما أدري ما الحنان وروي عنه في وجه آخر قال هو الرحمة قال
أبو عبيد وقد قرئ ابن عباس حديث وأنكره في حديث وهو عندنا أثبت
فحنان الله عز وجل هو المتعطف على الأنبياء عباده بالرحمة وهو على وزن
فعال لأنه من بناء التعطف والرحمة والتحنن تبارك الله الحنان
باب المنان ومن صفاته عز وجل المنان ومعناه المعطي يقال
من فلان على فلان بكذا أي أعطانيه قال الله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن

مخطوطة « ى » بمكتبة الإمام يحيى المتوكل على الله بصنعاء

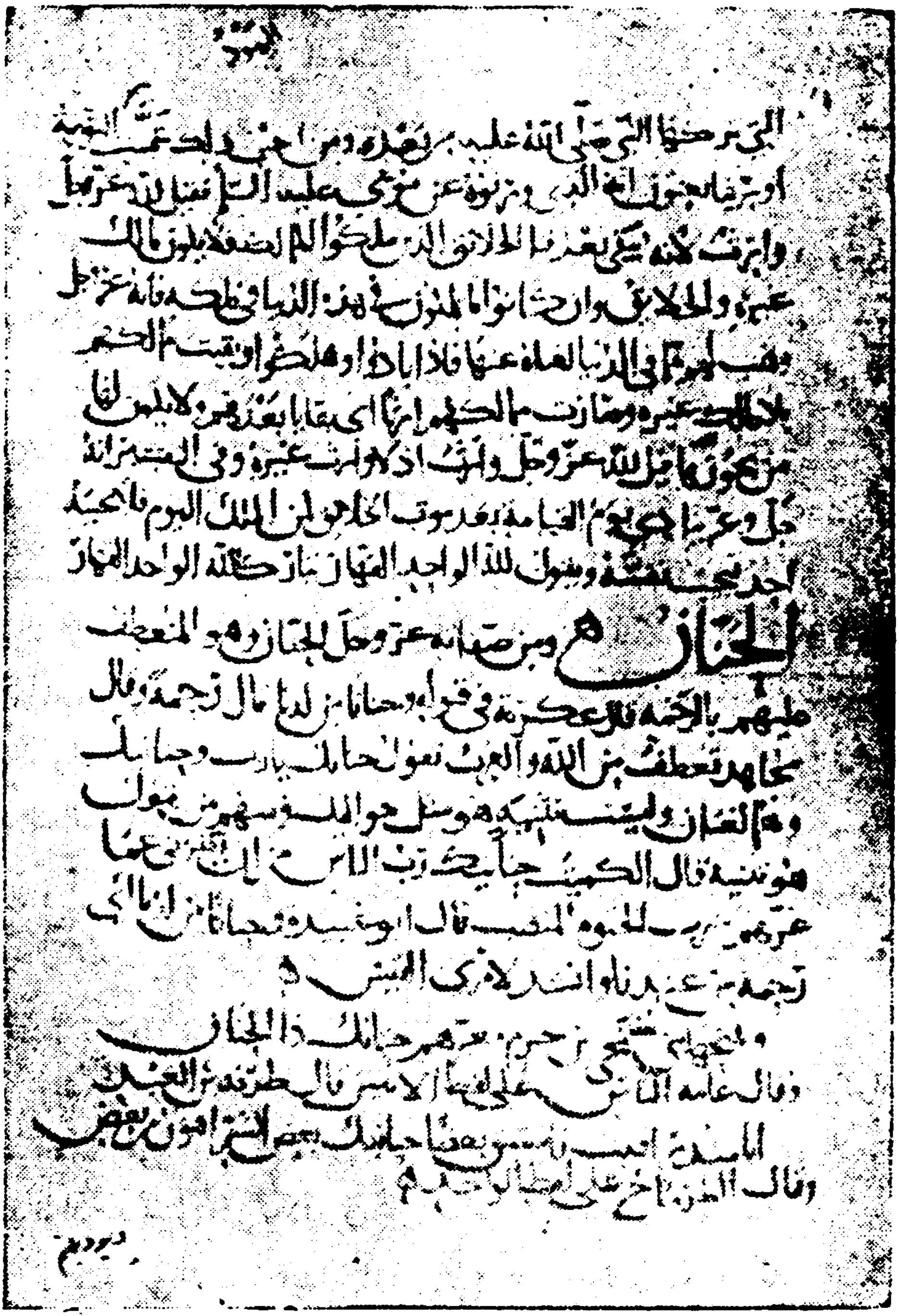


مخطوطة « س » بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم الإلحاد الإلحاد هو
الانحراف عن الحق والعدول عنه ومنه سمي لحد القبر لأنه عدل به عن
القصد إلى ناحيته من القبر وجوف حفرة ويقال للحفر في وسط
القبر ضريح ولا يقال له لحد لأنه لم يعدل به في الحفر عن القصد قال الله
عز وجل إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا وقال والذين يلحدون
في أسمائه أي يجورون ويعدلون عن القصد وفي بعض التفسير الذين
يلحدون في أسمائه قال الإلحاد في أسمائه اللات والعزى ويقال يَلحَدون
ويُلحِدون قال أبو عبيدة يلحدون يجورون ولا يستقيمون وإنما
سمي اللحد لأنه في ناحية القبر ولو كان مستقيما لكان ضريحا وحكي عن
الأحمر أنه قال لحدت ماريت وألحدت جرت ويقال فلان ملحد
أي يريد أنه عدل عن طرائق الإسلام حتى أنه عاد كأن الإسلام منحرف
عنه قال وهذا يعقوب قوله لسان الذي يلحدون إليه قال ولم يسمع لحد
ويروى عن مجاهد لسان الذي يلحدون إليه قال هو قول قريش إنما يعلمه
عبد ابن الحضرمي رومي صاحب كتب وقال غير مجاهد إنه
جبر لأهل المدينة فردوها ضم الياء في جميع القرآن وكذلك أبو
عمرو يجعلونها كلها من الإلحاد وقال أبو عمرو واللحد لا يقال إلا إذا عمل
لحد القبر وفيه لغتان لحد ولُحد قال واستقلا الإنسان في

الذي

مخطوطة « ك » بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء


الى من حقها التي صلى الله عليه من بعده ومن اجل ذلك سميت البقية
او بقيانه بمنزلة الذي ورثوه عن موسى عليه السلام فقال الله عز وجل
وابقيت لكنه يكنى بعد من الالاتي الذي على كل الم لمستقبلون ما لك
غيره والخلائق وان كانوا المرزب في هذه الدنيا فانه عز وجل
وصف نفسه الباقي بالعلة عنها فلا بادوا او هلكوا او بقيت الحكم
بالملك لغيره وصارت ملكهم ارثا اي بقا بعدهم ولا يملكن لنا
من عوزنا بن الله عز وجل وارث اذ كل وارث غيره وفي التنزيل انه
جل وعز يا حي يوم القيامة بعد موت الخلق لمن الملك اليوم فلا يجيبه
احد بنفسه ويقول لله الواحد القهار تبارك الله الواحد القهار
الحنّان ه ومن صفاته عز وجل الحنان وهو المتعطف
عليهم بالرحمة قال عكرمة في قوله وحنانا من لدنا قال رحمة وقال
مجاهد تعطف من الله والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك
وهو التحنن وليست تثنية هو مثل حواليك [illegible]
[illegible] قال الكميت [illegible]
[illegible] قال ابو عبيدة وحنانا من لدنا اي
رحمة [illegible] الدنيا ه
[illegible] الحنان
وقال [illegible]
[illegible]
وقال [illegible]

مخطوطة « ع » بمكتبة المتحف العراقي ببغداد

وقد بذلنا بالعمل الذي قمنا به غاية ما في مستطاعنا لأن نعرض نص الزينة كما ورد في الأصول السابقة على المراجع التي نقلت عنها، وذكرنا في الهوامش اختلاف الروايات، كما ذكرنا فيها أيضاً ما وجدنا من اختلافات الرواية في الأصول نفسها غير أننا تركنا تسجيل ما ارتكبه الناسخون من أخطاء واضحة.

وكذلك عرضنا الشواهد الشعرية على دواوين الشعراء والمجاميع وأمهات الكتب، ولم نذكر جميع المصادر التي وردت فيها الشواهد، بل اكتفينا بذكر أهمها. ولم نفسر الشواهد أو الغرائب تفسيراً شاملاً، بل اقتصرنا على ذكر الروايات المفيدة أو تفسيرات علماء اللغة. ووضعنا في متن الكتاب بجانب الشواهد الشعرية رقماً مسلسلاً. وإذا تكرر الشاهد أثبتنا الرقم الذي ورد به لأول مرة.

وأما ما أورده المؤلف من أقوال العلماء في الألفاظ الأعجمية التي جاءت في القرآن وفي اللغة، فقد أشرنا في الهوامش إلى هذه الكلمات الدخيلة أو المعرَّبة وإلى أصولها في اللغات السامية أو الفارسية أو اليونانية، وإلى آراء العلماء المعاصرين في أصولها وكيفية انتقالها إلى العربية. وكذلك فسرنا بعض الكلمات العربية في محيط اللغات السامية، وأتينا بنظائرها فيها لكي تعرف مكانتها بين هذه اللغات.

ورأينا أن نشير في الهامش باختصار وإيجاز إلى تراجم العلماء من التابعين والقراء ورجال الحديث والشعراء وعلماء العربية وغيرهم من رجال اللغة والدين والسياسة، وذكرنا بعض المصادر التي رجعنا إليها.

واتبعنا ما ورد في الهوامش من أسماء السور المصحف الشريف الذي تم طبعه بإشراف مشيخة الأزهر. وأما الأحاديث التي وردت في الكتاب فنحن ندين للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بشيء كثير في تخريجها من الصحاح وكتب السنة.

ويتضح من النسخة المشار إليها «ك» المحفوظة لدى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء أن الكتاب قد وضعه المؤلف في قسمين كبيرين وجزَّأه في عدة أجزاء، ولكن الناسخ لم يذكر هذه الأجزاء كلها. وأما النسخ الأخرى

فتشير إلى القسمين من الكتاب. ونرجو أن نعثر على نسخ أخرى فتهدينا إلى أجزاء الكتاب كما وضعها المؤلف. ونحن بعملنا هذا قد جَزَّأنا الكتاب في أجزاء ـ اجتهاداً منا ـ بحسب موضوعاته، واستعنا في ذلك بما جاء من ذكر بعض الأجزاء في نسخة «ك». والجزء الأول هو مقدمة المؤلف لكتاب الزينة، وتتلوه أجزاء أخرى.

ونرجو أن نكون قد وفّقنا بعض التوفيق في عملنا هذا، مع اعترافنا بأننا لم نستوف فيه كل ما يتطلبه من المقدرة وفراغ البال. وكنا نتردد في تقديم هذا الجزء لولا ما لمسناه من حاجة إخواننا طلبة كلية دار العلوم إلى بعض شيء من الكتاب. وأرى لزاماً علّي أن أذكر ما لقيته من تشجيع من بعض أصدقائي الأفاضل وعلى رأسهم الأستاذ عمر الدسوقي. وإني لمدين بكثير من المعونة العلمية التي أسداها إليّ صفوة من العلماء منهم المغفور له فضيلة الشيخ محمود عرنوس أسكنه الله في دار النعيم وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي والأستاذ مصطفى السقا والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ عباس حسن. فمن واجب المروءة شكر هؤلاء الزملاء العلماء اعترافًا مني بالفضل وتأدية للواجب وإحقاقاً للحق. ولا يسعني وأنا بهذا الصدد إلاّ أن أنوّه بفضل دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ومكتبة جامعة القاهرة، فقد كان للمعونة التي أسدتها إليّ هذه المؤسّسات العلمية الكبيرة بتزويدي بالنسخ والصور المحفوظة لديها، أثرها في إخراج متن هذا الكتاب. والله أسأل أن يجزى الجميع عني وعن العلم خير الجزاء.

حسين الهمداني

كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

القاهرة: ٥ نوفمبر ١٩٥٦

الرموز الواردة في الحواشي

م: نسخة مكتبتنا المحمدية الهمدانية.
ح: نسخة خزانة كتب سيدي عبد الله حكيم الدين بسورت.
ي: نسخة خزانة كتب الإمام يحيى المتوكل على لله بصنعاء.
س: نسخة مكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء.
ك: نسخة مكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء.
ع: نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد.

ت: الترمذي ● جه: ابن ماجه ● حم: أحمد بن حنبل

خ: البخاري ● دا: أبو داود ● دي: الدارمي

مس: مسلم بن الحجاج ● مط: الموطأ ● نس: النسائي

صح: الصحاح للجوهري ● ق: القاموس المحيط ● ل: لسان العرب

ج: جزء أو جلد ● خط: مخطوط ● د: ديوان

ر: رسالة ● ص: صفحة ● طبع: طبعة أو مطبوع.

CIS: Corpus Inscriptionum Semiticarum, vols. I and II. Paris 1887-97.
Enc, Br: Encyclopoedia of Britannica.
El: Encyclopoedia of Islam.
ERE: Encyclopoedia of Religion and Ethics.
GAL: Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur, Bde, Iu II. und Suppl.
JRAS: Journal of the Royal Asiastic Society of Gt. Britain.
ZDMG: Zeitschrift des deutschen morgenlaendische Gesellschaft.

[ ] استعملنا هذين المربعين لما رأينا إدخاله لاستقامة العبارة في صلب النص.

بيان تفصيلي ببعض المصادر

الأبانة: . . . للأشعري. حيدرآباد ١٣٢١.

الاتحافات السنية: . . . في الأحاديث القدسية لمحمد المدني. حيدرآباد ١٣٢٣.

الأتقان: . . . في علوم القرآن للسيوطي. ج١ ـ ٢. القاهرة ١٢٨٧.

أثولوجيا: . . . أرسطاطاليس الخ. باعتناء ديتريصي. برلين ١٨٨٢.

الأجناس لأبي عبيد. باعتناء امتياز على الرامفوري. بومبائي ١٩٣٨.

أخبار البصريين: أخبار النحويين البصريين للسيرافي. باعتناء كرنكو. الجزائر ١٩٣٦.

الأدباء: أرشاد الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت. باعتناء مرغليوث لندن ١٩٢٥.

أدب الكاتب: . . . لابن قتيبة. ليدن ١٩٠١.

أراجيز العرب: . . . باعتناء البكري. القاهرة ١٣١٣.

الأساس: أساس البلاغة للزمخشري. ج١ ـ ٢. القاهرة ١٩٢٣.

أسباب النزول: . . . للواحدي. القاهرة ١٣١٥.

الاستيعاب: . . . لابن عبد البر. ج١ ـ ٢. حيدرآباد ١٣١٨/١٩.

أسد الغابة: . . . لابن الأثير عز الدين. القاهرة ١٢١٠.

الأسرات الحاكمة: . . . معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور. تعريب زكي حسن. القاهرة ١٩٥١/٢.

أسرار العربية: . . . للأنباري كمال الدين أبي البركات. ليدن ١٨٨٦.

الاشتقاق: . . . لابن دريد. باعتناء وستنفلد. غوتنغن ١٨٥٤.

أشعار العرب: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي. مصر ١٣٠٨

أشعار هذيل: . . . شرح السكري. ج٢ ـ ١. باعتناء كوزغارتن. لندن ١٨٥٤.

الأصابة: . . . لابن حجر. ج١ ـ ٢. كلكته ١٨٤٨/٧٣.

الأصلاح: . . . للرازي أبي حاتم أحمد بن حمدان. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

اصلاح المنطق: . . . لابن اسحاق السكيت. باعتناء شاكر وعبد السلام هارون. القاهرة ١٩٤٩.

الأصمعيات: . . . مجموع أشعار العرب ج١. باعتناء أهلورد. برلين ١٩٠٢.

الأصنام لابن الكلبي. باعتناء أحمد زكي باشا. القاهرة ١٩٢٤.

الأضداد لابن اسحاق السكيت. أحد ثلاثة كتب في الأضداد. بيروت ١٩١٢.

الأضداد لابن الأنباري. باعتناء هوتسما. ليدن ١٨٨١.

الأضداد للسجستاني أبي حاتم. أحد ثلاثة كتب في الأضداد. بيروت ١٩١٢.

إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه. القاهرة ١٩٤١.

أعلام النبوة للرازي أبي حاتم أحمد بن حمدان. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

أعلام النبوة للماوردي، مصر ٣١٩.

الأغاني: . . . للأصفهاني أبي الفرج. ج١ ـ ٢١. القاهرة ٢٣/١٣٢٣.

افتتاح الدولة الزاهرة للقاضي النعمان بن محمد. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

الاقتضاب لابن السيد البطليوسي. بيروت ١٩٠١.

الأقوال الذهبية للكرماني أحمد حميد الدين. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

الاكليل: . . . للهمداني أبي محمد حسن بن أحمد. ج١٠. باعتناء الخطيب. القاهرة ١٣٦٨.

الألفاظ الفارسية: . . . المعربة لأدي شير. بيروت ١٩٠٨.

ألفية ابن مالك. شرح ابن عقيل. بيروت ١٨٧٢.

أمالي الزجاجي. شرح الشنقيطي. القاهرة.

أمالي ابن الشجري: الأمالي الشجرية. حيدرآباد ١٣٤٩.

أمالي القالي. ج١ ـ ٤. القاهرة ١٩٤٦.

أمالي المرتضى. ج١ ـ ٤. القاهرة ١٩٠٧.

إمتاع الأسماع للمقريزي تقي الدين. مصر ١٩٤١.

الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام. باعتناء الفقي. القاهرة ١٣٥٣.

أنباه الرواه في أخبار اللغويين والنحاة للقفطي. ج١ ـ ٣. باعتناء محمد أبي الفضل. القاهرة ١٩٥٠/٥٥.

الأنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر القرطبي. القاهرة ١٣٥٠.

الانتصار والرد على ابن الروندي للخياط. باعتناء نيبرغ. القاهرة ١٩٢٥.

الانتصار ممن عدل عن الاستبصار لابن السيد البطليوسي. باعتناء عبد المجيد القاهرة ١٩٥٥.

الأنساب للسمعاني. لندن ١٩١٢.

أنساب العرب: جمهرة أنساب العرب لابن حزم. باعتناء بروفنسال. القاهرة ١٩٤٨.

الأنصاف: . . . في مسائل الخلاف بين النحويين للأنباري أبي البركات كمال الدين. باعتناء محمد محيي الدين. القاهرة ١٩٤٥.

البحر المحيط لأبي عبد الله محمد الأندلسي. ج١ ـ ٨. مصر ١٣٢٨.

البداية والنهاية لابن كثير. القاهرة ١٣٤٨.

البغية: بغية الوعاة للسيوطي. القاهرة ١٣٢٦.

البلدان: معجم البلدان لياقوت. ج١ ـ ٤. تحقيق وستنفلد. ليبسك ١٨٦٦/٦٩.

بلوغ الأرب: . . . في معرفة أحوال العرب للألوسي. مصر ١٩٢٥.

البيان والتبيين للجاحظ. ج١ ـ ٣. باعتناء السندوبي. القاهرة ١٩٤٧.

البيهقي: الأسماء والصفات. ألاه آباد ١٣١٣.

التاج: تاج العروس للزبيدي. ج١ ـ ١٠ القاهرة ١٣٠٦/٧.

تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك. ج١ ـ ١٣. باعتناء دي غوية. ليدن ١٨٧٦/١٩٠١.

التبصير: . . . في الدين الخ للاسفراييني. القاهرة ١٩٥٥.

تحفة الأبية فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزابادي. باعتناء عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٥١.

تذكرة الحفاظ للذهبي. ج١ ـ ٢. حيدرأباد ١٣٣٣/٤.

تذكرة داود. بولاق.

تذكرة الموضوعات للمقدسي. القاهرة ١٣٢٣.

تفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري. ج١ ـ ٣٠. بولاق ١٣٢٨.

تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي ج١ ـ ٢٠. القاهرة ١٩٢٣/٥٠.

تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني. دهلي ١٢٩٠.

تلبيس ابليس: نقد العلم لابن الجوزي. القاهرة ١٣٤٠.

التهذيب: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر. ج١ ـ ١٢. حيدرآباد ٧/١٣٢٥.

تهذيب الأسماء واللغات للنووي. ج١ ـ ٤. مصر بدون تأريخ.

تهذيب الألفاظ لابن السكيت. هذبه التبريزي. ج١ ـ ٢. باعتناء شيخو. بيروت ١٨٩٦/٨.

تهذيب كامل المبرد للسباعي بيومي. القاهرة ١٩٢٣.

الجمهرة: جمهرة اللغة لابن دريد. ج١ ـ ٤. حيدرآباد ١٣٤٢.

جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. ج١ ـ ٢ بحاشية مجمع الأمثال.

جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر. القاهرة ١٩٣٢.

جه: السنن لابن ماجه. باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة ١٩٥٣.

حاشية البيجوري: . . . على متن الشمائل المحمدية للترمذي. مصر ١٣٠٢.

حاشية الخضري: . . . على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج١ ـ ٢ القاهرة ١٢٨٢.

الحاوي للفتاوي للسيوطي. القاهرة ١٣٥١.

حسن الصحابة: . . . في شرح أشعار الصحابة لجابي زاده. ١٣٢٤.

حم: المسند لأحمد بن حنبل. ج١ ـ ٦. مصر ١٣١٣.

الحماسة: شرح ديوان الحماسة للتبريزي. ج١ ـ ٤. القاهرة ١٩٣٨.

الحور العين لنشوان الحميري. باعتناء كمال مصطفى. القاهرة ١٩٤٨.

حياة الحيوان للدميري. ج١ ـ ٢. بولاق ١٢٨٤.

الحيوان للجاحظ. ج١ ـ ٧. القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧.

خ: الجامع الصحيح للبخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. ج١ ـ ٤ باعتناء قرهل. ليدن ١٨٦٢.

الخزانة: خزانة الأدب للبغدادي عبد القادر. ج١ ـ ٤. بولاق ١٢٩٩.

الخزانة/ الخطيب: خزانة الأدب للبغدادي. ج١ ـ ٤. باعتناء محب الدين الخطيب. مصر ١٣٤٧.

الخصائص لابن جنى. باعتناء محمد علي النجار. مصر ١٩٥٥.

خلاصة تذهيب الكمال: . . . . في أسماء الرجال للخزرجي أحمد بن عبد الله القاهرة ١٣٢٢.

الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى. حيدرآباد ١٣٥٨.

د الأخطل: . . . باعتناء انطون صالحاني. بيروت ١٨٩١.

د أعشى نهشل: . . . (هو الأسود بن يعفر التميمي). اطلب الصبح المنير.

د أعشى همدان: اطلب الصبح المنير.

د أمرىء القيس/ العقد: اطلب العقد.

د أمية بن أبي الصلت: . . . باعتناء شولتهيس. ليبسك ١٩١١.

د أوس بن حجر: . . . باعتناء غاير. فينا ١٨٩٢.

د أبي تمام: . . . شرح التبريزي. ج١. باعتناء عزام. القاهرة ١٩٥١.

د جرير: . . . باعتناء الصاوي. القاهرة ١٣٥٣.

د جيران العود النميري: . . . رواية السكري. القاهرة ١٣٥٠.

د الحارث بن حلزة. . . باعتناء كرنكو، ١٩٢٢.

د حاتم الطائي: . . . . باعتناء شولتهيس. ليبسك ١٨٩٧.

د حاتم الطائي: . . . لندن ١٨٧٢.

د حسان بن ثابت: . . . باعتناء هرشفلد. لندن ١٩١٠.

د الحطيئة: ديوان جرول بن أوس الحطيئة. رواية السكري. تحقيق غولد تصير. ليبسك ١٨٩٣.

د الحطيئة/ الشنقيطي. ديوان الحطيئة. تصحيح الشنقيطي. القاهرة.

د حميد بن ثور الهلالي: . . . باعتناء عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٥١.

د الخنساء: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء. باعتناء شيخو. بيروت ١٨٩٦.

د ذي الرمة: . . . شرح العائدي. باعتناء مكارتني. كمبريج ١٩١٩.

د رؤبة بن العجاج: . . . مجموع أشعار العرب. ج١ و٣. باعتناء آهلورد. برلين ١٩٠٣.

د الزفيان: . . . . مجموع أشعار العرب. ج٢. باعتناء آهلورد. برلين ١٩٠٣.

د زهير/ العقد: اطلب العقد.

د زهير/ ثعلب: ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة ثعلب. القاهرة ١٩٤٤.

د زهير/ الشنتمري: ديوان زهير. شرح الأعلم الشنتمري. مصر.
د سحيم: . . . بن وثيل الرياحي. صنعة نفطويه. باعتناء عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٥٠.
د سلامة بن جندل: . . . باعتناء شيخو. بيروت ١٩١٠.
د الشماخ: . . . بن ضرار الغطفاني. شرح الشنقيطي. القاهرة ١٣٢٧.
د طرفة/ العقد: اطلب العقد.
د طرفة/ الشنتمري: . . . شرح الأعلم الشنتمري. باعتناء سلغسون. باريس ١٩٠١.
د طرفة/ الشنقيطي: . . . شرح الشنقيطي. قزانده ١٩٠٩.
د الطرماح: . . . تحقيق كرنكو. ذكرى غب رقم ٢٥. لندن ١٩٢٧.
د الطفيل: . . . تحقيق كرنكو. ذكرى غب رقم ٢٥. لندن ١٩٣٧.
د عامر بن الطفيل: . . . لندن ١٩١٣.
د عبيد بن الأبرص: . . . تحقيق لايل. لندن ١٩١٣.
د العجاج: . . . مجموع أشعار العرب. ج٢. باعتناء آهلورد. برلين ١٩٠٣.
د علقمة/ العقد: اطلب العقد.
د علقمة/ الشنتمري: . . . شرح الأعلم الشنتمري. الجزائر ١٩٢٥.
د عمر بن أبي ربيعة: . . . باعتناء شوارتس. ليبسك ١٩٠١.
د عمر بن أبي ربيعة: . . . شرح العناني. القاهرة ١٣٣٠.
د عنترة/ العقد: اطلب العقد.
د الفرزدق: . . . شرح الصاوي. القاهرة ١٩٣٦.
د القطامي: . . . عمير بن شييم. باعتناء بارته. ليدن ١٩٠٢.
د قيس بن الخطيم: . . . تحقيق كوالسكي. ليبسك ١٩١٤.
د ابن قيس الرقيات: . . . تحقيق رودوكناكيس. فينا ١٩٠٢.
د كثير عزة: . . . ج١ ـ ٢ صنعة بيرس. الجزائر ١٩٢٨.

د كعب بن زهير: . . . شرح السكري. القاهرة ١٩٥٠. قصيدة بانت سعاد. باعتناء باسيه. الجزائر ١٩١٠.

د لبيد: . . . أبي عقيل العامري. رواية الطوسي. ج١. باعتناء الخالدي فينا ١٨٨٠. ج٢. باعتناء بروكلمان وهوبر. ليدن ١٨٩١.

د المتلمس: . . . تحقيق فولرس. ليبسك ١٩٠٣.

د المسيب بن علس: . . . اطلب الصبح المنير.

د معن بن أوس: . . . باعتناء شوارتس. ليبسك ١٩٠٣.

د النابغة الذبياني/ العقد: اطلب العقد.

د النابغة الذبياني: . . . باعتناء ديرنبورغ. باريس ١٨٩٩.

د الهاشميات: . . . للكميت: شرح الرافعي. القاهرة ١٩١٢.

د الهذليين: . . . ج١ ـ ٣. القاهرة ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠. اطلب أشعار هذيل.

دا: سنن الإمام أبي داود سليمان السجستاني. مصر ١٢٨٠.

الداني: التيسير في القراءات السبع للداني أبي عمرو. باعتناء برتزل. استانبول ١٩٣٠.

دعائم الإسلام للقاضي النعمان. ج١ ـ٢ـ خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

دي: مسند الدارمي. بهامش المنتقي. دهلي ١٣٣٧.

الديارات للشابشتي أبي الحسن علي بن محمد. تحقيق كوركيس عواد. بغداد ١٩٥١.

ديوان المعاني لأبي هلال العسكري. ج١ ـ ٢. القاهرة ١٣٥٢.

راحة العقل للكرماني أحمد حميد الدين. ج١ ـ ٢ خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

الرسالة للشافعي محمد بن إدريس. بعناية أحمد شاكر. القاهرة ١٣٥٨.

رغبة الآمل: . . . من كتاب الكامل للمرصفي. ج١ ـ ٨. القاهرة ١٩٣٠.

الروض الأنف: . . . في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ج١ ـ ٢. القاهرة ١٣٣٢.

الروضات: روضات الجنات للمرزا السيد محمد باقر. ج١ ـ ٤. فارس ١٣٠٧.

الرياض للكرماني أحمد حميد الدين. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.

الزاهر لأبي بكر بن الأنباري. خط مصور عن نسخة كوبريلي باستانة في دار الكتب المصرية رقم ٥٨٨.

السراج المنير: . . . شرح الجامع الصغير الخ للعزيزي علي بن أحمد. ج١ ـ ٣. القاهرة ١٣٠٥.

سمط: سمط اللآلىء للبكري ج١ ـ ٢. باعتناء ميمني. القاهرة ١٩٣٦.

السيرة: سيرة سيدنا محمد لابن هشام. تحقيق وستنفلد. غوتنغن ١٨٥٨.

الشذرات: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي. ج١ ـ ٨. القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١.

شرح الشواهد الكبرى: المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية للعيني بدر الدين ج١ ـ ٤ (بحاشية خزانة الأدب). بولاق ١٢٩٩.

شعراء النصرانية. ج١ ـ ٢. جمعه شيخو. بيروت ١٨٦٧.

الشعر والشعراء: . . . لابن قتيبة. تحقيق دي خويه. ليدن ١٩٠٢ طبعة مصر ١٣٢٢.

الشفاء: . . . للقاضي عياض. شرح الخفاجي ج١ ـ ٤. الاستانة ١٢٦٧. شرح ملا علي القاري. ج١ ـ ٢. بولاق ١٢٥٧.

شفاء الغليل: . . . فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي. القاهرة ١٣٢٥.

شمس العلوم: . . . ودواء كلام العرب لنشوان الحميري. تصحيح عظيم الدين أحمد. ليدن ١٩١٦.

شواهد الكشاف: شرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندي. بولاق ١٢٨١.

شواهد المغني: شرح شواهد المغني للسيوطي. القاهرة ١٣٢٢.

الصاحبي لابن فارس. القاهرة ١٩١٠.

صبح الأعشى: . . . للقلقشندي. القاهرة ١٩١٢ ـ ١٩١٧.

الصبح المنير: . . . في شعر أبي البصير الخ. فيه د الأعشى ميمون ود أعشى نهشل (هو الأسود بن يعفر التميمي ود أعشى همدان ومجموعة أشعار الأعشين وشعر المسيب بن علس، تحقيق غاير. لندن ١٩٢٨.

صح: الصحاح للجوهري. طبعة إيرانية ١١٧٠.

الصفة: صفة جزيرة العرب للهمداني أبي محمد حسن بن أحمد. باعتناء مولر. ليدن ١٨٩١.

ضبط الأعلام لأحمد تيمور باشا. القاهرة ١٩٤٧.

طبقات الحنفية: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحمى الدين أبي محمد عبد القادر القرشي. حيدرآباد ١٣٣٢.

طبقات ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد. ج١ ـ ٩. باعتناء سخاو. ليدن ٤٨/ ١٣٢٢.

طبقات ابن سلام/ شاكر: طبقات فحول الشعراء. شرح محمود شاكر. القاهرة ١٩٥٢.

طبقات ابن سلام/ هل: طبقات الشعراء. باعتناء هل. ليدن ١٩١٣.

طبقات الشافعية للسبكي. القاهرة ١٣٢٤.

طبقات المفسرين للسيوطي. باعتناء مرسنج. ليدن ١٨٣٩.

العقد: العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين (د النابغة الذبياني ود عنترة ود طرفة ود زهير ود علقمة ود امرىء القيس). صنعة الأعلم الشنتمري. باعتناء آهلورد. لندن ١٨٧٠.

عقد الجمان: . . . في تاريخ أهل الزمان للعيني بدر الدين. خط

مصور من أستانة ولي الدين بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤.
العقد الفريد لابن عبد ربه. ج١ ـ ٤. القاهرة ١٩١٣.
العمدة: . . . في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق. القاهرة ١٣٤٤.
عيون الأخبار لأدريس عماد الدين القرشي. ج١ ـ ٧. خط المكتبة المحمدية الهمدانية.
عيون الأخبار لابن قتيبة. ج١ ـ ٤. القاهرة ١٩٣٠.
غريب القرآن للسجستاني أبي بكر محمد بن عزيز. مصر ١٣٥٥.
غريب القرآن لابن قتيبة. خط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠٥.
الفائق: . . . في غريب الحديث للزمخشري. ج١ ـ ٢. حيدرآباد. وطبعة القاهرة ١٣٦٤.
الفاخر لمفضل بن سلمة. باعتناء ستوري. لايدن ١٩١٥.
الفاضل للمبرد. باعتناء الميمني. القاهرة ١٩٥٦.
فتح الباري: . . . بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. ج١ ـ ١٣. بولاق ١٣٠١.
فتوح البلدان للبلاذري. مصر ١٩٠١.
فرائد اللآل: . . . في مجمع الأمثال للأحدب. ج١ ـ ٢. بيروت ١٣١٢.
الفرق بين الفرق للبغدادي عبد القاهر. القاهرة ١٩١٠. ومختصر الفرق لعبد الرزاق الرسعني. باعتناء حتى. القاهرة ١٩٢٤.
فرق الشيعة للنوبختي. تحقيق ريتر. استانبول ١٩٣١.
فقه اللغة للثعالبي. مصر ١٣١٧.
الفكاهة: . . . والايتناس في مجون أبي نواس. جمعه منصور عبد المتعال. مصر ١٣١٦.
فوات الوفيات للكتبي محمد بن شاكر. بولاق ١٢٩٩.
الفهرست: . . . لابن النديم. باعتناء فلوغل. ليبسك ١٨٧١. مصر ١٣٤٨.

فهرست كتب الدعوة لإسماعيل بن عبد الرسول. خط مكتبتنا المحمدية الهمدانية.

فهرس الطوسي: فهرس كتب الشيعة للطوسي أبي جعفر. كلكته ١٨٥٣.

ق: القاموس المحيط للمجد الفيروزآبادي.

القراء: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. باعتناء برغستراسر. القاهرة ١٩٣٢.

القرطين: . . . لابن مطرف الكناني. ج١ - ٢. القاهرة ١٣٥٥.

القصد: . . . والامام الخ لابن عبد البر. القاهرة ١٣٥٠.

الكامل/ ابن الأثير: الكامل في التاريخ لابن الأثير عز الدين علي بن محمد. ج١ - ٤. ليدن ١٨٦٦/٧٤.

الكامل/ المبرد: الكامل لأبي العباس المبرد ج١ - ٢. تحقيق رايت. ليبسك ١٨٧٤. ج١ - ٢ مصر ١٣٢٣.

الكتاب لسيبويه. ج١ - ٢. باعتناء ديرنبورغ. باريس ١٨٨١/٨٩. ج١ - ٢. بولاق ١٣١٦/١٧.

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد علي. ج١. الاستانة ١٣١٧.

كشف الخفاء: . . . ومزيل الألباس للعجلون. القاهرة ١٣٥١.

كشف الظنون: . . . لحاجي خليفة شلبي. ج١ - ٧ تحقيق فلوغل. ليبسك ١٨٣٥/ ٥٨. ج١ - ٢ طبعة استانبول ١٩٤٣.

كليات أبي البقاء الكفوي. مصر ١٢٨١.

كنايات الجرجاني: المنتخب من كنايات الأدباء الخ للجرجاني أبي العباس أحمد. القاهرة ١٩٠٨.

كنوز الحقائق: . . . في حديث خير الخلائق للمناوي. بولاق ١٢٨٦.

الكنى والأسماء للدولابي. ج١ - ٢. حيدرآباد ١٣٢٢.

ل: لسان العرب لابن منظور. ج١ - ٢٠. بولاق ٨/ ١٣٠٠.

لباب الألباب للعوفي. ذكرى غب.

اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير عز الدين علي. القاهرة ١٣٥٧.

لسان الميزان للحافظ ابن حجر. ج١ ـ ٦. حيدرآباد ١٣٢٩/٣١.

المؤتلف والمختلف: . . . في أسماء الشعراء وكناهم الخ للآمدي. باعتناء كرنكو. القاهرة ١٣٥٤.

المتوكلي: . . . فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية الخ للسيوطي. دمشق ١٣٤٨.

المجاز: مجاز القرآن لأبي عبيدة ج١. تحقيق محمد فؤاد سزكين. القاهرة ١٩٥٤.

المجاز/ مراد منلا: مجاز القرآن لأبي عبيدة. خط مصور من نسخة مراد منلا (استانبول) بمكتبة جامعة القاهرة.

مجالس ثعلب: ج١ ـ ٢. باعتناء عبد السلام هرون. القاهرة ١٩٤٨.

مجمع الأمثال للميداني. ج١ ـ ٢. بولاق ١٢٨٤.

المجموع الصفي للصفي أبي الفضائل بن العسال. مصر ١٩٠٨.

مختارات الشعراء: مختارات شعراء العرب. رواية ابن الشجري. القاهرة ١٣٠٦.

مختلف الحديث: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة. القاهرة ١٣٢٦.

المخصص لابن سيده. ج١ ـ ١٧. بولاق ١٣١٦/٩.

مرآة الجنان: . . . وعبرة اليقظان الخ. لليافعي عبد الله بن أسعد اليمني ج١ ـ ٤. حيدر آباد ١٣٣٧/٣٩.

المرصع لابن الأثير مجد الدين المبارك. تحقيق سيبولد. وإيمار ١٨٩٦.

مروج الذهب: . . . ومعادن الجوهر للمسعودي. بولاق ١٣٨٣. باريس ١٨٦١.

المزهر: . . . في علوم اللغة للسيوطي. ج١ ـ ٢. القاهرة بدون تاريخ.

مس: الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج. ج١ ـ ٨. نظارة المعارف الجليلة ١٣٢٩/٣٢.

مشتبه النسبة للأزدي عبد الغني بن سعيد. الهند ١٣٢٧.
مشكل القرآن: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة. باعتناء صقر. القاهرة ١٩٥٦.
مصابيح السنة للبغوي. ج١ - ٢. القاهرة ١٢٩٠.
مط: الموطأ لمالك بن أنس. ج١ - ٢. باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٥١.
المعارف: . . . لابن قتيبة. باعتناء وستفلد. غوتنغن ١٨٥٠.
معاني القرآن: . . . للفراء. باعتناء نجاتي والنجار. القاهرة ١٩٥٥.
معاهد التنصيص: . . . لعبد الرحمن العباسي. بولاق ١٢٧٤.
المعتمد: . . . في الأدوية المفردة للملك المظفر الغساني. باعتناء مصطفى السقا. القاهرة ١٩٥١.
معجم البكري: معجم ما استعجم. ج١ - ٢. تحقيق وستنفلد. غوتنغن ١٨٧٧، ج١ - ٣. تحقيق مصطفى السقا. القاهرة ٥٠/ ١٩٤٥.
معجم الشعراء: . . . (ع - ى) للمرزباني. باعتناء كرنكو. القاهرة ١٣٥٤.
المعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري. باعتناء الأبياري وشلبي. القاهرة ١٩٣٤.
المعرب: . . . من الكلام الأعجمي الخ للجواليقي. باعتناء سخاو. ليبسك ١٨٦٧. باعتناء أحمد شاكر. القاهرة ١٣٦١.
المعلقات: شرح المعلقات السبع للزوزني القاهرة ١٣١٩.
المعمرين: كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني. باعتناء غولدتصير. ليدن ١٨٩٩.
المغرب: . . . في ترتيب المعرب للمطرزي أبي الفتح ناصر. ج١ - ٢. حيدرآباد.
مفتاح كنوز السنة لمحمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة ١٩٣٤.
المفردات: . . . في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. القاهرة ١٣٢٤.
المفضليات: د المفضليات للمفضل الضبي مع شرح الأنباري. ج١ - ٢. تحقيق لايل. أكسفورد ١٩٢١.

مقاييس اللغة لابن فارس ج١ ـ ٦. باعتناء هارون. القاهرة ١٣٦٦.
مقالات الإسلاميين: . . . واختلاف المصلين للأشعري. تحقيق ريتر. استانبول ١٩٢٩.
مقامات للسيوطي. استانبول ١٢٩٨.
الملائكة: رسالة الملائكة للمعري أبي العلاء. القاهرة بدون تاريخ.
الملل/ ابن حزم: الفصل في الملل والأديان والنحل لابن حزم. القاهرة ١٣١٧.
الملل/ الشهرستاني: الملل والنحل للشهرستاني. باعتناء كوريتون. لندن ١٨٤٢. باعتناء بدران. مصر ١٩٥٦.
مناسبات البقاعي: نظم الدرر من تناسب الآيات والسور الخ للقباعي أبي اسحاق إبراهيم. خط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٣.
منتهى المقال للحائري محمد بن إسماعيل. طهران ١٣٠٢.
منهج المعارج لأخبار الخوارج لعثمان بن عبد العزيز الحنبلي التميمي. خط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٤٤ تاريخ.
منهج المقال للاسترابادي محمد بن علي. فارس ٩٠/١٨٨٩.
ألمواهب اللدنية للقسطلاني. شرح الزرقاني. ج١ ـ ٨. مصر ١٢٩١.
الموشح: . . . في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني. القاهرة ١٣٥٤.
مهذب الأغاني للخضري محمد. ج١ ـ ٢. مصر. ١٩٢٥.
ميزان الاعتدال: . . . في نقد الرجال للذهبي. مصر ١٣٢٥.
النزهة: نزهة الألبا في طبقات الأدباء للأنباري أبي البركات. مصر ١٢٩٤.
نس: سنن النسائي. ج١ ـ ٨. القاهرة ١٩٣٠.
النصرانية وآدابها: . . . بين عرب الجاهلية لشيخو. بيروت ١٩١٢.
النقائض: نقائض جرير والفرزدق. تحقيق بيفان. ليدن ٧/١٩٠٥.
نوادر أبي زيد: النوادر في اللغة لأبي زيد سعيد الأنصاري. بيروت ١٨٩٤.
النهاية: . . . في غريب الحديث لابن الأثير مجد الدين المبارك. ج١ ـ ٢ القاهرة ١٣١١.

نهاية الأرب للنويري. ج١ ـ ١٠. القاهرة ٣٣/١٩٢٣.

النهج: نهج البلاغة الجامع لخطب الإمام علي بن أبي طالب ورسائله. شرح ابن أبي الحديد. ج١ ـ ٨.

الوحوش للأصمعي. تحقيق غاير. فينا ١٨٨٨.

الوسيلة الأحمدية: . . . والذريعة السرمدية الخ لرجب بن أحمد. استانبول ١٣١٨.

الوفيات: وفيات الأعيان لابن خلكان. ج١ ـ ٣. مصر ١٢٩٩.

بعض المراجع الغربية

جيفري : A. Jettery, Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda 1938.

صديقي : A. Siddiqi, Studien ueber die persischen Fremdwoerter: im klassischen Arabisch, Goettingen 1919.

غيزينيوس : W. Gesenius, Hebraeisches und Aramaeisches Handwoeterbuch ueber das Alte Testament, Leipzig 1910.

غولدتصير : I. Goldziher, Die Richtungen der islamischen kornauslegung, Leiden 1920.

المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن. تعريب علي حسن عبد القادر. مصر ١٩٤٤.

فرينكل : S. Fraenkel, Die aramaeischen Fremdwoerter im Arabischen, Leiden 1886.

ليفي : J. Levy, Ncuhebraeisches und chaldaeisches Woerterbuch, Bde. I u. II, Leipzig 1879.

نولدكي : Th. Noeldeke, Neue Beitraege zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

هورتن : M. Horten, Die spekulative und positive Theologie des Islam, Leipzig 1912.

يوبرويغ : F. Ueberweg, Grundriss d. Geschichte d. Philosophie, Bde. I u, II, Berlin 1926.

بسم الله الرحمن الرحيم

[تصدير المؤلف في بيان بعض ما يشتمل عليه الكتاب والغرض من تأليفه]

قال أبو حاتم: هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية، يحتاج الفقهاء إلى معرفتها، ولا يستغنى الأدباء عنها، وفي تعلمها نفع كبير وزينة عظيمة لكل ذي دين ومروة، ألفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني، واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يُحتجُّ بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث، وفيما يوجد له ذكر في المشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن، والألفاظ النادرة. وبدأنا فيه بذكر فضل لغة العرب وما لها من الأسباب الفاضلة التي ليست لسائر لغات الأمم، وذكرنا فضيلة الشعر وما فيه من النفع العظيم، وأوردنا في ذلك من الحجج[1] ما رجونا أن يكون فيه بلاغ لمن أنصف واعترف بالحق. ثم ذكرنا بعد ذلك معاني أسماء الله عز وجل وصفاته وما يجوز أن يُتأول فيها، ثم معاني أسماء تذكر باللغة العربية مما هي في العالم ومما جاءت في الشريعة، مثل الأمر والخلق والقدر والقضاء [٢] والدنيا والآخرة واللوح والقلم والعرش والكرسي والملائكة وما لها من الأسامي والصفات، والجنّ والإنس، ومعنى إبليس والشياطين وما لها من الصفات مثل الرجيم والمارد واللعين وغير ذلك، والنار وما لها من الصفات مثل لَظَى والسعير والحطمة والجحيم وجهنم والهاوية وسقر، ومعنى الصراط والأعراف، ومعنى البرزخ، ومعنى الثواب والعقاب والإثم والوزر،

(١) ي: الحجة.

ومعنى القيامة، ومعنى العالم والحيوان والسماء والأرض والهواء والفلك والبروج والنجم والكواكب والشمس والقمر والإقليم والجزيرة[١] ومعنى المِصر والمدينة والبلد والكورة، ومعاني[٢] أسماء مدن عربية مشهورة، ومعنى الروح والنفس والعقل والعلم والجهل والجاهلية والمعرفة والإنكار والأدب والحكمة والحكيم والهدى والضلال، ومعنى الإسلام والإيمان والفرق بينهما، ومعنى الدين والشريعة والمنهاج والملة والأمة والفطرة والصبغة، وأهل العزيمة، وأهل الذمَّة، ومعنى الكفر والنفاق والشرك والإلحاد والظلم، والفسق والفجور، ومعنى اليهود والنصارى والصابئين والمجوس، ومعاني ألقاب فرق الإسلام وأصحاب المذاهب والأهواء مثل الشيعة والمرجئة والرافضة والقدرية والمارقة وسائر ألقاب الفرق المتشعبة منها، ومعنى النبي والمرْسَل والبشير والنذير والخليل والإمام والنقيب والحواري والصديق والفاروق والشهيد والمحدَّث والحنيف والتوَّاب والأوَّاب والأوَّاه [٣] ومعنى المهاجرين والأنصار والربانيين والأحبار والقسيسين والرهبان، ومعنى الولي والمولى والولاية والموالاة والآل وأهل البيت والعترة والذرية والسلالة والسبط، ومعنى الشعب والقبيلة والعمارة والفخذ والعشيرة والفصيلة، ومعنى الكتاب والقرآن والفرقان والوحي والتنزيل والقصص والمثاني وأم الكتاب والمفصل، ومعنى التأويل، ومعنى السورة والآية والكلمة والحرف، ومعنى التوراة والإنجيل والزبور، ومعنى الفريضة والسنة والبدعة والجماعة والتطوع والنافلة، ومعنى الميراث والعصبة والكلالة وذوي الأرحام والإزوَاء[٣]، ومعنى الطهارة والاغتسال والجنابة والوضوء والاستنجاء والمضمضة والاستنشاق والتيمم والأذان والإقامة، ومعنى أوقات الصلوات مثل الفجر والأولى والظهيرة والعصر والعشاء الآخرة والعتمة، واشتقاق الصلاة وما فيها من الحدود مثل الركوع والسجود والتحيات والتشهد والقنوت والوتر والتكبير والتسبيح والتهليل والتهجُّد والخشوع والتضرع والخشية والخضوع والابتهال، واشتقاق الصوم وأيام البيض والسرار، ومعنى

(١) كما في ي. م. الجزائر.
(٢) كما في ي. م: معنى
(٣) كما في ي. م: والأزواج.

الاعتكاف والفطر والأضحى والعيد، واشتقاق الزكاة والصدقة، ومعنى أموال الجوالي والحج والعمرة ومكة والكعبة ووجوه الحج، ومعنى الإحرام والتلبية والإهلال بالحج، ومعنى المناسك والمشاهد، ومعنى الموسم [٤] والقربان والهذي والبدنة والإشعار والمشعر والإفاضة والجمار والاستلام والسعي والرمل والصفا والمروة ومنى وعرفة والتروية والنحر وأيام التشريق، ومعنى زمزم، ومعنى النكاح والإحصان والطلاق والرجعة والإيلاء والظهار والخلع والمبارأة والناشزة والملاعنة والعتاق والحد والرجم والجلد والخسف والعفو والصرف والعدل والوسط، ومعنى الصبر والبصيرة والسكينة واليقين والملكوت والفتنة والبلاء والفرج، ومعنى المثل والمعنى والفرق بينهما، ومعنى عبارة الرؤيا، ومعنى العربي والعجمي، ومعنى اللحن والرفع والنصب والخفض والجزم والهمز والإضافة والترخيم والإدغام، ومعنى الأب والأم والابن والابنة والأخ والأخت والعم والخال، ومعنى اليتيم ومعنى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ومعنى الرجس والرجز والسحر وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج والمسيح والدجال والكاهن والعائف والقائف والزاجر، ومعنى الجبت والطاغوت، وذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك من معاني أسماء نذكرها ونذكر معانيها، ونستشهد على ذلك بالشعر المعروف، ونورد فيه ما وقع إلينا من أقاويل العلماء باللغة، وما روى عن العلماء وأهل التفسير في تفسير كل حرف والمعوَّل على حكاياتهم[١] وألفاظهم، وما فسروه في كتبهم، ورويت الأخبار به عنهم، إذ كانت متفرقة في مصنفاتهم ورواياتهم [٥] لا يوقف منها إلا على الحرف بعد الحرف إذا مرّ في كتاب أو ذُكِرَ في رواية. وكثير منه مما[٢] لم يُدوَّن عنهم ولم يفسَّر تفسيراً شافياً جمعناه في كتابنا رجاءَ للثواب على تأليفه، لما في جمعه من النفع لأهل الرغبة في العلمْ والأدب، ولأهل الدين والحسب،

(١) ي وأهل التفسير في تفسير كل حرف ويعول على حكاياتهم. وسقط «في تفسير كل حرف» في م. وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفًا. والحروف على ما فسرها صاحب الزينة في باب الحرف هي حدود الكلام كله. وقد سمى في هذا الكتاب الكلمات التي ذكرها أحرفًا وألفاظاً وأسماء وكلمات، والمراد منها ما اصطلح عليها القرآن والمسلمون.

(٢) الأصول: ما.

لسقوط، مؤنة البحث عنه والمشقة في تتبع حرف بعد حرف منه في الكتب والشعر. وسمّيناه «كتاب الزينة»، إذ كان من يعرف ذلك يتزيّن به في المحافل، ويكون منقبة له عند أهل المعرفة. ولعل أكثر الناس قد غفلوا عن الواجب عليهم في تعلمها[١]، واللازم لهم من معرفتها. وبالله الحول والقوة على تأليفه[٢] وبه نستعين على أداء الصدق فيه، وإيّاه نستغفر من الزلل والهفوة، وبه نعوذ من التعمد للخطأ، والقصد لما يحبط الأجر، ويبطل الثواب، ويوجب العقاب. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) كما في ي. م و ح: تعلمه.
(٢) ي: تأليفه وتحصيله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُفْضِل[١] على عباده بِنعَمه السابغة، المُنْعِم عليهم بِمِنَنه[٢] الكاملة، المبْدِع الخَلْقَ بقدرته، المتْقِن آياته بحكمته، الذي خَلق أصناف الخلق من حَيَوان ومَوات، وفَضّلَ بعضهم على بعض درجات، وانطَقَ أصناف الحيوان بأنواع الأصوات، ووَهبَ للبشر الفضل بتفصيل الكلمات، واختصّه من بين جميع خلقه بالكرامة والتفضيل، فقال عزّ وجلّ: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[٣] وخَلقَ البشر أمماً في الألسنة والألوان مختلفين، وجعلهم شعوبًا وقبائلَ بلغات كثيرة ناطقين، آيات يدلّنا بها على وحدانيته، وبينات يقودنا بها إلى فردانيته [٦] فقال تبارك وتعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾**[٤] وبعث النبيين مبشّرين ومنذرين تَتْرى مُقَفياً[٥] بعضهم على إثر بعض، لئلاّ يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير[٦]، بألسنة مختلفة ولغات شتّى. فاختار من كلّ أمة رسولاً منهم، وابتعثه إليهم برسالته بلسانهم، ليبين لهم معالم دينهم، تأكيداً للحجّة عليهم، وتبليغاً لرسالته[٧] إليهم، فقال عزّ وجلّ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾**[٨] حتّى أفضت[٩] الرسالة إلى محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلم سيد المرسلين وخاتم

---

(١) ي. المتفضل.
(٢) ي. بمنته.
(٣) بني إسرائيل ١٧/ ٧٠.
(٤) الروم ٣٠/٢٢.
(٥) ي. مقفياً معقبًا بهم.
(٦) ي. من بشير ونذير.
(٧) ي. لرسالاته.
(٨) إبراهيم ١٤/ ٤.
(٩) في الأصول: أفضيت.

النبيِّين. فاختار له أمّة من أفضل الأمم، ونقله إليهم، وأخرجه من أطهر صُلْب ورَحِم، ثم أبرزه في أشرف القبائل وأكرم المناسب، وأرسله إلى الخلق كافّة، وبعثه إلى جميع الأمم عامّة، فضيلة اختصّه بها من بينهم، ودرجة فضّله بها عليهم، مُقَفِّياً به آثارهم، ومُحيِياً به سننَهم وأخبارهم، فأكمل به الرسلات، وختم به النبوّات، وبعثه بأفصح اللغات، وأعطاه أتم الكلمات، وأنطقه بأبين لسان، ليُفصِّل للناس ما نزِّل إليه بأبلغ بيان، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ونَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمنذِرِين، بِلِسَانٍ عَرَبِي مبين﴾[1] وأعطاه كتابًا، وسمّاهٔ قرآناً[2] وجعلهٔ لما تقدّمه من الكتب مُبيناً وفُرْقاناً، فبلّغ ﷺ الرسالة، وأدّى الأمانة، قائماً بالحقّ، ناطقاً بالصدق، ناصحاً للأمّة، شاكراً للنعمة، [٧] صابراً على كل مُلِمَّة، حتّى توفّاه الله رَاضِياً عنه مَرْضِياً وهادياً به مَهدِيّاً. صلّى الله عليه أفضل ما صلّى على أحد من أنبيائه ورسله، وبارَكَ وترحَّمَ أتم رحمة وأنمى بركة، وعلى آله أجمعين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطيراً.

فضل لغة الغرب

[لغات الأمم] أمّا بعد، فإنَّ لغات الأممّ أكثر من أن يحصيها أحد، أو يحيط من رواتها محيط، أو يبلغ معرفة كنهها مخلوق، بل كلّ أمّة تتكلّم بلسانها، ولا يعرف أكثرُهم غَيْرَ لغتهم، إلا القليل من الناس الذين علّمهم الله، فتكلّموا بلسانين أو ثلاثة. ولن يعدو ذلك إلاّ القليل، ليترجم بعضهم مع بعض[3]؛ أو من علّمه الله من الأنبياء ما أراد، فقد أوتي سليمان عليه السلام منطق الطير وعِلْم الحُكْل[4] فضلاً عن معرفة لغات الآدميِّين. والله عزَّ وجلَّ لا تخفى عليه تصاريف اللغات، ولا تشغله كثرة الأصوات، أحاط بذلك كلّه علماً، لأنّه أنْطَقَ عباده[5] بها، وفَتَقَ[6] ألسنُتهم عليها. فسبحان

(١) الشعراء ٢٦/١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) ي: فرقلناً.

(٣) ي. ليترجم بعضهم مع بعض ويتعاشر أو يتعايش بعضهم مع بعض.

(٤) الحكل بالضم ما لا يسمع صَوته كالذر (ق/ الحكل). والمراد بذلك ما ورد عن سليمان في قصة النمل.

(٥) ي. العباد.

(٦) كما في ي. م و ح: فتح.

الذي ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1].

فأفضل ألسنة الأمم كلّها أربعة: العربيّة، والعبرانية، والسريانية، والفارسية، لأنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتبه على أنبياء عليهم السلام - آدم ونوح وإبراهيم ومن بعدهم من أنبيائه بني إسرائيل - بالسريانيّة والعبرانيّة، وأنزل القرآن على محمّد صلّى الله عليه بالعربيّة. وذُكِر أنّ المجوس كان لهم نبي وكتاب، وأنّ كتابه[2] كان بالفارسيّة هذا ما اتفق عليه أصحاب الشرائع. وقال قوم بفضل اللغة اليونانية والهنديّة، لأنّ كتب الفلاسفة [٨] والأطبّاء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها. وهذا قول منبوذ عند أهل الملل.

[فضل اللغة العربية] وقلنا: إنّ أفضل اللغات الأربع لغة العرب. وهي أفصح اللغات وأكملها، وأتمها وأعذبها وأبينها. ولم يحرص الناس على تعلّم شيء من اللغات في دهر من الدهور، ولا في وقت من الأوقات، كحرصهم على تعلّم لغة العرب. ولا رغبوا في شيء من القرون والأزمنة رغبة هذه الأمّة في لسان العرب من بين الألسنة، حتى إنّ جميع الأمم فيها راغبون، وعليها مُقبلون، ولها بالفضل مُقرّون، وبفصاحتها معترفون، وحتى نقلوا الكتب المنزّلة مثل التوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب الأنبياء من السريانية والعبرانية إلى العربية، ونقلوا ما قالته حكماء العجم من الفارسية إلى العربية، وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطبّ والنجوم والهندسة والحساب من اليونانية أو الهندية إلى العربية، وحرصت كلّ أمة على تعلّم العربية ليترجموا ما في أيديهم بها. ولم يرغب أهل القرآن والكتاب العربي في نقله إلى شيء من اللغات، ولا قدر أحد من الأمم أن يترجمه بشيء من الألسنة. ولو قدروا عليه لفَشَا ذلك فيهم، وجرت الألسنة به عندهم، ولكن تَعَذَّرَ ذلك عليهم لكمال لغة العرب ونقصان سائر اللغات. فإن قال قائل: لم يفعلوا ذلك زهداً فيه رغبة عنه، أكْذَبَه العيان، وأوْهَنَ حجتَه ما جُبِلَ عليه أشراف الناس وذوو الأخطار والهمم منهم، من المحبة لمعرفة الأشياء والعلم

---

(١) سبأ ٣/٣٤.

(٢) ي: كتابهم.

بها، ولِنزاع نفوس ذوي الإقدام[1] والرفعة إلى الوقوف على جميع الآداب. فإنّ الملوك وأهل الشرف من كلّ أمّة قد رغبوا في نقل كتب لها مقدار صغير وخطر يسير إلى لغتهم، شوقاً منهم [٩] إلى معرفتها، وعشقاً للوقوف على حقائقها والعلم بها والبصيرة فيها. فكيف القرآن الذي عَظَّمَ الله شأنه، وأجَلَّ مقداره، وأخضع رقاب الأمم لسنَنه،[2] وأمضى عليهم ما شَرَّع فيه من أحكامه؟ وقد حاول كثير من الناس ذلك، فعسر عليهم نقله وتعذّر ترجمته. فترجموا منه شيئاً يسيراً، مثل بسم الله الرحمٰن الرحيم، ومثل سورة الحمد، على استخراج شديد ونقل بعيد. وقد قال بعض العلماء باللغة: لو أن الناس عهدوا أن ينقلوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[3]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[5] لما قدروا عليه لأن هذا السين في قوله: «سيهزم الجمع»، وفي قوله: «فسوف يأتي الله» لا يمكن نقلها البتة، وقوله: «فانبذ إليهم على سواء» لا يمكن نقله على هذا الاختصار، حتى يُوسع الكلام فيه، ويكثر القول به، ويُزال عن سَنَنه، ويُحاد به عن معناه، ويُسلَب بهاؤه ومثل هذه ألفاظ كثيرة، لا تُنقَل عن لغة العرب إلى سائر اللغات ولا توجد لها ترجمة.

وروى الترمذي[6] عن محمد بن المنذر الهَرَوي[7] عن محمد بن عبد الله العُتْبي[8] قال: علي كرم الله وجهه: كلام العرب كالميزان الذي يُعرَف به

---

(١) كذا في م و ح. ي: ذوي الأقدام. ويجوز أن يقرأ ذوي الأقدام، كما أشار إليه الميمني. والرجل وقدمه أي تقدمه وسبقه.

(٢) م و ح: لسنته. ى: لسنة.

(٣) القمر ٥٤/٤٥.

(٤) المائدة ٥/٥٤

(٥) الأنفال ٨/٥٨.

(٦) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي (من بني سليم) البوغي (منسوب للبوغ قرية من قرى ترمذ). وهو أحد الأعلام الحفاظ. أخذ عن المشاهير كالبخاري. كان مكفوف البصر. وقيل ولد أكمه. كان يضرب به المثل في الحفظ. ولد سنة تسع ومئتين. ومات في الثالث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين (ملخصاً من حاشية البيجوري على الشمائل للترمذي).

(٧) ذكر الذهبي في ميزان الاعتدل ١٢٩/٣: محمد بن المنذر بن أسد الهروي مجهول.

(٨) لعله محمد بن عبد الله (أو عبد الله) من ولد عتبة بن أبي سفيان بن حرب. والأغلب عليه =

الزيادة والنقصان. وهو أعذب من الماء، وأرق من الهواء، إنْ فسّرته بذاته استصعب، وإن فسرته بغير معناه استحال، فالعرب أشجار وكلامهم ثمار، يُثمِرون والناس يجتنون، بقولهم يقولون، وإلى علمهم يصيرون.

فعلى هذا لغة العرب ممتنعة على سائر اللغات واللغات كلها منقادة لها، وأقبلت الأمم كلها إليها، يتعلمونها رغبة فيها وحرصاً عليها ومحبة لها وفضلاً أبانه الله فيها للناس، ليبين لهم فضل محمد صلى الله عليه على سائر الأنبياء صلوات الله [١٠] عليهم أجمعين، وتثبت نبوته عندهم، وتتأكد الحجة عليهم، وليظهر دين الإسلام على كل دين، تصديقاً لقوله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمشركون﴾[(١)]. ولو ذهبنا نَصِف اللغات كلها عجزنا عن تناول ما لم يُعطَه أحد قبلنا، ولكنا نذكر من ذلك على قدر المعرفة ومقدار الطاقة، ونتكلم بما علمنا منه محبة لإيراد فضل لغة العرب، إذ كان فيه إظهار فضيلة الإسلام على سائر الملل، وإبراز فضل محمد صلّى الله عليه على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وإن كان ذلك ظاهراً بنعمة الله بارزاً بحمد الله، لأن دين الإسلام عربي، والقرآن عربي، وبيان الشرائع والأحكام والفرائض والسنن بالعربية[(٢)].

[لغة العرب تامة الحروف] ونقول: إن لغة العرب هي اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشينها النقصان، ولم يزد فيها شيء فيعيبها الزيادة. وسائر اللغات فيها زيادة حروف مولَّدة، وينقص عنها حروف هي أصلية. ونعتبر من ذلك باللغة الفارسية، لأنا طُبعنا

= الأخبار وأكثر أخباره عن بني أمية. وكان العتبي شاعراً مجيداً، وكان مستهتراً بالشراب وهو يقول الشعر في عتبة. ومات سنة ثمان وعشرين ومئتين. هذا ما قاله ابن قتيبة في المعارف ٢٦٧. وأورد الأزدي في مشتبه النسبة ٤٦ هكذا: محمد بن عبد الله العتبي الأخباري بصري. وقال عز الدين بن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب ٢/١١٩): محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان العتبي بصري يكنى أبا عبد الرحمن صاحب أخبار وآداب حدث عن أبيه وابن عيينة. روى عنه أبو حاتم السجستاني. راجع أيضاً الوفيات ٢/ ٣٥٤.

(١) الصف ٦١/٩.

(٢) كما في ي. م و ح: بالعربي.

عليها ونشأنا فيها، على أنا قد تدبرنا سائر اللغات، فوجدنا فيها مثل ما ذكرنا من الزيادة والنقصان، الذي هو العيب البين والشين الظاهر. والحروف التامة كلها هي ثمانية وعشرون حرفًا لا زيادة فيها ولا نقصان. ودارت لغة العرب على هذه الحروف، لم يزد عليها حرف. وسائر اللغات زادت عليها ونقصت منها.

ولهذه الحروف أحياز مختلفة، ومدارج بعضها فوق بعض. فالحاء والخاء والعين والغين [١١] والهاء وألف الهمزة حيزها الحلْق، والقاف والكاف حيزها اللّهاة، والجيم والضاد والشين حيزها شجر الفم، والصاد والسين والزاء حيزها أَسَلَة اللسان إلى أطراف الثنايا، والطاء والدال والتاء حيزها الحنَك بتطبيق اللسان إلى أطراف الثنايا، والظاء والذال والثاء حيزها اللثة، والراء واللام والنون حيزها ذَلَق اللسان إلى الشفتين، والفاء والباء والميم حيزها الشفة، والألف والياء والواو هوائية ليس لها جروس ولا اصطكاك لأنها تنسَل من جوف الحنك. فهذه ثمانية وعشرون حرفًا مدارجها وأحيازها على ما قد ذكرنا. وهكذا بينَها العلماء. وقد بُنِي عليها اللغات. واشتمل على كلّها لغة العرب، حتى لم ينقص عنها حرف ولم يزد عليها حرف، بل تمت عليها واعتدلت فيها.

[النقصان والزيادة في اللغات] وسائر اللغات نقصت وزادت مثل اللغة الفارسية، فإنها قصرت عن العين والغين والحاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والثاء، حتى لا يوجد في لغتهم الأصلية كلام يُتكلم به على هذه الحروف. فإذا اضطروا إلى أن يتكلموا بكلمة عربية أو معرَّبة في بنْيتها حرف من هذه الأحرف قلبوا ذلك الحرف إلى حرف قريب الحيِّز والمدْرَج[١] منه أو إلى حرف يُشِمُّونه ذلك المعنى، كما قلبوا الحاء إلى الهاء فقالوا لمحمد مهمد، وقلبوا العين إلى الألف ممدودة مهموزة فأشمُّوها معنى العين فقالوا لعلى آلى، وقلبوا الغين إلى الواو فقالوا للغلام ولام، وقلبوا القاف إلى الكاف فقالوا للقمر كمر، وقلبوا الطاء إلى التاء فقالوا للطاووس تاووس، وقلبوا الظاء والضاد إلى الدال فقالوا في معنى ضربه وظلمه دربه

---

(١) والمخرج.

ودلمه، [١٢] وقلبوا الصاد إلى السين فقالوا للصنم سنم، وقلبوا الذال إلى الدال فقالوا للذليل دليل، والثاء إلى التاء فقالوا للكثير كتير.

فعلى هذا كل ما جاء في لغتهم مما فيه هذه الأحرف قلبوها إلى هذه، فظهر فيها هذا النقصان القبيح. ووَلّدوا أحرفًا ليست بأصلية، فولدوا بين الفاء والباء حرفًا فقالوا للرِّجْل «پاي»، وللبستان «باغ»، فالپاء التي هي في الرجل حيزها بين الفاء والباء، والتي في اسم البستان هي الباء الأصلية. وولدوا حرفًا بين القاف والكاف، فقالوا للقبر «گور»، وقالوا للأعور «كور»، فالگاف التي في اسم القبر حيزها بين القاف والكاف، والكاف التي في اسم الأعور هي الأصلية. وولدوا بين الجيم والكاف حرفًا فقالوا للبَشَرة «چهْرَه»، وقالوا للنهر «جُوى»، فالچيم التي في اسم البشرة مولَّدة، والتي في اسم النهر هي الأصلية. فعلى هذا ما قد بينا من الزيادة والنقصان. وهو عيب ظاهر في لغتهم الأصلية. ثم خالطتها لغة العرب حين أظهر الله الإسلام، وأسلمت العجم، وتوالدوا على اللغة العربية ونشأوا فيها، فَخَلطوا بعضها ببعض، وراضوا أنفسهم بها ومرنوا عليها، فأدخلوا هذه الأحرف في كلامهم، وسهلت على ألفاظهم؛ فإذا حاولوا تسطيرها بكتاباتهم[1] تعذَّر ذلك عليهم، لأنها لم تُبْنَ على هذه الأحرف، فأحوِجوا إلى الاحتيال فيه وفي استخراجه. وإذا اعتبرت سائر اللغات والكتابات وجدت فيها من الزيادة والنقصان مثل هذا أو قريبًا منه. فقد ناظرت عليه قوماً عرفوا العبرانية والسريانية، فوجدت الأمر قريبًا مما ذكرنا. وتركنا الاستقصاء اقتصاراً على ما قد شرحناه[2] من اللغة [١٣] الفارسية، لأنا لم نُحكم الأمر في تلك كإحكامنا في هذه اللغة.

[التوهم أول فعل الله] ورَوَينا عن جعفر بن محمد عليه السّلام أنه قال: كان أول ما توهَّم الله عزَّ وجلَّ شيئاً متوهَّماً، وأراد مُراداً[3]، وشاء مَشيئاً فكان توهمه ومشيئته وإرادته للحروف[4]، التي جعلها عزَّ وجلَّ أصلاً

(١) ي. بكتابتهم.
(٢) كما في ي. م: شرحنا.
(٣) ي أراد أمراً.
(٤) ي: للحروف علم العلماء الأول.

لكل شيء، ودليلاً على كل مُدْرَك، وفاصلاً لكل مشكل. فمن تلك الحروف يُعرف كل شيء من اسم حق أو اسم باطل أو فعل أو فاعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى. وعليها اجتمعت الأمور كلها. ولم يجعل للحروف عند توهمه لها شيئاً غير أنفسها بتَنَاهٍ ولا وجود، لأنها[4] متوهَّمة بالتوهم. والتوهم في هذا الموضع أول فعل الله عزَّ وجلَّ الذي هو نور السموات والأرض. والحروف هي مفعولة لذلك الفعل. وهي الحروف التي عليها بُنِي الكلام كله. والعبارات واللغات كلّها من الله عزَّ وجلَّ ومن خَلقِه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفًا: منها ثمانية وعشرون حرفًا تدل على لغات العربية، واثنان وعشرون حرفًا تدل على اللغة السريانية والعبرانية التي هي ا ب ج د، ومنها خمسة أحرف منحرفة في سائر اللغات من العجم في أقاليم الأرض كلها، وهي خمسة أحرف انحرفت عن الثمانية والعشرين في اللغات، فصارت الحروف كلّها لاختلاف اللغات عليها ثلاثة وثلاثين حرفًا. فالخمسة المنحرفة تُدرَك بها كل لغة، وإنّما لم نذكرها لأنّها علم العلماء[5]، والله عزَّ وجلَّ خصهم بمعرفتها وربّك يفعل ما يشاء.

فالخلق الأول: التوهم، لا وزن له ولا لون ولا حركة، ولا يُسْمَع ولا يُحَسّ.

والخلق الثاني: الحروف، لا وزن لها ولا لون، وهي مسموعة بالآذان، موصوفة بالألسن، غير منظور إليها.

والخلق الثالث: كل ما كان بالحروف موصوفًا في الأنواع كلّها، وهو ملموس محسوس ذو وزن منظور إليه.

فالله عزَّ وجلَّ سابق للتوهم، لأنه ليس قبله شيء [١٤] ولا كان معه شيء. والتوهم سابق للحروف والحروف مُحدَثة. وإنما الحروف المحدثة

---

(١) ي. ألا أنها.

(٢) لا يذكر الإمام جعفر الصادق الأحرف الخمسة «المنحرفة» في لغات العجم، «لأنها علم العلماء الذين خصهم الله بمعرفتها». وإذا أريد بها اللغة الفارسية فالأحرف الزائدة فيها قد تكون پ، چ، ژ، گ فهي أربعة لا توجد في الحروف العربية. وأما غيرها من أسرة اللغات الهندية الجرمانية فهي تتضمن عدداً غير قليل من أحرف لا وجود لها في العربية.

الحروف التي يُتكلَّم بها بغير كلام لله. وأما الحروف التي تكلم الله بها فهي غير منعوتة بالإحداث. والله لا يحدث فيه شيء[1]، وإنما يُحدث ما سواه. وما جمعته الحروف أو فرّقته فهو مفعول بالحروف من خَلق سماء أو أرض أو برٍّ أو بحر أو شمس أو قمر أو جن أو إنس أو ملك أو فلك أو هواء أو غير ذلك في تدبير تلك الحروف حيث جُمِعَت أو فُرِّقَت. فالحروف غير ذلك كلّه وغير التوهم. والتوهم من الله عزَّ وجلَّ غير ذلك. ولذلك صار اسم كل شيء غير الـمسَمَّى، وصفة كل شيء غير الموصوف، وحد كل شيء غير المحدود.

والأسماء والصفات إنما هي حروف مقطعة قائمة برؤوسها لا تدل على غير أنفسها ما دامت متفرقة. فإذا جمعت دَلَّت باجتماعها على غير أنفسها، لأن الله عزَّ وجلَّ لا يجمع منها شيئاً فُيؤلِّفها أبداً إلا المعنى. فإذا أَلَّف منها أحرفًا خمسة أو أربعة أو أقل من ذلك دلت على معنى مُحدَث لم يكن قبل ذلك مذكوراً. فهذا ما رُوي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام في الحروف.

[التوهم وما قيل فيه][2] وقد اعترض قوم على هذا الخبر الذي رَوَيناه عن جعفر بن محمد عليه السّلام، وزعموا أن التوهم مَنْفي عن الله عزَّ وجلّ، وإنما هو من صفات المخلوقين، فنقول وبالله التوفيق: إن التوهم الذي يُوصَف به المخلوق هو ما يخْطر ببالهم. تقول: تَوَهَّمْتُ الشيء إذا خَطَر ببالك قبل أن تتحققه. هذا الذي يقال في المخلوق. ولا يقال في الخالق عزَّ وجلَّ توهَّم على هذا المعنى. وإنما يقال: تَوَهم الشيء، أي أنه أبْدَعَه عنده قبل أن أظهر [١٥] صورته، كما يقال: أراد الشيء وشاءه ودبَّره. وليس التوهم والإرادة والمشيئة والتدبير منه بآلة كإرادة المخلوقين وتدبيرهم الذي يكون بالفكر والروية والقلب. وإنما يقال ذلك في الله على التقريب إلى الأفهام، لأنا لم ندرك كيفية لأشياء إلا على حسب ما يكون منّا. ومن أجل ذلك سمّت الفلاسفة وأصحاب النظر الأشياء الدقيقة التي لا تدرك

(١) كما في ي. م: لا يحدث فيه بشيء.
(٢) ورد هذا الفصل في م، ولا يوجد في مخطوط ي.

بالحواس «وَهميّات»، فقالوا للشيء اللطيف الذي لا يدرك بحس: هذا وهميٌّ، لأنه لا غاية وراءه في اللطافة. فمعنى قول الصادق عليه السّلام «إن الله تَوَهَّم شيئاً مُتوهَّما» أي كان فعله الأشياء أولاً في غاية اللطافة وهمياً، ثم صار في حد الإرادة والمشيئة، ثم ظهرت الصورة. فعلى هذا المثال يقال: توهَّم الشيء عزَّ وجلَّ ودبَّر وأراد وشاء. والتوهم ألطف من الإرادة والمشيئة. والإرادة والمشيئة ألطف من القدر والقضاء. والقضاء ألطف من التصوير. وليس يكون شيء من ذلك من الله تبارك وتعالى بآلة ولا أداة، كما يقال هو سميع بصير عليم، ليس أنَّه سميع بأذن أو بصير بعين أو عليم بقلب، كما يكون من المخلوقين بآلات وأدوات وجوارح، إنَّما يقال ذلك في الله عزَّ وجلَّ على حسب ما قلنا إنه على التقريب إلى الأفهام، لأنَّا لا نُدرِك كيفية هذه الأشياء إلا على حسب ما يكون منَّا بآلات، فإذا كانت من الله لا يُدرِك كيفيتَها غَيْرُه. عزَّ وجلَّ عن صفات المخلوقين وتعالى علوّاً كبيراً.

[قوام العربية وبنيتها بالحساب] وقد ذُكِر أنَّ لغة العرب [١٦] بُنِيت على ثمانية وعشرين حرفًا وسائر اللغات على اثنين وعشرين حرفًا، وأن الخمسة هي [التي] تختلف في سائر اللغات، وهي علم العلماء، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ خَصَّ قوماً بمعرفتها دون قوم. وحقيق أن يكون ذلك كذلك، لأن الله عزَّ وجلَّ يؤتى الفضل من يشاء من عباده وهو أحكم الحاكمين. فقد ظهر فضل لغة العرب وكمالها، لحيازتها هذه الحروف الثمانية والعشرين التي هي بنية الكلام. فإن قال قائل: إنَّ الزيادة والنقصان وقعاً في لغة العرب، وإنَّ التمام في سائر اللغات، وإن الحروف التامَّة هي التي بُنِي عليها سائر اللغات ودارت عليها، قلنا: المعيار بيننا وبينهم الحساب، لأنَّا اختلفنا في عدد الحروف. والعدد هو الحساب. والحساب هو الشاهد العَدْل الذي اتَّفقت عليه الأمم كلها، ولم يختلفوا في أصله وبِنْيته كاختلافهم في سائر العلوم. وهو من أجلّ العلوم. وعليه مدار أمر الدنيا والآخرة، وبه قام أمر الدين، لأنَّ أصل الدين التوحيد.

فالواحد اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وهو من أعظم صفاته لا يَشْرَكه في هذه الصفة مخلوق. والواحد هو أصل الحساب وعلّة العدد وأوّل

الاعداد. خلق الله عزّ وجلّ جميع خَلقِه بحساب، وجعله معلماً بالعدد، مثل الأوقات والدهور والأفلاك والسماوات والأرضين والبحار وغير ذلك، فقال عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أيّامٍ﴾[1] وقال: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[2] وقال: ﴿وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[3] وقال: ﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْراً في كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ [١٧] الدِّينُ القَيِّمُ﴾[4] وقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[5] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ﴾[6].

ثم بيَّنَ تبارك وتعالى دينه على ألسنة الأنبياء والرسل عليهم السّلام، فجعله فرائض وسنناً معدودة محسوبة، فجعل أوقات الصلاة خمسة، وأمر بالصلاة ركعات معلومة معدودة، والصيام أياماً معدودات، وفي الزكاة مواقيت معدودة. وجعل كذلك سائر أصول الدين وفروعه. وجعل الثواب والعقاب بالحساب، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا﴾[7]. وجعل الحساب[8] عدلاً بينه وبين خلقه، وهو يجازيهم بالحساب، وجعل معاش الخلائق في دار الدنيا وقوامهم[9] فيها بالحساب.

فبالحساب قامت الدنيا والآخرة، وهو أجل الأشياء قدراً وأرفع العلوم وأشرفها. والأمم كلها متّفقة على أصوله أنّه آحاد وعَشَرات ومِئون وألوف، وإن كانت الأسامي عندهم في اللغات بلغات مختلفة. ووجدنا هذه الأصول

---

(١) الأعراف ٧/٥٤، ويونس ١٠/٣، وهود ١١/٧، والحديد ٥٧/٤.
(٢) الطلاق ٦٥/١٢.
(٣) لقمان ٣١/٢٧.
(٤) التوبة ٩/٣٦.
(٥) الرحمن ٥٥/٥.
(٦) يونس ١٠/٥.
(٧) الأنعام ٦/١٦٠.
(٨) كما في ي. م: الحسنة.
(٩) كما في ي. م: قوامها.

عندهم هي بنية الحساب وعليها يدور. وهذه الأصول مبنية على الحروف الثمانية والعشرين، فسمُّوا «أ» واحداً، و«ب» اثنين، و«ج» ثلاثة، و«د» أربعة، فعلى هذا حتى استوفوا الآحاد إلى تسعة، فقالوا «ط» تسعة. ثم ابتدأوا بالعشرات، فقالوا «ي» عشرة، «ك» عشرون، حتى استوفوا العشرات إلى تسعين، فقالوا «ص» تسعون. ثم ابتدأوا بالمئين، فقالوا «ق» مئة، و«ر» مئتين، حتى استوفوا المئين إلى تسعمائة. ثمّ قالوا [١٨] في الألف الذي هوغاية الحساب ومنتهى الأعداد «غ» ألف. ثم لا اسم بعده إلا تكرار، فكان في استيفاء الحروف استيفاء الحساب كلّه. وصارت الحروف الثمانية والعشرون التي بُنِيت عليها لغة العرب وفاءً لأصول الحساب كلّها، لم يفضل حرف ولم ينقص حرف. فأمّا الحرف الذي يُسمّى «لا»، فهو حرف مكرر. وإنّما هو لام وألف، فإذا اجتمعتا ظهرت صورتهما صورة حرف واحد، فسُمِّي باسم واحد. فهذا الدليل الواضح والشاهد العدل على كمال لغة العرب، مع ما بيّنّا من أحْيَاز هذه الحروف ومَدارِجها، واحتواء لغة العرب عليها، وقصور سائر اللغات عنها والزيادة المتولّدة فيها، لا يقدر على دفعه إلا مُباهِت مُعانِد، ومُتعصِّب حاسد.

[قانون اللغة العربية] وللغة العرب مع هذ الكمال فضائل ليست لسائر اللغات. فإنّ لها قانوناً يُرْجَع إليه فيها، ومعياراً يُعْتَبَر به، ومقياساً يُقاس عليه. فإذا شَرَدَ عنهم حرف أو اعْوَج عن سَنَنه، أو اشتبه معناه، رجعوا إلى قانونهم، ووزنوه بمعيارهم، واستعانوا عليه بمقياسهم؛ فأقاموا دَرْأَه، وقوّموا عِوَجه، لكي لا يبطل معاني الأسماء، فتَمحق عن اللغة وتَنْدَرِسَ، كما دَرَسَت عن سائر اللغات. فقد بطلت عن اللغة الفارسية أسامي أشياء كثيرة حين غلبت عليها العربية، فلا يكاد يُوجَد لها اسم بالفارسية، ولا يُعْرَف ذلك الشيء حتى يُذْكَر بلسان العرب، مثل قولهم الحق والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، وغير ذلك مما [١٩] لم يوجد له اسم بالفارسية. وهذا الخلل قد دخل على سائر اللغات.

[أبو الأسود الدؤلي والأئمة النحاة] وقد كان لسان العرب فَسَدَ حين تعرّبت العجم، واختلطت اللغات وَلَحنَ أكثر الناس في كلامهم؛ فاستدرك ذلك أمير المؤمنين علي عليه السّلام، فوضع للناس رَسْماً في النحو، فأخذه

عنه أبو الأسود الدُؤَلي[1] من الدُئِل، وهم رهط من كنانة بن خزيمة، فأسّس العربية، وفتح بابها، ونهج سبيلها، ووضع فيها قياساً.

قال عبد الله بن إبراهيم بن مَهدي المقرىء المصري المعروف بالعَمْريّ[2]: حدّثنا[3] الأصمعيّ[4] قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء[5]

---

(١) كما في ي. م: الدئلي. أبو الأسود الدئلي (على اعتبار أنه من الدئل بكسر الدال والهمزة، وتفتح في النسبة حتى لا تتوالى الكسرات)، أو الدؤلي (على اعتبار أنه من بني الدئل بضم الدال وكسر الهمزة، وفتحت الهمزة تخفيفًا في النسبة). هو ظالم بن عمرو بن ظالم. وقيل: ابن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل (أو الدؤل) بن بكر بن كنانة. وقد يقال: الديلي. وكان من سادات التابعين شيعياً وشاعراً ثقة في حديثه. روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي ذر وغيرهم، وعنه ابنه ويحيى بن يعمر. صحب علي بن أبي طالب وشهد معه صفين. وقدم على معاوية، فأكرمه وأعظم جائزته، وولي قضاء البصرة. مات سنة سبع وستين للهجرة (أخبار البصريين ١٣ والفهرست ٥٩ ـ ٦١ والبغية ٢٧٤ وضبط الأعلام لأحمد تيمور).

(٢) قال ابن الجزري (القراء ١/٤٨٤): أبو القاسم العمري عبيد الله بن إبراهيم بن مهدي البغدادي ثم المصري مقرىء حاذق عرف بالعمري، لأنه كان مخصوصاً بمعرفة قراءة أبي عمرو. أخذها عن محمد بن غالب عرضاً، ورواها سماعاً عن محمد بن شجاع البلخي اليزيدي. وله فيها تصنيف حسن. مات بمصر في سنة سبع وثلاث مئة.

(٣) ي: قال عبدَ الله بن إبراهيم بن مهدي المقرىء المصري المعروف بالعمري: حدثنا الحسين بن سليمان قال: حدثنا عمرو بن بكر الوراق قال: حدثنا.

(٤) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ويكنى أبا سعيد أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار. روى عن أبي عمرو بن العلاء وقرة بن خالد وحماد بن سلمة وخلق. قال الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي. وكان يتقي أن يفسر القرآن والحديث. وكان من أهل السنة ولا يفتي إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة، ويقف عما يتفردون عنه، ولا يجيز إلا الأفصح. روى له أبو داود والترمذي. وكان بخيلاً ويجمع أحاديث البخلاء. ويقال: مات سنة ست عشرة ومئتين (أخبار البصريين ٥٨ والفهرست ٨٢ والبغية ٣١٣).

(٥) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله التميمي المازني النحوي المقرىء أحد القراء السبعة المشهورين. اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً، وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه. كان إمام أهل البصرة في القرآن والنحو واللغة. أخذ عن جماعة من التابعين، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد، وروى عن أنس بن مالك وأبي صالح وعطاء وطائفة. وكان من أشراف العرب مدحه الفرزدق. قرأ عليه اليزيدي وعبد الله بن المبارك وخلق، وأخذ عنه الأدب وغيره أبو عبيدة والأصمعي ويونس وخلق. مات سنة أربع، وقيل تسع وخمسين ومئة. (أخبار البصريين ٢٨ ـ ٣١ والفهرست ٤٢ والبغية ٣٦٧).

يقول: جاء أعرابي إلى علي عليه السّلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! كيف تقرأ هذه الحروف؟ لا يأكله إلا الخاطون، كلُّنا والله يخطو. قال: فتبسّم أمير المؤمنين عليه السّلام وقال: يا أعرابي! لا يأكله إلا الخاطئون. قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين! ما كان الله ليظلم عباده. ثم التفت أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أبي الأسود الدؤلي، فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافّة، فضَعْ للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم. ورسم له الرفع والنصب والخفض. وقد رُوي في هذه القصة أخبار غير هذه[1].

٤

قال محمد بن سلاّم[2]: كان أبو الأسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمرو - من أهل البصرة، وكان عَلَويَّ الرأي[3] - وهو أول من وضع الفاعل والمفعول به والمضاف إليه وحروف الرفع والنصب والجر والجزم حين اضطرب كلام العرب، وذهبت السليقة، وَلَحنَ سَرَاة الناس ووجوهم.

فأخذ عنه يحيى بن يَعْمَر العَدْوَاني[4]. فكان مأموناً عالماً وأخذ عنه

(١) راجع أخبار النحويين البصريين للسيرافي الذي أورد بعض هذه الأخبار.

(٢) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري صاحب طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، وهو أقدم ما وصل إلينا من كتب طبقات الشعراء، وظل مرجع طلاب تاريخ الشعر العربي إلى عهد غير بعيد. أخذ عن حماد بن سلمة وشيوخ العلم والحديث والأدب، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب والرياشي والمازني وأبو حاتم وابن معين وأبو خليفة الجمحي (ابن أخته وراوي كتاب الطبقات) وغيرهم. وقد ذكره ونقل عنه صاحب الزينة مراراً، واستشهد بالشعر القديم الذي أورده ابن سلام في الطبقات. مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ومئتين. (راجع الفهرست ١٦٥ والنزهة ٢١٦ والبغية ٤٧. ومقدمة يوسف هل للطبقات (لايدن ١٩١٦) ومقدمة محمود شاكر لطبقات فحول الشعراء (القاهرة ١٩٥٢).

(٣) م: وكان يرى علوي الرأي. ي: وكان يروي. وإنما أثبتنا رواية ابن سلام في طبقاته.

(٤) يحيى بن يعمر التابعي، رجل من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر، فقيه أديب نحوي مبرز. سمع ابن عمر وجابراً وأبا هريرة، وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي. ونقله الحجاج إلى خراسان، فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها. فقضى في أكثر بلادها نيسابور ومرو وهراة. توفي سنة تسع وعشرين ومئة. (أخبار البصريين ٢٢ والبغية ٤١٨ وابن حزم: أنساب العرب ٢٣٢).

[٢٠] أيضاً ميمون الأقرن[١] وعَنْبَسَة الفيل[٢] ونصر بن عاصم الليثي[٣].

ثم كان بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضْرَمي[٤]. وكان أول من شَرَحَ النحو ومَدَّ القياس وشرحَ العلل. وكان معه أبو عمرو بن العلاء. وأخذ يونس[٥] عن أبي عمرو وكان معهما مَسْلمة بن عبد الله بن سعيد الفهْري أبو مُحارِب[٦] وهو ابن أخت أبي إسحاق الحضرمي. وكان معهم حَمّاد بن الزِّبْرقان[٧].

---

(١) م: ملمون، والصواب ما جاء في ي: ميمون الأقرن. أخذ النحو عن عنبسة، وقيل عن أبي الأسود، وأن عنبسة أخذ عنه. (أخبار البصريين ٢٢ والبغية ٤٠١).

(٢) عنبسة بن معدان الفيل الميساني أخذ النحو عن أبي الأسود. ولم يكن فيمن اخذ عنه النحو أبرع منه. (أخبار البصريين ٢٢ و٣٤ والبغية ٣٦٧).

(٣) قد اختلف الناس في أول من رسم النحو. فقال قائلون: أبو الأسود الدؤلي. وقال آخرون: نصر بن عاصم. وقال آخرون: عبد الرحمن بن هرمز. هذا قول السيرافي (أخبار البصريين ١٣). وقال السيوطي (البغية ٤٠٣). قال ياقوت: كان نصر فقيهاً عالماً بالعربية من فقهاء التابعين. وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء. وكان يرى رأي الخوارج ثم تركه. مات سنة تسع وثمانين.

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. وكان قيماً بالعربية والقراءة إماماً فيهما. ويقال أنه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو. قرأ ابن أبي إسحاق على يحيى بن يعمر. قرأ هو وأبو عمرو علي نصر بن عاصم وكانا رفيقين. قال يونس: قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق يومئذ بالهمز، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه، قال يونس: أن أبا عمرو كان أشد تسليماً للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب. توفي بالبصرة سنة سبع عشرة ومئة. (أخبار البصريين ٢٥ ـ ٢٨ والنزهة ٢٢ ـ ٢٥).

(٥) يونس بن حبيب الضبي البصري أبو عبد الرحمن. قال السيرافي (أخبار البصريين ٣٣): بارع في النحو من كتاب أبي عمرو. وقد روى عنه سيبويه وأكثر. وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها. وقد سمع منه الكسائي والفراء وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية. ومات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومئة. (الفهرست ٦٣ والنزهة ٥٩ ـ ٦٤ والبغية ٤٢٦).

(٦) مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري أبو محارب. أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبي إسحاق. وكان صالحاً لنفسه. ثم صار في آخر عمره مؤدباً لجعفر بن أبي المنصور، ومضى معه إلى الموصل وأقام بها حتى مات، فصار علم أهل الموصل من قبله. وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه. (البغية ٣٩١).

(٧) كما في ي. م: عمار بن الزبرقان. قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٤٩٠): وكان بالكوفة ثلاثة، يقال لهم «الحمادون»: حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتنادمون ويتعاشرون وكأنهم نفس واحدة، ويؤمنون جميعاً بالزندقة.

قال أبو حاتم السجستاني[1]: من أراد السنة والأمر العتيق في الدين وقراءة القرآن فلْيكن مَيْله إلى الحرَمَيْن وأهل البصرة، فإنّهم أصحاب اقتصاد في القراءة وعلم بها و بعللها ومذاهبها ومجاري كلام العرب ومخارجها. وكان منهم علماء الناس بالعربية وكلام العرب. وكان منهم أبو الأسود الدُّؤلي، وأبو الحارث[2] ابنه، ويحيى بن يَعْمر العَدْواني وعبد الله بن أبي إسحاق من بعد، وأبو عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر[3] ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد[4]وأبو زيد[5] ....

---

(١) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري. كان إماماً في علوم القرآن واللغة والشعر. قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وعمر بن كركرة وروح بن عبادة، وعنه ابن دريد وغيره. وكان جماعاً للكتب يتجر فيها. وقال أبو العباس المبرد: وكان حسن العلم بالعروض وإخراج المعمى، ولم يكن بالحاذق في النحو. ذكره ابن حبان في الثقات، وروى له النسائي في سننه والبزاز في مسنده. توفي سنة خمس وخمسين ومئتين. (أخبار البصريين ٩٣ ـ ٩٦ والفهرست ٨٦ ـ ٨٧ والنزهة ١٥١ ـ ٢٥٤ والبغية ٢٦٥).

(٢) قال ابن قتيبة (المعارف ١٩٢): فولد أبو الأسود الدؤلي عطاء وأبا الحرب، ولا عقب لعطاء. وأما أبو الحرب فكان شاعراً عاقلاً. وقيل: إن أبا الحرب كنية عطاء، فيكون لأبي الأسود ابن واحد لا اثنان. قال ابن حجر في التهذيب ١٢/٦٩ ـ ٧٠: أن أبا حرب يجوز أن يكون اسمه محجن. ذكره ابن سعد في طبقاته ٧ (١)/ ١٦٤ في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة وقال: كان معروفًا وله أحاديث. وذكره ابن حبان في الثقات. ورووا أن عطاء وأبا الحارث ممن أخذوا النحو من أبيهما أبي الأسود. لا ندري أيهما أصح: أبو الحارث أو أبو الحرب. أغلب الظن أنه الحرث، فصحف، وصار أبو الحرب. توفي سنة تسع ومئة.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي، مولى آل خالد بن الوليد، نزل فيهم في ثقيف فنسب إليهم. إمام في النحو والعربية والقراءة مشهور. روى عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والحسن البصري والعجاج بن رؤبة وجماعة، وعنه علي بن نصر الجهضمي الكبير وهارون بن مرسي النحوي وداود بن المحبر والأصمعي وغيرهم. ووثقه ابن معين. قال ابن قتيبة: كان من أهل القراءة إلا أن الغريب والشعر أغلب. عليه. قال أبو عبيد: كان من قراء أهل البصرة غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية يفارق قراءة العامة. وكان يتقعر في كلامه. مات سنة تسع وأربعين ومئة. (أخبار البصريين ٣١ ـ ٣٣ والفهرست ٦٢ والتهذيب ٨/٢٣ والنزهة ٢٥ والبغية ٣٨٠).

(٤) اطلب فصل العروض فيما يأتي ص ٨٩

(٥) قال أبو زيد سعيد بن أوس الخزرجي الأنصاري. وكان يقال له أبو زيد النحوي. وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس وطلاب العربية. قال المازني: رأيت الأصمعي وقد جاء إلى =

وسيبويه[1] والأخفش[2]، فهؤلاء الأئمة في هذا الشأن. ثم بَنَى على ذلك من جاء من بعدهم من علماء اللغة وتفتَّقت لهم الفِطَن، وصرف إليه كثير من الناس هِمَمِهم، حتى جعلوا له ديوناً يُفْزَع إليه ويُعْتَمد عليه. وجعلوه للغة العرب معياراً، فإذا وجدوا اللّحنِ في كلامهم وزنوه به فقوّموه، لأنّ اللحن يُزيل الحرف عن معناه، ويحيد به عن سنّته. وليس هذا لسائر الأمم. وهو علم جسيم، له خطر عظيم.

[بلاغة العربية] قال الفَرّاء[3]: نظرنا في الكلام، فوجدنا أبلغه عند ذوي

= حلقة أبي زيد. فقيل رأسه وجلس بين يديه قال الأصمعي رأيت خلفا الأحمر في حلقة أبي زيد قال أبو سعيد: ولا أعلم أحداً من علماء البصريين في النحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد، فإنه روى عن المفضل الضبي. وعامة كتاب النوادر لأبي زيد عن المفضل. وروى عن أبي عمر ورؤبة بن العجاج وابن عوف وابن جريج وطائفة، وروى له أبو داود والترمذي، وعنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وقرأ عليه أبو حاتم السجستاني وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي وأبو عثمان المازني النحوي وغيرهم. مات سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل خمس عشرة. (أخبار البصريين ٥٢ ـ ٥٧ والفهرست ٨١ والتهذيب ٤/٤ ـ ٥ والنزهة ١٧٣ ـ ١٧٩ والبغية ٢٥٤).

(١) «سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح، اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر. أخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه وعن عيسى بن عمر وعن أبي الخطاب الأخفش وعن يونس وغيرهم. مولى بني الحارث بن كعب، كان أصله من البيضاء من أرض فارس، ونشأ بالبصرة. توفي بشيراز بفارس في سنة ١٨٣ وله نيف وأربعون سنة. وللزمخشري فيه:

ألا صلى الإله صلاة صدق ... على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه ... بنو قلم ولا أبناء منبر

(٢) من الأخافش الثلاثة المشهورين: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر الأقدم الذي أخذ عنه سيبويه والكسائي ويونس وأبو عبيدة، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو الطريق إلى كتاب سيبويه، وأبو الحسن علي بن سليمان. والأرجح أن المؤلف أراد بالأخفش أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر أحد الثلاثة المشهورين، وقد ذكره باسمه في باب الملائكة، وأطلق اسم الأخفش على أبي الحسن علي بن سليمان. وله تصانيف ذكرها ابن النديم في الفهرست ١٢٣. يرى الميمني أن اسم الأخفش يطلق على سعيد بن مسعدة، «فإن علياً ليس له تأليف ولا قدم له في النحو».

(٣) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. قيل له الفراء، لأنه كان يفري الكلام، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي. قال ابن النديم: قال ثعلب: وكان يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة. وقيل أنه يميل إلى الاعتزال. وقيل كان من الإمامية الشيعة ولكنه استتر بالاعتزال. وكان متديناً متورعاً على تيه وعجب وتعظم. وكان زائد =

العقل والألباب، وأبقاه في الحِكَم والآداب، وأخفَّه على سامعه والحامل له، ما كان أوجزه وأجمعه وأدله على ما يحيط به الكثير. ووجدنا للعرب [٢١] في ذلك فضلاً على جميع الأمم، اختصاصاً من الله عزَّ وجلَّ وكرامة أكرمهم بها؛ فبعث منهم رسوله محمداً ﷺ، وأنزل عليهم قرآناً بلسان عربي مبين.
ثم نظرنا في السِّمات التي وَسَمَت العرب بها كلامها من الخفض والنصب والرفع، فوجدناهم أدخلوا ذلك للإيجاز في القول، والاكتفاء بقليله الدالّ على كثيره، فقالوا: ضَرَبَ أخوك أخانا، فدلُّوا برفع أحد الأخوين ونصب الآخر على الفاعل والمفعول به. ولو كان مخرج الكلمتين واحداً فقيل: ضرب أخوك أخونا أو أخاك أخانا، لم يكن فيهما فرق يدل السامع على الضارب من المضروب. وكذلك سمَّوا معنيين باسم واحد، فاجتمع لهم التَوْسِعَة في الكلام والإيجاز في القول. من ذلك أن «الضَّرْب» كلمة واحدة تحتها تفسير بوجوه. فقالوا للضرب في الوجه لَطْماً، وفي القفا صَفْعاً، وفي الرأس نَقْفًا، وشجّاً إذا أدْمَى - في أشياء كثيرة لا تحصى. وكان قولهم لُطِمَ فلان أوجز من قولهم ضُرِبَ على وجهه، وقولهم صُفِعَ فلان أوجز من قولهم ضرب على قفاه، فوَسموا الحرفين كلاًّ منهما بِسِمة، فعبَّرت عن كلمتين. كأنّه رَمَزَ في كلامه الخطيب، وأوْضَح المعنى للتقريب. ووجدنا للعرب في ذلك فضلاً على جميع الأمم. إن أرادوا الإخبار عن اللَّطْم والصَّفع لم يقدروا أن يدلوا عليه باسم واحد كما دل اللطم والصفع وغيره على مواضعه حتى يكثر الكلام ويطول التفسير. هذا قول الفراء.

ونقول في مثل هذا المعنى: إن العرب قالت في الجراحات لِما كان بالسيف ضَرْبَة، وبالرمح طَعْنَة، وبالسهم رَشْقَة، وبالسكين وَجْأة، وبالحجر شَدْخَة، وبالسوط تقنيع، فاكتفوا بذكر هذه الجراحات عن ذكر السلاح. وليس هذا لسائر الأمم حتى يذكروا السلاح المعمول به. واختصرت العرب هذه الألفاظ اقتصاراً عليها من ذكر الآلات المستعملة.

= العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه. وكان أكثر مقامه ببغداد، فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً يفرق في أهله ما جمعه. وله من الكتب كتاب معاني القرآن ألفه لعمر بن بكير أربعة أجزاء. وتوفي الفراء بطريق مكة سنة سبع ومئتين. (الفهرست ٩٨ - ١٠٠ والبغية ٤١١).

[النحو والإعراب] قال أبو عَبْيد القاسم بن سلام[1]: للعرب في كلامها علامات لا يَشْرَكهم فيها أحد من الأمم نعلمه. منها إدخالهم الألف واللام [٢٢] في أول الاسم وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه في الرفع والنصب والخفض، كما يدخلوا في «الطور»[2] وحذفوا الألف التي في آخر الحرف، فألزموه الإعراب في كل وجه، وهو بالسريانية «طوراً» على حال واحد في الرفع والنصب والخفض. وكذلك «اليم»[3]، هو بالسريانية «يما» فأدخلت

---

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام (بتشديد اللام) الأزدي. قال ابن قتيبة: مولى للأزد، من أبناء أهل خراسان. كان مؤذناً وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ولم يزل معه ولده. وحج بعد قدومه بغداد وبعد أن صنف ما صنف من كتبه، فتوفي بمكة سنة أربع ومئتين. وذكر السيوطي أن القاسم بن سلام كان أبوه مملوكاً رومياً. وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وابن الأعرابي والكسائي والفراء وغيرهم. وروى الناس من كتبه نيفًا وعشرين كتابًا. قال الحافظ: قدم مصر مع يحيى بن معين. كان أبو عبيد حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن فيه. اهـ. ووثقه ابن معين وأبو داود، وذكره الترمذي في الجامع والبخاري في الصحيح. (المعارف ٢٧٢ والتهذيب ٨/ ٣١٥ ـ ٣١٨ والبغية ٣٧٦).

(٢) وفي التنزيل العزيز: وشجرة تخرج من طور سيناء. قال الجواليقي (المعرب ٢٢١): قال ابن قتيبة: الطور الجبل بالسريانية. وفي ل/طور: قال الفراء في قوله تعالى «والطور وكتاب مسطور»: هو الجبل الذي بمدين الذي كلم الله تعالى موسى عليه السّلام تكليماً. وقال ياقوت (البلدان/ طور): قال بعض أهل اللغة: لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر، ولا يقال للأجرد طور. ويقال لجميع بلاد الشام الطور. وبلسان النبط كل جبل يقال له طور. فإذا كان عليه نبت وشجر قيل طور سيناء بكسر السين، ويروى بفتحها وهو فيهما سدور. اهـ وهو بالسريانية ܛܘܪܐ (طوراً) أي الجبل و ܛܘܪܣܝܢܝ (طورسيناء) قال ليفي ٢/ ١٤٨: טור (طور) وטורא (طوراً) الجبل. أفادنا الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس أن هذه المادة تناظر دار يدور بمعنى أحاط. وقد استعملت في العبرية بمعنى حائط مثل طور وطوار في العربية. والذين قالوا أن هذه الكلمة سريانية كانوا أقرب إلى الصواب، لأنها لم تستعمل بمعنى الجبل في سفر الخروج كما كنا نتوقع. وإنما استعمل مكانها الكلمة العادية «هاهار» على أنها استعملت في هذا السفر بمعنى طبقة من الحجارة (١٧/٢٨). أما في الآرامية (والسريانية لهجة من لهجات الآرامية) فالكلمة (طوراً) بمعنى الجبل كما في سفر دانيال (٢/ ٢٥) و«طور ر ب» أي جبل عظيم. وقد وردت في شرح سفر الخروج المسمى «ترجم» بالعبرية المسيحية طور بمعنى الجبل.

(٣) قال الجواليقي (المعرب ٣٥٥): قال ابن قتيبة: اليم البحر بالسريانية. وفي ل/يم قال) قال الزجاج: اليم البحر. وكذلك هو في الكتاب الأول لا يثنى ولا يكسر ولا يجمع جمع السلامة. وزعم بعضهم أنها لغة سريانية فعربته العرب وأصله يما. ويقع اسم اليم على ما =

العرب فيه الألف واللام، وصرفته في جميع الإعراب على ما وصفت. قال: ومن علاماتهم التي فُصِّل[1] بها كلامهم من كلام العجم إدخالهم القاف في آخر الاسم في موضع الهاء، كقولهم «الإِسْتَبْرَق»[2] وهو الغليظ، وهو «اسْتَبْرَهْ» بالفارسية، وقولهم «يَلْمَقْ»[3] وهو «يَلْمه»، وإدخالهم الجيم في آخر الحرف، كقولهم «مُوزَج»[4].

و«دِيباج»[5] وهو «موزه» و«ديباه». وهذا هو للغة العرب وليس لسائر اللغات في هذا حظ ولا نصيب. بل خُصَّت هذه اللغة بأن أنشأ الله لها قوماً فتحوا لها هذه الأبواب من «النحو»، وجعلوا ذلك معياراً للكلام، وهم يُقوِّمونه به إذا اعْوَجَّ، ويحفظونه إذا مال.

«فالنحو» هو معيار جميع كلام العرب ما كان منه منثوراً، وما كان منه شعراً، وما كان منه سجعاً، وغير ذلك من وجوه كلام العرب. وبالنحو يُرتَّل القرآن الذي هو كلام الله عزَّ وجلَّ، فيُعْرَب كل حرف منه به ويُقَوَّم عليه، حتى لا يُتْرك حرف واحد إلا ويُعْطَى حقَّه من الإعراب[6]. وهكذا كان

= كان ماؤه ملحاً زعاقاً وعلى النهر الكبير العذب الماء. واليم نهر النيل بمصر حماها الله تعالى وماؤه عذب. اهـ. وأما יָם (يم) في العبرية فمعناه البحر أو النهر العظيم كالنيل، وهو بنفس المعنى في السريانية ܝܡܐ. ويرى الدكتور أنيس أن اقتصار استعمال هذه الكلمة على قصة موسى مما يؤكد أصلها السامي.

(١) في الأصول: فصلت.

(٢) في الاتقان (ج١ ص٣٨٠) للسيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ بلغة العجم. وفي المعرب ١٥ قال: الاستبرق غليظ الديباج فارسي معرب وأصله استفره. اهـ «و» في البهلوي تضاهى القاف أو الكاف في العربي والهاء في الفارسي.

(٣) يلمق كلمة تركية الأصل استعملت في الفارسي، ثم نقلت إلى العربي بمعنى القباء.

(٤) الموزج الخف، فارسي معرب وأصله موزه (المعرب ٣١١).

(٥) في ل/ دبج: الدبج النقش والتزيين فارسي معرب. دبج الأرض المطر يدبجها دبجاً روضها. والديباج ضرب من الثياب والجمع ديابيج ودبابيج. قال ابن جنى: قولهم ديابيج يدل على أن أصله دباج وأنهم أبدلوا الباء ياء استثقالاً لتضعيف الباء. وفي الحديث ذكر الديباج وهي الثياب المتخذة من الإبريسم فارسي معرب وقد تفتح داله. وسمى ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن. الديباج معرب ديبا أو ديباه بالفارسية وديباك بالبهلوية (راجع صديقي ٦٨).

(٦) يبدأ مخطوط «ع» (المفقود صفحاته الأولى) من «من الاعراب».

الفصحاء من العرب يفعلون في كلامهم كله، يعطون كل حرف حظه من الإعراب. وليس هذا لسائر لغات الأمم. وهي فضيلة خُصَّت بها هذه اللغة دون غيرها[1].

والنّحو معناه القَصْد والحذْو. يقال: هو يَنْحو ذلك النّحو، أي يَحْذو ذلك الحذْو. ويقال أخَذَ نحوه إذا قصد قصده. فكأنّهم سَمّوه نحواً، لأنهم حذَوْا بعضه حَذْوَ بعض، وقصدوا به تقويم اللغة.

[ذكر العروض] ثمّ لهذه اللغة «ٱلعَرُوض» التي يُقَوَّم بها الشعر [٢٣] خاصّة، فُيعْرَف استقامته من انكساره، ويُميَّز سالمه من مُزاحَفه[2]، ويُوزَن بها وزناً، فتبين بتقطيعه وأفَاعِيله أعَاريضُه وضُرُوبُه.

وكان الخليل بن أحمد أوّل من استخرج العروض، فاستنبط منها ومن علل النحو ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبق إلى مثله سابق[3]. وكان رجلاً

(١) هذا ما وصل العالم الألماني فك في كتابه العربية (تعريب النجار) حيث يقول: لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الاعرابي بسمة من أقدم السمات التي فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي. فأشعار عرب البادية ـ من قبل العهد الإسلامي ومن بعده ـ ترينا علامات الاعراب مطردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا حتى القرن الرابع الهجري على الأقل يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم يدل على أن التصرف الاعرابي كان بالغاً أشده لذلك العهد.

(٢) كما في ي و ع وحاشية م. م: متزحفه.

(٣) ذكر المؤلف أبو حاتم في كتابه أعلام النبوة (مخطوط بمكتبتنا المحمدية الهمدانية) ٢٥١ ـ ٢٥٣ أن النحو والعروض من الرسوم المحدثة التي تشاكل حكمة الحكيم، ومن الأصول المحدثة في هذه الأمة، لأن كل حكمة في العالم صغرت أم كبرت أصلها من الأنبياء صلوات الله عليهم، وهم ورّثوها الحكماء والعلماء من بعدهم، ثم صار ذلك تعليماً في الناس. وقال أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥) في كتابه المعروف بالصاحبي ١٠ فإن قال قائل: فقد توافرت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول أن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام، وقلا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان. وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفًا معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا، أو من قال منهم: «انه شعر». فقال الوليد بن المغيرة منكراً عليه: «لقد عرضت ما يقرؤه محمد علي أقراء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئاً من ذلك». ثم =

من الأزد من فراهيد[1] يقال له فَراهِيديّ. قال: وكان يونس يقول: «فِرْهَوْديّ» مثل فِرْدَوْسيّ. وسمعت بعض أهل العلم يذكر أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن علي أو من أصحاب علي بن الحسين عليهما السّلام، فوضع له أصولاً، وقسَّم الشعر ضروبًا، وسمَّاه بها. وجعل لتلك الأقسام دوّائر وأسطراً[2]. وبناه على الساكن والمتحرّك من أحرف الكلمة والخفيف والثقيل. فكل كلمة فيها حرف متحرّك وحرف ساكن سمَّاه «سَببًا». وكلّ كلمة فيها ثلاثة أحرف، حرفان متحرّكان وحرف ساكن، سمَّاه «وَتِدا». كل يكلمة فيه ثلاثة أحرف متحرّكة وحرف ساكن سمَّاه «فاصِلَة».

ثم سمَّى ضروب الشعر بأسماء وضعها لكل بحر، مثل الطّويل والمديد والبَسِيط والوَافِر والكامِل والرَّجَز والهَزَج والرَّمَل والسريع والمنسَرِح والخفيف والمضارِع والمَقْتَضَب والمُجتَثّ والمُحدَث[3] والمتقارب.

[**معنى العروض**] هذا إلى سائر ما رَسَمَ فيه، فاستتبَّ له فيه الأمر، وانقاد عليه القياس، فوَزَنَ به الشعر وزناً سَوِيّاً ثم سماه عَرُوضاً، يعني أنه رَاضَ القياس، فوزن به الصَّعْب[4] من الشعر، المُلْتَوى عن وجهه، حتى قَوَّمه. وقال قوم: معنى العروض أنّه استخرج ضروب الشعر وفنونه مما ذكرنا من الطويل والمديد والبسيط وغير ذلك، فاحتجَّ بما قالت الرواة إن الأعشى[5] كان أكثر الشعراء عَروضاً وأذهبهم في فنون الشعر. وقال بعضهم: يعنى أكثرهم قافية [٢٤] مستصعبة وأنشد:

لهنَّ عَروضٌ ما يُنالُ صُعُودُها وَمُعْتَرِضاتٌ ما لهنَّ ظُهورُ

= يسأل ابن فارس قائلاً: أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟

(١) راجع طبقات ابن سلام/ هل ٩ وشاكر ٢٠ وأنساب العرب ٣٥٨.

(٢) كما في ي و ع. م: وأشطرا.

(٣) لعل المراد بالمحدث هو المتدارك، لأن الخليل لم يفرده بضرب من الضروب. وذكر ابن رشيق (العمدة ٨٨) أن الخليل عد أجناس الأوزان فجعلها خمسة عشر جنساً على أنه لم يذكر المتدارك. ولم يذكر ي و ع المحدث.

(٤) ع: يعني أنه راض به الصعب.

(٥) هو الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل.

وأنشد أيضاً لبعض الباهلّيين[1]:

وَرَوَّحَة دُنْيا بين حَيَّين رُحْتُها أَسِيرُ عَسيراً أو عَرُوضاً أَرُوضُها ٢[2]

يقال: ناقةٌ عَسيرٌ وبعيرٌ عسيرٌ إذا اعتسرت من الإبل فرُكِبَتْ ولم تستحكم[3]، وناقةٌ عَروضٌ إذا قبلت بعض الرياضة ولم تُرَضْ. ويقال أيضاً: ناقةٌ عُرْضِيَّةٌ أي صَعْبةٌ[4]. قال ابن أحمر:

ومَنَحتُها قَولي على عُرْضِيَّةٍ عُلُطٍ أُداري ضِغْنَها بتَودُّدِ ٣[5]

فعرُوض وَعُرْضِيّة هي التي تعترض ولا تُمرُّ مَرّاً مستقيماً، وهي أصعب ما تكون إذا كانت كذلك. كأنّ الصَّعْب من الإبل سُمي عَرُوضاً لأنه صُلْب لا ينقاد[6]. والعَرُوض في غير هذا الحجاز. قال:

لَعَمْري لقد حَنَّتْ إليَّ ودُونَها لِسانُ العَرُوض تغْتَدى وَتروُحُ ٤

وكأنّ عروض الشعر سُمِّي بذلك لأنه الصَّعب الملتوي الذيّ يُقوَّم.

فأي لغات الأمم لها هذه الأسباب الفاضلة والفضائل الظاهرة التي قد خَصَّ الله بها هذه اللغة العربّية؟

فضيلة الشعر

[الشعر ديوان العرب] ثم إن للغة العرب ديواناً ليس لسائر لغات

---

(١) وهو عمرو بن أحمر الباهلي كما جاء في المؤتلف والمختلف ٣٧ و ل/عرض. وقال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٧٧ ـ ٧٨): هو عمرو بن فراص بن أعصر. ثم يروى عن أبي عمرو أن ابن أحمر كان في أفصح بقعة في الأرض أهلاً بين يذبل والقعاقع يعني مولده قبل أن ينزل الجزيرة. اهـ. مخضرم. أدرك أيام مروان وعبد الملك.

(٢) معناه أنه ينشد قصيدتين إحداهما قد ذللها والأخرى فيها اعتراض (ل/عرض). وقال الجوهري (صح/ سار). سارت الدابة وسارها صاحبها يتعدى ولا يتعدى. قال:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضي سنة من يسيرها

يقول أنت جعلتها سائرة في الناس. اهـ. ويروى: أخب ذلولا أو عروضاً أروضها.

(٣) سقط «ولم تستحكم» في ي و ع.

(٤) بعير فيه عرضية أي لا يواتيك. (أطلب باب الخليل).

(٥) ناقة علط بلا خطام. وفي ل/ عرض: وقال شمر في قول ابن أحمر يصف جارية. قال ابن الأعرابي: شبهها بناقة صعبة. ويقال: كلمتها وأنا على ناقة صعبة فيها اعتراض.

(٦) سقطت الجملة «كأن الصعب... لا ينقاد» في ي و ع.

الأمم، وهو الشعر الذي قد قُيِّدوا به[1] المعاني الغريبة والألفاظ الشاردة؛ فإذا أُحوجوا إلى معرفة معنى حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي[2] هو ديوان لهم، مُتفقٌ عليه، مَرْضيٌّ بحُكْمه، مجتمعٌ على صحة معانيه وإحكام أصوله، محتج به على ما اخْتُلِفَ فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة.

«والشِّعْر» هو الكلام الموزون على رَوِي واحد، المقَوَّم على حَذْو واحد. قد حُذِيَ البيتُ بالبيت حَذْوَ النَّعْل بالنعل والقُذَّة بالقُذة، حتّى لا يُخالف بعضه بعضاً في الوزن والروي: وإنما سموه شعراً، لأنه الفِطْنَة بالغوامض من الأسباب. وسموا «الشاعِر» شاعراً، لأنه كان يَفْطُنُ[3] لما لا يفطن [٢٥] له غيره من معاني الكلام وأوزانه وتأليف المعاني وإحكامه وتثقيفه[4]، فكان لا يَفُوتُه من هذه الأسباب كلها شيء. قال عَنْتَرَةُ:

هــل غَــادَرَ الــشُّــعَــرَاء مِــن مُــتَــرَدَّمِ ... أم هــل عَــرفْــتَ الــدارَ بــعــد تَــوَهُّــمِ[5]

يعني أن الشعراء لم يَدَعوا شيئاً إلا وفطَنُوا له. يقال: شَعَرْت بالشيء إذا فَطَنت له. قال الكِسَائي[6] في قول الله عزَّ وجلَّ «وَلكن لاَ تَشْعُرُون»[7]: شَعَرت بالشيء شِعْراً وشُعُوراً. وبعضهم يقول: مَشْعُورَةً. وقال أبو سَعيد[8]:

---

(١) ي: الذي قيدوا به. ع: الذي به قيدوا.

(٢) ع: في الذي.

(٣) فطن (من باب نصر وفرح وكرم) للأمر وبه وإليه فهمه وأدركه.

(٤) كما في ي. م: تثقيفها. ناقص في ع.

(٥) د عنترة/ العقد ٤٤.

(٦) هو أبو الحسن علي بن حمزة أصله أعجمي من القراء السبعة من أهل الكوفة. الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الاقرء بالكوفة بعد حمزة الزيات. أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات. ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل. وأخذ النحو عن الرؤاسي. كان يطوف أولاً البلاد، ثم استقر في بغداد، فضمه الرشيد إلى ولديه الأمين والمأمون. وكان شخَص مع الرشيد إلى الري في خرجته الأولى، فمات بالري سنة تسع وثمانين ومئة. قال أبو بكر الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب والقرآن (المعارف ٢٣٧ والفهرست ٤٤ و٩٧ والقراء رقم ٢٢١٢ ص ٥٣٥ ـ ٥٤٠).

(٧) البقرة ٢/ ١٥٤.

(٨) أغلب الظن أنه أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي واللغوي. أخذ عن أبي حاتم السجستاني والعباس بن الفرح الرياشي. وكان راوية =

هو شِعْرَةٌ، فحذفوا الهاء. قال: وهو مثل الدِّرْيَة[1] والفِطْنَة، وهو على وزن فِعْلَة. قال: وقيل له شاعر لأنه يشعر بالشيء ويَفْطُن له. قال: ومنه قولهم: لَيتَ شِعْرِي، أي ليتني أشعر به.

وسمّوا الكلمات المنظومة المؤلّف بعضها إلى بعض[2] منظوماً موزوناً «قافية» وجمعها قَوَافٍ. قال النّابغة[3]:

قَــوَافِــيَ كــالــسّــلام إذا اسْــتَــمَــرَّتْ   فــلــيس يَــرُدُّ مَــذهــبــهــا الــتَّــظَــنّــي ٦ [4]

يعنون بالقوافي أنه الكلام الذي يقفو بعضه بعضاً على مثال واحد.

ثم سمَّوا اجتماع القوافي «قصيدة». قال جَرير[5]:

فــي لــيــلــتــيــن إذا حَــدَوْتُ قــصــيــدةً   بَــلَــغَــتْ عُــمَــانَ وطَــيِّءَ الأجــبــالِ ٧ [6]

يعني بالقصيدة أنها الكلمة التي مُلِئَتْ بالمعاني، وكثرت فيها الألفاظ المستحسنة. يقال: ناقة قصيدة، أي ممتلئة كثيرة اللحم سمينة، فكأنهم شبّهوا القصيدة بذلك. قال الشاعر:

= البصريين وعمل أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل. فمن عمل شعره من الشعراء امرؤ القيس والنابغتان والأعشى وزهير وقيس بن الخطيم وأشعار هذيل والأخطل وأبو نواس وتكلم على غريبه ومعانيه. توفي سنة ٢٧٥ في خلافة المكتفي. وذكره صاحب الزينة في باب الشرك باسمه وكنيته. ويرى الميمني أن المراد به هو الأصمعي. (راجع الفهرست ١١٧ والنزهة ٢٧٥ ـ ٢٧٥).

(١) درى الشيء دريًا ودرية ودريانًا ودراية بكسر الدال علمه (ل/ درى).

(٢) الأصول كلها: المؤلفة بعضها بعضاً. والصواب هو المؤلف لأنه نعت سببي يجب أن يتبع ما بعده من التذكير والتأنيث.

(٣) النابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة ويقال أبا ثمامة.

(٤) د النابغة/ العقد ٣٠. يمدح بني أسد بقصيدة تعد من عيون الشعر العربي وفيها يقول مخاطبًا عيينة:

ألــكــنــي يــا عــيــيــن إلــيــك قــولاً   ســأهــديــه إلــيــك إلــيــك، عــنــي
قــوافــي كــالــسّــلام. . . .   . الــبــيــت

السلام جمع سلمة على وزن كلمة وهي الحجر. والتظني أعمال الظن وأصله التظنن. والمعنى أن هذه القوافي كالحجارة في قوتها متماسكة، ومهما استمرت أي كثر عدد القوافي فإنها لا تضعف ولا يؤثر في تماسكها وجزالتها ما قد يوجه من الظنون. ي و ع: يرد فدفدفها التظني.

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة من بني كليب بن يربوع.

(٦) د جرير/ الصاوي ٤٦٦.

قـطـعـت وصـاحـبـي سُـرُحٌ كِـنَـاز   كُـركـن الـرَّعْـن ذِعْـلِـبَـةٌ قـصـيـدُ ٨ [(١)].

فأي لغات الأمم لها كلغة العرب هذه الأسباب اللطيفة والمناقب الشريفة التي خُصّت بها لغة العرب؟ وأي الأمم جعلت للغتها هذه الحَوْزَةَ، واتخذت لها هذه الدواوين، واحتاطت لها هذا الاحتياط، وأعطيت هذه الفضيلة؟ وفي أي الأمم أنشأ الله شعراء يُدوِّن كلامهم ويعلو ذكرهم ويخلد على الدهر، كما أنشأ للغة العرب من الشعراء الذين علا ذكرهم وشُهِروا، ورُوي كلامهم، وصار [٢٦] رياضة للمرتاضين، وأدبًا للمتأدبين، واتُّخذت عليه الدواوين، ورغب فيه الملوك من الناس واستحسنه الأمم كافّة؟

[الشعر القديم برواية ابن سلام] قال محمد بْن سلام[(٢)]: كان عند آل المنذر ديوان فيه شعر الشعراء الفحول وما مُدح به هو وآل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان، أو ما صار منه.

قال: ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته[(٣)]، وإنما قُصِّدَت القصائد، وطُوِّلَ الشعر على عهد عبد المطلب أو على عهد هاشم[(٤)] بن عبد مناف. وهذا دليل على إسقاط ما رُوِيَ من الشعر القديم لعاد وثَمودَ وتُبَّع وحِمْيَر.

قال: ومن الشعر القديم الصحيح قول العَنْبَر بن عمرو[(٥)]، وكان مجاوراً في بهْرَاءَ[(٦)]، وَرَابه رَيْبٌ، فقال:

---

(١) م وع: سرج كلف. والصواب ما جاء في ي ول قصد. سرح كناز. ناقة سرح ومنسرحة في سيرها أي سريعة. وكناز أي مكتنزة صلبة اللحم. الرعن أي الأنف العظيم المتقدم من الجبل. ابن جني: سمى قصيداً لأنه قصد واعتمد. وقيل: سمى قصيداً لأن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار. وأصله من القصيد أي المخ السمين الذي يتقصد أي يتكسر لسمنه. والعرب تستعير السمن في الكلام الفصيح. وقيل سمى الشعر التام قصيداً لأن قائله جعله من باله، فقصد له قصداً، وروى فيه خاطره، واجتهد في تجويده.

(٢) طبقات ابن سلام/ هل ١١ ـ ١٣ وشاكر ٢٣ ـ ٣٣.

(٣) طبقات ابن سلام: في حادثة.

(٤) نفس المرجع: على عهد عبد المطلب وهاشم. وقد احتج محمود شاكر (طبقات ٢٤ هامش ١) على رأي ابن سلام هذا؛ فقال: الشعر أقدم مما يزعم، وطويله أعتق مما يتوهم.

(٥) نفس المرجع: العنبر بن عمرو بن تميم.

(٦) بهراء قبيلة وقد يقصر والنسبة بهراني أو بهراوي. وبهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. =

قـد رابَـنـي مـن دَلْـويَ اضـطـرابُـهَـا وَالـنَّـأيُ فـي بَـهْـرَاءَ وَاغْـتـرابُـهَـا ٩
إلا تـجـيءَ مَـلأَى يـجـيءُ قِـرابُـهَـا[١]

وقول سَعْدُ بن زيد مناة، وكان يُزاول سَقْى إبله وهو مُشْتَمِل، فمنعته امرأته[٢]، فقال سعد:

يَـظَـلُّ يَـومَ وِردهـا مُـزعْـفـرَا وهي خَناطيُل تجوسُ الُخضرَا ١٠ [٣]

فقالت امرأته وهي النَّوار بنت جُلّ بن عديّ بن عبد مناة لأخيه مالك: ألا تسمع ما يقول أخوك؟ قال: بلى. قالت: أجبه. قال: ما أقول؟ قالت: قل:

أوْرَدَهـا سَـعْـدٌ وسَـعْـدٌ مُـشْـتِـمـل ما هـكـذا تـورَدُ يـا سَـعْـدُ الإبـلْ ١١ [٤]

ومما يُروَى من قديم الشعر لدُوَيْد بن زيد[٥] قال حين حضرته الوفاة:

= ومنهم المقداد بن الأسود الصحابي الجليل. (راجع الأنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ١٢٢).

(١) يجيء قرابها أي قاربت الدلو أن تمتلىء. سبب هذا القول أن العنبر بن عمرو بن تميم أو ابن (بهراء) انتقل مع أمه أم خارجة صغيراً. لما تزوجها عمرو بن تميم، فولدت له ثلاثة أولاد، فخرجوا جميعاً يستقون، فأنزلوا ماتحاً من تميم، فكان يملأ الدلاء للثلاثة، ويترك دلو العنبر تضطرب. (راجع تهذيب الكامل ٢/١١١).

(٢) ليست النوار امرأة سعد كما تفيد العبارة؛ بل كانت امرأة أخيه مالك. فنورد ما جاء من هذه القصة في طبقات ابن سلام: كان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم، وكان سعد أسودهما. وكان مالك ترعية يعزب في الإبل. فتزوج مالك النوار بنت جل بن عدي بن عبد مناة بن أد وهم عدي وتيم... وكانت امرأة زولة جزلة. فلما اهتداها مالك خرج سعد بالإبل فعزب فيها. ثم أوردها لظمئها ومالك في صفرة، فأراد القيام، فمنعته امرأته من القيام، فجعل سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق فقال: يظل يوم وردها البيت. فقالت النوار لمالك: ألا تسمع ما يقول أخوك؟ قال: بلى. قالت: فأجبه. فقال: ما أقول؟ قالت: قل: أوردها سعد البيت.

(٣) إبل خناطيل متفرقة. وجاس الشيء يجوسه جوساً طلبه بالاستقصاء. والخضر جمع خضرة وهي البقل والقثاء والمباطخ. وقد أشار شاكر إلى عادتهم في جاهليتهم أن يتزعفر الرجل عند العرس، فيتهكم سعد بأخيه مالك الذي آثر عروسه على إبله، فقضى يومه في زعفرانه.

(٤) في رواية ق/ شرع ول/ شرع: يا سعد لا تروى بهذاك الإبل.

(٥) طبقات ابن سلام: لدويد بن زيد بن نهد حين حضره الموت. وذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين/غولدتصير ١٩ والآمدي في المؤتلف والمختلف ١١٤.

اليومَ يُبنى لِدُوَيْدٍ بَيتُهُ   لو كان للدهر بلى أبليتُهُ
أو كان قِرْني واحداً كفيتُهُ   يا رُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيتُهُ
ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ ١٢ [(١)]

وله أيضاً:

ألْقَى عليَّ الدهرُ رِجْلا ويَدَا   والدهرُ ما أصْلَح يوماً أفْسَدَا
يُصْلِحُهُ اليوم ويُفسِدُهُ غدا ١٣ [(٢)]

ولأَعْصُرَ بن سَعْد[(٣)] وهو أبو باهِلَةَ وغَنيٍّ والطُّفاوَةَ[(٤)]:

قالت عُمَيْرةُ: ما لرأسك، بعدما   نَفِدَ الزمانُ، أتى بلَوْنٍ مُنْكَرِ
أَعُمَيْرَ إنّ أباكِ غَيَّرَ رَأسَه   مَرُّ الليالي واختلافُ الأعْصُرِ ١٤[(٥)]

قال: وسُمّي أعْصُرَ [٢٧] بذلك.

وَلِلْمُسْتَوْغِر[(٦)] بن رَبيعة بن كَعْب بن زَيْد مَنَاة قال وقد كان عُمِّرَ:

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطولها   وعَمِرتُ[(٧)] من عدد السنين مئينا
مائةٌ أتت مائتان لي من قبلها[(٨)]   وازددتُ من عدد الشهور سنينا[(٩)]

---

(١) وبعده: ومعصم مخضب ثنيته. والغيل بالفتح الساعد الريان الممتلىء.

(٢) كما في ي و ع وطبقات ابن سلام والمؤتلف والمختلف ١١٤. م والمعمرين ١٩: يفسد ما أصلحه اليوم غداً.

(٣) كما في ي وع وطبقات ابن سلام. م: الأعصر بن معبل.

(٤) الطفاوة قبيلة من بني أعصر وهي بقية من ثمود. وغنى بن يعصر بن سعد بن قيس إليه ينسب كل غنوى رهط أبي مرثد الغنوي. وقيل يعصر أعصر. وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس. (راجع الأنباه على قبائل الرواة ٨٤).

(٥) طبقات ابن سلام: شيب رأسه كر الليالي واختلاف الأعصر.

(٦) يقال اسمه عمرو، وقيل عمر، وأدرك الإسلام. وسمى المستوغر ببيت له في فرس:
ينش الماء في الربلات منها   نشيش الرضف في اللبن الوغير
وقال أبو عمرو: عاش المستوغر ثلاث مئة سنة وعشرين سنة. (راجع المعمرين ٧ والشعر والشعراء ٢٢٧ ومعجم الشعراء ٢١٣).

(٧) كما في م وي وع والمعمرين ٧. طبقات ابن سلام: وازددت. الشعر والشعراء ٢٢٧: عمرت.

(٨) طبقات ابن سلام: مئة أتت من بعدها مئتان لي. الشعر والشعراء ٢٢٧ والمعمرين ٧: مئة حدتها بعدها مئتان لي.

(٩) الشعر والشعراء ٢٢٧: من بعد الشهور. المعمرين ٧: من عدد الشهور.

هـل مـا بَـقـى إلا كـمـا قـد فـاتَـنَـا … يـوم يُـمـرُّ[1] ولَـيـلـة تُـحـدونـا ١٥

ولزُهَير بن جنَاب الكلْبي[2] وقد كان عُمِّر وكان شريفًا[3] شريف المولد:

أَبَــنِــيَّ أن أهــلِــك … فـقـد أوْرَثْـتُـكـم مَـجـداً بـنِـيَّـه[4]

وجَـعَـلْـتُـكُـم أوْلادَ سـا … داتٍ زِنَـادُكـمُ وَرِيَّـهْ[5]

مِـن كـلِّ مـا نـالَ الـفَـتـى … قـد نِـلْـتُـهُ إلا الـتحـيَّـةْ[6]

والـمـوْتُ خـيـرٌ لـلـفَـتـى … فـلْـيـهـلِـكَـنْ وبـه بـقِـيَّـهْ

مِـنْ أن يُـرَى الـشَّـيْـخَ الـبَـجَـا … لَ وقـد يُـهَـادَى بـالـعَـشِـيَّـهْ[7] ١٦

ولجذيمة الأبرش:

رُبَّـمـا أوفَـيـت فـي عَـلَـم … يَـرْفَـعَـنْ ثـوبـي شَـمَـالاتُ

فـي فُـتُـوٍّ أَنَـا رابِـئُـهُـم … مِـن كَـلالِ غَـزْوَةٍ مَـاتُـوا[8]

لـيـت شـعـري مـا أبـاتَـهُـمُ[9] … نـحـن أدْلَـجْـنـا وَهُـمْ بَـاتُـوا ١٧

---

(١) قال أبو حاتم (المعمرين ٨): بقي (بفتح القاف) يريد بقى (بالكسر) وهي لغة. طبقات ابن سلام: يكر. المعمرين ٩ والشعر والشعراء ٢٢٧: يمر.

(٢) ذكره أبو حاتم السجستاني (المعمرين ٢٤ ـ ٢٩) من المعدودين في المعمرين من قضاعة قال: كان سيداً مطاعاً شريفًا في قومه.

(٣) طبقات ابن سلام: وكان قديماً.

(٤) نفس المرجع ول/ حيا:

أبـنـي أن أهـلـك فـإنـي … قـد بـنـيـت لـكـم بـنـيـه

(٥) طبقات ابن سلام: أبناء سادات. المعمرين ٢٦ ول/ حيا: وتركتكم أولاد سادات.

(٦) طبقات ابن سلام: من كل ما نال. والمعمرين ٢٦: كل الذي نال. ول/ حيا: ولكل ما نال. قال الجوهري (صح/ حيا): التحية الملك، واستشهد ببيت زهير: ولكل ما نال... التحية. أطلب باب الحي القيوم.

(٧) والبجال كسحاب أي المبجل وهو الشيخ الكبير السيد العظيم مع جمال ونبل (ل/ بجل).

(٨) صح/ فتى: فتو جمع فتى. ورابئهم اسم فاعل من ربأت القوم أي رقبتهم. وأراد بالموت مقاساة الأهوال. ورواية الأغاني ١٤/ ٧٣:

فـي شـبـاب أنـا رابـئـهـم … هـم لـدى الـعـورات صـمـات

وفي رواية أخرى:

فـي فـتـو أنـا كـالـئـهـم … فـي بـلايـا عـورة بـاتـوا

(٩) ع وطبقات ابن سلام: ما أماتهم. الأغاني ١٤/ ٧٣: ما أطافهم.

وللُجيْم بن صَعْب أبي حَنيفَة وعِجْل[١]:

إذا قالت حَذَامِ فصَدِّقوها ... فإن القول ما قالت حذامِ ١٨ [٢]

ولمعدي كَرِب الحِمْيريّ من آل ذي رُعَيْنٍ وكان قد عُمِّر:

أراني كلَّما أفنيتُ يوما[٣] ... أتاني بعده يومٌ جديدُ

يَعُود شبابُه في كل فجر[٤] ... ويأبى لي شَبَابي ما يَعُودُ ١٩

فهذا هو الشعر القديم على ما رواه ابن سلام[٥].

[مهلهل وامرؤ القيس] وإنما أُنشِيء[٦] الشعر أيّام هاشم وأيام عبد المطلب فقَصَّدوا القصائد وطَوَّلوها. قال: وأوّل من قصَّدَ القصائد وذكر الوقائع مُهلهِل بن رَبيعَة التَّغْلَبي في قتل أخيه كُلَيب قتلته بنو شَيْبان. واسم مهلهل عدي[٧]. قال أبو عُبَيدَة[٨]: اسمه عديّ. وسُمّي مهلهلا لهَلْهَلَة شعره

---

(١) م وع وي: للحيم بن صعب أبي حنيفة وعجل. وهو تصحيف. ذكره ابن منظور (ل/ حذم) بالجيم.

(٢) ل/ حذم وشواهد العيني لهامش خزانة الأدب ١/ ٣٧٠. وحذام اسم امرأة لجيم ابن صعب، معدولة عن حاذمة.

(٣) ي: أتاني بعد ما عمرت يوماً.

(٤) ي: يعود بياضه في كل فجر،

(٥) الأبيات المنسوبة للجيم ولمعدى كرب الحميري لا توجد في النسخ المطبوعة من طبقات ابن سلام، ولم يرد ذكرها في المعمرين.

(٦) في الأصول: انشاء.

(٧) كما في ي. م وع: واسم مهلهل ربيعة. (راجع الأغاني ٤/١٤٧ والمزهر ٢/ ٤٣٤ والخزانة/ الخطيب ٢/ ١٤٢).

(٨) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. أمام في الغريب والعربية مشهور. مولى تيم تيم قريش رهط أبي بكر. أخذ عن يونس وأبي عمر النحو والشعر والغريب. وقال ابن قتيبة كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها. وكان يبغض العرب، وبالرغم من شعوبيته فسر القرآن في كتابه مجاز القرآن «وعمدته الأولى الفقه بالعربية»، وكان يرى أن «من زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول». (أطلب مقدمة سزكين ١٧). قال ثعلب: كان يرى رأي الخوارج الإباضية. توفي سنة تسع ومئتين وقيل عشر. ومن أهم مصادر كتاب الزينة كتابه مجاز القرآن، وقد نقل صاحب الزينة كثيراً من تفاسير أبي عبيدة ومجازاته. (راجع المعارف ٢٦٩ والفهرست ٧٩ ـ ٨٠ والتهذيب ١٠/٢٤٦ ـ ٢٤٨ رقم ٤٤٢ والبغية ٣٩٥ ومقدمة محمد فؤد سزكين لكتاب المجاز ١/ ٩ وما بعدها).

كهلهلة الثوب. ويقال: لاختلافه واضطرابه[١]. من ذلك قول النابغة:

أتـاك بـقَـوْلٍ هَـلْـهَـلِ الـنَّـسْـج كـاذِبٍ   ولم يأت بالحقّ الذي هو ساطِعُ ٢٠[٢]

قال ابن الكلبي[٣]: [٢٨] سمي مهلهلاً لقوله:

لـمـا تَـوغَّـلَ فـي الـكُـرَاع هَـجِـيـنـهـم   هَـلْـهَـلْـتُ أَثْـأرُ جـابـراً أو صِـنْـبِـلاَ ٢١[٤]

قال: وزعمت العرب أن مهلهلاً كان يتكثّر ويدّعي في قوله أكثر من فعله. وكان أول من فعل ذلك.

ثم كان امرؤ القيس بن حجر وهو أول من ابْتَدَعَ في الشعر أشياء سَبق الناس إليها، منها استيقاف صحبه في الديار والتبكي فيها ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشَبَّه النساء بالظباء والبيض والدُّمى، وشبَّه الخيل بالعقبان والعصيّ، وقَيدَ الأوابد؛ فاتبعه الشعراء على ذلك، واستحسنوا ذلك منه. وفي الحديث أن العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطّاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر فافْتَقَرَ عِنِ معاني عورٍ أَصَحَّ بَصَرٍ[٥].

---

(١) طبقات ابن سلام: وهو اختلافه واضطرابه.

(٢) رواية د النابغة/ العقد ١٩ ول/ هلل: هو ناصع. والجوهري (صح/ هلل): هو ساطع.

(٣) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي من أهل الكوفة. كان أعلم الناس بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها. أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة. توفي بالكوفة سنة أربع أو ست ومئتين في خلافة المأمون. ومن كتبه كتاب الأصنام وكتاب نسب الخيل في يالجاهلية والإسلام وكتاب لغات القرآن وغيرها. ذكر ابن النديم عدداً كبيراً من مؤلفاته في الفهرست. (راجع المعارف ٢٦٦ والفهرست ١٤٠ والنزهة ١١٦).

(٤) ع: ضئبلاً. هذا البيت أنشده الجوهري (صح/هلل): لما توغل في الكراع... أثأر مالكاً أو ضئبلاً. ابن منظور (ل/هلل): قال ابن بري: والذي في شعره لما توعر كما أوردناه عن غيره. وقوله لما توعر أي أخذ في مكان وعر. وتوغل في الأرض إذ سار فيها وأبعد. والكراع اسم يجمع الخيل والسلاح. وكراع الأرض ناحيتها وأكارع الأرض أطرافها القاصية. الأصمعي: الكراع العنق من الحرة تمتد. والكراع كل أنف تقدم من جبل أو حرة. هلهلت هنا بمعنى قاربت وكدت. وفي ق/سنبل: صنبل كخنذف علم رجل من تغلب. ويعنى بالهجين امرأ القيس بن حمام. وجابر وصنبل رجلان من بني تغلب.

(٥) الأوابد جمع آبد، وهي الوحوش النافرة. وامرؤ القيس أول من قيد الأوابد في قوله:

وقـد اغـتـدى والـطـيـر فـي وكـنـاتـهـا   بـمـنـجـرد قـيـد الأوابـد هـيـكـل

(٦) م: أصح بصراً. ي: أصح بصره. والصواب ما جاء في ع وفي باب الخسف والفائق/ خسف والنهاية/ افتقر: أصح بصر. وفي الأصول، معاني عوز، وفي لغة اثبات ياء =

[مزايا الشعر العربي قبل مبعث النبى] ونقول: لما أراد الله صيانة هذه اللغة وتفضيلها وادِّخارها إلى الوقت الذي أنزل بها كتابه وبعث بها رسوله محمداً صلّى الله عليه أنشألها من كل قبيلة شعراء قبل مبعثه صلى الله عليه؛ فتكلّموا بالشعر الرصين، المحكم بالمعاني، الموزون بالعروض، المقوَّم بالأنحاء من غير أن يعرفوا[1] عروضاً أو نحواً، بل أيَّدهم الله بقيله وألْهَمَهم وزنه وترتيله، حتى أبرزوه بألفاظ حسنة، ومعان متقنة، وقواف موزونة، ومصاريع مستوية، فرَوَاه أهل اللبّ والأدب منهم، وقَبِله أهل الشرف والحسب عنهم. وجعلوا رَوِيَّه في ذكر الأحساب والمآثر، ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس، وفي ذكر المثالب والسباب وهجاء أهل الضغائن والأحقاد، وفي ذكر الوقائع والحروب. ونشر كل شاعر محاسن أيام قبيلته ومفاخرها، ومساوى أهل الشنآن والبغضاء لهم. واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب[2]، وبسطوه [٢٩] بصفات الديار والقِفار والنُّجع والأمطار ونَعْت الخيل والإبل والوحش وغير ذلك مما يطول الشرح به، ويكثر الكلام بذكر عِلَلِه؛ فتقيدت به الألفاظ الغريبة والمعاني اللطيفة[3].

وحَفِظ الرواة عنهم كثيراً من ذلك الشعر ودوَّنوه، ورواه السلف للخلف، وعرفوا اختلاف لغات القبائل، واصطلح أهل المعرفة على صحة أصول اللغة فيه؛ فرغب في تعلُّمه أهل الهمم، وصار ديواناً لهم في الجاهلية، عليه يعتمدون، وبه يحكمون، وبحُكمه يرتضون، حتى صار

= المنقوص المنكر، وقراءة: وماله من دونه من والى. الخسيف البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة. قال الزمخشري (فائق/ خسف): خسف لهم عين الشعر أي أنبطها وأغزرها. يريد انه أول من فتق صناعة الشعر، وفنن معانيها، فاحتذى الشعراء على مثاله. وافتقر افتعل من الفقير وهو فم القناة، بمعنى شق وفتح، جعل للشعر بصراً صحيحاً. وكذلك وصفه المعاني بالعور في الحقيقة لمتأملها يعني أنها لغموضها وخفائها عليه كأنه أعمى عنها. والمراد أن امرأ القيس قد أوضح معاني الشعر، وكشف عنها الحجب، وجانب التعويص والتعقيد. ومحل عن وما دخل عليه النصب على الحال، كأنه قال: فتح للشعر أصح بصر مجاوزاً للمعاني العور متخطياً لها. وابن الأثير: معنى افتقر عن معاني عور أصح بصر فتح عن معان غامضة.

(١) ع: عرفوا.

(٢) ى: بذكر التشبيب.

(٣) كما في ع. والمعاني اللطيفة ناقص في م وي.

الشعراء فيهم بمنزلة الحكام؛ يقولون فَيُرْضَى قولهم، ويحكمون فيمضي حكمهم. وصار ذلك فيهم سُنَّةً يُقْتَدَى بِها، وأثَارَةً يُحْتَذَى عليها.

[الحكومة بين علقمة وعامر بن الطفيل][1] فقد كان تَنَافَرَ عَلْقَمَةُ بن عُلاثَة وعَامِرُ بن الطُّفَيل العامِريان[2]، وتحاكما إلى هَرِم بن قُطْبة الفَزَاري، فاحْتَجزَ عن الحكومة بينهما، وتوقى القول فيهما. وقد سَاقَ كل واحد منهما معه إبلا لينحرها عند الحكومة؛ ومع عامر أعشى قيس ولبيد بن ربيعة العامري، ومع علقمة الحطَيْئة[3]. وقد حضروا ليقول كل امرىءٍ في صاحبه عند النُّفُورَة، ويذكر فضله ليخلد على الدهر. فلما امتنع هَرِم عن الحكومة انْتُدِبَ الأعشى - كان أدهى من الحطيئة وأشدّ تَحنُّكا[4] منه - فقال قصيدة نَفَّرَ فيها عامراً على علقمة، وقال فيها:

عَـلْـقَـمَ، لا، لَـسْـتَ إلـى عـامـر[5] ... الـنَّـاقِـم الأتـاور والـواتِـر[6]

سُـدْتَ بـنـي الأَحْـوص لـم تَـعْـدُهـم ... وعـامِـرٌ سَـادَ بـنـي عـامِـر ٢٢ [7]

وقال فيها:

حَـكَّـمْـتُـمـوه فـقَـضَـى بَـيـنـكُـمُ[8] ... أَبْـلَـج مِـثْـلُ الـقَـمـر الـزَّاهِـر[9]

لا يـأخـذ الـرِّشْـوَةَ فـي حُـكْـمِـهِ ... ولا يُـبَـالِـي غَـبَـنَ الـخـاسِـر ٢٣

---

(١) أطلب القصة وأسباب منافرة عامر وعلقمة في الصبح المنير ١٦٥ - ١٧٣ والأغاني ١٥/ ٥٠ - ٥٥. وانظر باب الحكمة فيما يأتي.

(٢) وهم علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة.

(٣) طبقات ابن سلام/ شاكر ٩٤.

(٤) يبدأ مصور المخطوطة «س» من «أشد تحنكاً» ورقة ٨ ب وقد وقع التقديم والتأخير عند تصوير المخطوطة. وفي حاشية س: قد حنكته السن وأحنكته إذا أحكمته التجارب والأمور.

(٥) الظاهر أن لا ناهية. والتقدير لا تفخر. رواية الأغاني ١٥/ ٥٠: علقم ما أنت إلى عامر.

(٦) ع والصبح المنير ١٠٥ والأغاني ١٥/ ٥٠: الناقض.

(٧) في رواية الأغاني ١٥/ ٥٠: أن تسد الحوص فلم تعدهم... البيت. والحوص والأحاوص بنو الأحوص بن جعفر بن كلاب.

(٨) الصبح المنير ١٠٥: حكمتموني.

(٩) حاشية س والصبح المنير ١٠٥ وباب القمر: القمر الباهر.

فقام أصحاب عامر إلى الإبل فنحروها، وقالوا: نُفِّر عامر. وطارت لعامر على علقمة بقول الأعشى من غير أن حكم[1] بينهما [٣٠] هَرِم.

وقال الحطيئة بعد ذلك في علقمة:

فما ينظر الحكّامُ بالفَضْل بعدما ... بَدَا واضِحٌ ذو غُرَّةٍ وحُجُول ٢٤ [2]

وقال فيه أيضاً:

يا عَامِ قد كُنْتَ ذا باعٍ ومَكْرُمَة ... لو أن مَسْعَاةَ من جَارَيْتَه أَمَمُ

جَارَيْتَ قَرْماً أجَادَ الأَحْوصَانِ به ... ضَخْمَ الدَّسِيعَة في عِرْنِينِه شَمَمُ ٢٥ [3]

فلم يُغْنِ ذلك عنه شيئاً لما سبقه إليه الأعشى.

[بنو أنف الناقة] وربما يُلقِّبون قوماً بلَقَب فيغضبون منه، فيُحَسِّنه الشاعر بشعره، فيستحسنونه بعد ذلك ويرضون به. وقد كان بنو جعفر بن قريع[4] بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يقال لهم «بنو أنف الناقة». وكان سبب ذلك أن قريعاً أباه نَحر جَزُوراً فقسمه في نسائه؛ فقالت أم جعفر بن قريع وهي الشَّمُوس من بني وائل بن سعد[5] لابنها جعفر: انطلق إلى أبيك فانظر هل بقى عنده شيء؟ فأتاه فلم يجد عنده إلا رأس الجزور. فأخذ بأنفه وكان صبياً صغيراً[6]، فجعل يجرّه. فقيل له: ما هذا؟ قال: أنف الناقة. فلُقِّب بذلك وكانوا يغضبون إذا قيل لهم «بنو أنف الناقة».

---

(١) كما في ي وس وع. م: أن يحكم.

(٢) كما في ي وس وع ود الحطيئة ٤٦ برواية السكري. بالفضل. م: بالقول. ورد البيت في الصبح المنير ١٧١ والأغاني ١٥/٥٣ كذا:

فما يحبس الحكام بالفصل بعدما ... بدا سابق ذو غرة وحجول

(٣) القرم السيد المعظم. رواية ابن سلام (طبقات/ شاكر ٩٤): جاريت فرعا. والمراد بالأحوصين بن جعفر بن كلاب وابنه عوف كما ذكره الشارح.

(٤) ي وس وع: بنو حنظلة بن قريع. والصواب ما أثبتناه من م وحاشية ي: بنو جعفر بن قريع. وأولئك هم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. (راجع أنساب العرب ٢٠٩ و٢١١).

(٥) ح: بني وائل بن هذيم. قال أبو سعيد السكري (د الحطيئة ٣): الشموس من بني وائل ثم من بني سعد هذيم.

(٦) ي وس وع: وكان سبب ذلك أن أباهم نحر جزوراً (ع: وكان له عدة من ولد) وقسم اللحم فجاء حنظلة وقد وزع اللحم وبقى الرأس وكان صبياً صغيراً.

فلما مدحهم الحطيئة بقوله(١):

قَـوْمٌ هُـمُ الأَنْـفُ والأَذْنَـابُ غَـيْـرُهُـمُ ومَنْ يُسَوِّي بأنف الناقة الذَّنَبَا ٢٦ (٢)

رضوا بذلك، وصار مدحاً بعد أن كان هجاء.

وإنما ذكرنا ذلك تنبيهاً على عِظَم شأن الشعر والشعراء في الجاهلية، وإحكام أمر لغة العرب ـ والكلام ذو شجون ـ والقول يعرض في خلال القول، حتى يحتاج إلى ذكر كلام في فنّ من الأدب لا يكون ذلك موضعه.

وقد رُوى عن بعض العلماء ـ وأراه الخليل ـ أنه قال: نظرت في فن الأدب، فإذا فيه ما لا يُحتاج إليه وهو أيضاً يُحتاج إليه(٣). فإذا الذي لا يحتاج إليه هو أيضاً مما يُحتاج إليه.

[منزلة الشعر عند العرب] ورُوِي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كانت الشعرء(٤) عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم، حتى خالطهم أهل الحضر، فاكتسبوا بالشعر، [٣١] فنزلوا عن رتبتهم. ثم جاء الإسلام ونزل القرآن بتهجين الشعر وتكذيبه، فنزلوا رتبة أخرى. ثم استعملوا الملق والتضرع، فقَلّوا واستهان بهم الناس.

وروى(٥) حمّاد بن زيد(٦) ....

---

(١) ي وس: فلا مدح الحطيئة علقمة بن علاثة قال. حاشية س وع: فلما مدح الحطيئة بغيضاً قال.

(٢) د الحطيئة ٦.

(٣) كما في م وع. ي وس: فإذا فيه ما يحتاج إليه، فوجدت الذي يحتاج إليه لا يتم إلا بما لا يحتاج إليه. وفي العبارة اضطراب، ولعل الأصل: نظرت في فن الأدب فإذا فيه ما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه، فوجدت الذي يحتاج إليه لا يتم إلا بما لا يحتاج إليه.

(٤) كما في ي وس وع. م: وروى أنه كانت الشعراء.

(٥) طبقات ابن سلام/ هل ١٠ وشاكر ٢٢.

(٦) حماد بن زيد بن درهم الأزدي. لم يرد اسمه في طبقات ابن سلام. ذكره ابن قتيبة في المعارف من أصحاب الحديث. مولى آل جرير بن حازم وكان عثمانياً. روى عن عاصم الأحول وابن سيرين وأنس وسلمة بن دينار وغيرهم من التابعين فمن بعدهم. وعنه ابن المبارك وابن وهب وخلق كبير. وقال ابن حبان في الثقات. وكان ضريراً. وقال أبو حاتم: قال ابن مهدي: ما رأيت بالبصرة أفقه من حماد بن زيد. توفي سنة تسع وسبعين ومئة. (راجع المعارف ٢٥٢ والتهذيب ٣/ ١٠).

عن ابن عون(١) عن ابن سيرين(٢) قال: قال عمر بن الخطّاب: كان الشعر عِلْم قوم لم يكن لهم عِلْم أعلم منه(٣). فجاء الله بالإسلام فلَما كانت الفتوح، واطمأنت بالعرب الأمصار، وراجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مُدَوَّن ولا كتاب مكتوب، وألْفَوْا ذلك وقد هلك من هلك من العرب بالموت والقتل؛ فحفظوا بعضاً، وذهب عنهم كثير منه.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاّ أقلُّه. ولو جاءكم وافراً لجاءكم شعرٌ وعلْم كثير.

فكان سبيل الشعراء في الجاهلية على ما قال أبو عمرو. كانوا بمنزلة الأنبياء فيهم، لأنّ العرب لم يكن في أيديهم كتاب يرجعون إليه، ولا حكم يأخذون به. وكان الشعر عندهم علماً لا علم فوقه على نحو ما ذكر عمر بن الخطّاب؛ فالتجأوا إليه لما وجدوا فيه من الحكمة، ولما رأوا أن الشعر قد عمل في قلوب الملوك والأشراف الاهتزاز للعطايا السنية بهَزِّ الشاعر إيّاهم ومَدْحه لهم، ولما فعل في أنفس أهل البأس والنجدة في الحرب وفي طلب الأوتار بتحريض الشاعر، وفي قلوب أهل الكرم من الوفاء بالجوار وإجارة الملهوفين، وفي قلوب أهل النخوة والأنفة من الخضوع والانقياد وغير ذلك، فإن للشعر في هذه الأسباب آثاراً بينة وفعلاً

---

(١) كما س وع. م وح وي: ابن عوف. وهو تحريف. وهو عبد الله بن عون بن أرطبان مولى لابن برزة المزني، ويكنى عبد الله أبا عون. ونكح عبد الله عربية، فضربه بلال بن أبي بردة بالسياط. قال ابن قتيبة (المعارف ٢٤٥): قال حماد بن زيد: ولد ابن عون قبل الجارف بثلاث سنين، ومات سنة إحدى وخمسين ومئة. وقد رأى أنس بن مالك.

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري. قال ابن قتيبة (المعارف ٢٢٦): كان سيرين أبوه عبداً لأنس بن مالك كاتبه على عشرين ألفًا وأدى الكتابة. قال ابن سعد (الطبقات ٨/٨٦ ـ ٨٨ و١٤٠ وما بعده): محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك. قال الحافظ (التهذيب/ ٩/ ٢١٤ ـ ٢١٧): روى عن مولاه أنس بن مالك والحسن بن علي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وخالد الحذاء وهو من تلامذته في آخرين وطائفة من كبار التابعين. روى عنه الشعبي وخالد الحذاء وابن عون وجرير بن حازم وآخرون. وقال الأنصاري عن ابن عون: كان ابن سيرين يحدث بالحديث على حروفه. وقال حماد بن زيد عن عاصم الأحول: سمعت مورقاً يقول: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين. مات سنة عشرة ومئة.

(٣) طبقت ابن سلام/ شاكر ٢٢: أصح منه.

ظاهراً. وقد قال حبيب بن أوس[1]:

ولـولا خِـلالٌ سَـنَّـهـا الـشـعْـرُ مـا دَرَى بُغاة النَّدَى من أين تؤْتَى الْمكَارِمُ ٢٧ [2]

قال أبو جِلْدَةَ اليَشكرى[3] يُحضِّض أهل العراق على أهل الشام في حرب الحجّاج:

فقُلْ للَحوَاريَّات يَبْكين غَيْرنَا [٣٢] ولا يَبْكِنا إلاَّ الكِلابُ النَّوَائِحُ ٢٨ [4]

وقد كان أهل العراق انهزموا. فلما قال أبو جلدة هذا حَقَّقُوا[5] على أهل الشام فهزموهم؛ فقال الحجّاج: ما حَضَّضَ عليّ أحد كما حَضَّضَ أبو جلدة اليشكري بهذا البيت.

وكان هذا في الجاهلّية أول ما نشأ الشعراء أصح وأحكم، كما قال أبو عمرو بن العلاء. ثم رغب الملوك في اصطناع الشعراء لما وجدوا في الشعر من المنافع، فأعطوهم الهبات الرغيبة والعطايا السنية؛ فدعاهم ذلك إلى أن خلطوا الباطل بالحق، وشابوا الكذب بالصدق، فقالوا في الممدوح فوق ما كان فيه، وقرظوه بما ليس له بأهل، فنزلوا رتبة عن تلك الدرجة.

---

(١) هو أبو تمام الطائي حبيب بن أوس بن الحارث. ولد في الشام في آخر خلافة الرشيد ونشأ بمصر، وله كتاب مختار أشعار القبائل دون الحماسة وديوان شعر رتبه الصولي ثم على ابن حمزة. وقيل إنه في جمعه للحماسة أشعر منه في شعره. مات سنة إحدى (أو اثنتين) وثلاثين بعد المئتين. (راجع أخبار أبي تمام للصولي).

(٢) د أبي تمام ٢٥٥. ي وحاشية س: بغاة العلى.

(٣) أبو جلدة بن عبيد من بني جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل. قال ابن قتيبة: كان مولعاً بالشراب. الآمدي: شاعر خبيث. الأصبهاني: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، ومن ساكني الكوفة. وكان من أخص الناس بالحجاج. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان أشد الناس تحريضاً على الحجاج فقتله الحجاج. (راجع الأغاني ١١٠/١٠ ـ ٢٠ لأخبار أبي جلدة (كلدة) ونسبه بتفاصيلها وأيضاً الشعر والشعراء ٤٥٩ ـ ٤٦٠ والمؤتلف والمختلف ٧٨).

(٤) رواية الآمدي (المؤتلف والمختلف ٧٩): فقل لنساء المصر. وفي الأغاني ١١١/١٠: فقل للجويريات. الحواريات نساء الأمصار، الواحدة حوارية. وفي س: النوابح. اطلب الشاهد في باب الحواري.

(٥) حققوا أي أحاطوا، من قولهم: حقت القيامة تحق (من باب قتل) أحاطت بالخلائق فهي حاقة، أي هجموا هجوماً حقاً صادقاً.

[تهجين الشعر الذي يشوبه باطل] ثم نزل القرآن بتهجين الشعر حين شبه الكفار والمنافقون ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ بالشعر، فأنزل الله عزَّ وجلَّ تكذيبًا لقولهم: ﴿وما عَلَّمنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغي لهُ﴾(١). يعني أن القرآن هو كلام الله عز وجل، وهو الحق الذي لا يشوبه باطل، والصدق الذي لا يخالطه كذب، حكمة بالغة منزهة عن قول الشعر وتخرُّص الشعراء وصَانَ عز وجل رسوله صلوات الله عليه عن إنشاد الشعر فضلاً عن قيله، لكيلا يختلط كلام الله عز وجل بالشعر؛ فلم يقُلْ شعراً قط ولا رواه.

وقد روي في الحديث أنه ﷺ تمثل ببيت طرفة:

ستُبْدِي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود ٢٩

فقلب القافية وقال:

ستبدي لكِ الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار

ليكون كلامه مصونا عن روي الشعر ووزن القوافي احتياطاً للقرآن وصيانة للوحي(٢).

والذي أنزل الله عز وجل في تهجين الشعر قوله: ﴿وما عَلَّمنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(٣)، وقوله عز وجل: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون﴾(٤). [٣٣] فهذا في الشعراء الذين هَجَوا رسول الله ﷺ مثل كعب بن الأشرف وعبد الله بن الزِّبَعْرَى قبل دُخوله في الإسلام. وهُبَيرة بن أبي وَهْب وغيرهم ممن آذَوْا رسول الله ﷺ بهجائهم إيَّاه. والغَاوُون هم الذين اتَّبعوهم من كُفَّار قريش وغيرهم ممن روَوا ذلك الشعر مُعاداة له وتعصبًا عليه.

---

(١) يس ٣٦/٦٩.

(٢) ورد في الشمائل للترمذي وحاشية البيجوري في باب ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ في الشعر: روى عن عائشة أنها قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل بقول الشاعر طرفة بن العبد: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود» أي من لم تعطه زاداً. والمعنى سيأتيك بالأخبار من لم تعطه زاداً ليسافر ويأتي لك بها. وفي رواية أنه ﷺ تمثل بهذا البيت لكنه قدم وأخر، وقال: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأخبار. فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله. قال: ما أنا بشاعر. فكأنه ﷺ تمثل بالمعنى.

(٣) يس ٣٦/٦٩.

(٤) الشعراء ٢٦/٢٢٤.

ثم استثنى عز وجل المؤمنين من الشعراء، فقال عز اسمه: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[1]. يعني عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك الذين نصروا رسول الله ﷺ بألسنتهم ودفعوا عنه بشعرهم.

وقد رُوى عنه صلى الله عليه وعلى آله أنه قال: «لأَن يَمتَلِيء جَوْفُ أحدكم قَيحاً حتى يَرِيه خير له من أن يمتليء شعراً»[2]. فقال بعض العلماء: هو الشعر الذي هُجِيَ به رسول الله ﷺ، والشعر الذي فيه شَتْم أعراضِ المؤمنين والمؤمنات. فهذا من الشعر الذي نزل القرآن بتهجينه، وروايته كفر، وإنشاده حرام.

[إن من الشعر حكمة] ولولا ما في الشعر من النفع والنصرة لما استثنى الله عز وجل المؤمنين من الشعراء، ولا جعلهم ممن انتصروا لرسول الله ﷺ ممن ظلمه بشعره وآذاه بهجائه، ولما سماهم منتصرين بالشعر، فقال: ﴿وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[3]. فهجَّنَ ما تخرَّصوه من الكذب، وما لفظوا به من الكفر، بهجائهم النبي ﷺ، ولم يُهَجِّن غيره من الشعر، ولا أسقط ما فيه من النفع، ولا أبطل ما فيه من الحكم[4].

فقد أنشده بعض الشعراء قوله[5]:

---

(١) الشعراء ٢٦/٢٢٧.

(٢) خ أدب ٩٢ ومس شعر ٧ ـ ٩. وَرَى القيح جوفه أي أفسده. وفي فتح الباري قال ابن بطال: ذكر بعضهم أن معنى قوله خير له من أن يمتلىء شعراً يعني الشعر الذي هُجي به النبي ﷺ.

(٣) الشعراء ٢٦/٢٢٧.

(٤) ي وس وع: الحكمة.

(٥) هو العلاء بن الحضرمي كما ذكره في النهاية/ دحس. وكان اسمه عبد الله بن عماد الحضرمي اليمني. مات سنة أربع عشرة. وترجمه ابن سعد في الطبقات ٤ (١) ٧٦ ـ ٧٨ ولم يذكر إنشاده الأبيات. وإنما جاء في كتاب الوسيلة الأحمدية في شرح الطريقة المحمدية ٤/١٣١ عند كلامه عن الشعر قال: روى الإمام أبو منصور الديلمي في الفردوس عن بكر الأسدي رضي الله تعالى عنه أنه قال له رسول الله: ويحك يا أسدي! هل قرأت القرآن مع ما أرى من فصاحتك؟ فقال: لا، ولكن قلت شعراً. فاسمعه مني. فقال عليه السّلام: قل. فقال: وحي ذوي الأضغان تسب قلوبهم... الخ.

فحَيِّ ذوي الأضغَان تَسْبِ قُلُوبَهُمْ   تحيَّتَك الأدنى فقد يُرْقَعُ النَّغلْ[1]
وإنْ دَحسوا بالوُدِّ فادْحَسْ بِمثْلِهِ   وإنْ خَنسوا عنكَ الحديث فلا تَسَلْ[2]
فإنَّ الذي يُؤْذِيك منه سَمَاعه   وإنَّ الذي قالوا وَرَاءَك لم يُقَل ٣٠ [3]

فقال [٣٤] ﷺ: «إن من الشعر لحكمة[4]، وإن من البيان لسحرا»[5].

وأنشد الجعدي[6] قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

بلغنا السماء مَجدُنا وجُدُودُنا[7]   وإنّا لَنَرْجُو فوق ذلك مَظْهَرَا ٣١

فقال النبي ﷺ: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله [بك][8].

---

(١) ويروى: حي بالخرم. النغل الفساد والإفساد. والرقعة الخرقة، ورقع الثوب أصلحه بها.

(٢) كما في ي وس وع. م: وان دخسوا... البيت. دخس أي أفسد. والدخس تغييب الحديث وإخفاؤه. دخسوا بالود أي ستروه وأخفوه. ورد البيت في الوسيلة الأحمدية هكذا:

وإن أعلنوا بالشر أعلن بمثله   وإن دخسوا عنك الحديث فلا تسل

وفي رواية النهاية: وإن دخسوا بالشر عف تكرماً... البيت. يروى بالحاء والخاء، ان فعلوا الشر من حيث لا تعلم.

(٣) رواية الوسيلة الأحمدية: كأن الذي قالوا.

(٤) كما في ي وس وع. م وح وحاشية س: لحكماً. ت أدب ٦٩: حكماً. خ أدب ٩٠: حكمة.

(٥) خ نكاح ٤٧، طب ٥١ ومس جمعة ٤٧.

(٦) هو النابغة قيس بن عبد الله الجعدي. وقيل عبد الله بن قيس. وقيل حبان بن قيس. وإنما قيل له النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فقاله، فسمي النابغة. وطال عمره في الجاهلية والإسلام وهو أسن من النابغة الذبياني. وإنما مات الذبياني قبله وعمر الجعدي بعده طويلاً. وكان يكنى أبا ليلى وهو جاهلي، وأتى رسول الله وأنشده:

أتيت رسول إذ جاء بالهدى   ويتلو كتابًا كالمجرة نيراً
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   ...... البيت

(راجع الشعر والشعراء ١٥٨ - ١٦٤ وطبقات ابن سلام/ هل ٢٦ - ٢٨ وشاكر ١٠٣ - ١٠٩ والمؤتلف والمختلف ١٩١ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٢١ وأمالي المرتضى ١/ ١٩٠ - ١٩٥ وأسد الغابة ٥/ ١ والخزانة/ الخطيب ٣/ ١٥٢).

(٧) ي وس: بلغنا السماء مجدها ونجومها.

(٨) الزيادة في عامة المظان.

فقال ﷺ: لايَفْضُض الله فاك! قال: فعُمِّرَ مائة سَنَة ولم يسقط له سن لدعاء رسول الله ﷺ.

فكان عليه السّلام في منزلته من الله عزَّ وجلَّ ومحلِّه[١] من النبوة وفضله على جميع الأنبياء يستحسن الشعر ويستنشده، ويقول فيه: إن من الشعر لحكمة[٢]، ويعفو بالشعر عن المخطئين ويقبل منهم التوبة، ويعطى على قيل الشعر، ويهشُّ لاستماعه، ويأمر بتقريظ الإسلام وتحريض العرب على الدخول فيه، ويأمر حسان بن ثابت وغيره بهجاء أعدائه، ويرغبهم فيه ويعدهم على ذلك من الله عزَّ وجلَّ الثواب.

[الدفاع بالشعر عن حوزة الإسلام] قد رُوى أنه ﷺ قال لحسان بن ثابت: «اهْجُ قريشاً وجبريل معك»[٣]. وفي حديث آخر: «اهْجُهم وأت أبا بكر يُخْبِرْك بمعايبهم»[٤]. وقال ﷺ لحسان: «الشعرك أجزل عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلة، ولشعر كعب بن مالك أشد على قريش من رَشْق السِّهام»[٥].

وكان أبو عَزَّة الجُمَحي[٦] . . . .

---

(١) والمصور من مخطوط س ينقص فيه بعض الأوراق التي لم تصور من بعد «ومحله من» إلى أن نشير إليه فيما يلي.

(٢) وردت في الأصول بعد الحديث الجملة الآتية: «ويغضب من قيل الشعر ويقبل عليه». وقد حذفناها من المتن بما فيها تناقض واقحام على سياق الكلام.

(٣) خ أدب ٩١: أهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك، عن البراء.

(٤ و٥) مس فضائل الصحابة ١٥٧ ونصه: عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجهم. فهجاهم، فلم يرض. فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه قال حسان. قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه. ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا حتى يلخص لك نسبي. فأتاه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسُلَّنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله يقول لحسان: أن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى.

(٦) أبو عزة الجمحي هو عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح. قال المقريزي (امتاع الأسماع ١٦٠): لم يؤسر في غزوة أحد غيره.

قد هجاه. فأُسِرَ يوم بدر كافراً[١]، فقال: يا رسول الله! إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامْنُنْ عليَّ، مَنَّ الله عليك! قال: نعم، على ألاَّ تعين عليَّ (يريد بشعره). قال: نعم. فعاهده وأطلقه. ثم قال:

ألا بَـلِّـغـا عـنـي الـنـبـي مـحـمـدا　　بـأنـك حـق والـمـلـيـك حـمـيـد
ولـكـن إذا ذُكِّـرتُ بـدراً وأهـلَـهـا　　تـأَوَّه مـنـي أعـظُـمٌ وجُـلـودُ ٣٢ [٢]

فعاد في هجائه. ثم أُسِرَ يوم أحد، فقال: يا رسول الله! مُنَّ عليَّ، من الله عليك! فقال ﷺ: «لا يُلدَغ المؤمن من جُحْر مرتين. والله لا تمسحَ عارِضَيْك بمكة ستقول إني خدعت محمداً مرتين» فقتله[٣].

وقتِلَ هُبَيرة بن أبي وَهب[٤]. وقيل: بل كَعْب بن الأشرف هو المقتول، وكان شاعراً، وفي أخواله [٣٥] بني النضير سيداً. وبكى قتْلَى بدر، وتشبَّبَ بنساء رسول الله ﷺ، فأمر محمد بن مَسْلَمةَ ورهطاً من الأنصار بقتله، فقتلوه[٥].

وكان عبد الله بن الزِّبَعْري بكى قتلى بدر فقال:

لَـيـتَ أشـيـاخـي بـبـدر شـهـدُوا　　جَـزَعَ الـخـزرَج مـن وَقْـع الأَسَـلْ
حـيـن أَلْـقَـتْ[٦] بـقُـبَـاء بَـرْكَـهـا　　واسْـتَـحـرَّ الـقَـتْـلُ فـي عَـبْـد الأشَـلْ
فـقَـتَـلْـنـا الـنـصـف مـن ساداتـهـم[٧]　　وعَـدَلْـنـا مَـيْـل بـدر[٨] فـاعْـتَـدَلْ ٣٣

وكان النبي ﷺ يُوعِدُه، فمدح النبي ﷺ واعتذر إليه، فأجاد المدح ولطف في الاعتذار، فقال[٩]:

يـا رسـول الـمـلـيـك إن لـسـانـي　　راتِـقٌ مـا فَـتَـقْـتُ إذ أنـا بُـورُ[١٠]

---

(١) طبقات ابن سلام/ هل ٦٤ وشاكر ٢١٢.
(٢) رواية ابن هشام (السيرة ١/ ٤٧١) وابن سلام (طبقات/ شكر): تأوب ما بي حسرة وتعود.
(٣) السيرة ٢/ ٥٩١: تقول... الخ.
(٤) نفس المرجع ٢/ ٨٨٧.
(٥) نفس المرجع ٢/ ٥٤٨ - ٥٥٣.
(٦) نفس المرجع ٢/ ٦١٦: حين حكت.
(٧) نفس المرجع ٢/ ٦١٦: فقتلنا الضعف من أشرافهم.
(٨) كما في ي والسيرة ٢/ ٦١٦. م وع: مثل بدر.
(٩) طبقات ابن سلام/ هل ٥٩ وشاكر ٢٠٢.
(١٠) اطلب الشاهد في باب الملك والمالك والمليك.

إذ أُجاري الشيطانَ في سَنَنِ الغَـ　　يّ ومن مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمَنَ اللّحمُ والعِظامُ بما قُلْـ　　تَ، فنفسى الفِدى وأنت النَّذِيرُ ٣٤

وقال أيضاً في مثله[١]:

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ　　واللّيلُ مُعْتَلِجُ الظَّلام بَهِيمُ[٢]
مما أتاني أن أحْمَدَ لامَنِي　　فيه، فبِتُّ كأنّني مَحمُومُ
يا خَيْرَ من حَمَلَتْ على أوصالِها　　عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ رَسُومُ[٣]
إنّي لَمُعْتَذِرٌ إليك مِنَ الذي　　أسْدَيْتُ إذْ أنا في الظَّلاَمِ أهِيمُ[٤]
أيّامَ تأمُرُني بأغْوَى خُطَّةٍ　　قَيسٌ، وتأمرني به مَخْزُومُ[٥]
قَضَتِ العَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أسْبَابُها　　ودَعَتْ أواصِرُ بيننا وحُلومُ
فاغْفِرْ (فِدىً لك والِدَيَّ كلاهما)　　ذَنْبي، فإنّك راحِمٌ مَرْحُومُ ٣٥ [٦]

فقبل منه رسول الله ﷺ وعفا عنه. وأسلم، فقبل إسلامه.

[عفو النبي عن كعب بن زهير وكسوته بردة][٧] وكان كَعْب بن زُهَيْر قد هجا رسول الله ﷺ. فكتب إليه أخوه بُجَيْر بن زُهَيْر: إنّ رسول الله ﷺ قد قتل رجلاً[٨] بمكّة مَّمن كان يهجوه ويُؤْذِيه[٩] بشعره؛ فاقْدَمْ عليه، فإنّه لا يقتل أحداً جاءه تائبًا مُسلماً، أو اهْرُبْ إلى نَحاياكِ من الأرض. فَقَدِمَ عليه تائبًا مسلماً، ودخل المدينة مُتَنَكِّراً. فلما صلى النبي ﷺ قام إليه، فقال: يا رسول الله! هذا مقامُ العائذ بك، أنا كعب بن زهير. فَتَجهَّمَتْهُ الأنصار وغَلَّظَتْ عليه لِما كان من هجائه رسولَ الله ﷺ، [٣٦] حتى آمَنَهُ. ثم

(١) طبقات ابن سلام/ هل ٥٩ وشاكر ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٢) السيرة ٢/٨٢٧ وطبقات ابن سلام: معتلج الرواق. ومعتلج شديد.
(٣) السيرة: غشوم. وفي صح/رسم قال: ناقة رسوم تؤثر في الأرض من شدة الوطء.
(٤) البيت ناقص في ي. السيرة وطبقات ابن سلام: في الضلال.
(٥) السيرة وطبقات ابن سلام/ شاكر ٢٠٣: سهم وتأمرني بها مخزوم. قال الشارح أن بنيَ سهم بن عمرو قوم من قريش، وأن بني مخزوم من قريش وبينهم نسب. وأما قيس فهم قيس عيلان بن مضر.
(٦) السيرة ٢/٨٢٧: والداي كلاهما زللى.
(٧) طبقات ابن سلام/ شاكر ٨٣ ـ ٨٧ والسيرة ٢/٨٨٧.
(٨) ع: رجالاً.
(٩) كما في ح وي وع والسيرة «يؤذيه» ناقص في م.

امتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

أُنْبِئْتُ أنَّ رسول الله أَوْعَدَني ... والعَفْوُ عند رسول الله مَأْمُولُ
لقد أقوم مَقَاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفِيلُ[(١)]
لظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أن يكونَ له ... من الرَّسول بإذن الله تَنْوِيلُ[(٢)]

فأنشدها إياه فلما انتهى إلى قوله:

في فِتْيةٍ من قريش قال قائلُهُمْ ... ببَطْن مكَّة لما أَسْلَموا: زُولُوا[(٣)]
زَالوا، فما زالَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ[(٤)]
لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهم ... وما لهم عن حِيَاض الموت تَهْلِيلُ ٣٦[(٥)]

قال: فنظر النبي إلى أصحابه كأنَّه يُومِىء إليهم أن اسمعوا. إنما عني بذلك المهاجرين، ومدحهم بصبرهم على الحرب، وأنهم لا يُولّون الأدبار. وكان هذا تحريضاً منه لهم على نصرته. وإنما أعجب النبي ﷺ به من أجل ذلك. فلما انتهى إلى قوله:

---

(١) رواية السيرة ٢/٨٩١: يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل. معناه: أرى وأسمع ما لو يراه الفيل ويسمعه لظل يرعد. قال السكري (شرح د كعب بن زهير ٢٠): ولما كان الفيل عنده ضخماً توهم أنه أشد الأشياء.

(٢) رواية السيرة ٢/٨٩١:

لظل ترعد من وجد بوادره ... إن لم يكن من رسول الله تنويل

أرعد فلان على المجهول أخذته الرعدة. قال السكري: التنويل من النائل وهو العطاء. يقال نلته وأنلته. والتنويل هاهنا الأمان والعفو (د كعب بن زهير ٢٠).

(٣) السيرة ٢/٨٩٢ ود كعب ٢٣ وأبو زيد: جمهرة أشعار العرب ١٥١: في عصبة من قريش. زولوا أي انتقلوا من مكة إلى المدينة، ويعني بذلك الهجرة.

(٤) أنكاس جمع نكس وهو الضعيف. وكشف جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب. قال السكري (د كعب بن زهير ٢٣): الكشف الذين ينهزمون ولا يثبتون. وميل جمع أميل وهو الذي لا يثبت على السرج. ومعازيل جمع معزال وهو الذي لا سلاح معه أو الضعيف.

(٥) السيرة ٢/٨٩٢: ليس لهم. طبقات ابن سلام/ شاكر ٨٥: وما بهم. م وجمهرة أشعار العرب ١٥١: وما لهم. ي وع ود كعب بن زهير ٢٥: ما أن لهم. تهليل تكذيب. قال السكري: هلل الرجل إذا جبن في حملته. ويقال هلل الرجل إذا هرب. قال الأصمعي: لا يفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن في أدبارهم. وإنما أراد أنهم يوا جهون القتال (د كعب ٢٥).

يمشُونَ مَشْيَ الجمال الزُّهر، يَعْصِمُهُمْ   ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ ٣٧[١]

يُعَرِّضُ بالأنصار لأنّهمْ وثبوا عليه حين قَدِم متنكِّراً. فأنكر النبي ﷺ والمهاجرون ما قال، وقالوا: ما مَدَحْتَنَا إذ هَجَوْتَهم. وأمره أن يمدح الأنصار، فقال فيهم:

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياة فلا يَزَلْ   في مِقْنَبٍ من صالحِ الأنصارِ[٢]

وهي كلمة طويلة. فكساه النبي ﷺ بردة. واشتراها منه بعد ذلك معاوية. وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد إلى اليوم.

قال محمد بن سلام[٣]: حدّثني عمر بن مُعاذ التيمي[٤] وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ لكعب بن مالك: أترى الله نَسِيَ [لك] قولك[٥]:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أنْ ستَغلِبُ رَبَّها   ولَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ ٣٨[٦]

[دعوة النبي عبد الله بن رواحة لقيلَ الشعر] قال[٧]: وروى عمر بن أبي زائدة[٨]، . . . .

---

(١) الزهر البيض. ويروى: الجمال الجرب. السكري: الجرب المطلية بالقطران. فأراد أن عليهم الدروع فهم يشبهون الجرب. يعصمهم يمنعهم. عرد فر. ويقال عرد نكل وجبن. التنابيل جمع تنبال بكسر أوله وهو القصير. (د كعب بن زهير ٢٤).

(٢) رواية الشعر والشعراء ٦٩: شرف الحياة. السيرة وطبقات ابن سلام/ شا كر ٨٦ وجمهرة أشعار العرب ١٤: صالحي الأنصار. السكري: قال أبو عمرو: المقنب ألف وأقل ولم نسمع ثلاثين وأربعين. وقال الأصمعي: هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أكثر أو أقل.

(٣) طبقات ابن سلام/ هل ٥٤ وشاكر ١٨٥.

(٤) نفس المرجع: التيمي النعمري. ولم أعثر على ترجمته.

(٥) كما في ع وطبقات ابن سلام. م وي: ينسى قولك. وفي الاستيعاب أورد ابن عبد البر رواية ابن سلام بالنص الآتي: قال رسول الله لكعب بن مالك: أترى الله عزّ وجلّ شكر لك قولك. وذكر رواية ابن هشام قال: قال رسول الله لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا: جاءت سخينة كي تغالب ربها... البيت. روى ابن هشام (السيرة ٧٠٤) القصيدة كلها.

(٦) السخينة في الأصل حساء بالدقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان وكانت قريش تأكل السخينة، فلقبتها العرب بها.

(٧) ابن سلام في طبقاته/ هل ٥٤ ـ ٥٥ وشاكر ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٨) لعله عمر بن أبي زائدة الهمداني الوادعي الكوفي مولى عمرو بن عبد الله الوادعي، عن الشعبي وقيس بن أبي حازم، وعنه ابن مهدي وأبو عامر العقدي. توفي سنة تسع وخمسين ومئة. ووثقه النسائي وابن معين وأبو حاتم. (راجع التهذيب ٧/٤٤٨ وخلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩).

قال: سمعت مُدْرِكَ[1] بن عُمارة بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط يقول: قال عبد الله ابن رواحة: مررت بمسجد النبي ﷺ وهو جالس في نفر من أصحابه، فأضَبَّ القوم، [٣٧] فقالوا: يا عبد الله بن رواحة! يا عبد الله بن رواحة! فعلمت أن رسول الله ﷺ دَعاني، فانطلقت إليه مسرعاً، فسلّمتُ. فقال: ههنا. فجلَسْتُ[2]. فقال (كأنه يتعجَّب من شعري): كيف تقول الشعر إذا قلته؟ قلت: أنظر في ذلك ثم أقول. قال: فعليك بالمشركين! قال: فأنشدته. فلما قلت:

وخَبِّروني أثْمَانَ العَباء متى ... كنتم بَطَارِيقَ، أو دانَتْ لكم مُضَرُ؟ ٣٩[3]

قال: فكأني رأيت الكراهية[4] في وجهه ﷺ أن جعلتُ قومه «أثمان العباء» وقلت:

نجالِدُ الناسَ عن عُرْضٍ بأسْرِهِم[5] ... فينا النبيُّ وفينا تَنْزِلُ السُّوَرُ
وقد علمتم بأنَّا ليس غالِبَنا[6] ... حيٌّ من الناس إن عزُّوا وإن كثُروا
يا هاشِمَ الخيْرِ! إنَّ الله فَضَّلَكم ... على البَرِيَّة فَضْلاً ما له غِيَرُ
إنِّي تفرَّسْتُ فيك الخيرَ أعرِفُهُ ... فِراسَةً خالَفَتْهُمْ في الذي نَظَرُوا
ولو سألْتَ أو استنصرتَ بعضَهُمُ ... في جُلِّ أمرك ما آوَوْا ولا نَصَرُوا
فثبَّتَ الله ما أعطاك من حَسَنٍ[7] ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا ٤٠[8]

---

(١) قال بن قتيبة (المعارف ١٦٣): عمارة بن عقبة أسلم يوم فتح مكة ومن ولده مدرك بن عمارة الذي روى عنه خالد بن إسماعيل بن أبي خالد.

(٢) طبقات ابن سلام: فجلست بين يديه.

(٣) البطاريق جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم. وقيل من تحت يده عشرة آلاف جندي. يونانية باطريكيوس (πατρίκιος) معربة.

(٤) طبقات ابن سلام: الكراهة.

(٥) طبقات ابن سلام: عن عرض فنأسرهم. والعرض بضم العين الناحية. يقال: خرجوا يضربون الناس عن عرض أي عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا (ل/ عرضْ).

(٦) نفس المرجع/ هل ٥٥: ليس يغلبنا.

(٧) نفس المرجع والسيرة ٢/ ٧٩٢: ما أتاك.

(٨) قال ابن هشام (السيرة ٢/ ٧٩٢): أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن ... في المرسلين ونصراً كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفت فيك الذي نظروا

قال: فأقبل عليٌّ بوجهه، وقال: وإيّاك فثبَّت الله!

وكان عبد الله بن رواحة هذا من عظماء الصحابة. قد كان رسول الله ﷺ أمَّرَ زيد بن حارثة على جيش خَرَجَ إلى مُؤْتَة، فقال: إن أُصيبَ زيد فجعفر بن أبي طالب عليهم، وإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة؛ فاستشهدوا ثلاثتهم هناك.

هذ ما رُوِيَ عن النبي ﷺ في شأن الشعر والشعراء.

[شعر الصحابة والأشراف] وكان كثير من الصحابة المتقدمين يقولون الشعر ويُنشدونه ويتمثّلون به ويستحسنونه.

وروى عمر بن أبي زائدة[١] عن أبي الصقر[٢] عن الشَّعْبِيّ[٣]، قال: كان أبو بكر وعمر شاعرين، وكان عليٌّ أشعر منهما. ولكن ليس يُرْوَى لهما شعر يُعْتَمدُ عليه، لأنهم لم يكونوا يقولون إلا الأبيات في أمور تعرض.

والذي عرفه الرواة ورووا لعمر بن الخطّاب [٣٨] قوله:

متى أَلْقَ زِنْبَاعَ بن رَوْح ببَلْدَةٍ ... إلى النصف منها يَقْرع السِّنَّ من نَدَمْ ٤٩

ويروى لعليٍّ عليه السّلام شيء هو منحول. والذي يجوز أن يُنْسَب إليه مثل ما رُوِيَ أنّ معاوية قد كان كتب إليه كتابًا يُظلّمهُ[٤] فيه؛ فأجابه عنه وكتب في الجواب بأبيات شعر:

تَنَامُ، ولم تَنَمْ عنك المنايَا ... تَنَبَّهْ للمَنِيَّةِ، يا نَؤُومُ!
تَرُومُ الخُلْدَ في دار المنايا ... فكم قد رَامَ قبلك ما تَرومُ!

---

(١) م وح: أبي رائد. ي وع: أبي زائدة. وقد ذكرنه فيما سلف ص ١١٥ هامش ٨.

(٢) ي: أبي الصفر. ع: أبي الشغر. ولم نعثر على ترجمته.

(٣) الشعبي أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني (من شعب بن معدي كرب بن جشم بن حاشد بطن من همدان بمغرب شعب ويقال عذر شعب) ثم الكوفي، أحد أركان العلم الأربعة في الإسلام ومن كبار التابعين وفقهائهم. أدرك خمس مئة من الصحابة، وذهب سفيراً عن عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم. توفي سنة تسع ومئة. (أبو محمد الهمداني: الاكليل ١٠/ ٩٠ هامش ٤ والمعارف ٢٢٩ وابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ٢١).

(٤) ظلّمه بتشديد اللام فلان أي نسبه إلى الظلم.

وعـنـد الله[1] يـجـتـمـع الـخـصُـومُ ... إلـى الـدَّيَّـان يَـوْمَ الـدِّيـن تُـفْـضـي
غدا عـنـد الـحـسـاب مَـنِ الـظَّـلُـومُ ... سـتَـعْـلَـم فـي الـمـعَـاد إذا الْـتَـقَـيـنَـا ٤٢

وكانَ العبّاس بن عبد المطّلب شاعراً، ورُوِيَ له في مدح النبي ﷺ[2]:

مـن قَـبـلـهـا طِـبْـتَ فـي الـظِّـلال، وفـي ... مُـسْـتَـوِدَع حـيـث يُـخْـصَـفُ الـوَرَقُ[3]
ثـم هَـبَـطْـتَ الـبِـلادَ لا بَـشَـرٌ ... أنـت ولا مُـضْـغَـةٌ ولا عَـلَـقُ[4]
بـل نُـطْـفَـةٌ تَـرْكَـبُ الـسَّـفِـيـنَ[5] وقـد ... أَلْـجَـمَ نَـسْـرا وأهْـلَـه الـغَـرَقُ[6]

---

(١) ي. يوم الدين.

(٢) قال القاضي في الشفاء ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عنه ﷺ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط». وإلى هذا أشار العباس رضي لله عنه ابن عبد المطلب بقوله: من قبلها طبت... الخ. وقال الخفاجي في شرح الشفاء ٣/ ٢٠٣: وهذا الشعر رواه الطبراني وصاحب الغيلانيات. وفي الفائق/ فضض قال: النبي ﷺ قال له العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله! إني أريد أن أمتدحك. قال: قل، لايفضض الله فاك! فقال العباس رضي الله تعالى عنه. من قبلها... إلخ. وكان ذلك لما رجع ﷺ من غزوة تبوك.

(٣) ي وع: من قبلنا كنت. والضمير في قبلها يعود على غير مذكور وهو الولادة والنشأة. وقيل: قبل النبوة. والظلال ظلال الجنة في صلب آدم قبل أن هبط. قال ابن قتيبة: المستودع هو المحل الذي كان فيه آدم من الجنة كأنه وداعة فيه، وفيه إيماء إلى إخراجه منه للأرض أو أراد به الرحم. وكان أبو عبيدة يقول في قوله تعالى «مستقر ومستودع»: المستقر الصلب والمستودع الرحم. وخصف الورق الصاق بعضه ببعض. وهو مستفاد من قوله تعالى ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾. (ملخصاً مما جاء في شرحي الخفاجي وعلى القاري على الشفاء ٢/ ٢٠٣).

(٤) هبطت البلاد أي من الجنة إلى الدنيا في صلب آدم. قال: لا بشر، وهي جملة حالية أي في حال كونك غير جسد كأجساد البشر.

(٥) قال الملا علي القارى في شرح البيت: أي بل نزلت وأنت في صلبه نطفة، ثم صرت إلى نوح حال كونك تركب السفينة. والسفين جمع سفينة أريد به واحد ـ سفينة نوح ـ تجوزاً.

(٦) النسخ كلها: ألحم. والصواب ألجم كما في الأمالي للزجاجي ٤٤ والفائق/ فضض ول/ نسر. ويقال ألجم ولجم بتشديد الجيم الماء فلاناً أي وصل فاه بمعنى أدرك نسراً. وفي قوله نسراً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾. الجوهري (ص/ نسر). نسر صنم كان لذي الكلاع بأرض حمير، وكان يغوث لمذحج، ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح عليه السّلام. ابن الكندي (الأصنام ١١): واتخذت حمير نسراً فعبدوه بأرض يقال لها بلخع.

تــنــقَــلُ مــن صَــالَــب إلــى رَحِــمِ   إذا مَــضَــى عــالِــم بَــدَا طَــبَــقُ[١]

حتى احْتَوَى بَيتُك الْمهَيْمنُ من   خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتها النُّطُقُ[٢]

قال محمد بن سلام[٣]: أبو طالب بن عبد المطلب شاعر مُجيد جيّد الكلام؛ وأبدعُ[٤] ما قال التي مدح بها النبي ﷺ:

وأبْيض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهه   ثِمَالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرمِلِ[٥]

قال: وقد زِيدَ فيها فطُوِّلَتْ، ولا أدري أين مُنْتَهَاها. وسألني الأصمعي عنه، فقلت: هي صحيحة. فقال: أتدري أين منتهاها؟ فقلت: لا.

قال: وأجمع الناس أن الزبير بن عبد المطلب شاعر، والحاصل من شعره قليل. والذي يُروَى عنه مما صَحَّ قوله[٦]:

ولولا الْحبْشُ[٧] لم يَلْبَسْ رِجَالٌ   ثِيابَ أعِزَّةٍ حتى يَمُوتوا

---

(١) أراد بالصالب الصلب وهو قليل الاستعمال. ويقال لفقار الظهر صالب وصلب بفتحتين وبضمتين وبضم فسكون. والمراد بالعالم قرن من القرون. وطبق بمعنى قرن أيضاً.

(٢) أطلب البيت في باب المهيمن. احتوى حاز. والبيت بمعنى الشرف والنسب. والمهيمن الشاهد على فضلك. وخندف كزبرج اسم امرأة الياس بن مضر، وهي ليلى القضاعية أم عرب الحجاز. والعلياء العز والشرف. وتحتها روى دونها. والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد في الوسط استعارته العرب لجبال عالية. معناه حتى احتوى بيتك أي شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوي خندف أي ذروة الشرف من نسبهم التي تحتها النطق وهي أوساط الجبال جعل خندف نطقاً له. وقيل: أراد بالبيت نفسه في حد ذاته لأن البيت إذا حل فقد حل صاحبه. وروى في هذا الشعر زيادة ذكرها الزجاجي في الأمالي ٤٤ والزمخشري في الفائق/ فضض والقاضي في الشفاء ٢/ ٢٠٥:

وأنت لما ولدت أشرقت الأر   ض وضاءت بنورك الأفق

ونحن في ذلك الضياء وفي سبـ   ـل الهدى والرشاد نخترق

(راجع أيضاً شرحي الخفاجي والملا على القاري علي الشفاء ول/ همن).

(٣) طبقت ابن سلام/ هل ٦٠ وشاكر ٢٠٤.

(٤) نفس المرجع وع: أبرع.

(٥) طبقات ابن سلام: ربيع اليتامى. والثمال الغياث الذي يقوم بأمر قومه. ثمل بفتح العين الرجل يثمل بضم العين وكسرها ثملاً وثمولاً أقام ومكث، وقومه أغاثهم وأطعمهم وسقاهم.

(٦) نفسه: فمما صح عنه قوله.

(٧) كما في ي وع وطبقات ابن سلام. م وح: الجيش.

وقال: يرويه قومٌ: «ولولا الحمْس»(١)، وهو خطأ. إنّما هو الحبْش حين جاؤوا يريدون هَدْم البيت، فرَمَاهم الله، فأخذوا [٣٩] مَتَاعَهم وثِيابَهم.

قال: وللزبير:

إذا كـنـتَ فـي حـاجَـةٍ مُـرْسِـلا   فـأرْسِـلْ حـكـيـمـا(٢) ولا تـوصِـهِ
وإنْ نَـابَ أمـرٌ عـلـيـك الْـتَـوَى(٣)   فـشـاوِرْ لـبـيـبًـا ولا تَـعْـصِـهِ ٤٦

[أثر الشعر في النفوس] فهؤلاء الصحابة والأشراف يقولون الشعر ويمدحون به النبي ﷺ. وقد رُوِي لكثير من التابعين المفضَّلين والخلفاء والأمراء والنبلاء شعرٌ قالوه. وقد اتخذوا الشعراء، ورغبوا في المديح، وأعطوا عليه، وعاقبوا على الهجاء وقاتِلوا(٤) عليه، علماً منهم بأن المدح والهجاء يعمل في النفوس، ويخلد على الدهر، ويصير الهجاء سُبَّة على الَخلف والمدح منقبة، ويعمل في العظام البالية.

وقد كان ابن مُفَرّغ(٥) هجا زياد بن أبيه، فعاقبه عليه، ونكَّل به،

---

(١) نفس المرجع: وقال قوم. قال ابن قتيبة (المعارف ٥٧): قال أبو محمد: الحمس كنانة وقريش. وكان الزبير من رجالات قريش في الجاهلية وكان يقول الشعر وهو القائل: ولولا الحمس البيت.

(٢) طبقات ابن سلام: حليماً.

(٣) نفس المرجع وي: وان باب أمر عليك التوى. نابه أمر ينوبه نوبة أصابه. وهذه الرواية كما ورد في م وح وع صحيحه أيضاً معنى: وإن أصابك أمر التوى عليك الخ، فتكون جملة التوى عليك صفة لأمر.

(٤) كما في ع: م وي: وقتلوا عليه.

(٥) وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ كمحدث جده راهن على أن يشرب عساً من لبن ففرغه شربًا (ق/ فرغ) وأما أشعار يزيد بن مفرغ الحميري وهجاؤه عبيد الله وعباداً ابني زياد بالدعوة ـ دعوة زياد لأبي سفيان ـ فكثيرة مشهورة. وكان عبيد الله يقول: ما شجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ:

فـكـر فـفـي ذاك إن فـكـرت مـعـتـبـر   هـل نـلـت مـكـرمـة إلا بـتـأمـيـري
عـاشـت سـمـيـة مـا عـاشـت ومـا عـلـمـت   أن ابـنـهـا مـن قـريـش فـي الـجـمـاهـيـر

وكانت سمية أم زياد ابن أبيه جارية فارسية أو بيزنطية الأصل أهديت إلى سيدها الحارث بن كلدة. وكان لها أربعة أولاد: أبو بكرة نفيع، ونافع، وزياد، وأزدة. وأزدة هذه تزوجها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة. وإن الأخوة تبعوا أختهم إلى البصرة، ورقى زيادة أعلى المناصب، واعترف به الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاً له من أبيه. ويرى فك (العربية ٢٣ ـ ٢٤) أن معاوية لم يكن ليقدم على ذلك لو لم يكن أبوه أبي سفيان له ـ على =

وحمله على حمار، وسقاه التُّرْبُد[1] في النبيذ، وقَرَنَه بخنزير وطوَّف به، والناس يتبعونه وهو يسيل بطنه[2]، يريد أن يفضحه بذلك، فأنشأ ابن مفرغ يقول[3]:

يَغْسِلُ الماء ما صَنَعْتَ وقولي[4] راسِخٌ منك في العِظام البَوالي ٤٧

وقد استقصينا في باب الشعر والشعراء، ولم يكن القصد إليه بكتابنا هذا، ولكن لما تقدم به القول من مرادنا لإيراد[5] فضيلة الشعر، وما فيه من النفع البين والفضل الظاهر، وإذ كان مدار اللغة العربية عليه والْمفْزَع فيها إليه. ومن أجل ذلك كانت الشعراء بمنزلة الأنبياء في الجاهلية.

[الشعر والشعراء عند ظهور الإسلام] فلما بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وشرع الشرائع والأحكام، ودعا إلى دين الإسلام، وظهرت كلمته، وغلب الحق، وأُحْوِجَت الأمم إلى قبوله والانقياد له والدخول في دين الإسلام، زالت الضرورة عن العرب إلى الشعر، وسقطت فضيلة الشعراء، ونزلوا عن رتبتهم. [٤٠] وإنما استعان النبي ﷺ على العرب بالشعراء، لأن العرب من أهل الجاهلية، الذين طُبِعوا على الأمر الأول، ولم

= الأقل ـ أمراً ظاهراً. وصحب ابن مفرغ سنة ٥٦ عباد بن زياد إلى سجستان، واشتغل عباد بحروبه وأهمله. فشرع ابن مفرغ يبسط لسانه في هجوه ويذكر جميل سعيد بن عثمان بن عفان أمير خراسان، وكانت البصرة والديار كلها تتغنى بهجائه. وبعد عناء طويل استطاع عبيد الله أن يضع عليه يده وعذبه مشدوداً إلى خنزير في قرن ليسير في طرق البصرة، والناس يتبعونه وهو يسيل بطنه، وهم يسألونه بالفارسية: أين جيست؟ فأجابهم بالفارسية أيضاً:

آبـــست ونـــبـــيـــذ است عـــصـــاره زبـــيـــب اســـت
ســـمـــيـــة روســـبـــيـــد اســـت

(راجع الشعر والشعراء ٢١٠ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/ ١٧٠ وما بعدها والأغاني ١٧/ ١٥ والخزانة/ الخطيب ٤/ ٢٤٤).

(١) تربد نبت فارسي يكون بجبال خراسان وما يليها، يقوم على ساق، ورقه دقيق، وزهره آسمانجوني (أصله آسمان كوني أي على لون السماء)، يخلف ثمراً كألسنة العصافير، ويدرك بتموز. وله خواص كثيرة ذكرها داود في تذكرته والملك المظفر في المعتمد.

(٢) في الأصول: وهو يسيل ذو بطنة.

(٣) كما في ع. م وح وي: فأنشأ ابن مفرغ وهو يقول.

(٤) الأغاني ١٧/ ١٥: ما فعلت.

(٥) ع. الابراز.

يعرفوا كتابًا يفزعون إليه، ولا حَكَماً يقتدون به، أجلَّ عندهم من الشعر والشعراء، فزعوا إليهم عند ظهوره ﷺ، وعَاذَ بهم[1] مَرَدتُهم وشياطينهم؛ فحملوا الشعراء على هجائه، وذمِّ ما جاء به من الإسلام وتَرْك عبادة الأوثان؛ وشبَّهوا كلام الله مرة بالشعر، ومرة بالسحر، ومرة بسَجْع الكُهَّان؛ واستمالوا قلوب العرب إلى ما طُبِعوا عليه، وإلى ما كانوا يتعارفون بينهم ويتراضون[2] بحُكْمه من دواوين الشعر. ونَبَت القلوب عما لم يكونوا يعهدونه من شأن القرآن وأحكام الإسلام وأمر النبوّة. فقابل رسول الله ﷺ شعراءهم بالشعراء من المؤمنين، يقولون مثل قولهم، ويحذون حذوهم، فردّوا عليهم، وبينوا فضل رسول الله ﷺ، وفَصَلوا بين القرآن الذي أتى به وبين شعر الشعراء وسجع الكهَّان وقول السَّحَرَة، وأظهروا في شعرهم أمر النبوّة، لُيفَطِّنُوا العرب لذلك، ولُيَميِّزوا الشعر من القرآن، ولُيعْلموا أن النبي ﷺ ليس بشاعر، ولا يقول الشعر، ولا يُجيب الشعراء عن نفسه، بل يجيب عنه شعراء مثلهم، وينوبون عن أمره.

وقد قال حسان بن ثابت رحمه الله:

هَجَوْتَ مُحمَّداً فأجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ الله في ذَاكَ الجَزَاءُ
فإن أبي ووَالِدَه وعِرْضي ... لِعِرْض مُحمَّدٍ مِنْكمْ وِقَاءُ ٤٨ [3]

وقد كان عمرو بن العاص هجاه قبل دخوله في الإسلام، فقال ﷺ عليه: اللَّهُم إن عمرو بن العاص قد هَجَاني هو يعلم أني لست بشاعر. اللَّهمّ فاهْجُه والْعَنْه عَدَدَ ماهجاني[4]. فكان ردُّ الشعراء عنه نصرة له ومعونة منهم.

فلما اتصل من الدين النظام، واستنار مَنَار الإسلام، وظهرت كلمة

(١) ع. وعانده.
(٢) ي: ما كانوا يتعارفون به ويتواصون. ع: ما كانوا يتعارفونه بينهم ويتراضون.
(٣) د حسان ١ ـ ٢. قال الأبيات يوم فتح مكة. وراجع مس فضائل الصحابة ١٥٧.
(٤) أطلب باب النفاق. وفي الفائق/ هجو بعد الحديث: أو قال: مكان ماهجاني. وفسره في النهاية/ هجا وقال: أي جازه على الهجاء جزاء الهجاء، وهذا كقوله من يرائي الله به أي يجازيه على مراآته. وابن قتيبة في مشكل القرآن ٢١٥: اللهم إن فلاناً هجاني... الحديث.

النبي ﷺ [٤١]، وأجابته العرب، وخمد الباطل، ونُسِخَتْ الشعراء، وبطل الاقتداء بهم واسْتُغْنى عنهم، صاروا أتباعاً بعد أن كانوا متبوعين، وسألوا بالشعر، وتملقوا للملوك والخلفاء، وتضرعوا إلى أهل الثروة والأمراء، ونزلوا عن رتبتهم، واستهان بهم الناس، وقَلُّوا في أعينهم، فجرَوْا على ذلك في صدر الإسلام وبعد ذلك بُرْهَة من الدهر.

نَشَأَ فيهم شعراء مطبوعون لهم قرائح الأولين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين، واعتادوا المسألة وجعلوها صناعة[(١)]. فلما طال ذلك عليهم مَلَّهم الناس، ونَزَرَت العطايا، وماتت الخواطر، وغارت القرائح، وسقطت الهمم، وصار الشعر ضعيفًا هَزْلاً بعد أن كان حَكَمًا فَصْلاً، فبقي النفع بالديوان الأ.. من الاحتجاج به على الكلام المختَلَف في معناه، والقول المتَنازَع في تأويله.

[حاجة المسلمين إلى معرفة لغة العرب] ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة الماضين، لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، ولعَفَّى الدهر على آثارهم، ونسى الناس أيّامهم. ولكن الحاجة بالمسلمين ماسَّة إلى تعلّم اللغة العربيّة، ومعاني الألفاظ الغريبة في القرآن والحديث، والأحكام والسنن، إذ كان الإسلام قد ظهر ـ بحمد الله ـ في جميع أقطار الأرض، وأكثر أهل الإسلام من الأمم هم عجم[(٢)]. وقد دَعَتْهم الضرورة إلى تعلّم لغة العرب إذ كانت الأحكام والسنن مُبينة بلسان العرب.

قال أبو عبيدة. إنما أُنْزِل القرآن بلسان عربي مبين. وتصديق[(٣)] ذلك في آية من القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[(٤)] وفي آية أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾[(٥)] قال: ولم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وَحْيَهُ إلى أن يسألوا النبي ﷺ عن معانيه، لأنّهم كانوا عرب الألْسُن،

(١) كما في ي وع. م: بضاعة.
(٢) ع من الأمم الأعجمين.
(٣) المجاز ١/٨: وتصداق.
(٤) الشعراء ٢٦/١٩٥.
(٥) إبراهيم ١٤/٤.

فاستغنوا بعلمهم عن معانيه وعمّا فيه [٤٢] مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتخليص.

قال الزُّهْرِي[١]: إنما أخطأ الناس في كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب. قال أبو عبيد: سمعت الأصمعي يقول: سمعت الخليل بن أحمد يقول: سمعت أيّوب السَّخْتَياني[٢] يقول: عامَّة من تَزَنْدَقَ بالعراق لقلّة علمهم بالعربيّة.

[تعلم اللغة والشعر الأول] وقد حثَّ النبي ﷺ أصحابه على تعلم[٣] اللغة والإعراب. روى أبو عبيد بإسناد له عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْرِبُوا القرآن»[٤].

وعن ابن مسعود قال: أعربوا القرآن فإنه عربي. وقال عمر بن الخطاب: تعلّموا إعراب القرآن كما تتعلّمون حفظه. وفي حديث آخر: قال

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، أبو بكر الحافظ المدني، إمام أهل الحجاز والشام. وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً. وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير. روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب والحسن وعبد الله ابني محمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب وخلق كثير، وعنه عطاء بن أبي رباح وصالح بن كيسان وأيوب السختياني ومعمر والأوزاعي وابن جريج وآخرون. وروى البخاري عن ابن المديني: له نحو ألفي حديث. قال الزهري: ما استودعت قلبي شيئاً فنسيته. وقال أيوب: ما رأيت أعلم من الزهري. مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومئة، ودفن على قارعة الطريق ليمر مار فيدعو له، والموضع الذي دفن به آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين. (راجع المعارف ٢٣٩ والتهذيب ٩/ ٤٤٥ ـ ٤٥١ رقم ٧٣٢).

(٢) م وح وي وع: أيوب السجستاني. والصواب السَختياني بفتح المهملة وسكون المعجمة نسبة إلى عمل السختيان وبيعه هو جلود الضأن وهو كلمة فارسية. وأيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر البصري مولى مولى عنزة. وقد رأى أنس بن مالك، وروى عن عمرو بن سلمة الجرمي وأبي قلابة وعطاء وعكرمة وأبي رجاء العطاردي وغيرهم. وعنه الأعمش من أقرانه وقتادة وهو من شيوخه والحمادان والسفيانان وشعبة وخلق كثير. وكان ثقة ثبتا في الحديث جامعاً كثير العلم حجة عدلاً. وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائي. قال ابن قتيبة: مات بالبصرة سنة ١٣١. (راجع المعارف ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وطبقات ابن سعد ٧ (٢)/ ١٤ والتهذيب ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩ رقم ٧٣٣).

(٣) ي. على تعليم.

(٤) بقية الحديث: والتمسوا غرائبه. رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة.

عمر: تعلموا اللحن والفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن.

وعن يحيى بن عتيق[(١)] قال: سألت الحسن[(٢)] فقلت: الرجل يتعلم العربية يلتمس بها المنطق ويقيم بها قراءته. فقال الحسن: فَتَعَلَّمها، فإن الرجل يقرأ الآية فَيَعْيَا بوجهها فيهلك فيها.

فلما كان كذلك راضَ الناسُ أنْفُسَهُم بتعلُّم العربية. ولم يجدوا إلى ذلك سبيلاً أوضَحَ من الشعر، فحفظوا دواوين الشعراء وأحكموها. وبقى الشعر الأول الصحيح المعاني مستعملاً محفوظاً، وشهرت تلك الدواوين شُهْرَةً لا تُجهَلُ، وظهرت ظهوراً لا يخفى، حتّى لو أن رجلاً أنشد القصيدة:

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيب ومَنْزِلِ ٤٩

لعُلِم أنه قول امرىء القيس بن حجر، ولو أنشد:

يـا دارَ مَـيَّـة بـالـعَـلـيـاء والـسَّـنَـدِ ٥٠

لعُلِم أنَّه للنابغة، ولو أنشد:

أمِـنْ أُمّ أوفَـى دِمـنَـةٌ لـم تَـكَـلَّـم ٥١

لعُلِم أنه لزهير. فعلى هذا أكثر شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين، أو من كان في صدر الإسلام من الفحول ممن يُحْتَجُ بشعره، ودواوينهم بَيِّنَةٌ مشهورة متداوله، لا يختلف فيها أهل الأدب والمعرفة بها.

[الاحتجاج بالشعر المنحول] وقد كان فيما مضى يختلف الرواة فيه، ويزيدون وينقصون، وينحلون الشاعر غير شعره، لقدرتهم على اللغة وتمكنهم من كلام العرب، ومعرفتهم بمذاهب الشعراء، ولقرب ذلك الزمان من أيامهم، وموافقة طباع بعضهم لبعض [٤٣].

---

(١) يحيى بن عتيق الطفاوي (بضم المهملة) البصري. روى عن مجاهد ومحمد ابن سيرين والحسن. وعنه الحمادان وعبد العزيز بن المختار وغيرهم. وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائي. (راجع طبقات ابن سعد ٧ (٢) ١٩ والتهذيب ٢٥٥/١١ رقم ٤١١).

(٢) الحسن البصري الإمام، هو الحسن بن أبي الحسن، واسم أبيه يسار مولى الأنصار واسم أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي. روى عنه أبو عمرو بن العلاء. وتوفي سنة عشر ومئة. (القراء رقم ١٠٧٤).

فقد رُوِي أن بلال بن أبي بردة[١] استنشد حَمَّاداً الراوية[٢]. فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مدح جدّه أبي موسى الأشعري، فلما انتهى إلى قوله:

وجَحْفَلٍ كبهيَم[٣] الليل مُنْتَجِع ... أرْضَ العدوِّ بِبُؤْسَى بعد إنْعام[٤]
جَمَعْتَ مِن عامِر فيه ومِن أسَدٍ ... ومِن تميم ومِن حاءٍ[٥] ومِن حَام
فما رَضِيتَ بهم حتّى رَفَدْتَهُمُ[٦] ... مِن وَائِلٍ رَهْطِ بِسْطام بأصْرام[٧]
مُسْتَحْقِبَات رَوَايَاها جَحَافِلُها ... يَحْدُو[٨] بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُهُ سَام ٥٢

---

(١) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها، ولاه خالد القسري سنة ١٠٩، فأقام إلى قدوم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥، فعزله وحبسه، فمات سجيناً. قال الحافظ (التهذيب ١/ ٥٠٠ رقم ٩٢٧): كان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء.

(٢) حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي مولى بني بكر بن وائل الكوفي المعروف بالراوية. قال ياقوت (الأدباء ٤/ ١٣٧ ـ ١٤٠): قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال. وقال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح، يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب. وقال المفضل الضبي: رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد. وأين ذلك؟ وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيده فيفد عليهم. وتوفي سنة ١٥٥. اهـ. ولا يعرف لحماد شيء في النحو.

(٣) الأغاني ١١/ ٢٧: كسواد.

(٤) د الحطيئة برواية السكري ٣٥ والأغاني ١١/ ٢٧. ببؤس. وقال أبو الحسن السكري: يريد أنه يغزوهم ليبدل نعمتهم ببؤسي.

(٥) كما في د الحطيئة ٣٥ والأغاني ١١/ ٢٧ وحاشية ي وع. م وح وي: جل. وفي شرح السكري: حاء من مذحج، وحام من ناهس بن عفر بن خلف بن أنمار وهم خثعم.

(٦) الأغاني ١١/ ٢٧: ردفتهم.

(٧) قال السكري (د الحطيئة ٣٦): وبسطام بن قيس بن خالد سمي بسطاماً، لأن أباه كان محبوساً عند كسرى. فنظر إلى غلام يوقد تحت شيء ويحركه بحديدة. فبشر به وقيل: ولد لك غلام. وقال: أي شيء يسمون هذا؟ قيل: اسطام. قال: سموه بسطاماً. وفي ل/ سطم قال. الاسطام الحديدة التي تحرك بها النار وتسعر. قال الأزهري: أعجمية أم أعجمية عربت. والأصرام البيوت المجتمعة يقال للقطعة منها صرم.

(٨) د الحطيئة ٣٦ والأغاني ١١/ ٢٧: يسمو.

قالِ له بلال: من قائلها؟ قالِ: الحطيئة[١]. قال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى بشعر لا أعرفه وأنا راوي[٢] شعر الحطيئة؟ ولكن دَعْها، تذهب في الناس.

فهذا الشعر ومثله وإن كان مَنحولاً فقد نُسِبَ إليه، ودُوِّنَ له، ورُوِيَ في شعره إذْ كان لذلك الطراز مُشاكِلا ولشعره مُضاهِيا، والاحتجاج به جائز. وحَمّادٌ وإن كان حَضَرِيَّ النشء مُتَّهماً في الرواية فهو من المعرفة بلغة العرب بموضع يجوز الاحتجاج بقوله، لو كان كلاماً منثوراً، فكيف بشعر مُدَوَّن قد رَوَاه الرواة، وسُئلوا عنه[٣] ونَسَبُوه إلى الحطيئة؛ ومَثَلُ هذا من الشعر مَثَل الْملْصَق من الولد، وما سبيله إلا كما قيل «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وكلُّ شعر مَنحول إلى الشعراء الفُحْولَة مما رَوَاه القُدَماء، واشتهر في دهرنا هذا، فإن الاحتجاج به والاقتداء بما رسَمَه الماضون من العلماء باللغة جائِز. ولا يقدر على الزيادة والنقصان فيه أحد. بل الاحتجاج بكثير من قول المخضرمين بل المحدَثين الذين لم يلحقوا شأو أولئك وتأخروا عن دهرهم هو غيرُ مُنْكر ولا مدفوع عند أهل المعرفة، لأنهم قد رَوَوا الشعر الأول وحفظوا الغريب من الكلام، والذي قالوه[٤] من الشعر فعلى بصيرة منهم بمذاهب العرب، وجازَ لنا الاقِتداءُ بِهم والرجوعُ إلى قولهم في هذه المعاني. وإنّما أنكر هذا أولئك الرجال[٥]، الذين لَعِبُوا بهذا الشأن لَعِبا حِذْقا به [٤٤] وتَمكُّنا منه، مثل أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد والأصمعيّ وأبي عبيدة وغيرهم وأصحاب النحو من أهل الكوفة والبصرة المذكورين، الذين كانوا ينقدون الألفاظ على الشعراء، ويَتَتَبَّعُون سَقَطاتِهم، ولم يَخْف عليهم من ذلك إلا النُّبَذ اليسيرة. وكانوا أئمة للشعراء الْمُحدَثين في اللغة والغريب، يأخذون عليهم الخطأ من قولهم، ويكشفون عن عواره ويُفَطِّنون الشاعر[٦] البَدَويّ لما لا يَفْطُن له، كما فُطِّن النابغة حين أَقْوَى في قوله:

(١) كما في س وع. تنقص الجملة في م.
(٢) ي وع: وأنا أروي.
(٣) ي وع: وقبلوا عنه.
(٤) كما في ع. م وي: والذي قالوا.
(٥) الرجال ناقص في ع. وفي ي: الجبال.
(٦) كما في ي وع. م: ويفطنون للشاعر.

زَعَـمَ الـبَـوَارِحُ أنّ رِحْـلَـتَـنـا غـدا   وبـذاكَ خَـبَّـرنـا الـغُـرَابُ الأسْـوَدُ ٥٣[(١)]

لأن القَوَافي كانت مجرورَة فلما فَطَنَ لذلك[(٢)] رجع عنه فقال:

وبـذاك تَـنْـعَـابُ الـغُـرابِ الأسْـوَدِ

إنما كانوا يتركون الاحتجاج بقول المُحدَثين ومن خالَطَ الحضَريِّين، لأنهم خرجوا عن طبع البَدَوِيِّين الخلص الذين طُبِعوا على اللغة الصحيحة، وتَكلَّفوا القول، وكَثُر الهَفْو في كلامهم والخطَأ في قولهم، وذهب عليهم الغامِض من المعنى، كما أَخَذَ الأصمعيّ على الناس قولهم[(٣)]: «شَتَّانَ ما بينهما»، فقال: هو لَحن؛ إنما هو «شتّان ما هما»، واحتجَّ بقول الأعشى:

شَـتَّـان مـا يَـوْمِـي عـلـى كُـورِهـا   ويَـوْمُ حَـيَّـان أخـي جَـابِـرِ ٥٤[(٤)]

فقيل له: فقول القائل[(٥)]:

لَشَتَّان مابين ين الْيزِيدَيْنِ في النَّدى   يَـزيـد بْـنِ عَـمْـرو[(٦)] والأغَـرِّ بـنِ حَـاتِـم

فَـهَـمُّ الـفـتـى الـبَـكْـرِيِّ إنْـفَـاقُ مَـالِـهِ   وهَـمُّ الفتى العَمْرِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ ٥٥[(٧)]

فقال: هذا مُوَلَّد، لا يُحْتَجُّ به.

[الأغاني القديمة بالفارسية] ونقول: إنا لم نجد لسائر الأمم شعراً كما وجدنا للعرب مَوْزونا مُقَوَّما[(٨)]. والذي قالته العجم في الأغاني هو بين

---

(١) د النابغة/ العقد ٩: زعم الغداف بأن رحلتنا غداً... البيت. البوارح جمع بارح. برح الظبي بروحاً إذا ولاك مياسره يمر من ميامنك إلى مياسرك. والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسانح. وفي المثل: من لي بالسانح بعد البارح. (صح/ برح وسنح).

(٢) كما في ع. م: إلى ذلك.

(٣) ع: في قولهم.

(٤) الصبح المنير ١٠٨.

(٥) القائل هو ربيعة الرقي كما جاء في ل/ شتت يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ويهجو يزيد بن أسيد السلمي.

(٦) ل/ شتت: يزيد سليم.

(٧) ورد البيت في ل/ شتت هكذا:

فـهـم الـفـتـى الأزدي إتـلاف مـالـه   وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وبعده:

فـلا يـحـسـب الـتـمـتـام أنـي هـجـوتـه   ولـكـنـنـي فـضـلـت أهـل الـمـكـارم

(٨) كم في ح وع: موزوناً مقوماً. م: موزوناً. ي: مقوماً.

الشعر والكلام المنثور. وليس له وزن الشعر العربي ولا تقويمه. بل هو كلام قد سجعوه ومَثَّلُوه[1] بالألحان، وطَرَبوا في إبْرازه، ومَدُّوا القولَ به. وليس هو على وزن الشعر وأَقْرَائِه[2]. إنما هو تطريبٌ وتشويق، وليس فيه مَدْحٌ ولا هجاء ولا افتخار، ولا فيه ذِكْرُ الحروب والوقائع، وتَقْييد الأنساب، ونَشْر الأحسَاب والمآثر والمنَاقِب والمثَالِب، وصفات الخيل والإبل والوَحْش [٤٥] والفَيافي والرِّياح والأمطار والنُّجَع وغير ذلك مما جاء في الشعر، ويطول الشرح به. والدليل على أن الشعر لم يكن في العجم أنِ الشاعر لا يُوجَد له اسم في الفارِسية. وكذلك الشعر لا اسمَ له[3] إلا بالعربية.

فقد كان الأعشى وَفَدَ على كِسْرَى، فسألَ عنه. فقالوا: سُرُوذ گوبتازي»[4]. يعنون مُغَنٍّ بالعربية. فأنشده:

أرِقْتُ وما هذا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ ... وما بِيَ مِن سُقْم وما بِي مَعْشَقُ ٥٦[5]

وفُسِّرَ له قوله. فقال: إذا هو لِصٌّ، ولم يعلم أنهَ قَد يأرق غيْرُ السقيم والعاشق واللص ـ وهو ملك. فأين ما يلحق الملوك من السهر لتفكُّرهم في أمر المملكة والتدبير؟ والمهموم أشد سهراً من السقيم. وغيره، والمذعور أشد سهراً منه. ومن أجل ذلك اتخذ الملوك سُمَّاراً ومُحدِّثين حتى رُويَت عنهم الأسْمار ودُوِّنت. والسَّمَر حديث الليل عند السهر. وللسهر أسباب كثيرة غفل عنها هذا العِلْج وخفيت عليه. وإنما قيل له حين سأل عن الأعشى «سُرُوذ گوبتازي»، لأنهم لم يعرفوا للشاعر اسماً، ولا عرفوا الشعر، ولم يكن فيهم ديوان لِشِعر.

وأما الذي أَحْدَثوه الآن من الشعر بالفارسية فهو كلام لا معنى له ولا حجة فيه ولا نَفْعَ به؛ ولا ديوان له عند العجم، مثل ديوان الشعر عند

---

(١) ي وع: سلوه. وهو تحريف. وقد أثبتنا قراءة م وهي «مثلوه» أي أقاموا ما فيه من عوج الوزن بالتلحين.

(٢) أقراء الشعر قوافيه، والمفرد قرء.

(٣) كما في ي وع. م: لا يوجد له اسم.

(٤) كما في الأصول. ويرى الميمني أنه سرود كوبتازي.

(٥) الصبح المنير ١٤٥.

العرب وكما فيه من النفع الظاهر والفضل البَين. وهو شيء مُحدَث غيْرُ قديم. سمعوا الشعر العربِّي، فتكلَّفوه وحَذَوْا على ذلك المثال.

سمعت جماعة من أهل المعرفة يذكرون أن أول من قال الشعر بالفارسية رجل من أهل نيساپور منذ زمن قريب(١). فأما القديم من الأغاني بالفارسية فهو كلام غير مَوْزُون ولا مَحْذوٌ على القَوافي على نحو ما وصفناه. وإنما معنى قولهم لكسرى «سرود گوبتازي» معناه مُغَنٍّ [٤٦] بالعربية(٢).

[في الفرق بين الشعر والغناء] والغِنَاء غير الشعر، وهو اسم على الانفراد. وإنما يُسَمَّى منه غناء ما كان في الرقيق والتشبيب بالنساء، ويُقْصَد به ذلك المعنى فقط. والذي يشبهه من الشعر قول جرير:

إن العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ(٣) قَتَلْنَنَا ثمَّ لم يُحيينَ قَتْلانَا ٥٧

وللشعر فُنُونٌ كثيرة غير الغناء، كما ذكرنا من المذاهب للعرب في

---

(١) لم نعثر على اسم أحد من أهل نيسابور عاش قبيل القرن الرابع سوى ماهويه بن خورشيد النيسابوري الذي كان أحد الأربعة الذين عنوا بجمع أخبار الشاهنامه بأمر يعقوب بن الليث الصفار (مات في سنة ٢٦٥)، ولا يروى عنه قيل الشعر. وبناء على المعلومات القليلة التي وصلت إلينا نعرف أن الشاعر عباساً المروزي الذي مات في فجر القرن الثالث الهجري كان من هؤلاء الشعراء المتقدمين الذين نظموا الأبيات الفارسية على النهج العربي، ولقد مدح الخليفة المأمون بقصيدة مطلعها:

أي رسانيده ز دولت فرق خود تا فرقدين   گسترانيده ز جود وفضل در عالم يدين

ومنها:

كس برين منوال پيش ازمن چنين شعري نگفت
مر زبان بارسي كانراست با اين نوع بين

وليست مرو بعيدة عن نيسابور وهما من خراسان، كما أفادنا الأستاذ صادق نشأت قائلاً أن حنظلة البادغيسي الذي عاش في القرن الثالث في عهد آل طاهر ومات في نيسابور. روى عنه العوفي (لباب الألباب٢/ ٢) هذين البيتين:

يارم سپند گرچه برآتش همى فگند   ازبهر چشم تانرسد مرورا گزنند
اورا سپند وآتش نايد همى بكار   باروى همچو آتش وباخال چون سپند

وأغلب الظن أن صاحب الزينة يشير إلى حنظلة البادغيسي أو سمع عنه.

(٢) ع. مغنى بالفارسية.

(٣) ع ود جرير ٥٩٥: في طرفها مرض.

المدح والهجاء وغير ذلك من الصفات الكثيرة، وفي التحريض على السَّعْي في أمر المعَاد، والتقدُّم في فعل الخير، واصطناع المعروف، وتجنُّبِ الآثام، وما يكون فيه هَتْك الأسْتار على رؤوس الأشْهَاد إذا كُشِف الغِطَاء وظهرت الأعمال كقول لبيد:

وكـلُّ امْـرِئٍ يَـوْمـاً سَـيَـعْـلَـمُ سَـعْـيَـهِ إذا كُشِفَتْ عِنْد الإلهِ الْمَحاصِلُ ٥٨[١]

فهذا بعيد من معنى الغناء الذي فيه تحريض على التقحُّم[٢] في الآثام، وقلَّة المبالاة بارتكاب المحارم والتَهتُّك فيه، والْحضّ على الانهماك فيه، كقول القائل[٣]:

إذا أنْتَ لـم تَطْرَبْ ولم تَشْهَد الْخنَا[٤] فكُنْ حَجَراً من يَابِسِ الصَّخْر جَلْمدَا ٥٩

فهذا وما يشبهه[٥] يجوز أن يُسمَّى غناء. وأما ما سوى ذلك فليس بغناء ولا يجوز أن يُسمَّىٰ باسمه. فإن الملوك والنبلاء من الناس والصالحين قد أنشدوا الشعر وقالوه. ويجوز أن يعرفوا ذلك وهو أدب لهم ورفعة لمنزلتهم إذا عرفوه. ولا يجوز أن يقال إذ أنشدوا الشعر وقالوه: فلان مغَنٍّ أو قد غَنَّى. ويكون في هذا القول تَهْجِينٌ له أو وَضْع منه. والفرق بين الشعر والغناء بَيِّن. وقائل الشعر ومُنْشِده بعيد من صفة الْمغَنِّي، رفيع الدرجة عن خساسة الْمغَنِّين وسقوط منزلتهم عند أهل الفضل وذوي الألباب [٤٧].

[الاحتجاج بالشعر في تفسير القرآن] وقد احْتَجَّ العلماء من الصحابة والتابعين. ومن بعدهم من الفقهاء في غريب القرآن والحديث بالشعر، وقد رُوى ذلك عنهم. روى أبو عبيدة[٦] بإسناد له عن عكرمة[٧] قال: رأيت ابن

---

(١) كما في ح وي وع ود لبيد ٢/٢٨. م: الحصائل.
(٢) كما في ي وع. م: التقحيم.
(٣) هو الأحوص بن محمد الأنصاري.
(٤) في رواية: إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى... البيت.
(٥) ع. وما أشبهه.
(٦) كما في ي وع. م وح: أبو عبيد.
(٧) عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى عبد الله بن عباس. ومات ابن عباس وعكرمة عبد، فباعه علي بن عبد الله بن عباس علي خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار. فأتى عكرمة علياً، فقال له: ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار. فاستقاله، فأقاله =

عباس وعنده نافع بن الأزرق[١]، وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة. فسَأَلَه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[٢]. فقال: وما جَمَعَ. ألم تسمع:

مُسْتَوْسِقَاتٍ لو يَجِدْنَ سَائِقَا[٣] ٦٠

قال: وسأله عن قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا﴾[٤]. فقال: هو الجدْوَل: فسأله عن الشاهد. فأنشده:

سَلْماً تَرَى الدَّالِجَ مِنْهُ أَزْوَرَا ... إذا يَمُجُّ في السَّرِيِّ هَرْهَرَا ٦١[٥]

= وأعتقه. وكان يرى رأي الخوارج ـ رأي الصفرية. ومات بالمدينة هو وكثير عزة سنة خمس ومئة في يوم واحد، صلى عليهما في موضع الجنائز، وشهد الناس. جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة. (طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٢ والمعارف ٢٣١ والتهذيب. ٧/ ٢٦٣ ـ ٢٧٣ رقم ٤٧٥).

(١) قال المرصفي (رغبة الآمل من كتاب الكامل ٧/ ١٥٣): يروى أن نافعاً قال لنجدة بن عويمر الحنفي: قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به. فلما أتياه قال نافع: يا ابن عباس إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسر لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب. فقال ابن عباس: سل عما بدا لك يا نافع. فسأله أكثر من مئة وستين سؤالاً، سرد أكثرها جلال الدين السيوطي في كتابه الاتقان وبعضها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب. علق عليه الميمني: مسائل نافع مجموعة في كتيب هو باستنبول وبالدار وليس فيه للسيوطي يد أو أصبع. وفي الفاضل (الهامش رقم ٢ ص ١٠) قال: مسائل نافع عنه توجد تامة في استنبول ودار مصر وساقها في الاتقان، وكلها بطريق ابن دأب. اهـ. اطلب باب الأزارقة فيما يلي.

(٢) الانشقاق ٨٤/ ١٧.

(٣) قبله: أن لنا قلائصاً حقائقَ. رهو للعجاج أبي الشعثاء عبد الله بن رؤبة التميمي (د أراجيز العجاج ٨٤ والكامل ٥٦٦ والفاضل ١٠ والسمط ١/ ١٠٢ ول/ وسق) القلائص جمع قلوص وهي الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. حقائقاً ويروى نقانقاً أي الظلمان شبه القلائص في السرعة بها. واستوسقت الإبل اجتمعت من الوسق ضم الشيء إلى الشيء.

(٤) مريم ١٩/ ٢٤.

(٥) في رواية ل/ هرر:

سلم ترى الدالي منه أزورا ... إذا يعب في السرى هرهرا

والسلم الدلو. والدالج الذي يأخذ الدلو ويمشي بها من رأس البئر إلى الحوض حتى يفرغها فيه (صح/ دلج). يمج أي يرمي به. وفي رواية: يعج. والهرهرة حكاية صوت الماء أو صوت اللبن عند الحلب.

وسأله عن قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[1] قال: هو الدَّعى الْمُلْصَق. أما سمعت قول حسَّان[2]:

زَنِـيـمٌ تَـداعَـاهُ الـرِّجـالُ زِيَـادَةً كما زِيد في عَرْض الأَدِيم الأَكَارِعُ ٦٢[3]

ورُوِي عن أبي عبيدة أنه سأله عن قول الله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[4]. فقال: الشدة بالشدة. فسأله عن الشاهد. فأنشده:

أخو الْحزب إنْ عَضَّتْ به الَحرب عَضَّها وإنْ شَمَّرَتْ عن سَاقِها الَحرْبُ شمَّرَا ٦٣[5]

وروى أبو عبيدة أيضاً عن ابن عباس أنه كان يُسْأَل عن القرآن، فينشد الشعر. وروى بإسناد له عن عكرمة قال: سُئِل عن قول الله تعالى: ﴿فَاِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[6]. قال: الأرض. وأنشد لأميَّة بن أبي الصَّلْت:

وفـيـهـا لَـحْـمُ سـاهِـرَةٍ وبَـحْـرٍ ٦٤.[7]

وقال أبو عبيدة: يجوز هذا عندي[8] فيما كان من الِغريب[9] والإعراب. فأما ما كان من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والناسخ والمنسوخ، فليس لبشر أن يتكلَّم فيه برأيه إلا ما فسَّرَتْه سُنَّة رسول الله ﷺ، وقال فيه الصحابة والتابعون بإحسان بعدهم.

---

(١) القلم ٦٨/ ١٣.

(٢) ورد البيت في ل/ زنم قال: وأنشده ابن بري للخطيم التميمي الجاهلي، ثم يقول وجدت حاشية صورتها «الأعرف أن هذا البيت لحسان» اهـ. وأما د حسان فلا يوجد فيه البيت.

(٣) الكراع من الأرض الحرة ما يتقدم منها ممتداً ومن كل شيء طرفه. وأكارع الناس السفلة.

(٤) القيامة ٧٥/ ٢٩.

(٥) الجوهري (صح/ سوق): وقوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ أي شدة، كما يقال: قامت الحرب على ساق، وسوق الحرب حومة القتال. ومنه قولهم: ساوقه أي فاخره أينا أشد.

(٦) النازعات ٧٩/ ١٤ والمجاز/ مراد منلا ١٨٢.

(٧) كما في د أمية ٥٢ والمجاز ول/ سهر. م وح: عندهم لحم بحر ساهرة. ي: عندهم لحم بعض ولحم ساهرة. وفي القراءتين تحريف. عجزه كما ورد في الديوان والمجاز: وما فاهوا به لهم مقيم. وفي المجاز: الساهرة الفلاة ووجه الأرض.

(٨) ينقص في مخطوط ع ما يلي إلى الكلام على الأسماء والأشياء (مخطوط م ص ٧٠).

(٩) كما في ي. م وح: الغرائب.

[الأسماء الإسلامية ومعانيها]

[حاجة المسلمين إلى معرفة الألفاظ الإسلامية] ورأينا العلماء باللغة العربية قد كَفَوا الناس مَؤُونة هذا الشأن [٤٨]، وأحكموا إحكاماً بيناً لما دوَّنوه من أشعار الشعراء، وألَّفوه من المصنَّفات، ووصَفُوه من الصفات في كل ما قدروا عليه، مما يحتاج الناس إلى استدراكه، حتى لعله لم تَفتهم كلمة غريبة ولا حرف نادر إلا وقد رَبَطُوه بأَوْثَق رباط، وعَقَلُوه بأحكم عقال، ورسموا في ذلك رسوماً، وعوَّلوا في ذلك كله على الشعر والاحتجاج به.

[١]وهذا للغة العرب خصوصاً ليس هو لسائر لغات الأمم. وذلك كله لشدة حاجة الناس إلى معرفة لغة العرب، ليصلوا به إلى ما ذكرنا من معاني القرآن والألفاظ الغريبة فيه، وفي أحاديث الرسول الله ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة الماضين، وما يجيء في الشريعة من الأسامي في أصول الفرائض والسُّنَن، مما الجهل به نَقْصٌ ظاهِر على المرء المسلم، وشَيْن فاضِح على كل ذي دين ومُروءة. وإنَّا لما أردنا أن نشرح من هذه المعاني، ونذكر اشتقاقَاتها، ونُعَبِّر عن معانيها، قدَّمنا القول في فضل لغة العرب على سائر لغات الأمم، وذكرنا ما لها من الأسباب الفاضلة والمآثر الظاهرة، وما يَلزَم جميع الأمم من الاعتراف بما لها من الدواوين في الشعر والنحو والعروض والمصنَّفات في الغريب والصفات[٢]، إشفاقاً منهم عليها، وصيانة لها، وحفظاً لأصولها؛ وانفتح لهم من ذلك ما لم ينفتح لسائر الأمم، ولا كان لهم فيه مثل هذه الرسوم. ثم قصدنا شرح معان[٣] كثيرة غريبة[٤]. تجيء في الشريعة، ولا يستغنى عن معرفتها العالم الأديب، ولا الدَّيِّن اللبيب، ويجب تعلّمها على كل ذي شرَف حَسيب، وعلى كل مسلم أريب، وفي معرفتها له الفَضْل والزَّيْن، وفي الجهل بها عليه النَّقْص والشَّيْن.

[أسماء الله الحسنى] ونبدأ بذكر أسماء الله عزَّ وجلَّ وصفاته، وتفسير

---

(١) يوجد ما يأتي في مخطوط س بعدما سبق من النقص ثم ينقطع عند الكلام على النعت في البسملة (مخطوط م ص ٦٧).

(٢) ي وس: في غريب الصفات.

(٣) ي وس: معاني.

(٤) س: عربية.

ما قالت[1] العلماء في معانيها أو عباراتها [٤٩] ليعرفها من يدعوه بها[2]، (تبارك اسمه) ويُمجِّده[3] ويُثني عليه، كقوله: يا ألله[4]، يا رحمٰن، يا رحيم، يا رب، يا واحد، يا صمد، وغير ذلك من أسمائه وصفاته (جلّ ذكره) مما يُشكِلُ معناه ويُحتاج إلى شرحه. وأسماه الله عزّ وجلّ وصفاته[5] كثيرة. قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾**[6]. فمنها ما عَلِمه الناس كافَّة، ومنها ما خُصَّ به قوم دون قوم. وقد قيل إنَّ لِلّه عزَّ وجلَّ أسماء إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل بها أعطى، ويُمشَى بها على الماء كما يُمشَى على الأرض. واسم الله الأكبر هو مخزون مكنون، لا يعلمه إلاَّ من اختصَّه الله له وأكرمه به.

وروينا عن جعفر بن محمَّد عليه السّلام أنه قال: أوَّل ما خلق الله عزَّ وجلَّ اسمٌ[7] بالحروف غَيْرُ منسوب، وباللفظ غير مُنْطَق، وبالشخص غير مُجسَّد، وبالتسمية غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، مَنْفِيٌّ مُبْعَدٌ منه الحدود، محجوبٌ عنه حِسُّ كلِّ مُتَوَهِّم، مُسْتَتِرٌ غير مَسْتُور. فجعله كلمة تامَّة على أربعة أجزاء معاً. ليس منها واحد قبل الآخر. فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت. فالظاهر هو الله عزَّ وجلَّ وتبارك وسبحان. لكلِّ اسم من هذه أربعة أركان. فذلك اثنا عشر ركناً[8] ثمَّ خلق

(١) س: قال.

(٢) كما في ي وس. م: يدعو بها.

(٣) كما ي وس. م: يمجد.

(٤) قال ابن عقيل في شرحه على ألفية بن مالك ٢٦٢: لا يجوز الجمع بين حرف النداء وال في غير اسم الله تعالى وما سمي به من الجمل إلا في ضرورة الشعر. وأما مع اسم الله تعالى ومحكى الجمل فيجوز، فتقول: يا الله، بقطع الهمزة ووصلها. والأكثر في نداء اسم الله تعالى اللهم مشدودة معوضة عن حرف النداء. اهـ. اطلب باب الله فيما يلي.

(٥) وصفاته ناقص في ي وس.

(٦) الأعراف ٧/ ١٨٠.

(٧) الأصول كلها: اسماً. والصواب اسم بالرفع خبر للمبتدأ وهو أول.

(٨) وقد غمض الإمام جعفر الصادق الكلام عن الاسم المكنون المخزون والأجزاء والأركان الناشئة منه، وقصد فيه الاستتار والإخفاء من عامة الناس، لأنها «أسرار أولياء الله» في معرفة الله، وقد خصهم الله بها دون غيرهم كما قاله المؤلف فيما سبق.

لكلِّ ركن ثلاثين اسماً فعلاً منسوبًا إليها. فهو الرحمن، الرحيم، المَلِك، القُدُّوس، الخالِق، البارِيء، المُصَوِّر، الحيّ، القَيُّوم [٥٠] لا تأخذه سِنَة ولا نَوْم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، الجبَّار، المتكبِّر، العلِّي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهَيْمن، المنْشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرزَّاق، المحيي المميت، الباعِث، الوارِث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستّون اسماً. فهذه نسبته لهذه الأسماء الثلاثة. وهذه الأسماء الثلاثة أركانٌ وحُجُب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة. وذلك قول الله عزَّ وجل: **﴿قُل ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الْحسْنَى﴾**(١). ثم خزنَ وكَنَّ الاسم الواحد بهذه الأسماء الثلاثة، فلا يعرف الاسم المكنون والاسم العظيم والاسم المخزون بالغيب إلا من ارتضى من رسول. فإذا ارتضى رسول من الملائكة والناس كُلِّم بالاسم. وذلك قوله عزَّ وجلَّ: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾**(٢) من الملائكة والإنس.

روى ابن سيرين عن أبي هريرة(٣) عن النبي ﷺ قال: «لِلَّه تسعة وتسعون اسماً، من أحْصَاها دخل الجنة: الله، الرحمٰن، الرحيم، الإله، الرب، الْمِلك، القُدُّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، البصير، الحيُّ، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، المنَّان، البديع، الغفور، الودود، الشكور المجيد، المبدىء، المُعبد، النور، البادىء، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العفو، الغفار، الوهَّاب، القادر، الأحد، الصمَد، الوكيل، الكافي، الباقي، الحميد، المغيث، الدائم، المتعال، ذو الجلال والإكرام، المولى، النصير، الحق، المبين، الوارث، [٥١] الباعث،

(١) بني إسرائيل ١٧/ ١١٠.

(٢) الجن ٧٢/ ٢٦.

(٣) خ التوحيد ١٢ وت الدعوات ٨٢. والذي في البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة غير واحد، من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر. ومثله في مسلم. ولم يذكرا أسماء الله: وفي أحاديث أخرى وردت الأسماء مع اختلاف في بعضها. ومنها ما رواه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات.

(٤) س: البارىء.

المجيب، المتين، المحيي، المميت، الجميل، الصادق، الحفيظ، المحيط، الكبير، القريب، الرقيب، الفتّاح، التوّاب، القديم الوتر، القائم، الفاطر، الرازق[1]، العلاّم، العلي، العظيم، الغني، المليك[2]، المقتدر، الأكرم، الرؤوف، المدبّر، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذو الطّوْل، ذو المعَارِج، ذو الفضل، الخلاّق[3].

فهذه ما ذُكِر من أسمائه وصفاته عزّ وجل. فمنها ما هو أشهر وأكثر على ألسنة الناس ومنها ما تعزب معانيها، ومنها ما تتضح[4]، ومنها ما قد اختلف الناس في معناه، ومنها ما قد اتفق الناس عليه. ونذكر من ذلك ما قد وقع إلينا عن العلماء وأصحاب اللغة، وما رُوِيَ فيها من الأخبار وجاءت الحجة في غريبه من الشعر، وما قالت الحكماء في معناه، وإن لم نقدر على إحصاء جميع أسمائه وصفاته، عزّ جَلّ، ونعجز عن شرح كثير مما أحصيناه ورويناه. ونسأله عزّ وجلّ التوفيق لما يُقرّب من رضاه ويباعد من سخطه.

ونشرح بعد ذلك معاني أسماء كثيرة تُذْكَر في الشريعة. وقد ذكرنا أكثرها في صدر كتابنا هذا. ونذكر بعد ذلك معانيها واشتقاقاتها، لأن أرفع درجات العلماء وأجل مراتب الأدباء معرفة أسماء الأشياء والعلم بحقائقها.

[أسماء الأشياء ومعانيها] فإن الله عزّ وجلّ لما أظهر فضيلة أبينا آدم عليه السّلام علّمه الأسماء كلها، **﴿ثُم عَرَضَهُمْ عَلَى الْملائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤلاَءِ إنْ كُنتُم صَادِقِين. قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْم لَنَا إلاَّ مَا عَلّمتَنَا إنّكَ أنْتَ الْعَلِيمُ الْحكِيم. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهمْ بأَسْمَائِهِمْ فلَما أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلم أقلْ لَكُمْ إني أَعْلَـم غَيبَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَـم مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُم تَكْتُمونَ﴾**[5]. [٥٢] فأبرز فضيلته لعلمه بها، ثمّ أمرهم بالسجود له.

وإنما صار الفضل في معرفة أسماء الأشياء، لأنّ كلّ شيء يُعْرَف

---

(١) ي: الرزاق.

(٢) ي وس: الملك.

(٣) ي: الخلاق الفتاح الحفيظ الخفي. س: الخلاق الحفيظ. حاشية س: الخلاق الخفي.

(٤) في النسخ كلها «يصح» وهو تحريف كما يظهر من السياق.

(٥) البقرة ٢/ ٣١ ـ ٣٣.

باسمه، ويُسْتَدَلُّ عليه بصفته. والصفة تقوم مقام الاسم، وتكون خَلفًا منه. والله عزَّ وجلَّ يُعْرَفُ بأسمائه، ويُنْعَت بصفاته. ولا دَرَكَ للمخلوقين إلى غير ذلك. وصفاته أسماؤه كقوله: الرحمٰن الرحيم، هما من صفاته وهما أسماؤه. وكذلك أسماء المخلوقين وصفاتهم.

فكلُّ شيء يُعْرَفُ باسمه ويُسْتَدَلُّ عليه بصفته من شاهد يُدْرَك أو غائب لا يُدْرَك. وربما دُعِيَ الشيء:

باسمٍ لا يُعْرَف اشتقاقه من أيِّ اسم هو، بل يكون مُصْطَلحاً عليه، قد خفي علىَ الناس ما أُرِيدَ به، ولأيِّ شيء سُمِّي بذلك الاسم، كقولك: الفرس والحمار والجمل والحجر وأشباه ذلك.

واسم اشْتُقَّ من معنى تقدَّمَه، قد فسَّر العلماء اشتقاقه والمراد فيه، كقولك: آدم، قالوا: سُمِّي بذلك، لأنه أُخِذَ من أديم الأرض[1]؛ والإنس[2]، قالوا: سُمِّي بذلك لظهورهم، ويقال: آنسْت الشيء إذا أبصرته؛ والجنُّ[3]، قالوا: سُمِّي (بذلك) لاستخفائهم[4]، يقال: اجْتَنَّ إذا اسْتَخفَى.

واسم هو بمنزلة الصفة، كقولك: محمد هو مشتق من الْحمْد، والْحسَن مشْتق من الْحسْن، والْحمْد والْحسْن مُصْطَلح عليهما.

فعلى هذا كل اسم هو مشتق من غيره. فالأول مصطلح عليه لا يجوز غير ذلك، والمصطلح عليه لا يكون مشتقاً من آخر، ولا يعرف معناه إلا الله عزَّ وجلَّ ومن علَّمه الله، لأنه إنْ كان الأول لا بد أن يكون مشتقاً من غيره. فإن ذلك الأول يقتضي اسماً قبله يكون هو مشتقاً منه، فهذا إلى ما لا نهاية له، وهو غير ممكن.

---

(١) أديم الأرض وجهها. وفي العبرية أدم من اداماه אֲדָמָה لا يأتي بمعنى الأرض لأنه بمعنى التراب. وللأرض في العبرية اسم آخر هو «أرض». أطلب رأي قطرب فيما يلي في هذا الفصل. ويرى صاحب الزينة أن الاسم أصله عربي.

(٢) اطلب باب الأنس.

(٣) اطلب باب الجن.

(٤) ي: لاستجنانهم. والقتبي في غريب القرآن ١١: الجن من الاجتنان وهو الاستتار.

ومن الأسماء ما يجرُّ معنيين، كقولك: الزكوة(١). قالوا: هو من النمو والزيادة. [٥٣] يقال: زَكَا الزَّرع إذا نَما وطال وزاد. ويكون من الطهارة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(٢). أي طهَّرها. ومنه ما يجر ثلاثة معان وأكثر، كقولك: الدِّين(٣). معناه الطاعة. يقال: دَانَ له إذا أَطَاعَه. ويكون من الجزاء. يقال: كما تَدِين تُدَان. أي كما تعمل تُجازَى. ويكون من الحساب. قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٤). قال المفسِّرون: يوم الحساب. والدين العادة قال الشاعر(٥):

أهـذا ديـنـه أبـداً وديـنـي ٦٥(٦)

أي دأبه ودأبي. فعلى هذا مجاري الأسماء.

قال قطرب(٧): النكرة الاسم الأول ثم يصير معارف. فلا مسألة في النكرة لأنه اسم موضوع مثل حجر وجبلَ وجمل وحمار وفرس، فلا مسألة في اشتقاقها مِّما هو. وإنما المسألة في المعرفة. من ذلك مثل «آدم». قال ابن عباس: هو مأخوذ من أديم الأرض. قال قطرب: ولو كان كذلك لكان منصرفًا فاعَلاً من الأديم كالعالَم والخاتَم، وتصير الهمزة من نفس الكلمة، وهو عندنا في اللغة من الأُدْمة فيصير أَفْعَل(٨) لا يُجَرُّ.

---

(١) اطلب باب الزكاة.

(٢) الشمس ٩١/٩.

(٣) اطلب باب الديان وباب الدين.

(٤) الفاتحة ١/٤. أبو عبيدة في المجاز ١/٢٣: الدين الحساب والجزاء. يقال في المثل: كما تدين تدان. وقال ابن نفيل:

واعـلـم وأيـقـن أن مـلـكـك زائـل ... واعـلـم بـأن كـمـا تـديـن تـدان

(٥) هو المثقب العبدي البكري عائذ بن محصن.

(٦) أطلب باب الدين.

(٧) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي المعروف بقطرب. لازم سيبويه وأخذ من عيسى بن عمر. وسمي قطربًا لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول: إنما أنت قطرب ليل. والقطرب دويبة تدب. وكان يذهب إلى مذهب المعتزلة النظامية. وتوفي سنة ست ومئتين. (أخبار البصريين ٤٩ والنزهة ١١٩ والبغية ١٠٤).

(٨) فآدم على هذا أصله أأدم قلبت الهمزة الثانية ألفًا فتكون الألف هنا أصيلة لأنها منقلبة عن أصل. اطلب ص ١٣٨ هامش ١.

[الأسماء الأعجمية في القرآن] وقال بعض الحكماء: الأسماء عبارات عن المعاني، وليس بين أهل المعرفة منازعة في الأسماء؛ فإذا استوفى الفهم المعنى فذلك المقصود الذي ليس بعده نظر.

والذي نريد تفسيره من معاني الأسماء:

فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة؛ ومنها أسام[1] دلّ عليها النبي ﷺ في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب؛ وأسام[2] جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها[3] ولا غيرهم من الأمم، مثل تَسْنِيم[4] وسَلْسَبيل[5] وغِسْلِين[6] وسِجِّين[7] ....

(١) أسام ناقص في ي. س: أسامي. في ق/سما قال: اسم الشيء علامته، والجمع أسماء وأسماوات، وجمع الجمع أسامى وأسام.

(٢) ي وس: أسامي.

(٣) يعني المؤلف أن العرب لم تكن تعرفها بالمعنى الذي وردت في القرآن مع كونها ألفاظاً عربية.

(٤) قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون﴾ (المطففين ٨٣/٢٧ ـ ٢٨). وتسنيم عين في الجنة زعموا. وهذا يوجب أن تكون معرفة، ولو كانت معرفة لم تصرف. تسنم الشيء علاه. وفي ل/سنم قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ومزاجه من تسنيم﴾: أي مزاجه من ماء متسنم عيناً تأتيهم من علو. اهـ. لا يوجد له أصل في الشعر الجاهلي ولا في اللغات السامية القديمة. فلذلك اعتبره نولدكي (Beitraege ٤٨) من الكلمات التي نطق بها القرآن.

(٥) وسلسبيل من قوله تعالى: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ (الدهر ٧٦/١٨). قال الجواليقي في المعرب ١٨٩: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف. وقيل هو اسم معرفة إلا أنه أجرى لأنه رأس آية. وفي ل/ سلسل. يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل. والسلسبيل السهل المدخل في الحلق. قال ابن الأعرابي. لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن.

(٦) في التنزيل العظيم: ﴿ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾ (الحاقة ٦٩/٣٦). وقيل: غسلين شديد الحر. لا يعرف أصله في العربية ولا اللغات الأخرى التي أخذت العرب منها الكلمات الدخيلة.

(٧) قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ (المطففين ٨٣/٧ ـ ٨). سجين فعيل من السجن. والسجين السجن. والسجين الصلب الشديد من كل شيء. وسجين واد في جهنم. قال السيوطي (الاتقان ج١ ص٣٨٠): ذكر أبو حاتم في كتاب الزينة أنه غير عربي. وقد التبس على السيوطي ما قاله المؤلف عن هذا اللفظ. وقد اعتبره صاحب الزينة من الألفاظ العربية إلا أن اللفظ لم تكن العرب تعرفها بالمعنى الذي ورد في القرآن. أشار =

والرَّقيم[١] وغير ذلك. روى عكرمة عن ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ ﴿أصحاب الكَهف والرقيم﴾: والله ما أدري ما الرقيم؟ كتاب هو أم بنيان؟ [٥٤] وفي قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وحَنَاناً مِن لدُنَّا﴾[٢] قال: والله ما أدري ما الحنان[٣]؟

وقد قال قوم في القرآن شيء من ألفاظ العجم ولغاتهم. وروى أبو عبيد[٤] عن عدة من العلماء في أحرف كثيرة في القرآن أنها بلغات العجم[٥]. روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد[٦] وسعيد بن جبير[٧] وعكرمة وطاوس[٨] وعطاء[٩] وغيرهم. فمنها قوله طه[١٠] . . . .

= نولدكي (Beitraege ٤٨) إلى أنه من الأسماء التي نطق بها القرآن، ولا يجد له أصل في اللغات.

(١) قال تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا﴾ (الكهف ١٨/ ٩). قال الزجاجي في الأمالي ٥: اعلم أن في الرقيم خمسة أقوال: أحدها هذا الذي روى عن ابن عباس رحمه الله أنه لوح كتب فيه أسماؤهم. والآخر أن الرقيم هو الدواة. يروي ذلك عن مجاهد. وقال هو بلغة الروم. والثالث أن الرقيم القرية، وهو يروى عن كعب. والرابع أن الرقيم الوادي. والخامس ما روي عن الضحاك وقتادة أنهما قالا: الرقيم الكتاب. وإلى هذا يذهب أهل اللغة، ويقولون: هو فعيل بتأويل مفعول. اهـ. وقيل: من المحتمل أنه اسم قرية في جنوبي فلسطين مأخوذ من רקם العبرية أو ܪܩܡ السريانية.

(٢) مريم ١٩/ ١٣.

(٣) اطلب باب الحنان.

(٤) س. وروى أبو عبيدة.

(٥) والجملة «وروى أبو عبيد. . : بلغات العجم» تنقص في ي.

(٦) مجاهد بن جبر مولى لقيس بن السائب المخزومي مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومئة.

(٧) سعيد بن جبير أبو عبد الله مولى لبني والبة من بني أسد قتله الحجاج سنة أربع وتسعين على خروجه مع ابن الأشعث.

(٨) طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن مولى بجير الحميري مات بمكة سنة ست ومئة قبل التروية بيوم.

(٩) أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي من كبار التابعين مولى ابن خثيم الفهري وسمع العبادلة الأربعة. قال محمد الباقر: خذوا من عطاء حيث ما استطعتم. توفي بمكة حوالي سنة خمس عشرة ومئة.

(١٠) قال أبو عبيدة في المجاز/ مراد منلا ١٠٥: طه ساكن لأنه جرى مجرى فواتح سائر السور اللواتي مجازهن مجاز حروف التهجي، ومجاز موضعه في المعنى كمجاز ابتداء فواتح السور. قال أبو طفيلة الحرمازي فزعم أن طه يا رجل، لا ينبغي أن يكون اسماً لأنه ساكن. ولو كان اسماً لدخله الاعراب. اهـ. =

واليم(١) والطور(٢) والرَّبَّانيون والرِّبِّيون(٣). قال: يقال إنَّ هذه الأحرف بالسُّرْيانية.

ومنها الصراط(٤) والقسطاس(٥) والفردوس(٦). يقال إنها بالرُّومية.

ومنها مقاليد(٧) وسجِّيل(٨) واستبرق(٩) وأباريق(١٠). يقال إنها بالفارسية.

= والسيوطي في الاتقان ج١ ص٣٨ والمتوكلي ٥ و١١: أخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى «طه»: هو كقولك «يا محمد» بلسان الحبش. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: طه بالنبطية يا رجل.
ويرى غوسنس في مقاله في مجلة الإسلام (هامبورغ) ١٣/١٩١ وما بعدها أن طه ويس قد يكونان من الأسماء القديمة للسور. وهذا ما قاله أبو عبيدة.

(١) اطلب فصل النحو والاعراب ص ٨٩.

(٢) اطلب فصل النحو والاعراب ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) اطلب باب الربانيون فيما يأتي. في العبري الكلداني ربان.

(٤) اطلب باب الصراط. وهو اسم يوناني سطراطα Στρατα دخل في الآرامي مع الحكم الروماني في الشام، وأخذته العرب من الآرامي.

(٥) ابن دريد (الجمهرة ٣/٢٧): القسطاس (بضم القاف وكسرها) وقسطان هو الميزان بالرومية إلا أن العرب قد تكلمت به وجاء في التنزيل. اهـ. يرى فرينكل ١٨٧ أنه مأخوذ من «قوايسطور Κουαίστωρ» باليونانية وهو الصراف. واستعمل في السريانية بكلمة «قواسطور». وأما الكلمة العبرية «قييسطور» يراد بها عند اليهود رجل القضاء والعدل. ونحن نرجح ما قال غاير أن القسطاس الميزان قد اشتق من الكلمة اليونانية ديقاسطس Δικαστής أي القاضي. وقد حكى صاحب القاموس لغة أخرى قصطاس بقلب السين الأولى صاداً.

(٦) اطلب باب الفردوس فيما يأتي. وهو في اليونانية بارادايسوس Παράδεισος أي الجنة.

(٧) قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات﴾ (الزمر ٣٩/ ٦٣ والشورى ٤٢/ ١٢). المقلد مفتاح كالمنجل. وقيل الإقليد. معرب وأصله الفارسي كليد. (ابن دريد: الجمهرة ٢/ ٩٢ والمعرب ٣١٤ ول/ قلد).

(٨) قوله عزّ وجلّ: ﴿حجارة من سجيل﴾ (هود ١١/ ٨٢ والحجر ١٥/ ٧٤ والفيل ١٠٥/ ٤). السجيل الصلب الشديد. فارسي معرب من سنك وكل أي حجارة وطين. وفي الاتقان (ج١ ص٣٨) قال: أخرج الفرياني عن مجاهد قال. سجيل بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين.

(٩) أطلب فصل النحو والاعراب ص ٨٩.

(١٠) قال تعالى: ﴿بأكواب وأباريق﴾ (الواقعة ٥٦/ ١٨). الابريق معرب آبريز بالفارسية ومعناه الآنية تصب منها الماء، من آب وهو الماء+ ريز من ريختن أي الصب. أضيفت المادة الأصلية وهي ريز إلى آب، فتفيد معنى الفاعل. وقال عدي بن زيد العبادي:
ودعا بالصبوح يوماً فجاءت   قينة في يمينها ابريق

ومنها قوله: وحرام على قرية[1]، وكمشكاة[2]، وكفلين من رحمته[3]. يقال إنها بالحبشيّة.

وقوله: هَيْتَ لك[4] يقال إنها بالحورانية[5].

قال أبو عبيد: هذا قول أهل العلم والفقهاء.

وزعم أصحاب العربية أن القرآن ليس فيه شيء من كلام العجم، يتأوّلون فيه قوله عزَّ اسمه: بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِينٍ.

وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن شيئاً من ألفاظ العجم فقد

---

(١) قال تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ (الأنبياء ٢١/ ٩٥). السيوطي (الاتقان ج١ ص٣٨): أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: وحرم وجب بالحبشية. اهـ. وحرام ሐረም بالحبشية معناه سور سوراً أو حائطاً، فمنه امتنع الشيء على الرجل ومنع فلاناً الشيء. وبمعنى الأخير استعمل חרם بالسريانية والعبرية، لا بمعناه الحبشي الأصلي.

(٢) في التنزيل العزيز: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ (النور ٢٤/ ٣٥). الجواليقي (المعرب ٣٠٣): قال ابن قتيبة المشكاة الكوة بلسان الحبش، كل كوة غير نافذة فهي مشكاة. وفي ل/ شكا قال: قال ابن جنى: ألف مشكاة منقلبة عن واو بدليل أن العرب قد تنحو بها منحاة الواو بالصلاة. وقد أصاب من قال أنه بلسان الحبش لأن اللفظ الحبشي መስኮት قديم وقد شاع عامة.

(٣) قوله تعالى: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ (الحديد ٥٧/ ٢٨). وفي ل/ كفل قال: الكفل الحظ والضعف من الأجر والإثم، وعم به بعضهم. ويقال: له كفلان من الأجر، ولا يقال: هكذا كفل فلان، حتى تكون هيأت لغيره مثله كالنصيب. فإذا أفردت فلا تقل كفل أو نصيب. والكفل أيضاً المثل. اهـ. وفي صح/ كفل: وذو الكفل اسم نبي من الأنبياء وهو من الكفالة. وقال السيوطي (المتوكلي ٦): وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري في قوله تعالى ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾، قال: ضعفين بالحبشية. اهـ. وكفل ክፍል بالحبشية معناه جزء وقسم، כפל بالعبرية ضعف.

(٤) قوله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾ (يوسف ١٢/ ٢٣). أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هيت لك هلم لك بالقبطية. قال الحسن: هي بالسريانية. كذلك أخرجه ابن جرير. وقال عكرمة: هي بالحورانية. كذلك أخرجه أبو الشيخ. وقال أبو زيد الأنصاري: هي بالعبرانية وأصله هيتلخ أي تعال. (راجع الاتقان ج١ ص٣٨).

(٥) ويراد بالحورانية أو النبطية اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما أشار إليه نولدكي في (ZDMG ٢٥/ ١٢٢).

أعظم القول[١]، لأنه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾. قال: ومن زعم أن طه بالنَّبَطِيَّة فقد أكبر، وإن لم يُعْلَم[٢] ما فيه[٣] فهو افتتاح كلام، وهو اسم للسورة وشعار لها[٤]. قال: وقد يُوافِق اللفظُ اللفظَ ويقاربه ومعناهما واحد، أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها[٥]؛ فمن ذلك الإِسْتَبرَق بالعربية هو الغليظ من الدِّيباج وبالفارسية هو إِسْتَبرَه، والفِرِنْد وكوز فهو بالفارسية والعربية واحد. وأشباه هذا كثير[٦]. قال: ومن [٥٥] زعم أن حِجَارَة من سِجِّيل بالفارسية سَنْگ گِلْ فقد أعظَمَ[٧]، إنما السِّجِّيل الشديد، وأنشد لابن مُقْبِل[٨]:

ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلاً ٦٦[٩]

(١) في المجاز ١/١٧: زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول.

(٢) ي وس: لم نعلم.

(٣) المجاز ١/١٧: ما هو.

(٤) ورد في م الزيادة الآتية: قال: وكذلك قوله: ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ هو افتتاح مبتدأ كلام شعار للسورة.

(٥) ي وس: غيرهما.

(٦) المجاز ١/١٨١: وكوز وهو بالعربية جوز وأشباه هذا كثير. والفرند فارسي معرب. حكي بالفاء والباء. وهو بالفارسية پرند أي الجوهر. والفرند وشي السيف. م وح وس والمجاز: كوز. ي: كوب. والكوز بالضم تعريب كوزه اناء من فخار له عروة. جمعه كيزان وأكواز مثل عود وعيدان وأعواد. وقالت العرب كاز يكوز كوزاً أي شرب بالكوز. والكوب بالضم كوز مستدير الرأس لا عروة له ولا خرطوم له. والجمع أكواب. وفي التنزيل العزيز: وأكواب موضوعة، ومن ذهب وأكواب، بأكواب وأباريق، وأكواب كانت قوارير. وذكره أدى شير في الألفاظ الفارسية في عدة من اللغات وذلك بالتوافق. (راجع صح/كوب وكوز وق/كوب وكوز).

(٧) ي وس والمجاز ١/١٨: أن حجارة من سجيل بالفارسية فقد أعظم من قال سنك وكل.

(٨) هو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن عجلان بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر مخضرم. وكان يبكي أهل الجاهلية. وبلغ مئة وعشرين سنة. ورثى عثمان بن عفان. وابن مقبل من أوصف العرب لقدح. (راجع الشعر والشعراء ٢٧٦ و٢٧٨ والخزانة/الخطيب ١/ ٢١٤ - ٢١٥).

(٩) صدره: ورجلة يضربون البيض عن عرض. والبيت من مشوبة ابن مقبل النونية أوردها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب ١٦٢، ومطلع القصيدة.

طاف الخيال بنا ركبًا يمانينا ودون ليلى عواد لو تعدينا

رواية أبي زيد والجوهري (صح/سجن): سجيناً وهي الصواب. راجع أيضاً المجاز ١/ ٢٩٦.

أي شديد. وقال غير أبي عبيدة(١): الرواية سجينا بالنون، وخَطَّأَ أبا عبيدة في هذا التفسير.

قال أبو عبيد(٢): الصواب عندي ـ والله أعلم ـ أن هذه الأحرف أصولها أعجَميّة إلا أنها سقطت إلى العرب، فعرَّبتها بألسنتها، وحَوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية. ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الألفاظ بكلام العرب على التعريب. من ذلك أنها قالت في الطور(٣) وهو بالسريانية طوراً، واليم(٤) وهو بالسريانية يما، وإستبرق(٥) وهو بالفارسية استبره، وهو الغليظ من الديباج فيما روي عن عكرمة. وقالوا: سجيل وهو بالفارسية سنگ گل حجارة الطين فيما روي عن عكرمة.

قال: ومن أسماء الأنبياء في كتاب الله إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى. إنما هي بالعبرانية وبالسريانية أبروهم(٦) وأشموئيل(٧) وميشا(٨) وإيشوا(٩)، فعربتها العرب.

---

(١) كذا في م وح وس. ي: وقال أبو عبيدة. والأغلب أنه أبو عبيد.

(٢) ي: فقال أبو عبيدة. وسقطت في س الجملة من بعد سجيناً إلى قال أبو عبيد.

(٣) سبق ذكره في فصل النحو والاعراب ص ٨٩ هامش ٢.

(٤) فصل النحو والاعراب ص ٨٩ هامش ٣.

(٥) فصل النحو والاعراب ص ٩٠ هامش ٢.

(٦) هو في العبرية أبرم אברם أو ابراهام אַבְרָהָם وأبرم أو أبرام من كلمتين. أب + رم أي أب عظيم أول اسم لإبراهيم. وهو ابن تارح بن ناحور بن ناروخ بن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح.

(٧) كما في م وح. ي وس: اشمويل والكلمة العبرية يشمعيل יִשְׁמָעֵאל مكونة من يشمع + ايل أي يسمع الله وهو ابن إبراهيم من هاجر، فلما بشرت به قالت: إن الله استمع لي. وفي العربية الجنوبية ورد الاسم. يسمع ال 𐩺𐩪𐩣𐩲𐩱𐩡. (راجع CIS ٤/ ١/ ٥٥).

(٨) مشه מֹשֶׁה في العبرية. وذكر جيفري ٢٧٥ نقلاً عن ديرينبورغ أن صيغة موسى מוסי العبرية كانت شائعة بين اليهود العرب. وأخذ العرب الاسم من اليهود. وقيل: هي لفظة مصرية قبطية مكونة من ما بمعنى الماء+ شه أي المنقذ، وهو الذي أنقذ من الماء، كما فسرها غيزينيوس في معجمه ٤٦١.

(٩) والمعروف أن اسمه بالعبرية يشوع. قيل: وقد نطق باليونانية أيسوع Ἰησοῦς ونطق العرب عنها عيسى وقيل: إن الاسم عيساو עֵשָׂו وهو اسم ابن إسحاق وشقيق يعقوب وهو الابن الغير مبارك (سفر التكوين) وينسب إلى عيساو هذا الفرع المنبود من بني إسرائيل ويتندر باسمه اليهود على يشوع. وأخذه العرب قبل الإسلام من اليهود الذين سموا المسيح بهذا الاسم استخفافًا منهم. ولا يزال الاسم العربي غير متفق على اشتقاقه عند علماء اللغات، كما حكاه جيفري ٢٢٠.

قال: فهذه الأسماء التي ذكرناها كلها عجمية الأصول عربية الألفاظ. من قال إنها عجمية فقد صدق، ومن قال إنها عربية فقد صدق، لما فُسِّرت من الأصل واللفظ. هذا قول أبي عبيد.

[ظهور الأسماء على عهد النبي] وقلنا: إن الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب ولم تُعْرَف قبل ذلك، مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر لم تكن العرب تعرفها، لأن الإسلام والإيمان[(١)] والنفاق[(٢)] والكفر[(٣)] ظهر على عهد النبي ﷺ. وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة[(٤)]، لا تعرفه من معنى الكفر بالله. قال الشاعر:

ولا تَحْسِبِنّي كافراً لَكِ نِعْمَةً[(٥)] [٥٦]٦٧

وقال آخر[(٦)]:

والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفسِ المُنْعِمِ ٦٨[(٧)]

وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان. قال الشاعر:

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ يَمْسَحُها ... رُكبانُ مَكّةَ بينَ الغَيْلِ والسَّنَدِ[(٨)]

أما المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب.

[لسان إبراهيم السريانية] وقد قال الله تعالى في المسلم: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا**﴾[(٩)]. فقد ذكرالله عزَّ وجلَّ

---

(١) اطلب باب المؤمن وباب الإسلام والإيمان.

(٢) اطلب باب النفاق.

(٣) اطلب باب الكفر.

(٤) ي. كافر النعمة.

(٥) باب الكفر: فلا تحسبيني.

(٦) ي: وقال عنترة.

(٧) صدره: نبئت عمراً غير شاكر نعمتي. اطلب باب الكفر ود عنترة/ العقد ٤٨.

(٨) هو للنابغة الذبياني. رواية د النابغة/ العقد ٨: الغيل والسعد. وقد أقسم الشاعر بالمؤمن أي الله. آمن الله الطير بمكة الصيد. العائذات مفعول بالمؤمن والطير بدل منها. والغيل بفتح الغين الماء الجاري على وجه الأرض وهو ما يخرج من أصل أبي قبيس. ورواه أبو عبيدة بكسر الغين وقال: الغيل والسعد هما أجمتان كانتا مناقع ما بين مكة ومنى. واطلب الشاهد في باب المؤمن.

(٩) الحج ٢٢/٧٨.

أن إبراهيم سَمَّاهم «مُسلمين»؛ ويجوز أن يكون سمَّاهم بتلك اللغة باسم كان معناه معنى «الإسلام»[1]، لأن الله عزَّ وجلَّ أنزل الصُّحُف على إبراهيم فيما ذُكِر عن العلماء بالسريانية، وأن إبراهيم كان لسانه السريانية.

ورووا[2] أن إسماعيل عليه السّلام هو الذي تكلّم بالعربية. ولم يوجد اسم «الإسلام» في كلام العرب قبل مبعث النبي ﷺ، ولا كان الإسلام قبل ظهوره بالنبوة.

[تعلم إسماعيل العربية من اليمن ـ رأى ابن قتيبة] قال عدَّة من العلماء، أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة (واللفظ له): تعلَّم إسماعيل العربية من اليمن من ولد يَعْرُب بن قَحْطان. وكان يعرب أول من تكلَّم بالعربية حين تَبَلْبَلَت الألسن ببَابِل، وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه من أهل بيته. ثم نطَق بعده عاد بلسانه، وشَخَصَ حتَّى نزل الشِّحْر[3]، ثم جَدِيس ثم عِمْليق ثم طَسْم ثم جُرْهُم. قال: وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: تسع قبائل قديمة، طَسْم وجَدِيس وجُهَيْنَة وحَجْم (بالحاء والجيم) [٥٧] والْخثْعَم والعَماليق وقَحْطان وجُرْهُم وثمود فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان. وكانت أنبياؤهم عَرَبا، هود وصالح وشُعَيْب عليهم السّلام. قال وَهْب بن مُنَبِّه: هود أخو اليمن في التوراة[4]. فلما وَقَعَتْ العَصَبية بين العرب وفخرت رَبيعَة ومُضَر بأبيها إسماعيل ادّعت اليمن هوداً ليكون لها[5] والد من الأنبياء. قال: ولما

---

(١) كما في ي وس. م: كان معناه الإسلام.

(٢) كما في ي وس. م: وروى.

(٣) الشحر كالمنع ساحل بين عمان وعدن، ويكسر (ق/ شحر).

(٤) وهب بن منبه من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، ويكنى أبا عبد الله. وقال: قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابًا. وروى عن أبي هريرة. ومات بصنعاء سنة عشر، ويقال سنة أربع عشرة ومئة. لا يعتمد على الإسرائيليات المروية عنه، كما نرى أن هودا المذكور في سفر أخبار الأيام الأول ٧/٣٧ هو الولد السابع لصوفاح من قبائل بني إسرائيل وليس له أية علاقة باليمن. وأدعى شيخو (النصرانية وآدابها ٢٤٥) أنه اسم نصراني وأنه صحف عن يهوذا أحد رسل السيد المسيح الذي دعا العرب إلى النصرانية، أو هو صورة أخرى من اسم هوذة، ومنه هوذة بن علي المعروف بذي التاج ملك اليمامة وحضرموت وعمان من بني حنيفة من بكر بن وائل. والله أعلم بالصواب.

(٥) ي وس: لهم.

بَوّأ الله لإسماعيل الَحرَمَ وهو طفل، وأنْبَط[1] له زَمْزَمَ مرّت به رُفْقَة من جُرْهُم، فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه، وأخبرتهم هاجرَ بنسب الصبيّ وحَالِه[2]، وما أمر الله عزّ وجلّ به أباه فيه وفيها؛ فَتَبرّكُوا بالمكان فنزلوه، وضَمُّوا إليهم إسماعيل فنَشَأ معهم، وتبع ولدانهم، ثمّ أنكحوه، فتكلّم بلسانهم؛ فقيل: نَطَقَ بالعَرَبّية أي بلسان يَعْرُب. وكان القياس في النحو أن يقال نطق باليعْرُبِّية إلا أن الياء زائدة في الاسم، فحذفت في النسب كما تحذف فيه أشياء كثيرة من الزوائد.

قال: والدليل على أن اللسان لليمن أنّهم يقال لهم «العرب العَارِبَة»، ويقال لغيرهم «العرب المتَعَرِّبة»، يريد الداخِلة في العرب المتعلمة منهم. ويقال: تَعَرّبَ، كما يقال تَنَزّرَ أي دَخَل في نِزار، وتقيّسَ أي دخل في قَيْس. قال الشاعر[3]:

وقَـيْـسَ عَـيْـلانَ وَمَـنْ تَـقَـيَّـسَـا ٦٩ [4]

[ابن سلام: إسماعيل أول من تكلم بالعربية] وروى محمّد بن سلاّم قال: أخبرني مِسْمَع بن عبد الملك[5] أنه سمع محمّد بن عليّ عليه السّلام (يرفعه)[6]، فقال: أوّل من تكلّم بالعربيّة ونسي لسان أبيه إسماعيل

---

(١) حاشية س: إذا بلغ الحافر الماء قيل انبط.

(٢) ي وس: خاله.

(٣) هو العجاج أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة التميمي.

(٤) م وح: غيلان. والصواب قيس عيلان كما في ي وس. وقيس بالنصب لأن قبله:

وأن دعـونـا مـن تـمـيـم أرؤسـا ... والـرأس مـن خـزيـمـة الـعـرنـدسـا

وقـيـس عـيـلان ومـن تـقـيـسـا ... تـقـاعـس الـعـز بـنـا فـاقـعـنـسـسـا

وجواب أن في تقاعس العز. ومعنى تقاعس ثبت وانتصب. وكذلك اقعنسس. (راجع د العجاج ٣٣ ول/ قيس). وقال ابن حزم (أنساب العرب ٢٣٢): والأصح أنه قيس بن مضر، وأن عيلان عبد حضنه، فنسب قيس إليه.

(٥) م وح: مستمع. والصواب مسمع كما في ي وس وطبقات ابن سلام/ هل ٤ وشاكر ١٠. وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد بن جحدر بن ضبيعة بن قيس من بني بكر بن وائل. ولقبه كردين بضم الكاف كما ذكره بن حزم في أنساب العرب ٣٠١.

(٦) رواية طبقات ابن سلام: سمع محمد بن علي وهو ابن حسين يقول قال أبو عبد الله: لا أدري أرفعه أم لا وأظنه قد رفعه... الخ.

ابن إبراهيم عليهما السلام.

قال: وأخبرني يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء قال: العرب كلها من ولد [٥٨] إسماعيل إلا حِمْير وبقايا جُرْهُم. قال محمد بن سلاّم: وكذلك نرى لأن[١] إسماعيل جَاوَرَهم[٢] وأَصْهَرَ إليهم، ولكن العربية التي عنى محمّد بن علي عليه السّلام هي اللسان الذي نزل به القرآن. وما كانت العرب تتكلم به على عهد رسول الله ﷺ؛ وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا[٣].

وهذا الذي رواه محمد بن سلام عن محمد بن علي عليه السّلام أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه، خلاف ما رواه ابن قتيبة أن يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية - وهو أولى بالصدق والصحة منه - إن كان الأمر على ما يذكره النسابون أن اليمن ليست من ولد إسماعيل، وأن ولد إسماعيل من العرب هم ولد مَعَدّ بن عَدْنان. والله أعلم كيف ذلك.

[لغة القرآن هي لغة قريش] وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال حين انتهى في النسب إلى مَعَد بن عدنان: «كذبَ النسابون! كذب النسابون!» لأن ولد معد بن عدنان أفصح من اليمن وأصح لغة، ورسول الله ﷺ أفصح العرب، وهو من ولد إسماعيل عليه السّلام.

وقد روى عنه أنه قال: أنا أفصح العرب مَيْدَ أني[٤] من قريش، وأني نَشَأْتُ في بني سَعْد بن بكر، لأنه كان مسترضعاً فيهم[٥].

---

(١) المرجع نفسه ٤: وكذلك يروى أن. س: وكذلك ترى لأنّ.

(٢) ي. جاورهم وناسبهم.

(٣) وقد جاءت في طبقات ابن سلام/هل ٤ بعد «اللسان الذي نزل به القرآن» هذه العبارة: وقال أبو عمرو بن العلاء: ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلسانا ولا عربيتهم بعربيتنا».

(٤) ي وس: بيد أني. حاشية س: بيد فسره بعضهم يعني من أجل وعليه يتوجه. قوله عليه السّلام: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد أي من أجل أني من قريش. وبيد مبنى على الفتح اسم فعل أي. .؟. . إني من قريش. وروى ميد أني من قريش بالميم، والكلام عليها كالكلام على بيد حذو القذة بالقذة. اهـ. وفي ل/بيد قال: قال الكسائي: قوله بيد معناه غير. وقيل هي بمعنى على حكاه أبو عبيد.

(٥) هم بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان وهم أظآر النبي ﷺ، عندهم استرضع عليه السّلام. (أنساب العرب ٢٥٣). أورد هذا الحديث =

وروى أنه ﷺ تكلم يوماً في وصف السماء والبَرْق والغَيم. فقال له رجل: ما رأينا أفصح منك، يا رسول الله! فقال عليه السّلام: حُقَّ لي أن أكون كذلك ونزل القرآن بلساني ـ لسان عربي مبين.

وروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: أفصح العرب عُلْيا هَوَازِن وسُفْلَى قيس. وقال أبو عبيد[1]: حَدَّثني شيخٌ سمع الكلبي[2] يُحدِّث عن أبي صالح[3] عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف (أو قال: سبع [٥٩] لغات. شَكَّ أبو عبيد). فمنها خمس بلغة العَجُز من هَوَازِن. قال أبو عبيد: وقد بينَ ابن عباس أن الأحرف هي اللغات. وقوله: «العَجُز» هم الذين يقال لهم عُلْيا هَوَازِن، وهي خمس قبائل أو أربع[4]، منها سَعْد بن بَكْر وجُشَم بن بكر ونَصْر بن مُعاوية وثقيف. وأحسب أفصح هؤلاء الأربعة [من] بني سعد بن بكر[5] لقول رسول الله ﷺ: «وإني نشأت في بني سعد بن بكر».

= أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده. ولم يرد الحديث في أحد الكتب الستة. إنما ورد في كتاب الشفاء ما يأتي: قال له أصحابه: ما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني ـ بلسان عربي مبين. وقال مرة أخرى: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد.

(١) قال أحمد بن فارس (الصاحبي ٢٨): حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان قال: حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد عن شيخ له أنه سمع الكلبي يحدث عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن الخ. ولقد أخذ الكندي نسب قريش عن أبي صالح، وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب كما حكاه صاحب الفهرست ١٤٠.

(٢) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي. وكان جده بشر وأبوه السائب وعماه عبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب. وكان نسابًا عالماً بالتفسير والأخبار وأيام الناس. شهد الجماجم مع ابن الأشعث. ابنه هشام **المعروف** بابن الكلبي (ذكرناه فيما سبق في فصل المهلهل وامرىء القيس ص١٠١ هامش ٣) كان أعلم الناس بالأنساب. وتوفي الكلبي بالكوفة سنة ست وأربعين ومئة. (راجع المعارف ٢٦٦ والفهرست ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) أبو صالح صاحب التفسير هو مولى أم هانىء بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب واسمه باذام أو باذان. وكان لا يحسن أن يقرأ القرآن. (راجع المعارف ٢٤٢). ويقال اسمه ميزان البصري التابعي مشهور بكنيته تلميذ ابن عباس. روى عنه كثيراً محمد بن السائب الكلبي. مات أبو صالح بعد المئة.

(٤) كما في ي وس والصاحبي ٢٨. م أربع قبائل.

(٥) ي وس: وأحسب هؤلاء الأربعة من بني سعد بن بكر.

وروى عن الزُّهْري عن أنس[1] أنه قال: إن عثمان أمَرَ زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يكتبوا المصَاحِف. قال الزهري: فاختلفوا في «التَّابُوت»[2]، فقال زيد: هو التابوه[3]. وقال النفر القُرَشيُّون[4]: هو التابوت. فرُفِعَ إلى عثمان. فقال: اكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم.

فالقرآن أفصح اللغات، ونزل بلسان قريش. ورسول الله ﷺ أفصح العرب، وهو من قريش. وقريش من ولد إسماعيل، وولد إسماعيل أفصح من اليمن، الذين هم من ولد يعرب بن قحطان.

[الأسامى التي سنها النبي] فهذا دليل على تصحيح الخبر عن محمد بن علي رضي الله عنه أن إسماعيل أول من تكلَّم بالعربية ونسي لسان أبيه وهذا الخبر دليل على أن إبراهيم لم يكن لغته العربية، وأن الذين سماهم «مُسْلِمين» سَماهم بغير لغة العرب. إنما سماهم بتلك اللغة باسم كان معناه معنى «الإسلام» بهذه اللغة. فالإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ. وكذلك أسماء كثيرة مثل «الأذان» و«الصلوٰة» و«الركوع» و«السجود» لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول، لأن الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم. وإنما سَنَّها النبي ﷺ [٦٠] وعلَّمها الله إياه. فكانوا يعرفون «الصلوٰة» أنها الدعاء قال الأعشى في صفة الخمر:

فإنْ ذُبِحَتْ صلَّى عليها وزَمْزَمَا ٧١[5]

أي دعا لها. وعلى هذا كانت سائر الأسامي.

[اليهودية والنصرانية والمجوسية في العرب] وقد كانت الصلوٰة والصيام

(١) كما في ي وس. م: وروى عن أنس.

(٢) البقرة ٢/ ٢٤٨ وطه ٢٠/ ٣٩.

(٣) قرأ زيد «التابوه» وهي لغته، والناس على قراءته بالتاء. وروى عنه التيبوت (تفسير القرطبي ٣/ ٢٤٨). وأصله من الآرامية «تيبوتا» תיבותא كما ورد مراراً في مشنا وترجم. وقيل إنه أقرب إلى الكلمة الحبشية «تابوت» ታቦት المأخوذة من الآرامية «تيبوتا» أو العبرية «تابوه» תבה، وعن الحبشية أخذته العرب. وأما قراءة زيد بالهاء فهي على الوقف.

(٤) كما في س. م وي: القريشون. والنسبة قريشي وقرشي.

(٥) صدره: لها حارس ما يبرح الدهر بينها. (الصبح المنير ٢٠٠). يقال: ذبحت الدن أي بزلته. الذبح الشق. زمزم أي ترنم.

وغير ذلك في اليهود والنصارى، وقد كنت اليهودية والنصرانية في العرب.

ويقال إن المجوسية لم تكن فيهم على ما ذكره الرواة. ورووا أن أول من تمَجَّسَ من العرب حَاجب بن زُرَارَة الدارِمي هو وأهل بيته، ولم يتمَجَّس منهم أحد قبله قالوا: سَمَّى ابنته دُخْتَنُوس باسم ابنة كِسْرَى، وتزَوَّجها[1]؛ فعُيِّر بذلك. فقال: أو ليست[2] لي حلالاً في ديني؟ ثم ندم على ذلك وأنشأ يقول:

لَحا الله دِينَك من أَغْلَفِ ... يُحِلُّ البَنَاتِ لَنا والخَوَاتِ[3]
أَحَشْتُ على أُسْرَتي سَوْءَةً ... وطَوَّقْتُ جِيلِيَ بالمُخْزِيَاتِ[4]

---

(١) حاجب بن زرارة سيد بني تميم وفد على كسرى لما منع تميماً من ريف العراق. وكانت المجوسية في بني تميم. منهم زرارة بن عدس وابنه حاجب. وكان تزوج ابنته وأولدها ثم ندم. -وقد كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى. وقال فيها حين نكحها مرتجزاً:

يا ليت شعري عنك دختنوس ... إذا أتاها الخبر المرموس
أتسحب الذيلين أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

هذ ما رواه الماوردي. وفي رواية ابن قتيبة «أتخمش الخدين أم تميس».

ولم يذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف اسم ابنة حاجب التي يقال إنه تزوجها، ولكنه أتى بقولين في الشعر والشعراء - في ترجمة لقيط بن زرارة - أن أخاه حاجب بن زرارة صاحب القوس التي يقال لها قوس حاجب كانت له بنت يقال لها دختنوس، لم يكن له غيرها، وفيها يقول: يا ليت شعري... البيت. وحكي أيضاً أن دختنوس كانت بنت لقيط، ولها شعر، وكان زوجها عمير بن معبد بن زرارة. فالظاهر أن حاجبًا لم يتزوج دختنوس الشاعرة ابنة أخيه لقيط. ومن المحتمل أن تكون لكل من الأخوين ابنة سميت اسم دختنوس، وأن حاجبًا تزوج بابنته.

ودختنوس اسم فارسي عرب مأخوذ من دخت أو دختر أي البنت+ نوش المادة الأصلية من المصدر نوشيدن وهو الهنء، معناه بنت الهناء أو الهانئة، قلبت الشين سينا. (راجع المعارف ٢٩٩ والشعر والشعراء ٤٤٦ والعقد الفريد ١/ ١٧٤ وأعلام النبوة للماوردي ١٣٢ ول/ دخدنس).

(٢) كما في ي وس. م: أليست.

(٣) لحاه الله لحيا أي قبحه ولعنه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾. قيل معناه صم. غلف جمع أغلف. فقلب أغلف أي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله وهو قلب الكافر. وغلام أغلف لم يختتن كأقلف. (صح/ لحا ول/ غلف).

(٤) حشنا الصيد حوشاً وحياشاً وأحشناه وأحوشناه. وأحشناه أخذناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة وضممناه. يقال حشت عليه الصيد وأحشته إذا نفرته نحوه وسقته إليه وجمعته إليه. (صح/ حوش ول/ حوش).

وأبـقـيـتُ فـي عَـقِـبـي سُـبَّـةً　　مَـشَـاتِـمَ يَـخْـيَـنَ بـعـد الـمَـمـاتِ[1]

وروى عن أبي عمرو بن العلاء أن نَسْراً كان صنماً لبعض حِمْيَر، وكانوا فيما يزعمون مجوساً. وهم الذين [ذُكِروا][٢] في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَدتُّها وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٣]. ويقال: إن بقايا المجوس الذين كانوا باليمن والبحرين منهم.

ونقول[٤]: إن الأعمال التي هي في شريعة الإسلام قد كان مثلها في اليهود والنصارى، ولكن لم يكونوا يُسَمُّونها بهذه الأسماء، لأن شرائعهم لم تكن بلسان العرب، فلما جاء الله بالإسلام وبَينَ هذه الأسماء[٥] اقتدَوْا بأهل الإسلام، وصاروا عيالاً عليهم فيها، وقد عرفوا فضيلة رسول الله ﷺ، وإن كانوا كاتِمين لما كانوا قد عرفوه، كافرين بنعمة الله عليهم حسداً وعناداً. هذا مع[٦] قبولهم وقبول سائر الأمم معهم آيات مُحكَمَاتٍ وكلمات [٦١] بيِّنَات أتى بها رسول الله ﷺ في هذه الشريعة لم تعرفها الأمم. فلما وردت عليهم قبلوها قبولاً اضطرارياً مع إنكارهم نبوَّته عليه السّلام. فجبلهم الله على المعرفة بأحكامها، وصرف قلوبهم إلى قبولها والاقتداء بها والإقرار بفضلها.

[كلمة الإخلاص] فأوّل ذلك كلِمة الإخلاص، وهو قول «لا إله إلاّ الله». هذه كلمة جعلها مركزاً لدين الإسلام وقطْبًا له، ولم تكن الأمم السالفة تقولها على هذا اللفظ، وبهٰذا الاختصار، مع ما فيها[٧] من الحكمة البالغة، واشتمالها على نَفْي الكفر، وإثبات التوحيد، وإزالة الشرك، ووجوب الإيمان. فلما قالها ﷺ، ودعا الناس إليها، استعظمت العرب ذلك، لأنهم يُسَمُّون أصْنَامهم آلِهَة، فقال الله عزّ وجلّ حكاية عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلهَ إلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرونَ. وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكوا آلِهَتِنا لِشَاعِرٍ مَجْنُون. بَلْ

---

(١) ي وس: مشاتيم.
(٢) النسخ كلها: وهم الذين في كتاب الله.
(٣) النمل ٢٧/ ٢٤.
(٤) س: ويقال.
(٥) أن العبارة «لأن شرائعهم لم تكن... هذه الأسماء» سقطت في ي.
(٦) ي: هذا و.
(٧) ي: فيهما.

جَاءَ بِالحقِّ وصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١]. يعني جاء بها وهي الحق[٢]. وهي تشتمل على هذه المعاني التي ذكرناها، وإلى ذلك دعا الْمرسَلون[٣]، ولكن لم يوردوها[٤] على هذ اللفظ بهذا الكمال والاختصار مشتملة على هذه المعاني. فلما قالها ﷺ قَبِلَها أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس، وجامَعوه على الإقرار بها، وبايَنُوه على الكلمة المقرونة بها[٥]: «محمد رسول الله»، فكانوا على الإقرار بالأولى مؤمنين بالله، وعلى إنكارهم[٦] الثانية مشركين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٧].

[الكلمات الإسلامية التي لم تكن للأمم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٨]. هي آية أنزلها الله على محمَّد رسول الله ﷺ، وجعلها فاتِحةَ كتابه وفاتحة كل سورة؛ فصار ذلك قُدْوَة لجميع الأمم قد تَرَاضَوْا بها، واتَّبعوا رسول الله ﷺ على ذلك، فـ وها فاتحة كتبهم مُصَدَّرة في صَدْرِ[٩] [٦٢] كل كتاب مُسْتَحسَنَة عندهم. قد أقَرُّوا بفَضْلها حتى إن كل كتاب لم يُفْتَتح بها هوعندهم ناقِصٌ مَبْتُور، مَسْلوبُ البَهَاء مَهْجور. ولم يكن ذلك لسائر الأمم ولا عرفوها إلا ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه[١٠] أن سليمان عليه السّلام كتب بها إلى بِلْقِيس. ولم يُدَوِّنوها هذا التدوين، ولا زَيَّنُوا بها كتُبهم هذا التزيين، ولا عرفوا لها الفَضْل المُبين، حتى جاءَ الله بالإسلام، وأحْكَمَها على لِسان رسوله محمَّد ﷺ؛ فقَبِلَتْها الأمم أحسن قبول، وصار

---

(١) الصافات ٣٧/٣٦.

(٢) كما في ي. م وح: جاء بها وهو.

(٣) كما في ي وس. م: دعاء المرسلين.

(٤) ي وس: لم يؤدوها.

(٥) كما في ي. م وح وس: المقرون بها.

(٦) ي: وعلى الانكار.

(٧) يوسف ١٢/١٠٦. اطلب باب الشرك فيما يأتي.

(٨) الفاتحة ١/١ والنمل ٢٧/٣٣.

(٩) كما في ي وس. م وح: صدور. صدر المؤلف كتابه أي جعل له صدراً أي ديباجة. والصدور جمع صدر.

(١٠) النمل ٢٧/٣٠.

فَضلُها[1] في كتبهم أفضل فُصول.

هذا إلى كلمات غيرها، مثل قوله: ﴿الْحمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]. وقد كان فيما قد تَقَدَّم من الكُتبِ المنَزَّلة تحميد وتمجيد، ولكن لم يكن على هذا الاختصار بهذا اللفظ، ولم يُدَوَّن هذا التدوين.

وقوله: ﴿لا حول ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العليِّ العظيم﴾[3].

وقوله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيل﴾[4].

وقوله: ﴿تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾[5].

وقوله: «السلام عليكم»[6]. لم تكن هذه التحيَّة للأمم الماضية، وهي تحيَّة أهل الجنَّة، قال الله تعالي: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلاَمٌ﴾[7]. وروى عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «أُعطِيت أمَّتي ثلاث خِصال لم يُعطَها أحد قبلهم، صُفُوف الصلاة، وتحيَّة أهل الجنَّة، وآمين، إلا ما كان من موسى وهرون؛ فقد روي أنَّ موسى كان يدعو وهارون يُؤمن»[8].

---

(١) كما في ي وس. م: وصار فضلها.

(٢) الفاتحة ١/٢ ويونس ١٠/١٠.

(٣) الكهف ١٨/٣٩: **لا قوة إلا بالله**. وفي المفردات/ حول قال: وأصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره. والحال لما يختص به الإنسان وغيره من أموره المتغيرة في نفسه وجسمه وقنيته، والحول ماله من القوة في أحد هذه الأصول الثلاثة. ومنه قيل لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤) آل عمران ٣/١٧٣.

(٥) هود ١١/٥٦.

(٦) ي: السلام عليكم ورحمة الله. يشير إلى ما ورد من الآيات في السلام، مثل قوله عزَّ وجلَّ: **﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾** (الرعد ١٣/٢٤) و**﴿سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾** (النحل ١٦/٣٢) و**﴿إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾** (الأنعام ٦/٥٤). واطلب باب السلام فيما يأتي.

(٧) يونس ١٠/١٠ وإبراهيم ١٤/٢٣.

(٨) اطلب باب السلام وباب آمين فيما يأتي. «أعطيت ثلاث خصال. أعطيت صلاة في الصفوف. وأعطيت السلام وهي تحية أهل الجنة. وأعطيت آمين. ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله تعالى وهي تحية أهل الجنة. وأعطيت آمين. ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله تعالى أعطاها هارون، فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون». رواه ابن مردويه في تفسيره عن أنس بن مالك.

وقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ كانَ﴾[2].

قال أبو عبيد[3]: حدثنا مَرْوان بن مُعاوِية[4] عن سُفْيان بن زياد[5]، قال: سمعت [٦٣] سعيد بن جبير يقول: ما أعطىٰ أحد ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ و﴿مَا شَاءَ للَّهُ كانَ﴾ إلا النبي ﷺ. ولو أوتيه أحد لأوتيه يعقوب حين يقول: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ»[6].

فهذه الكلمات كلُّها ظهرت في الإسلام على لسان محمد ﷺ بلسان عربي، ولم تكن لسائر الأمم على هذا النظم العجيب والاختصار الحسن. فلما وردت عليهم اضطرُّوا إلى قبولها وتدوينها، والإقرار بفضلها، ولفظوا بها عند وجوب الشكر؛ وطلب الصبر، وفي وقت الاتكال والتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ، وعند فاتحة كلامهم وخاتمته، وعند كلِّ حادِث[7] نِعْمة، أو نازِل مُلمة[3] وإن كان الأنبياء الماضون صلوات الله عليهم أجمعين ومن دَرَج من الصالحين عرفوا معانيها، فإنهم لم يَرْسموها هذا الرَّسْم[8] لأممهم على هذا الكمال والإحكام. وادَّخَرَها الله عزَّ وجلَّ لمحمد[9] ﷺ تفضيلاً له وتشريفًا لمنزلته

---

(١) البقرة ٢/١٥٦.

(٢) وردت ﴿ما شاء الله﴾ في سورتي الكهف ١٨/٣٩ والأعلى ٨٧/٧.

(٣) ي. أبو عبيدة.

(٤) م وح وي: هارون بن معاوية. لعل الصواب مروان بن معاوية، لأنه روى عن سفيان بن زياد كما ذكره الحافظ في التهذيب. يعرف بأبي عبد الله الفزاري الكوفي. سكن في مكة ودمشق وهو ابن عم أبي إسحاق الفزاري. وثقه ابن معين وابن سعد وأبو حاتم وأبو داود والنسائي. مات سنة ثلاث وتسعين ومئة. (راجع التهذيب ٤/١١١).

(٥) م وح: سفين بن زياد. ي: سفيان، وهو الصواب. وجاء في تقريب التهذيب ٩٦ أنه سفيان بن زياد. ويقال ابن دينار العصفري أبو الورقاء الأحمري أو الأسدي كوفي، ثقة من السادسة. وفي التهذيب ٤/١١١ قال: روى عن أبيه زياد وعكرمة وسعيد بن جبير، وعنه الثوري ومروان بن معاوية وغيرهما. وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم.

(٦) يوسف ١٢/٨٤.

(٧) ي: عند حادث.

(٨) كما في ح وي. م: نازلة ملمة.

(٩) ي وس: الترسيم.

(١٠) ي: لمحمد نبيه.

ورفعة لدرجته، وأَبْرَزَها على لسانه، فنَطَقَ بها باللسان العربي الْمبين، وأحْكَمَهَا في كتابه، وجَعَلَها فَضَائِلَ له ومَنَاقب لأمته، وألْهَمَ جميع الأمم الاقتداء به واتِّباعه عليه.

[انتهى الجزء الأول وهو مقدمة المؤلف لكتاب الزينة ويتلوه الجزء الثاني]

كتاب الزينة

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حامداً ومصلياً. نقدم الجزء الثاني من كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، بعد أن قدمنا مقدمته للكتاب في الجزء الأول. وهذا الجزء يتضمن معاني ما ورد في القرآن الكريم من أسماء الله وصفاته ومعاني أسماء أخرى تتعلق بذات الله وبما وراء الطبيعة. والله وليّ التوفيق.

وسيجد القارىء في نظام التعليق على هذا الجزء تغييراً هَدَفْنا فيه إلى تيسير الطباعة والمراجعة، إذ رأينا أن نتبع كل فصلٍ أو باب ـ إن كان قصيراً ـ من هذا الجزء والأجزاء التي تليه بتعليقاتنا، بدلاً من أن نوردها في أسفل كل صفحة حسب ما فعلنا في الجزء الأول.

ولم يكن طبع الكلمات من اللغات السامية وغيرها أمراً غير عسير. وذلك لأن المطابع العربية لا تتوفر فيها حروف هذه اللغات. فلذلك كان حتماً علينا أن نصوغ مثل هذه الكلمات في قوالب (كليشهات) كتبنا بعضها بأنفسنا، واستعنا في غيرها بمطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة، فكانت تجمعها لنا. ومع هذا الجهد الذي لاقيناه، وجدنا بعض الألفاظ ظهرت وهي على غير ما نحب ونبغي، نتيجة لعيب لحقها عند السبك، أو نقص اعتورها عند الطبع. وعذرنا في هذا واضح، وإنه عند القارىء الكريم لمقبول. وللمعهد الفرنسي ومدير مطبعته منا جزيل الشكر على مساعدتهم لنا في هذا السبيل.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإننا ننتهز هذه الفرصة لنلفت أنظار الذين

يهمهم أمر لغة الضاد إلى أهمية الدراسات اللغوية المقارنة والموازنة بين الكلمة العربية وغيرها من اللغات، بدلاً من الاقتصار على اشتقاقها الداخلي، ثم إلى أهمية دراسة أطوار دلالتها في ظروف خاصة وعصور مختلفة. ونحن حين نذكر أهمية هذه الدراسات وما يجب اتباعه في سبيل النمو والتدرج بها، نطالب بتوفير حروف بعض اللغات للمطبعة العربية إذ يتطلبها البحث ويستلزمها التحقيق، لا سيما الحروف اللاتينية واليونانية والعبرية والسريانية والحميرية والحبشية والفارسية. ونظن أننا إذ نطلب من معاهدنا العلمية ودور النشر والطباعة هذا الأمر الجلل لا نطلب منها شططاً، ولكننا نريد تيسير العمل وتعميم الفائدة.

ولما كنا في مجال تأدية الشكر وواجب العرفان بالفضل فإننا لا نستطيع إلا أن ننوه بالغيرة الحقة التي حدت بأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدي إلى أن يغمرنا بعلمه، وأن يجلو لنا ما غمض من مسائل لغوية، وإلى أن يساعدنا بالمراجعة الأخيرة لكل ملزمة قبل طبعها. والله أسأل أن يطيل في عمره ويبقيه ذخراً للعلم وملاذاً لطالبيه.

وقد استعنا أيضاً في سعينا إلى بلوغ الصواب بصديقنا الكريم سعادة السيد علي المؤيد وزير اليمن السابق بمصر، فقد تقدمنا إليه طالبين منه مراجعة الملازم المطبوعة وتصحيح الأخطاء المطبعية التي تفوتنا. فأجاب إلى ما طلبناه، وأفادنا بواسع علمه ودقة ملاحظته. فللسيد المؤيد منا وافر الشكر على هذه المساعدة.

هذا وقد أضفنا إلى ثبت المراجع التي أوردناها في مقدمتنا للجزء الأول من كتاب الزينة مراجع أخرى استعنا بها في تعليقاتنا على الجزء الثاني وأشرنا فيها إليها باختصار، ونذكرها فيما يلي بالتفصيل:

الاختلاف في اللفظ: . . . والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، مصر ١٣٤٩.

أوضح المسالك: . . . إلى ألفية ابن مالك لعبد الله بن يوسف الأنصاري. تحقيق عبد المتعال الصعيدي. مصر ١٩٥٦.

التطور النحوي: . . . اللغة العربية. سلسلةمحاضرات ألقاها برغشتراسر. مصر ١٩٢٩.

مختار: . . . الشعر الجاهلي. أشعار الشعراء الستة. اختيار الأعلم الشنتمري.

تحقيق مصطفى السقا. مصر ١٩٤٨.

مقدمة ابن عطية: مقدمتان في علوم القرآن، وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية. تحقيق آرثر جيفري. مصر ١٩٥٤.

مقدمة المباني: اطلب مقدمة ابن عطية.

Abhandlungen:
Goldziher, J.: Abhandlungen zur arabischen Philologie. Leiden 1896.

Background:
Philby, St. J.B.: Background of Islam. Alexandria 1947.

Chrestomathiè:
Hommel, F.: Südarabische chrestomathie. München 1893.

Glossarium:
Rossini: Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica, with Glossarium. Roma 1931.

Grundriss:
Brockelmann, C.: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, 2 Bde. Berlin 1908- 13.

BD:
Miller, M. S. and Miller, J.L.: Harper's Bible Dictionary. New York 1955.

HELOT:
Browne F., Driver S.R. and Briggs, C.A.: Hèbrew and English. Lexicon of the Old Testament, based on the Lexicon of Gesenius, and as translated by Robinson. Oxford 1957.

Him. Ins.:
Mordtmann, J.H.: Himjarische Inschriften. Berlin 1893.

LVTL:
Koehler, L. and Baumgartner, W.: Lexicon in Veteris Testamenti Libros. Vols. 1- 2. Leiden 1951- 53.

Vocabilis:
Frankel, S.: De Vocabilis in antiquis Arabum Carminibus et in Corano peregrinis. Leiden 1880.

WDB:
Davis, J.D. and Gehman, H.S.: Westminster Dictionary of the Bible. New York 1944.

كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

القاهرة: ١٥ مايو ١٩٥٨

حسين الهمداني

باب ما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم

[البسملة آية من أم الكتاب] روي عن رسول الله ﷺ أنه جعل بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آية في فاتحة الكتاب خاصة. وبهذا أخذ جماعة من العلماء وأصحاب اللغة.

ويروى عن ابن عباس أنه قرأ فاتحة الكتاب، فقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم؛ وكان يقول: إنها آية من كتاب الله.

قال أبو عبيد[١]: فاتحة الكتاب في العدد ستُّ آيات. ويقال إن بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هي الآية السابعة لقول رسول الله ﷺ لما قرأ عليه أُبيّ ابن كعب فاتحة الكتاب فقال: فوالذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها. إنها السبع المثاني[٢].

وروي عن عليّ كرّم [٦٤] الله وجهه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي**﴾[٣]، قال: هي فاتحة الكتاب.

---

(١) ي و س: أبو عبيدة.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الصلاة ٣٧، ونصه: عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أخبره أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب وهو يصلي. فلما فرغ من صلاته لحقه، فوضع رسول الله ﷺ يده على يده، وهو يريد أن يخرج من باب المسجد. فقال: «إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة، ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها». قال أبي: فجعلت أبطىء في المشي رجاء ذلك. ثم قلت: يا رسول الله! السورة التي وعدتني. قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها. فقال رسول الله ﷺ: هي هذه السورة. وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت. وأخرج البخاري مثل هذه القصة عن أبي سعيد المعلى.

(٣) سورة الحجر: الآية ٨٧.

قال: وبهذا كان يأخذ الكسائي، وهو رأى أهل العراق. فأما أهل الحجاز فإنهم يَعُدُّون ﴿صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ﴾ آية. قال أبو عبيد: وقول أهل العراق أعجَب إليّ لحديث ابن عباس أنه قرأ أمّ الكتاب، فقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

[رمز في حديث ابن عباس] قال أبو عبيد: وفي حديث لا أحفظ إسناده عن ابن عباس أنه قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمن الرَّحِيم آية من كتاب الله سَرَقها الشيطان.

ونقول: إنّ هذا القول من ابن عباس هو رَمْزٌ تحته معنى لطيف خَفِي على العامة، لأنه إن لم يكن كذلك وحُمِل على ظاهر اللفظ استحالَ جداً. وكيف يقدر الشيطان أن يَسرق آية من كتاب الله، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿إنَّهُ لَقرآنٌ كَرِيم * في كِتَابٍ مكْنُونٍ لايَمَسسُهُ إلاّ المطَهَّرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿لاَ يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَينَ يَدَيهِ وَلاَ مِنْ خَلفِهِ﴾؟[2] فقد صانَه الله عزّ وجلّ أن يقربه الشيطان فضلاً عن أن يسرقه، بل يَفِرّ من استماعه، ويُطْرَد بقراءة القرآن وبذكر أسماء الله عزّ وجلّ. ومن أكبر أسمائه «بِسْم الله الرَّحمن الرَّحِيم». وكيف سرقها وهي مثبتة في فاتحة الكتاب وفاتحة كلّ سورة؟ ولم يُكرِّر شيء من القرآن والآيات كتكرُّرها، بل قد صارت فاتحة كلّ كتاب غير القرآن، ومدوَّنة[3] عند جميع الأمم. فإن قال قائل: إن ابن عباس إنما عَنى أنه سرقها من سورة الحمد، لأنها كانت آية منها فهي لا تُقْرَأ فيها ولا تُعَدُّ منها آية، قلنا: فلِم سرقها من سورة الحمد [٦٥] وتركها في سورة النمل؟ وأيُّ عداوة بين الشيطان وبين سورة الحمد من بين جميع السُّوَر حتى سرقها من هذه السورة وتركها في سائر السوُر؟ ولكن نقول: إن ابن عباس رَمَزَ بهذا الكلام وأشار إلى معنى أخفاه من عامة الناس. وقد دَعَا قوماً الجهلُ بذلك إلى إبطال الحديث على وجهه. ودعا ذلك الْملْحدة إلى الطعن عليه كفراً وطغياناً وجهلاً بآيات الله وإلحاداً فيها. ولو كان الحديث باطلاً لما رَواه أبو عبيد[4] وغيره

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.
(٣) ي: مروية.
(٤) ح و ي: أبو عبيدة. والصواب أبو عبيد كما جاء في م و س.

من أعلام الرواة في محلّه من المعرفة بالحديث ولا دَوَّنه في كتابه. وليس ابن عباس مع بَرَاعَته في العقل والعلم والمعرفة ممن يَنساغ للملحدين الطَّعْن على كلامه. ولكن ليس هذا بأنكر من طَعِنهم على كتاب الله عزَّ وجلَّ وادعائهم التناقض فيه. والناس أعداء ما جهلوا.

[المتشابه وحروف المعجم في القرآن] وهذه آية لها مِقدارٌ عظيم وخَطَر جليل، وتحتها معان[1] لطيفة، عرفها رسول الله ﷺ ومن بعده الراسخون في العلم، كما عرفوا المتشابه من القرآن ومعَاني حروف المعجم، مثل الم والمص والر والمر وكهيعص وغير ذلك[2].

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم، الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مُلك الله.

وروى أبو عبيد[3] بإسناد عن سليمان[4] قال في قوله «كهيعص»، قال: كافٍ هادٍ عالِم صادقٌ.

وروى عن ابن عباس قال: كاف من كريم، وهاء من هاد[5]، وياء من حكيم، وعين من عليم، وصاد من صادق. وعن سعيد بن جبير مثل ذلك.

وعن السُّدّيّ[6] قال: كان ابن عباس يقول في كهيعص وفي حم وفي يس وأشباه ذلك: هو اسم الله الأعظم. هذا إلى غير ذلك مما روي عنه،

---

(١) ي و س: معاني.

(٢) تنقص في س العبارة التالية: «وغير ذلك... وفي يس وأشباه ذلك».

(٣) ي: أبو عبيدة.

(٤) ي: سلمان. ذكر اسم سالم في أحاديث رويت عن سعيد بن جبير في تفسير كهيعص للطبري ١٦/٣٣ - ٣٤.

(٥) ي: هادي.

(٦) السدي بضم السين المهملة وتشديد الدال. هذه النسبة إلى السدة وهي الباب. وإنما نسب السدي الكبير إليها، لأنه كان يبيع الخمر بسدة الجامع بالكوفة. واشتهر بهذه النسبة جماعة منهم إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب القرشي مولاهم. روى عن ابن عباس وأنس بن مالك وأبي صالح. ورأى ابن عمر والحسن بن علي وأبا هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عنه الثوري وشعبة وغيرهما. وكان ثقة مأموناً. عالماً بالتفسير راوية له. ومات سنة سبع وعشرين ومئة في إمارة ابن هبيرة على العراق. راجع تهذيب الأنساب ١/٥٣٧ والتهذيب ١/٣١٤ رقم ٥٧٢.

ولو جاز له شَرْحه لشرَحه[1] بأوضح من هذا الشرح، ولكن لم يكن العلماء ليتخطّوا عما حُدَّ لهم فيما اختصهم الله به من العلم المخزون الذي [٦٦] جعلهم خَزَنَةً له وأمناء عليه والراسخين فيه. وإنما جاز لنا أن نقول فيما ألقوه[2] إلينا وأن نتكلم فيما أبرزُوه لنا. والله نسأل أن يُثَبتنا على منهاجِهم وأن يجعلنا مُقرِّين بجملة ما جهلنا تفسيره من الغَيْب المحجوب، لنكون من الفائزين برحمته.

[نزول البسملة] روى أبو عبيد[3] بإسناد له عن الحارث العُكِلْيّ[4] قال: قال لي الشعبي: كيف كان كتاب رسول الله ﷺ إليكم؟ قال: قلت: «بِاسْمِكَ اللّهُمَّ». قال: ذلك الكتاب الأول كتب النبي ﷺ «باسمك اللهمَّ»، فجرَتْ بذلك ما شاء الله أن تجري. ثم نزلت **﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا ومُرْساها﴾**[5]. فكتب «بسم الله»، فجرت بذلك ما شاء الله أن تجري. ثم نزلت: **﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرَّحمٰنَ﴾**[6]. فكتب «بسم الله الرحمٰن»، فجرت بذلك ما شاء الله أن تجرى. ثم نزلت: **﴿إنهُ من سُلَيْمان وَإنهُ بسمِ الله الرَّحمٰن الرَّحيم﴾**[7] قال أبو عبيد[8]: أراه كتب بذلك.

[كتاب النبي إلى قيصر بالبسملة] ويروى عن كعب[9] أنه قال: أول ما أنزل الله من التوراة «بسم الله الرحمن الرحيم». قال: **﴿تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ**

---

(١) كما في ي و س. م: ولو جاز له لشرحه. اطلب فصل الأسماء الأعجمية في القرآن ١/ ١٣٦ هامش رقم ١ ورأى أبي عبيدة أن حروف التهجي ابتداء فواتح السور.

(٢) س: فيما قالوه.

(٣) ي: أبو عبيدة.

(٤) هو الحارث بن يزيد العكلي (بالضم والسكون) التيمي. روى عن الشعبي وإبراهيم النخعي وعبد الله بن يحيى الحضرمي وغيرهم. كان فقيهاً من أصحاب إبراهيم من عليتهم. وكان ثقة في الحديث قديم الموت لم يرو عنه إلا الشيوخ. روى له البخاري مقروناً «قلت». راجع التهذيب ٢/١٦٣ رقم ٢٨٧.

(٥) سورة هود: الآية ٤١.

(٦) بني إسرائيل ١٧/ ١١٠.

(٧) سورة النمل: الآية ٣٠.

(٨) ي: قال أبو عبيدة: س: قال.

(٩) هو كعب الأحبار. اطلب باب الأخبار.

﴿رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1]. ثم ذكر الآيات

ويُرْوَى عن سعيد بن الْمسُيب[2] أن كتاب النبي ﷺ لما أتى[3] قيصر فقرأه، فقال: هذا كتاب لم أره بعد سليمان بن داود، يعني بسم الله الرحمن الرحيم. فإن صحّ ما قال كعب: إنها أول ما أنزل الله من التوراة، فإنها لم تكن على ما في القرآن، ولا كانت بهذه اللغة، ولا دُوِّنت هذا التدوين. والدليل عليه قول قيصر: إن هذا الكتاب لم أره بعد سليمان، ومن أوكد الحجج أن الأمم لم يستعملوها على ما جرت به السنة الآن. والله عزَّ وجلَّ عَظَّم شأن هذه الآية، فجعلها فاتحة كتابه وفاتحة كل سورة. وسَنَّ النبي ﷺ عليه أن جعلها فاتحة كتبه إلى الأمم والقبائل والملوك» فجرت السنة بذلك منه ﷺ في أمته، واقتدى به سائر الأمم اضطراراً، وجبلهم [٦٧] الله على ذلك لعظم شأنها وثبوت برهانها.

[إضافة اسم إلى الله] فأولها اسمٌ مضاف إلى الله. عزَّ وجلَّ أن يضاف إليه شيء إلا اسمه[4]. عزَّ اسمه وتعالى ذكره، فقال: بسم الله، فبدأ بالاسم ثم بالله، ولم يقل بالله. فهذا دليل على ما قلنا[5] إن تحت ذلك معاني لطيفةً وأمراً عظيماً. ثم نعت بسم الله بصفتين: الرحمٰن الرحيم. ولم يزد عليهما ولم ينقص منهما. وجعل بِنْية هذه الآية على بسم وعلى الله وعلى الرحمن وعلى الرحيم. ثم جعلها مقصورة على ذلك تامة كاملة، فناطَ بها كتابه، وجعلها فاتحة كل سورة في كتابه، عبرة للناظرين، وآية للمعتبرين، وحجة على العالمين. تبارك الله أحكم الحاكمين.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن من بني عمران بن مخزوم ويكنى أبا محمد. وكانت ابنة أبي هريرة تحت سعيد بن المسيب. وكان جابر بن الأسود بالمدينة فدعاه إلى البيعة لابن الزبير فأبى فضربه ستين سوطاً. وضربه أيضاً هشام بن إسماعيل ستين سوطاً وذلك أنه دعاه إلى البيعة للوليد وسليمان بالعهد فلم يفعل. مات بالمدينة سنة أربع وتسعين. وبرد مولاه. وقال له: يا برد! إياك وأن تكذب علي كما يكذب عكرمة على ابن عباس. راجع المعارف ٢٢٣.

(٣) حاشية س: لما ورد على.

(٤) ي: إلا لاسمه.

(٥) ي: قلناه.

[النعت في البسملة] قال قوم من أهل اللغة وأهل المعرفة بالعربية في «بسم الله الرحمن الرحيم»: الله منعوت بالرحمن الرحيم. قال: إنما يجري النعوت على ضربين: أحدهما تخليص[1] الاسم من الاسم، كما تقول: جاءني زيد؛ فتعلم أن الذي تخاطبه يعرف زيداً. والزيدون[2] كثيرة، فتقول: جاءني زيد الطويل، أو زيد التميميّ، أو ما أشبه ذلك، لتخلص واحداً ممن كان له مِثلُ اسمه، إذ كانا قد استَوَيا في الأسماء، فَيعرَف هو من غيره. فهذا مجازه[3] في هذا الوجه. والوجه الآخر يراد به الثناء والمدح والتقريظ والذمّ والشتم. يقال. جاءني زيد الشريف النبيل الكريم، أو جاءني زيد البخيل الشحيح؛ فَيعْلم أنك تثني عليه أو تذُمه. فإذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنما هو ثَناءٌ[4] على الله وتقرُّب إليه وتحبُّب. فهذا يلزمه هذا الوجه؛ ولا يلزم الوجه الأول من جهة التخليص، لأنه عزَّ وجلَّ لا سَمِيَّ له فخُلِّص من غيره. وكذلك كلُّ ما كان من هذا الباب في وصفه[5]، كقوله تبارك وتعالى: **﴿هُوَ الله الذي لا إله إلاّ هُوَ عالِمُ الغَيبِ والشَّهادَةِ هو الرَّحمٰنُ الرَّحيم﴾**[6]. وكذلك قوله: **﴿هُوَ الله الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ﴾**[7]. وكذلك: **﴿المَلِكُ [٦٨] القُدُّوسُ السَّلام المُؤمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجبّارُ المُتَكبِّرُ﴾**[8].

[حذف الألف من بسم الله] قال الفراء: إنما حذفوا الألف من كتاب بسم الله الرحمٰن الرحيم، لأنها في صدر كل سورة. فكثرت مع هذا على ألسنتهم، فاستخفوا حذفها، لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارىء معناه، ولا يحتاج إلى قراءته. فاستُخفَّ طرْحُها، لأن من شأن

---

(١) ي وحاشية س: تلخيص.

(٢) ي و س: وزيود.

(٣) كما في ي و س. م و ح: مجاز.

(٤) ينقص من مصور س بعض الأوراق من «هو ثناء» إلى أن نشير إليه فيما يلي في باب في ما جاء في الله عند الكلام عن لا هم واللهم.

(٥) وقد ذكر صاحب الزينة في الأبواب التالية من أسماء الله ونعوته ما جاء في التنزيل.

(٦) سورة الحشر: الآية ٢٢.

(٧) سورة الحشر: الآية ٢٤.

(٨) سورة الحشر: الآية ٢٣.

العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عُرف معناه. قال: ألا ترى أنك تقول «بسم الله» عند ابتداء كل من تأخذ فيه[1] من مأكل أو مشرب أو ذبيحة؟ فخفَّ عليهم الحذف لمعرفتهم به. ولم يحذفوا في قوله: ﴿فَسَبِّح بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2]، وأشباهها، لأنها لم تكثر ككثرة بسم الله. قال: وكذلك لم تُحذَف إن جئت بحرف غير الباء، كقولك: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله، وما أشبه هذا فهو بالألف. قال: وكذلك جميع أسماء الله عزَّ وجلَّ، مثل قولك: باسم الرحمن، وباسم الجبار؛ فإن الألف في كلها مُثْبَتة، لأنها لم تكثر في كلامهم، ولم تُسْتَعْمل كاستعمالهم إياها في بسم الله. قال الكسائي: استعمل هذا الكلام في التوَجع والتعجّب وعُرف مكانه فحذف. وقد دعا بعضَ الكُتَّاب معرفته بهذا إلى أن حذف السين مع الألف[3]، وهو مكروه.

وحُكيَ عن الأخفش أنه قال: الباء لا يوقف عليها فكأنها والاسم شيء واحد. وقال الكسائي والفراء: هذا خطأ لأنهم قد كتبوا «واضرِبْ» بالألف والواو ولا يوقف عليها. فلو كان كما قال لكتبوا هذه بِلا ألف.

وقال الكسائي: كلما أضفتها إلى اسم الله أو اسم الرحمن أو اسم القاهر حُذِفت الألف. وقال الفراء: هذا باطل ولا يجوز أن تُحذَف إلا مع الله، لأنها كثرت معه؛ فإذا عَدَوت ذلك أثْبتَّ [٦٩] الألف. وهذا هو القياس. وإذا كان قبلها كلام أثبِت الألف، مثل اقْرَأ باسم رَبِّكَ[4]، وابدأ باسم الله إذا أردت به الابتداء. وقال في قوله ﴿بِسم الله مَجْرِيها ومُرْسَاهَا﴾[5]: إن شئت حذفت، وإن شئت أثبتَّ، فمن أثبت فلأنها غير مبتدأ بها، وليس معها الرحمن الرحيم. ومن حذف فللاستعمال والمعرفة.

[أصل الاسم] وقال غيرهم: إنما حُذِفَت الألف، لأن الأصل كان «سِمٌ» و«سُمٌ» معاً. يقال هذا سِمُ الشيء وسُمُ الشيء. وأنشد:

---

(١) ي: عند كل فعل تأخذ فيه.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٤ و٩٦ وسورة الحاقة: الآية ٥٢.

(٣) يعني كتابته بها «بم».

(٤) سورة العلق: الآية ١.

(٥) سورة هود: الآية ٤١.

بسم الذي في كلّ سُورةٍ سُمُهْ[1] ٧٣

قال: وإنما أدخلوا الألف عماداً، لأن «سم» هو ناقص لأنها حرفان، فضُمَّ إليها الألف ليكون تاماً. قال: ويجوز أن يكون أدْخِل فيه الألف واللام، فقيل السم. فلما أدخلت الباء حُذِفت الألف من اللفظ، فاستقلت اللام فحُذِفت، وبقيت الألف على حالها فلما أدخلت عليه الباء ردّوه إلى أصله، فقالوا: باسم.

وقال آخر: اسم الشيء سِمَته والدليل عليه، فالألف زائدة فيه. وأصله حرفان سِمٌ وسُمٌ، وهما لغتان، واحتجّ أيضاً بقوله «بسم الذي في كل سورة سِمه»، فزيدت الألف في الابتداء اعتماداً له وتتميماً، فقيل اسم. ألا ترى أنك إذا صَغرت الاسم قلت «سُمَيٌّ»، فأسقطت الألف ورددت الكلمة إلى أصلها؟ وهي أيضاً تذهب في الوصل والإدراج. وذلك إذا ألحقت فيه الباء فقلت بسم الله، فذهبت الألف في الوصل لأنها زائدة. ولو كانت أصلية لثبتت في التصغير، ولكانت تُفْتَح كما تفتح ألفا الأب والأخ، فتقول: هذا أبوك ففتحت الألف في الابتداء والوصل. ولم تذهب في التصغير، فقلت: أُبَيٌّ وأُخيٌّ. ولو كانت زائدة لذهبت كما سقطت [٧٠] ألف اسم.

ويقال: إن الاسم مأخوذ من السُّموّ وهو العُلوّ والرفعة. والأصل فيه سِمْو بالواو على وزن حِمْل[2] وجمعه أسماء، مثل قِنْو وأقْناء. وإنما جُعل الاسم تنويهاً بالدلالة على معنى الاسم، لأن المعنى تحت الاسم. هذا قول النحويين[3].

[الأسماء والأشياء] قال الترمذي في الاسم نحو هذا المعنى. وقال: الاسم هو السمة، وجميع العلم في الأسماء (وهو بالعجمية «درويش

---

(١) عجزه: قد وردت على طريق تعلمه. نسبه أبو زيد في نوادره إلى رجل من كلب.

(٢) حمل بكسر الحاء ما يحمل وجمعه أحمال.

(٣) راجع الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين للأنباري ٤ ـ ١٠ لخصها الجوهري (صح/ سما) في قوله: الاسم مشتق من سموت لأنه تنويه ورفعة. وتقديره افع. والذاهب منه الواو لأن جمعه أسماء وتصغيره سمي. واختلف في تقدير أصله. فقال بعضهم: فعل. وفيه إربع لغات: اسم بالكسر واسم بالضم وسم بالكسر وسم بالضم.

وداغ»[1] تدلّ[2] على صاحبها)، لأنها حرفان: سين وميم، فالسين من السناء والميم من المجد، وهو لبّ الشيء. وكأنه سُمِّي اسماً لأنه يُضيء لك عن لبّ الشيء ويُتَرْجِم عن مكنونه.

وليس شيء إلا وقد وَسَمَه الله باسم[3] يدل على ما فيه من الجوهر. فاحتوت الأسماء على جميع العلم بالأشياء. فعلمها الله آدم صلوات الله عليه وأبرز فضيلته في العلم[4] على الملائكة؛ ثم قال للملائكة: **﴿أَنبِئُونِي بِأَسماء هَؤُلاءِ إنْ كُنتُم صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لنا إلا ما عَلَّمتَنَا إنك أنتَ العَلِيمُ الحكِيم * قال يا آدَمُ أنبِئهُمْ بأسمائِهِمْ فَلما أنبأهُمْ بأسْمَائِهِمْ﴾**[5] أبان فضله في العلم عليهم.

فأول ما بدأ من العلم أسماؤه تبارك وتعالى. فأول أسمائه الله. ثم الأسماء كلها منسوبة إليه، فقال: **﴿وَلِلهِ الأسْماءُ الحُسْنى﴾**[6]. فجعل الأسماء لاسمه «الله». فالاسم سِمَة الشيء، والصفة ظُهور الشيء وبُروزه؛ فالاسم للنطق والصفة للنظر؛ والاسم للسان والصفة للعين. قال: فقوله **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّها﴾**[7] أي أعطاه سمة كل شيء ليستدِلَّ على مكنون كل شيء وجوهريته، فاحتوت الأسماء على جميع الأشياء، فعلَّمها آدم عليه السلام. أما أصل العلم فحروف المعجم، وهي ثمانية وعشرون حرفًا. وهي مشتملة على جميع الأسماء. ومنها ألفت اللغات. فجميع العلم مُسْتَخرجٌ من الأسماء، [٧١] وعلّمها[8] الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام. فبذلك بَرَزَ على الملائكة

(١) م و ح: درويث وداغ. ي: درويش وداغ. والظاهر فيه تحريف وتصحيف. ونرجح أن الكلمة الفارسية لغة قديمة، وهي تكون درويش داغ بغير واو العطف أي دروي داغ، أو تكون دروست داغ. ومعناهما تدل على ما في الشيء من سمة أو جوهر.

(٢) كما في ي. م و ح: فهي تدل.

(٣) كما في ي. م و ح: بسمة.

(٤) يبدأ مصور ع من «العلم» بعد ما انقطع عند الكلام على الاحتجاج باللغة في تفسير القرآن ١٢٧/١.

(٥) سورة البقرة: الآيات ٣١ ـ ٣٣.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٧) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٨) كما في ي و ع. م و ح: وعلمه.

حتى فزعوا إلى التسبيح، فقالوا ﴿**سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[1].

قال النحويون: من قال إنْ اسماً مأخوذ من السِّمَة فقد غلط، لأنا لا نعرف شيئاً دَخَلته ألفُ الوصل مما حذفت فاؤه أعني فاء الفعل نحو عِدَةٍ وزِنَةٍ أصلهما وِعْدَةٌ ووِزْنَةٌ. فلو كان اسم من سمة لكان تصغيره إذا حُذِفَت منه ألف الوصل وُسَيْمة كما أن تصغير عِدَة وصِلَة وُعَيْدَةٌ ووُصَيْلَةٌ، ولا يقدر أحد أن يرى ألف الوصل فيما حُذِفت فاؤه من الأسماء.

[الاسم والمسمى] قال أبو عبيدة: بسم الله، مجازه هذا بسم الله، أو بسم الله أوّل كل شيء ونحو ذلك[2]. وأنشد لعبد الله بن رواحة:

بـــاسْـــمِ الإلــــهِ وبِـــهِ بَـــدِيــنـــا ولـــو عَـــبَـــدْنـــا غَـــيْـــرَهُ شَـــقِـــيـــنـــا ٧٤[3]

وقال: بسم الله إنما هو بالله، لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه، واحتج ببيت لبيد:

إلـى الْـحَـوْلِ ثـمّ اسْـمُ الـسـلام عـلـيـكـمـا

ومَـن يَـبْـكِ حَـوْلاً كـامـلاً فَـقَـدِ اعْـتَـذَرْ ٧٥[4]

وتابعه على هذا كثير من الناس. وخالفه آخرون، فقالوا: الاسم غير الْمُسَمَّى. ونذكر اختلافهم في ذلك بشواهد ودلائل وبيان. وبالله الحول والقوّة.

قال أهل المعرفة بالعربية: الأسماء، ثم الأفعال، ثم حروف المعاني. فأما الأسماء فهي المنْبِئَة[5] عن الشخوص التي تُوَلِّد الأفعال. فالْمسَمّى هو

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٢.

(٢) المجاز ١/ ١١ ـ ١٢.

(٣) نفس المرجع ١/ ٢٠ ـ ٢١: يقال بدأت وبديت. وبعضهم يقول: بدينا لغة. وفي صح/ بدا: وأهل المدينة يقولون بدينا بمعنى بدأنا. قال عبد الله بن رواحة الأنصاري:

بـــاســـم الإلـــه وبـــه بـــديـــنـــا ولـــو عـــبـــدنـــا غـــيـــره شـــقـــيـــنـــا

وحـــبـــذا رَبًّـــا وحـــب ديـــنـــا

وكان رسول الله يرتجز بها يوم الأحزاب حينما كان ينقل تراب الخندق كما جاء في الصحيحين.

(٤) نفس المرجع ١/ ١٦ ود لبيد ٢/ ١.

(٥) ي: المبينة. ع. المبنية.

الشخص والاسم عبارة عنه، وهو غيره، لأن الاسم لفظ والشخص معنًى سِواه.

فأما من قال اسم الشيء هو الشيء بعينه، واحتجاجه ببيت لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما، فإنه يذهب إلى أن الاسم تحته معنى مثل زيد وعمرو وأشباه ذلك. فإذا جُمع بين الاسم وبين زيد كان معناهما واحداً. وإنما ذهب إلى اللفظ، كقولك «امْح مِن كتابك اسْمَ زيد» و«امْح من كتابك زيداً». فإن أراد هذا فهو الصواب. وإن أراد أن اللفظ [٧٢] هو الشخص فهو خَطأ بَيِّن لا يخفى على كل ذي لبٍّ خَللُه وخَطؤه. فإن أراد أن الجوهر هو مستحقّ للاسم[١]، وأن بِنْية الاسم قائمة[٢] معه، واللفظ هو المعبِّر عن تلك البِنية، وهو غيرها، جازَ له أن يقول: الاسم هو المسمَّى، يريد البنية التي هي معنى المسمى[٣]، الواقِعَة له بوقوعه، لازمةً له، فهو مصيب.

ونقول في وجه آخر: قد يسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، فَيقَعُ عليها العدد. فلو كان الاسم هو المسمى لكان المسمى بعدد أسمائه كأسماء السيف، يُسمى[٤] السيف والمشرَفي والمُهَنّد والقاضِب والصَّمْصَامة والعَضْب وأشباه ذلك. فإن قال: كل واحد من هذا هو صاحبه، وإنما وقع العدد على اختلاف اللفظ، فقد صار إلى ما قلنا. وإن قال: إن كل شيء[٥] لا يجوز الإخبار عنه إلا باسمه، ولا يُوصل[٦] إلى معناه بغير اسمه[٧]، قلنا: هو الذي[٨] ذكرنا أن كل شيء فيه بنية الاسم لا يخلو منه، ولا تصل إلى الإخبار عنه إلا باسم تصفه به[٩]، ولا يزال مقروناً معه، لأنك لو رأيت

(١) ع: للاسم فيه.
(٢) كما في ع. م و ح و ي: بنية الاسم فيه قائمة.
(٣) ي: التي هي مع المسمى. ع: التي مع المسمى.
(٤) كما في ع. م و ح و ي: ويسمى.
(٥) ع: إن لكل واحد شيء.
(٦) ع: ولا يصل.
(٧) كما في ي. م: بغير اسم. ع: لغير اسمه.
(٨) ع: هو للذي.
(٩) ي: إلا بصفته به. ع: يصفه.

شخصاً فذكرت له اسماً، ثم خالَفك فيه غَيْرُك، فسماه بغير ما سميته، فقد اختلفتما في الاسمين لا في الشخص، والشخص بينكما ثابت. فهذا قد بيَّن لك أن الاسم غير المسمى. وإنما بينا هذا من جهة العربية واللغة.

وقولك «السلام عليكم» معناه اسم السلام عليكم. والسلام اسم من أسماء الله[1]. وليس بيت لبيد: ثم اسم السلام عليكما، من التحية في شيء. إنما أراد: تولاكما الله بالحفظ، دُعاءً لهما، لا على وجه التحية، كما تقول: اسم الله عليك. والكلام في هذا الباب من الفرق بين الاسم والمسمى يتوصل به[2] إلى كثير من الكلام في اختصام الناس في القدَر، وفي خلق[3] القرآن، وإثبات الفعل ونَفْيه[4].

وقد روي في بعض خطب عليّ كرّم الله وجه أنه فرّقَ بين الصفة والموصوف، وهو هذا المعنى بعينه. وذلك حين تكلم في التوحيد، فقال عليه السلام: أول الديانة بالله معرفته. [٧٣] وكمال معرفته توحيده. ونظام توحيده نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوفٍ مخلوق، وشهادة الصفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية على أنفسهما[5] فالصفة والموصوف بمنزلة الاسم والمسمى، لا فرق بينهما في هذا المعنى. والكلام في هذا يطول. وذكرنا منه هذا القدر[6] في باب بسم الله، وفيه بلاغ إن شاء الله.

[بسمل فهو مبسمل] وسمعت من يقول: بَسْمَلَ الرجل، إذا قال بسم

(١) اطلب باب معنى السلام.
(٢) كما في ع. به ناقص في م و ح و ي.
(٣) كذا في ي و ع. سقط خلق في م و ح.
(٤) ع: ونفيه وفي التوحيد.
(٥) جاء في النهج ١/ ٢٣ ما يلي: أول الدين معرفته. وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه. ومن ثناه فقد جزأه. ومن جزأه فقد جهله الخ.
(٦) ي: هذا الرسم.

الله. ويقال في الأمر: بَسْمِلْ، أي قلْ بسم الله. وأنشد لعمر بن أبي ربيعة:

لـقـد بَـسْـمَـلَـتْ لَـيْـلـى غـداةَ لَـقِـيـتـهُـا
ألا حَـبَّـذا ذاك الـحـبـيـبُ الـمـبَـسْـمِـلُ ٧٦[1]

قال: وهي حضريّة ليست ببدويّة.

(١) ورد البيت في الذيل لديوان عمر بن أبي ربيعة. وقيل إنه منسوب إليه غير موجود في ديوان شعره. رواية التاج/ بسمل والذيل رقم ٤١٣: ذاك الحديث المبسمل.

باب ما جاء في اللَّه

[انفراده تعالى باسم الله] قال بعض العلماء: اسمه «الله»، لأنه تفرَّد بهذا الاسم، فلم يُسَمَّ بهذا الاسم شيءٌ من الْـخَـلق، ولم يُوجَد هذا الاسم لشيء من الأشياء. ووجدنا غيره من أسمائه الْحسْنَى نعوتاً وصفات لهذا الاسم الواحد. وإنما جازَ أن يقال لها أسماء وهي صفات ونعوت، لأن النعْت يقوم مقام الاسم، ويكون خَلفًا منه، كما يقال قام زيد العاقل، وقام عمرو اللبيب. فزيد هو الاسم والعاقل نعته. ثم تترك تسمية زيد، فتقول[1]: قام العاقل، وقام اللبيب، فيكون العاقل واللبيب خلفًا من متروك. والعاقل في هذا الموضع اسم إذ صار له الوصف. فهذا الاسم مُسْتَوْلٍ[2] على الأسماء كلها، أعني الله عزَّ وجلَّ، وإليه تُنْسَب الأسماء كلها. قال عزَّ وجلَّ: ﴿ولله الأسْماءُ الْحُسْنَى﴾[3] فنسب إلى هذا الاسم الأسماء كلها. والبرّ والفاجر انقادا له بهذا الاسم كرهاً أو طوعاً. وتَسمَّى الناس بسائر الأسماء، ولم يَتَسَمَّوْا بهذا الاسم الواحد، وهو الله.

والذين أشركوا في عبادته وعبدوا غيْرَه اشتقّوا له أسماء من اسمه. [٧٤] فسمّوا أوثانهم آلهة. فأما لأنفسهم فلم يستجيزوا ذلك. وتسمَّوا بالعزيز والجبّار والملك والرحيم والعظيم وسائر الأسماء. فهذا اسم له على الانفراد، ممنوع من الخلق أجمعين. قال عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[4]. قال بعض المفسرين: هل تعرف له شبيهاً. وقال آخرون: لم يُسمّ بهذا الاسم غيره. قال: وليس هذا الاسم بمشتقّ من نعت، كالقادِر من

(١) ع: فمن يترك تسمية زيد فيقول.
(٢) كذا في ح و ي. م: متول. ع: مستولي.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٤) سورة مريم: الآية ٩٥.

القدرة، والراحِم من الرحمة، والعالم من العلم. إنما هو اسم لا تشاركه صفة. وقلنا إنما سمّوا أوثانهم آلهة. وواحد الآلهة إله، فقالوا: هذا إله بني فلان، لِما كانوا يتخذونه من الخشب والحجارة وغيرها. وهو اسم نكرة كأنه إله من الآلهة. فإذا أُدخِل فيه الألف واللام قيل: الإله. ولم يقولوا بالتعريف لغير الله. ولم يقولوا لغير الله إلا بالإضافة. قالوا: إله بني فلان[(١)].

[كلمة الله] فأما الله عزَّ وجلَّ فهو الإله مُعَرَّف بالألف واللام. فالألف هو من سِنخ الكلمة لأنه في الأصل إله، والألف أُدخِلت فيه مع اللام للتعريف. فلما أُدخِلت فيه ألف التعريف سقطت الألف الأصلية، وتُركت الهمزة لكثرة ما يجري على ألسنتهم، وأُدْغِمَتْ لام المعرفة في اللام التي لَقِيتْها وفُخِّمَتْ وأُشْبِعتْ حتى أطبق اللسان بالحنك لفخامة ذكره تبارك وتعالى[(٢)]. ثم صارت الألف واللام فيه كأنهما من سنخ الكلمة فقيل: الله. وكان الاسم مخصوصاً له جل ذكره.

واشتقّت العرب من الله اسماً[(٣)]، فسمّوا بعض أصنامهم اللات. قال ابن جريج[(٤)]: اشتقّوا اللات من الله، والعُزَّى من العزيز. عزَّ الله وجلَّ. واللات صنم من حجارة كان في الكعبة. فكسره النبي ﷺ وقال قوم: كان

(١) كانت العرب في الجاهلية يعتقدون بوجود إله خالق رازق نادر يلجأون إليه إذا مسهم الضر، ثم يتخذون أصناماً من الخشب أو الحجارة، ويسمونها آلهة. فأشركوا بالله آلهتهم وأطلقوا على آلهتهم اسم الشركاء لله. وحكى القرآن عنهم ذلك في قوله: **﴿وقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾**. وكانوا يعبدون آلهتهم بحماس ويؤثرونها بالقرابين، كما يجعلون بين الله وبين الجنة نسبًا. كأنهم جعلوا هذه الآلهة وسطاً بينه وبين عباده. وحكى القرآن عنهم هذا في قوله: **﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**. فهي عقيدة لم تكن وثنية ساذجة، بل أشبه بالعقيدة المسيحية التي تجعل للأساقفة والقديسين والملائكة مقاماً بين الله وعباده بخلاف العقيدة الموسوية اليهودية التي تهدف إلى توحيد «ياهو» ﷻ وتجريده من الشرك.

(٢) وفي غريب القرآن ص ٥. قال ابن قتيبة: ألزم الألف واللام ليدل بها على أنه إله كل شيء. وكان الأصل الإلاه، فتركت الهمزة لكثرة ما يجري ذكره على الألسنة، وأدغمت لام المعرفة في اللام التي لقيتها وفخمت وأشبعت حتى طبق اللسان بها الحنك لفخامة ذكره.

(٣) كما في ي. م و ح: أسماء.

(٤) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح ويكنى أبا الوليد. مات سنة خمسين ومئة راجع المعارف ٢٤٦ والتهذيب ٦/ ٤٠٢ ـ ٤٠٦ رقم ٨٥٥.

رجل يلتّ السويق بالسمن فيطعم الناس. فلما مات عبدوه زماناً. فلما طال عليهم اتخذوا له مِثالاً من حجارة، فعبدوه وسموه باسم اللات للسويق[١]. وقد ذكرنا ما روي في اللات والعُزّى في باب الأصنام.

[حذف الألف واللام من الله] ومن العرب [٧٥] من يحذف الألف واللام من الله فيقولون: لاهِ لا أفعل ذلك. يريدون: والله لا أفعل ذلك، على طريق القسم. ويقولون: لاه درّه. يريدون: لله درّه. قال ذو الإصبع[٢]:

لاهِ ابْنُ عمِّك، لا أفضلْتَ في حَسَبٍ
عنّي، ولا أنت ديّاني فتخزوني ٧٧[٣]

وقال آخر[٤]:

لاهِ درُّ الشبابِ والشَّعَرِ الأسْـ
ـوَدِ والرّاتِكاتِ تحتَ الرِّحالِ ٧٨[٥]

يريد لله درّ الشباب. قال امرؤ القيس:

طالَ الزمانُ وليس[٦] حِينَ تَقاطُعٍ
لاهِ ابْنِ عَمِّك والنوى يَعْدُو ٧٩[٧]

---

(١) سقطت في ي العبارة واللات صنم من... باسم اللات للسويق.

(٢) هو حرثان بن الحارث بن محرث المُلقّب بذي الإصبع العدواني الحكيم الشاعر الخطيب المعمر. وقيل له ذو الإصبع لأن أفعى نهشت إصبعه. راجع الكامل ١١ و ٢١١ والشعر والشعراء ٤٤٥ وق/ الإصبع.

(٣) لاه ابن عمك على الخفض قسم. معناه ورب ابن عمك. لا أفضلت في حسب عني أي لا أفضلت في حسب علي. والديان القهار والحاكم والسائس والمجازي الذي لا يضيع عملاً بل يجزي بالخير والشر. قال ابن السكيت: ولا أنت دياني أي ولا أنت مالك أمري فتسوسني اهـ. م و ح وي: فتجزوني. رواية ع والمفضليات رقم ٣١ وصح/ دين ول/ خزا: فتخزوني. خزاه أي ساسه. قال صاحب الزينة في باب الديان حكاية عن المبرد، قال: تجزوني معناه تجزيني. اطلب باب الديان.

(٤) وهو عبيد بن الأبرص. اطلب ديوانه ص ٣٨.

(٥) رتك البعير يرتك بضم العين وكسرها رتكاً ورتكاناً قارب خطوه في مشيه. وفي ل/ رتك: ولا يقال إلا للبعير. والأصمعي: الراتكة من النوق التي تمشي وكأن برجليها قيداً وتضرب بيديها.

(٦) ي: ولات. وقد انتقل لات بمعنى ليس من السريانية «ليت» وهي اختصار الآرامية «لا ايت» أي لا وجود.

(٧) لم نعثر على البيت في ديوانه. لعله من الأبيات المنحولة إليه.

يريد لله ابن عمّك. فحذف اللام.

واختلف النحويون فيها. فقال قوم: المحذوفة اللام الأصلية والباقية لام الخفض، لأن حرف الخفض لا يُضْمَر بإجماع. وقال آخرون: بل الباقية الأصلية، لأنه لا يُحْذَف من أصل الحرف. ولكل فريق حجة يطول بشرحها الكتاب.

[لا هم واللهم] ومنهم من يدخل في لاه الميم، فيقولون: لا هُمَّ. قال الراجز:

لا هُـــمَّ إنّ عــــامِـــرَ بـــن جَـــهْـــم
أوْ ذَمَ حـــجّــا فـــي ثِـيـــابِ دُسّـــم ٨٠ [١]

وقال أبو خِراش [٢] وهو يسعى بين الصفا والمروة:

لا هُـــمَّ هـــذا خـــامِـــسٌ إن تَـــمـــا ... أتَـــمـــه الله وقـــد أتَـــمَّـــا
إن تَـغْـفِـرِ الـلـهـمّ تـغـفـرْ جَـمـاً ... وأيُّ عَـبْـدٍ لـك لا أَلَـمَّـا ٨١ [٣]

فقال في بيت: لا هُمَّ هذا خامس. وقال في البيت الآخر: إن تغفر اللهمّ. فأدخل فيه الألف واللام وترك الميم على حالها، كما يقال في الدعاء [٤]: اللهمّ. قال عزَّ وجلَّ: ﴿**قُلِ اللهمّ مالِكَ الْمُلْك**﴾ [٥]. فهذا يجيء

(١) في ل/ وذم قال: أوذم الشيء أوجبه وأوذم على نفسه حجا أو سفراً أوجبه. في ثياب دسم أي متلطخة بالذنوب يعني أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب. وفي الأساس/ دسم: فلان دسم الثوبين ودنس الثوبين وأطلس الثوبين الذي يعاب في دينه أو مروءته.

(٢) هو أبو خراش الهذلي واسمه خويلد بن مرة أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل. ومات في زمن عمر بن الخطاب نهشته حية. وهو صحابي.

(٣) لم يرد الرجز في د الهذليين وأشعار هذيل. في ل/ لمم: قال ابن بري: الشعر لأمية بن أبي الصلت. قال: وذكر عبد الرحمن عن عمه عن يعقوب عن مسلم بن أبي طرفة الهذلي قال: مر أبو خراش يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول: لا هم هذا خامس الخ. وورد «إن تغفر اللهم... لا ألما» في د أمية بن أبي الصلت ٥٨، وفي الأغاني ٣/ ١٩٠ نسبه أبو الفرج إلى أمية. وألم الرجل من اللمم وهو صغار الذنوب. وفي التنزيل العزيز: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾.

(٤) يبدأ مخطوط «س» من «في الدعاء». اطلب فصل إن من الشعر حكمة ١/ ١٠١ أشرنا في الهامش رقم ٦ إلى ما وقع في مصور المخطوط من التقديم والتأخير.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

منصوبًا. قال قوم: إنما نُصِبَت الميم، لأنه يُنادَى بيا، كما تقول: يا عبدَ الله، فَجُعِلَت الميم عوضاً من ياء. وأنشد:

وما عليكِ أن تقولي كلَّما
سبَّحْتِ[1] أو صَلَّيتِ يا اللهمَّ ما[2]
ارْدُدْ علينا شَيْخَنا مُسَلَّما ٨٢

ومما[3] يوضِح لك المعنى أنّ هذه الميم بَدلٌ من ياء النداء قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذْ قالوا اللَّهمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الْحقَّ مِن عِنْدكَ﴾[4].

قال بعض أهل العلم: ليس لقولهم اللهمّ وجه يُصرَف إليه أكثر من أنها دعوة أرادوا الله بها. فليس يستقيم أن تقول: الله، ثم تسكت. فلا يكون ذلك دعاء. فلذلك ضموا إلى الهاء ميماً، فحسنت [٧٦] الرغبة والاستغاثة والدعوة. وعلّم الله المسألة نبيه ﷺ فقال: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمـلْكِ تُؤْتي الْملْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْملْكَ مِمن تَشَاءُ﴾[5].

سمعت الُمبرِّدِ[6] يقول: يا الله اغفرْ لي. ويقول: اللهمّ اغفرْ لي. فيجعل الميم عوضاً من ياء. قال أبو العباس ثعلب[7]: أخبرني سَلمة[8] عن

---

(١) كما في ي و س وع ول/ إله. وح: سجدت.

(٢) كذا في ي و س والخزانة (الشاهد ١٣١) ١/٣٥٨. م و ح: يا للهما. وهو خطأ. رواية ح و ل/ إله: أللهما. وقد جاء ذلك في الخزانة شاهداً على زيادة ما بعد يا اللهم. هذا الرجز لا يعرف قائله.

(٣) والعبارة الآتية من «ومما يوضح... ثم نزع الهمزة من أم وأدغم الميم في الميم» ناقصة في ع.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٦) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه. توفي سنة خمس وثمانين ومئتين. وكان بينه وبين أبي العباس ثعلب شيء من المنافرة.

(٧) أحمد بن يحيى أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو والعربية. حفظ كتب الفراء، فلم يشذ منها حرف. وعنى بالنحو أكثر من غيره. توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين.

(٨) سلمة بن عاصم أبو محمد صاحب الفراء وأحد العلماء الكوفيين. روى عن الفراء كتبه كلها، وكان لا يفارقه. الفهرست ١٠١.

الفراء أنه قال: هذا خطأ. قلت: ولِمَ؟ قال: لأنه قد يأتي مع ياميم[١]. فلو كانت عِوَضاً من يا لما جمعوا بينهما. وأنشد أبو المكارم[٢] الشعر المتقدم:

وما عليك أن تقولي كلما

فالميم مع يا لا تكون عوضاً.

قال أبو العباس: أراد بإدخال الميم - يا اللهُمَّ - أُمَّنا بخير[٣] أي اقْصدْنا به، ثم نَزع الهمزة من أمّ وأدغمَ الميم في الميم[٤]. قال: ولم نجد العرب زادت هذه الميم في نواقص الأسماء إلاّ مخففة مثل الفم ومثل ابْنم[٥] وهم، وهي في اللهم مثقلة.

[اللهم فيها جماعة أسماء الله وصفاته] قال قوم: هذه الميم علامة الجمع، كقولك في الواحد: عليه، وفي الجمع: عليهم، وإليه، وإليهم، كأنك قلت «الله الذي له الأسماء الحسنى». فهذه الميم علامة جميع الأسماء. وإنما نُصبتْ كما نُصبتْ نون الجميع في قولك، مسلمون ومؤمنون وصالحون. فالنون فيه نصبت وهي علامة الجميع من أسماء المخلوقين. وهذا معنى قول الحسن البصري، قال: «اللهم» مَجمع الدعاء، ومعنى قول

---

(١) ي و س: لأن الميم مع يا.

(٢) لا ندري صاحب هذه الكنية: إنما يظهر من سياق الكلام أن المراد منها الفراء. والمعروف أنه كان يكنى بأبي زكريا. ويقول الفراء في معاني القرآن ١/٢٠٣: وقد أنشدني بعضهم: وما عليك أن تقولي... الرجز.

(٣) كذا في جميع الأصول لتي بأيدينا، وهو خطأ ظاهر. والصواب «يا الله أمنا بخير» كما جاء في المسئلة ٤٧ من الإنصاف، فقد ذكر فيها أن الكوفيين احتجوا بأن قالوا: الأصل فيه «يا الله أمنا بخير» إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلبًا للخفة، كما قالوا هلم وويلمه، والأصل هل أم وويل أمه. ثم ذكر من ردود البصريين عليهم أنه لو كان أصله ذلك لما جاز استعماله إلا في هذا المعنى، مع أنه يقال اللهم أخزه اللهم أهلكه وما أشبه ذلك.

(٤) س: وأدغم النون في الميم. هذه النسخة هي الصحيحة كما هو ظاهر، ولكن ليس من الإدغام في شيء. وإنما هو حذف للخفة كما سبق عن الإنصاف.

(٥) ي و س و ع: أنتم. زيدت الميم في ابنم لأن الاسم محذوف اللام فكأنها عوض منها كما فسره ل/ بني نقلاً عن سيبويه. راجع الفراء: معاني القرآن ١/٢٠٣. والميم في أنتم وهم علامة الجمع كما ذكره المؤلف فيما يلي:

أبي رجاء العطاردي[١]، قال: هذه الميم في قولك «اللهم» فيها جماعة سبعين اسماً من أسماء الله. ونحوه قول النضر بن شميل[٢]، قال: من قال «اللهم» فقد دعاه بجميع أسمائه كلها. هكذا رُوي عن هؤلاء الذين ذكرناهم[٣].

وقال الخليل بن أحمد: هما ميمان، الأولى مجزومة والثانية مفتوحة. فالثانية عوض من قولك يا، كما فتحت نون الجميع لاجتماع الساكنين، وكقولهم إنَّ ولَيتَ وأينَ[٤] فالميم الأولى ساكنة والثانية مفتوحة والهاء

---

(١) أبو رجاء العطاردي بصري اسمه عمران. واختلف في اسم أبيه، فقيل عمران بن تميم، وقيل عمران بن عبد الله. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وكان مسلماً على عهد النبي ﷺ. أسلم بعد الفتح وعمر طويلاً. وقال الفرزدق حين مات أبو رجاء:

ألم تر أن الناس مات كبيرهم ... وقد كان قبل البعث بعث محمدِ

قال ابن قتيبة: مات سنة سبع عشرة ومئة وهو ابن مئة وثمان وعشرين سنة. المعارف ٢١٩ وأسد الغابة ٥/١٩٢.

(٢) النضر بن شميل البصري المروزي. وكان من أصحاب الخليل بن أحمد وَصاحبَ غريب وشعر ونحو وحديث ومعرفة بأيام الناس وفقه. وتوفي بخراسان سنة ثلاث ومئتين. المعارف ٢٦٩ وأخبار البصريين ٤٩.

(٣) وقد اضطرب أصحاب النحو في شأن «اللهم»، وذهبوا في تفسيرها كل مذهب، لكننا نرى أن ما أتاه صاحب الزينة من أقوال الحسن البصري وأبي رجاء وابن شميل يفسره تفسيراً يوافق تفسير نظيرها بالعبرية אֱלוֹהִים (إلوهيم). ولايخفى أن مرادف كلمة «إلاه» في العربية الجنوبية القديمة هو 𐩱𐩡 (إل) وفي السامية (العبرية) الأصيلة هو אֵל (إل). وقد احتفظت الكلمة العربية الجنوبية بصورتها ودلالتها، وعاشت الكلمة العبرية في الأسماء المركبة، مثل بيت الله، وندر استعمالها بمعنى الله. ولما كانت «إلو» يحتمل أن تشير إلى رئيس الآلهة في Pantheon (البانثيون) فقد حلت محلها الكلمة الآرامية אֱלוֹהַּ (إلوه) بصيغتها الثانوية وجمعها אֱלוֹהִים (إلوهيم) في حين أن الكلمة «إلوه» كانت نادرة الاستعمال في صيغة المفرد تطورت صيغة الجمع «إلوهيم» ومعناها الآلهة إلى أن أصبحت دالة على الإله الواحد الفرد الذي يجمع أسماء الله وصفاته، كما حكاه كوهلر وباوم غارتنر في Lexicon in Veteris Testamenti Libros 1: 51- 52. وقد زاد تطور هذا اللفظ بصيغة الجمع في الدلالة على المفرد لدى العبريين لشدة تمسكهم بالتوحيد والتجريد؛ وكان اسم الجلالة «يهو» ينطق بصيغة الجمع مع أنه في الحقيقة لم يكن إلا لفظاً يدل على الله الواحد، أو بعبارة أخرى لفظاً يجمع جميع الأسماء والصفات. وإلى المعنى الأخير أشار أيضاً علماء العربية الحسن وأبو رجاء وابن شميل في تفسير «اللهم». وقد تكون العرب أخذته من قبائل بني إسرائيل، كما حكاه مارغليوث في ERE ٦/٢٤٨.

(٤) ع: وليت ولعل وأين.

مرفوعة لوقوع الإعراب[1] عليها.

[**رأى الفراء في اللهم**] وقال غيره[2]: «اللّهُمَّ إنما هو في الأصل الله، فضمَّ إليه أمَّ، يريدون: يا الله أمنا بخير. فكثرت في الكلام واختلطت، [٧٧] فالرفع في الهاء بدل من همزة أمَّ، لما تُركتْ نقلتْ إلى ما قبلها» يقال أَممتُ فلاناً إذا قَصدْتَه. وفي الأمر يقال: أمَّ يا هذا. قال المتلَمس:

أمّـــي شـــآمِـــيّـــةً إذْ لا عِـــراقَ لـــنـــا
قَـــوْمٌ نَـــوَدُّهُـــمُ إذْ قَـــوْمُـــنـــا شُـــوسُ[3]

وقوله: يا الله أمَّنا بخير، أي اقصدنا وتَعمَّدنا[4] وأعطنا الخير. قال[5]: «ونرى قولهم: هَلُمَّ إلينا، مثله. إنما كانت هل فضمَّ إليها أمَّ فتُركت على نصبها. ومن العرب من يقول إذا طَرَح الميم: يا الله؛ فُيهْمز الألف ويُحذف[6] فمن حذف فهو على ذلك السبيل لأنها ألفٌ[7] ولامٌ. ومن هَمزَها توهّم أنها من الحرف إذ كانت لا تسقط منه. قال: أنشدني بعضهم:

مُـــبـــارَكٌ هُـــوَ ومَـــن ســـمَّـــاهُ
عـلـى اسْـمـك الـلـهـم يـا الله ٨٤[8]

وقد كثرت [اللهم][9] في كلامهم حتى خففوا ميمَها في بعض اللغات، وأنشد[10]:

---

(١) حاشية ع: لوقوع النداء.
(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٠٣.
(٣) د المتلمس ٣٢: لا عراف لنا. والأشوس ذو الشوس الذي نظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً أو نظر إليك نظر المبغض.
(٤) ع: وتغمدنا.
(٥) هو الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٦) كما في ي و س و ع. م و ح: إذا طرح الميم فيهمز يا الله ويحذف. الفراء (نفس المرجع): يا الله أغفر لي، ويا الله اغفر لي، فيهمزون ألفها ويحذفونها...
(٧) حاشية س و ع: ألف الوصل.
(٨) ل/ إله.
(٩) الزيادة من معاني القرآن.
(١٠) قال الفراء (نفس المرجع): وأنشدني بعضهم.

كـــحَـــلـــفـــةِ مـــن أبـــي رِيَـــاحِ   يـسْـمَـعُـهـا الـلـهُـمَّ الْـكُـبـارُ» ٨٥[١]

[في اشتقاق اسم الله] هو في الأصل «إله» كما بينا وقال قوم في اشتقاق هذا الاسم: هو مأخوذ[٢] من أله يَأْلَهُ إذا تَحيَّر، كأن القلوب تأله أي تتحير عند التفكر في عظمته؛ فلا يعلم أحد كيف هو، تبارك وتعالى عن الصفات وعن درك المخلوقين[٣]. وروي عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه أنه قال: كلٌّ دون صفاته تحير اللغات، وعجز[٤] هنالك تصاريف الصفات. فليست له صفةٌ تُنال، ولا حدٌّ تُضرب له فيه الأمثال. وقال زهير في هذا المعنى:

---

(١) البيت للأعشى (الصبح المنير ١٩٣) م: كدعوة. ل/ إله: أبي رباح. ل/ إله: لاهم. قال الفراء: وإنشاد العامة يسمعها لاهه الكبار. قال: وأنشدني الكسائي يسمعها الله والله كبار اهـ. قال ثعلب (الصبح المنير ١٩٣ ـ ١٩٤): روى الفراء: لاهه الكبار، أبو عبيدة: يسمعها الواحد الكبار. قال: يقول: ختم الله عليهم فبر أبو رباح، رجل من بني ضبيعة هو حصين بن عمرو وكان قتل رجلاً من بني سعد بن ثعلبة جارا لهم، فسألوه أن يديه فحلف. ثم إن رياحاً قتل بعد حلفته فبرت يمينه، فضربت حلفته مثلاً لِما لا يغني من الحلف. اطلب أيضاً الخزانة ١/ ٣٤٥.

(٢) ع: وقال قوم في اشتقاق هذا الاسم وهو في الأصل إله كما بينا وهو مأخوذ.

(٣) يرى معظم العلماء من أصحاب العربية والمفسرين أن اسم الله مأخوذ من أله يأله أو وله يله ويوله ويأله (الواو تبدل من الألف كما قاله المؤلف فيما بعد) إذا تحير. وقال بعضهم: إن الاسم لا اشتقاق له، ولا له أصل في لغة العرب وفي غيرها من اللغات، وهو اسم مرتجل. وروي عن الخليل، كما حكاه البيهقي ص ١٢ ـ ١٣، روايتان. إحداهما أنه اسم علم، ليس بمشتق، وروى عنه سيبويه أنه مشتق، فكان في الأصل الإلاه. وأضاف البيهقي قائلاً: «وأحب هذه الأقاويل إلى قول من ذهب إلى أنه اسم علم، وليس بمشتق. والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم دخول حرف النداء عليه، كقولك: يا ألله، وحرف النداء لا تجمع من الألف واللام». وقد استعمل الاسم אֱלֹהַּ (إلوه) بتوسع بالعبرية، و אֱלָהּ (إلاه) بالآرامية، ܐܠܗܐ (ألوها) في السريانية، و 𐩱𐩡𐩠 (إلاه) في العربية الجنوبية مما يدل على أنه اسم علم، وبهذا المعنى شاع في اللغات السامية، حتى وردت كلمة 𐩩𐩲𐩡𐩺 (تعالى) في نقش قتبانى بكحلان اليمن، كما حكاه جيفري ٦٧ نقلاً عن رودو كناكيس. والكلمة الأصلية في جميع اللغات السامية هي «إل» ثم أخذت صورًا يختلف بعضها عن بعض. ونرى أنه اسم علم، اسم جامد، اسم عربي قديم، كأخواتها السامية، ولا يحتاج إلى اشتقاقه من أله يأله أو وله يأله.

(٤) حاشية س: ومل.

وبَيداءَ قَفرٍ تَألَهُ العَينُ وَسْطَها
مُخَفِّقَةٍ غَبْراءَ صَرْمَاء سَمْلَقِ ٨٦[(١)]

تألَه العين وسْطَها أي تتحير العين فيها لِسعتها وطولها لا يُرَى لها أولٌ ولا آخرٌ ولا حدودٌ يعني هذه البيداء وهي المفازة الواسعة. وقال الأخطل:

ونحن قَسَمْنا الأرض نصفين نصفُها
لنا ونُرامي أن تَكونَ لنا معاً
بتسعين ألفاً تَألَهُ العَينُ وَسْطَها
متى تَرَها عَينا الطُّرامَة تَدْمعا ٨٧[(٢)]

أي تتحير العين فتدمع. فكأن العبد إذا فكَّر في الله عزَّ وجلَّ تحير، فلا يقدر أن يحدّه أو يصفه إلا بما وصف به نفسَه وذاته لا يعلمها غيره. إنما يوصف بما وصف به نفسه من أسمائه الحسنى. فأسماؤه تعبير، [٧٨] وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. وهو اللطيف الخبير.

وفي حديث لِوهَيْب بن الوَرْد[(٣)] قال: إذا وقع العبد في أُلْهانِية الرب ومُهَيْمنية الصدّيقين ورَهْبانِية الأبرار لم يجد أحداً يأخذ بقلبه ولا تلحقه عينه[(٤)]. أُلهانية على تقدير فُعْلانية، كأنْ يقال إلهٌ بَيِّنُ الألهانية والإلَهة. وفي قراءة ابن عباس: ويَذَرك وإلاهَتَك[(٥)]. قال قوم: يعني ربوبيتك. وقوله: إذا وقع في ألهانية الرب لم يجد من يأخذ بقلبه، أي تحير فيه وذهل عقله. ولم

---

(١) د زهير/ ثعلب ٢٤٧: وبيداء تيه تحرج العين... البيت. ثعلب: ومخفقة أي تلمع لخفق السراب. وصرماء لا ماء فيها. وسملق لا نبت فيها.

(٢) رواية ابن الأعرابي (د الأخطل ٢٩٦): وسطه متى تره. قال الشارح: نرامي أي نقاتل لتكون لنا كلها. والطرامة شاعر من كلب يقال له حسان بن الطرامة. حاشية س: عينا الطرامة أراد حسان الكلبي الشاعر.

(٣) وهيب بن الورد القرشي أبو عثمان المكي الزاهد. عن عطاء. فقيل مرسلاً. وعن حميد بن قيس وجماعة. وعنه فضيل بن عياض وابن المبارك. وقال: كان يتكلم ودموعه تقطر. وثقه ابن معين والنسائي. قال ابن حبان: مات سنة ثلاث وخمسين ومئة. خلاصة تهذيب الكمال ٣٥٠.

(٤) النهاية/ اله.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢٦: ويذرك وآلهتك.

تلحقه عينه، أي لم يلحق معرفة كيفيته[(١)].

وقال قوم: سمي الله لأن القلوب تألَه إليه أي تشتاق إلى معرفته وتلهج بذكره ويقال: وَلِهَ يَألَهُ[(٢)]، الواو تُبدَل من الألف، فكأنه في الأصل ألِهَ يَألَهُ، فأبدِلت الواو من الألف، ومنه سُمي الوَلْهان. قال الكميت[(٣)]:

وَلِهتْ نفسيَ الطَّروبُ إليهمْ
وَلَهاً حالَ دون طَعْم الطعام ٨٨[(٤)]

يعني طربت إليهم واشتاقت نفسي إليهم حتى صارت والِهةً قد اشتغلت عن الطعام. وكذلك يكون الولهان يشتغل بوَلَهه عن كل شيء. وأنشد الفراء:

فلا وأبَيَّ لا أنساكَ حتى يُنَسَّى الوَالِهُ الصَّبُّ الحنينا ٨٩

وأبي، قال: هو في الأصل أبُويَ. وأما قولهم فلان يَتَألَّه فهو مشتقّ من الإله على وزن يتفعّل[(٥)] كما يقال يتعبّد أي يلزم العبادة. فيتألّه أي يلزم الأعمال التي تُقرّبه إلى الله.

قال بعض الحكماء: قلنا هو الله لا إله غيره لأنه هو الذي أبدع الخلق ولم نرَ[(٦)] غيره أحْدَثَ نَشْأً[(٧)] ولا بديعاً سوى هذا العالم الذي خلقه وحده. تبارك الله. لا إله غيره.

---

(١) ع: لم يلحق معرفته كيفيته.
(٢) هذا يدخل في باب الاشتقاق الأكبر لأن مادة أله خلاف مادة وله التي لم تبدل واوها من الهمزة. قال الجوهري (صح/ وله): وله يوله ولها وولهاناً هـ. وأيضاً وله يله مثل ورم يرم، ويوله على القياس.
(٣) الكميت بن زيد الأسدي المتوفي سنة ست وعشرين ومئة.
(٤) د الهاشميات ٣٤ ول/ وله.
(٥) ي و س و ع: من الإله أي يتفعل.
(٦) كما في ي. م: ولم ير. ع: ولم تر.
(٧) ي وحاشية س: أحدث شيئاً.

باب الرحمن الرحيم

[أبو عبيدة: الرحمن والرحيم من الرحمة] قال أبو عبيدة[1]: الرحمن مجازه ذو الرحمة، والرحيم مجازه الراحم[2]. قال: ويقدّرون اللفظين من لفظ واحد، والمعنى واحد. وذلك لاتساع الكلام عندهم وقد فعلوا ذلك. قالوا[3]: نَدْمان ونَدِيم. قال بُرْج بن مُسْهِر الطائيّ (جاهليّ)[4]:

ونَـدْمـانٍ يَـزيـدُ الـكـأسَ طِـيـبًـا سقـيـتُ وقـد تـغـوَّرت الـنجـومُ ٩٠[5]

وقال النعمان بن نَضْلَة العدوي[6]:

فـإنْ كـنـتَ نَـدْمـانـي فـبـالأكـبـر أسـقِـنـي

ولا تَـسْـقِـنـي بـالأصـفـر الْـمُـتَـثَـلِّـمِ ٩١[7]

وقال بُرَيْق الهذلّي[8]:

---

(١) المجاز ١/ ٢١ ـ ٢٢.

(٢) قال الطبري في تفسيره ١/ ٤٤: إن أبا عبيدة ترك بيان تأويل معنييهما على صحته.

(٣) المرجع نفسه: وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا.

(٤) هو البرج بن مسهر بن الجلاص أحد بني جديلة بن طيء عاش في عهد بني أمية. راجع المؤتلف والمختلف ٦١ والأغاني ١٢/ ١٢١.

(٥) رواية الآمدي (المرجع نفسه ٦٢): إذا تعرضت النجوم. تفسير الطبري ١/ ٤٤ ول/ عرق والأغاني ١٢/ ١٢١. ع: إذا تغورت.

(٦) في المجاز ١/ ٢١ قال: النعمان عدوي من عدي قريش. وفي ل/ ندم: ويقال للنعمان بن عدي. وكان عمر استعملهم على ميسان. فقال النعمان بعد هذا البيت:

لـعـل أمـيـر الـمـؤمـنـيـن يـسـوءه تـنـادمـنـا فـي الـجـوثـق الـمـتـهـدم

راجع السيرة ٧٨٦ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ١١٧).

(٧) ل/ ندم والتاج/ ندم والاشتقاق ٨٦ ونهاية الأرب ٤/ ١٠١.

(٨) عياض بن خويلد الهذلي يلقب البريق. مخضرم. وله مع عمر بن الخطاب حديث. راجع معجم الشعراء ٢٦٨. وفي المجاز ١/ ٢٢ قال: بريق الهذلي عدوي من عدي قريش. والشاهد في د الهذليين ٣/ ٦١. والمجاز ١/ ٢٢ ول/ ندم.

رُزِيـنـا أبـا زيـد ولا حـيَّ مـثـلَـه [٧٩] وكـان أبـو زيـد أخـي ونـديـمـي ٩٢

[الفرق بين الرحمن والرحيم] وقال المبرّد: الرَّحمن الرحيم هو اسم وقع على وزنين فَعْلان وفَعِيل. ونظيره في الكلام لهْفان ولهيف ونَدْمان ونديم. وأنشد:

ونَـدْمـانٍ يَـزيـد الـكـأسَ طِـيـبـا

قال: وفَعْلان لا يجوز أن يقال إلا لله عزَّ وجلَّ. يقال له رحمن ولا يقال لغيره. ورحيم وسميع وعليم يجوز أن يُنعت به مخلوق. يقال مررت برجل سامع وسميع، وعالم وعليم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْم عَلِيم**﴾(١). فأما الرحمن فهو الله عزَّ وجلَّ لا يشركه فيه مخلوق. من ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قلِ ادعُوا الله أوِ ادعُوا الرَّحمن أيّاماً تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الْحسْنَى**﴾(٢). وإنما انفصَل هذا الاسم من ذلك أعني الرحمن من الرحيم بتوحُّد هذا والاشتراك في ذلك على تباين المعنيين، لأن الرحمة من الله عزَّ وجلَّ إنعام وإحسان وتفضُّل، ومن الآدميين رِقَّة وتعطف، والقادر الذي لم يزل قادراً وهو قادر على كل شيء. والآدميّ يقدر على ما قُدِّر له ويُسلَب إذا شاء فاعِلُه(٣). وإذا قلت الرحمن فهو اسم مبني على فَعْلان اشتقاقه من الرحمة. قال: وقال المفسرون في الرحمن الرحيم: أحد الاسمين أرقُّ من الآخر. والذي أذهب إليه أنه تفضُّلٌ بعد تفضّل وإنعام بعد إنعام وتقوية لمطامع الراغبين ووَعْد لا يخيب أمله(٤) هذا قول المبرّد.

وقال غيره: الرحمن الذي يرحم المضرور ويقدر على دفع الضُّرّ(٥) عنه. وإنما قيل لله عزَّ وجلَّ رحمن، لأنه يملك الرحمة ويقدر على كشف

(١) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٢) بني إسرائيل ١٧/ ١١٠.

(٣) ي: والآدمي قادر على ما أقدره الله عزَّ وجلَّ وسلب إذا شاء فاعله. س: قادر على ما قدر له ويسلب إذا شاء فاعله.

(٤) س: آمله.

(٥) الضر (بفتح الضاد وضمها) لغتان ضد النفع. والضر بالفتح المصدر والضر بالضم الاسم. وقيل هما لغتان كالشهد (بفتح الشين وضمها). فإذا جمعت بين الضر والنفع فتحت الضاد. وإذا أفردت الضر ضممت الضاد إذا لم تجعله مصدراً كقولك ضررت ضراً.

الضرّ ويُلجأ إليه برحمته. وهو نعت لله عزَّ وجلَّ. أي هو مالِك للرحمة، إن شاء رحم فكشف الضر وهو عليه قادر، وإن شاء منع. والرحيم الذي يرقّ له بالرحمة. فإذا رق له بالرحمة يعطف عليه فيكشف الضر. وإنما قيل لله عزَّ وجلَّ رحمن لأنه يملك الرحمة ويقدر على كشف الضر إذا رَقَّ وتَعطّف. ولم يَجُزْ أن يقال للمخلوق رحمن لأنه لا يقدر كقدرته، فربما رق بالرحمة ولم يقدر على كشف الضر عن المضرور، فقِيل له رحيم، ولا يقال له رحمن. وذلك[1] لأنه يكون رحيم القلب يرحم صاحب البلاء، ولا يقدر على دفع الضرّ، فلا يقال له رحمن لذلك. وقد جوَّز قوم أن يقال للرجل[2] رحمن، على الغاية في الرحمة. وأنشد:

سَـمـوْتَ بـالْـمـجـد يـا ابْـنَ الأكـرمـيـن أبًـا

[٨٠] فأنتَ غَيثُ الوَرَى لا رَيْبَ رحمانُ ٩٣[3]

وهذا شاذ وأراه مولَّداً لا حجة فيه. وقيل لله رحيم، لأنه رقَّ بالرحمة فكشف الضرّ، فلرقته بالرحمة وتعطفه قيل له رحيم. ومنه قول المفسرين[4]: إن أحد الاسمين أرقُّ من الآخر.

وفي الحديث: رحمنٌ بأهل الدنيا برّهم وفاجِرهم، رحيم بمن قال لا إله إلا الله[5]. يعني أنه يملك الرحمة لأهل الدنيا البر منهم والفاجر. ولو شاء تعطف عليهم جميعاً. وهو لا يرق بالرحمة إلا للْمُوَحِّدين إذا قالوا: لا إله إلا الله، رَقَّ لهم بالرحمة وتعطف عليهم بالمغفرة.

قال: وفي وجه آخر يعني أن الله عزَّ وجلَّ فطر جميع الخلائق في الدنيا على معرفته ودعاهم إلى توحيده رحمة منه بهم وتعطفًا عليهم، فهو رحمن بأهل الدنيا البر منهم والفاجر. وقال عزَّ وجلَّ: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كلَّ شَيءٍ﴾**[6]. يعني في أول الفطرة حين فطرهم على معرفته والإقرار به.

---

(١) ي و س: لذلك.
(٢) كما في ي و ع. م: للرجال. س: للرحمن.
(٣) ع: سموت بالمجد بين الأكرمين... البيت.
(٤) ي: قول أحد المفسرين.
(٥) الأغلب أنه من وضع المفتسرين لكلمتي الرحمن والرحيم.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

وقال: ﴿ولَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلقَهمْ لَيقُولُنَّ اللهُ﴾[1]. [وقال]: ﴿وَلَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّمَواتِ والأرضَ لَيقولُنَّ اللهُ﴾[2]. ثم دعاهم إلى توحيده، فأطاع من أطاع فوحّده وأخلص العبادة له، فرضي عنه وغفر له وكتب له الرحمة وتعطف عليه، فهو رحيم به. وعصى من عصى فأشرك به في عبادته غيره، فغضب عليه وعذّبه. فكانت الرحمة سابقة منه في الفطرة حين يقول: ﴿فِطْرَةَ الله التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها﴾[3]. وذلك قوله: سبقت رحمتي غضبي[4]. لأن رحمته سبقت منه في أول الفطرة على البر والفاجر فهو رحمن بهم، وغضب على من عصى وأشرك به من بعد أن فطرهم على معرفته رحمةً منه ببرهم وفاجرهم. وذلك قوله: ﴿وَرَحْمتي وَسِعتْ كلَّ شَيءٍ﴾ يعني في أول الفطرة. ﴿فَسأكْتُبُها للذين يَتَّقُونَ﴾[5]. يعني من اتقاه فثبت على توحيده والإيمان به غفر ذنوبه رحمة منه به وتعطفًا عليه. وذلك قوله: ﴿إنَّ الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشرَكَ به ويَغفرُ ما دونَ ذلك لِمنْ يَشاءُ﴾[6] وقال جلَّ ثناؤه: ﴿يا عِبادي الذين أسْرَفوا على أنْفسهمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ الله إنَّ الله يَغفرُ الذُّنوبَ جميعاً * إنه هُوَ الغفورُ الرحيم﴾[7]. يعني بذلك الموحِّدين. وهذا معنى قوله: الرحمن منه الرحمة والرحيم منه المغفرة. ويقال في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. يعني بسط الرحمة في الدنيا للبرّ والفاجر، فدعاهم إلى توحيده وفطرهم على معرفته؛ ولم تكن الرحمة والمغفرة والرقة إلا للموحدين في الآخرة.

[كانت العرب تأبى الرحمن] وقال أبو عبيدة في تفسير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذا قِيَل لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمن قَالوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أنَسْجدُ لِما تأمُرُنا﴾[8]

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٩: ليقولن خلقهن العزيز العليم.
(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.
(٤) خ التوحيد ٥٥: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لما قضى الله الخلق كتب كتابًا عنده: غلبت (سبقت) رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.
(٦) سورة النساء: الآيتين ٤٧ و١١٥.
(٧) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٨) سورة الفرقان: الآية ٦٠. لم يرد هذا التفسير في المجاز/ خط مراد منلا.

قال: ذكروا أن مُسَيْلمة الكذاب كان يقال له الرحمن، فقالوا: ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة. يعنون مسيلمة الكذاب. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قل ادعُوا اللَّهَ أو ادعُوا الرَّحْمنَ أيًّامًا تَدعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحسْنَى﴾[1].

سمعت ثعلبًا يقول[2]: كانت العرب تأبى الرحمن[3]. وقال في قوله تعالى: ﴿قُل ادعوا الله أو ادعوا الرَّحمن﴾، قال: كان النبي ﷺ يكتب أولاً بسم الله، ثم كتب بسم الله [٨١] الرحمن، فكانت العرب تأبى الرحمن، فقال الله: ﴿قُل ادعوا الله أو ادعوا الرَّحمن﴾.

[رخمن ورخيم] قال: وهو بالسريانية رخمان[4]. وأنشد بيت جرير في الأخطل:

هـل تَـتَـرُكـنَّ إلـى الـقِـسَّـيْـنِ هِـجْـرَتَـكـمْ
ومَـسْـحَـكـم صُـلْـبَـهـم رَخْـمـانَ قُـرْبـاناً ٩٤[5]

فأما رخيم فهو من الرَّخمة وهو أيضاً الرِّقَّة والشفقة. وفي الحديث عن مالك بن دينار[6] قال: إن الله عزَّ وجلَّ يقيم داود عند ساق العرش، فيقول: يا داود، مَجِّدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم. قال: الرخيم من الأصوات الرقيق الشجيّ. وقال الشاعر:

رخـيـمُ الـكـلام قـطـيـع الـقـيـام   أمْـسـى فـؤادي بـه فـاتِـنـا ٩٥[7]

---

(١) بني إسرائيل ١٧/ ١١٠.

(٢) يدل هذا على أن المؤلف كان باتصال بأبي العباس ثعلب، بل أخذ عنه. اطلب أيضاً باب الرب فيما يلي ص ١٨٦.

(٣) الزجاج: لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله (ل/ رحم).

(٤) هو بالسريانية ܪܚܡܢܐ وبالعبرية רחמן من רחם رخم أي أحب كما فسره ليفي. وإنما أخذته العرب من العربية الجنوبية 𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬 (ر ح م ن ن) أي الرحمن. وقد أورد فل في ZDMG ٥٤/ ٢٥٢ قائمة المسانيد التي جاء فيها هذا الاسم. راجع CIS ٤/ رقم ٦ وجيفري ١٤١.

(٥) د جرير ٥٩٨: ومسحهم. م و ح: صلبكم. وفي ل/رحم: الرحمن قرباناً بالنصب على تقدير قائلين رحمن قرباناً أي ندعو رحمن قربًا.

(٦) مالك بن دينار مولى لبني سامة بن لؤي بن غالب بن فهر كان يكتب المصاحف بالأجرة. ومات قبل الطاعون بيسير وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة كما حكاه ابن قتيبة في المعارف ٢٣٨.

(٧) فلان قطيع القيام إذا وصف بالضعف أو السمن من صح/ قطع.

ومنه يقال: أُلقِيتْ عليه رَخْمةُ أمه أي رقّتها ومحبتها. قال ذو الرّمة:

كـأنـهـا أمُّ سَـاجـي الـطَّـرْف أخْـدرهـا
مُـسْـتَـوْدَعٌ خَـمَـرَ الـوَعـسـاءِ مَـرْخـومُ ٩٦[١]

يعني خِشْفَها[٢] لأن رخمتها أُلقيت عليه. ويقال رخَّمت الدجاجة إذا ألزمتها[٣] البيض لأنها لا تلزمه إلا بالرخْمة. ويقال سُميت الرخمة وهو الطائر الذي يُقال له الأنوق[٤] لشفقتها على بيضها فهي تبعد به إلى موضع لا يُدرَك. ومنه يقال في المثل: كلّفَتني بَيضَ الأنوق[٥] لأنه لا يقدر عليه.

(١) د ذي الرمة ٥٧٠ وصح/ رخم ول/ رخم. قال الشيباني في شرح البيت: أم ساجي الطرف يعني الظبية. ساجي ساكن. أخدرها أحبسها في الشجر فصار لها كالخدر. والخمر ما واراك من الشجر. والوعساء الرملة اللينة. ومرخوم من الرخمة وهي المحبة. يقال ألقى عليه رخمته إذا أحبه. ويروى مرحوم أي ترحمه أمه. يقول أقامت معه لا تفارقه.

(٢) الخشف مثلثة ولد الظبي أول ما يولد.

(٣) كما في ي و س و ع. م: لزمتها.

(٤) كما في ي و س و ع. م. الذي يسمى الأنوق. وفي صح/ رخم قال: الرخمة طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة يقال له الأنوق والجمع رخم وهو للجنس.

(٥) مثل هذا: كلفني بيض السمام، وكلفتني مخ البعوض. يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة. راجع فرائد اللآل ١١٤.

باب الرب

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الرَّبُّ».

[الرب المالك السيد] والرب في كلام العرب هو المالك. يقال: هذا رب الدار ورب الضَّيْعة ورب المملوك. ويقال ذلك في كلِّ مالك لشيء. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ارجِعْ إلى رَبِّكَ**﴾[1]. قال المفسرون: يعني ارجع إلى سيدك ومالكك. قال أبو عبيدة في قوله: ﴿**اذكرني عندَ رَبِّكَ**﴾[2]: أي عند سيدك من بني آدم ومولاك. وأنشد للنابغة الذبياني:

فإنْ تَكُ رَبَّ أذْوادٍ بِحِسْمَى أصابوا من لقائك ما أصابوا ٩٧[3]

ولا يقال للمخلوقِ هو الرب معرَّفًا بالألف واللام كما يقال لله عزَّ وجلَّ؛ بل يعرَّف بالإضافة، فيقال رَب الدار ورب البيت وغير ذلك، لأنه لا يملك غير ذلك الشيء. فإذا قيل الرب معرَّفًا بالألف واللام دلَّت الألف واللام على العموم واستغني بذلك عن الإضافة، لأنه عزَّ وجلَّ ربّ كل شيء ومالكه، فلا يضاف إلى شيء فيختصّ به دون غيره. وإذا قيل للمخلوق أضيف إليه شيء خاصّ دون غيره لأنه لا يملك غيره، فقيل رب الدار ورب القوم أي رئيسهم وسيدهم. وهو في كلام العرب مشهور. قال الأعشى[4]:

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٢ والمجاز ١/ ٣١١.

(٣) كما في ي و س و ع والمجاز. م و ح: بحسى. وفي رواية الأعلم الشنتمري (د النابغة/ العقد/ ه): فإن تكن الفوارس يوم حسي... البيت. وحسمى بكسر أوله وبالميم مقصور على بناء فعلى موضع من أرض جذام. وقيل حسمى موضع آخر في غير ديار جذام. وهو دير حسمى في نجران من الجزيرة. راجع معجم البكري/ حسمى.

(٤) لم يرد البيتان في الصبح المنير. قال الجوهري (صح/ دوم): وقال لبيد يصف بنات الدهر: وأعصفن بالدومي... البيت. وهما من قصيدة قالها لبيد (د لبيد ١/ ٧٢ ـ ٨١) =

وأهْلَكْنَ يوماً رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ
ورَبَّ مَعَدٍّ بينَ خَبْتٍ وعَرْعَرِ[(١)]

وأعْصَفْنَ بالدُّومِيّ مِن رَأسِ حِصْنِهِ
وأنزلْنَ بالأسباب رَبَّ الْمُشَقَّرِ ٩٨[(٢)]

رب معدّ ورب كِنْدَة أي رئيسهما وسيدهما. ورب المشقر أي مالكه وصاحبه. وأنشد لأبي ذؤيب:

قد نَالَه ربُّ الكِلاب بكَفِّهِ
بِيضٌ رِهابٌ رِيشُهُنّ مُقَزَّعُ ٩٩[(٣)]

ربّ الكلاب صاحبها. وقال آخر في صفة النحل:

ولِربِّها جَرَسٌ إذا اخْتَبَسَتْ وَيَظَلُّ مُعْتَكِفًا كذي النَّذْرِ ١٠٠

ربها يعني اليعسوب لأنه كبيرها. وجرس يعني طنينه وصوته. ومعتكِفًا لأنه لا يبرح بيته كذي النذر الذي لا يبرح بيته حتى يُحَلّ من يمينه وقال آخر[(٤)]:

تزُورُ يَزيدَ وعبدَ المسيح وقَيساً وهم خَيْرُ أرْبابها ١٠١[(٥)]

= مطلعها: أعاذل قومي فاعذلي الآن أو ذري... البيت. ومنها:

وأفنى بنات الدهر أرباب ناعط بمستمع دون السماء ومنظر.

قال الطوسي في شرحه: بنات الدهر الأحداث. وأرباب ناعط من همدان. وناعط قصر كان لهم شريف.

(١) ي وحاشية س: بين شيث وعرعر. قال الشارح: رب كندة ملكهم حجر أبو امرىء القيس. ورب معد ملكهم حذيفة بن بدر. وخبت مستو من الأرض. وعرعر بلد.

(٢) س و ع: وأعرضن. د لبيد وأعوصن. وأعصفن أي ذهبن به وأهلكن. قال الطوسي في شرح البيت: أعوصن انقلبن به. الدومي ملك دومة الجندل. الأسباب الحبال. يعني المنايا أنزلته. المشقر حصن بالبحرين. قال أبو عمرو: وكان ربه رجلاً من الفرس اهـ. الجوهري في صح/ دوم: رب مشقر يعني أكيدر صاحب دومة الجندل. وأصحاب اللغة يقولونه بضم الدال، وأصحاب الحديث يفتحونها اهـ.

(٣) م و ح و ي و ع: قد ناله. س و ل/ رهب: فدنا له. د الهذليين ١٤ والمفضليات ٢٠٤: فبداله. د الهذليين: بيض رهاف. م و ي و س: مفزع. والصواب مقزع كما جاء في ح و عً و د الهذليين والمفضليات ول/رهب. والمقزع السريع الخفيف.

(٤) هو الأعشى الأكبر. اطلب الصبح المنير ١٢٢.

(٥) رواية ثعلب (الصبح المنير ١٢٢): نزور... وقيساهم... البيت.

أربابها رؤساؤها. فإذا تكلم [٨٢] به على الإضافة فاعلَم أنه في صفة مخلوق مثل رب كندة ورب معد ورب المشقّر وربّ الكلاب، لأنه مخصوص بِملْك ذلك الشيْء الذي يضاف إليه، ولا يجوز إلا مضافًا إلى الشيء الذي يملكه ويسوسه. وإذا تكلم به معرَّفًا بالألف واللام من غير إضافة فاعلَم أنه في صفة الخالق عز اسمه[١]، لأنه الرب على العموم، يعني أنه رب كل شيء ومالكه؛ ليس هو كالذي يملك شيئاً دون شيء، بل مالك لجميع الأشياء.

[الرب من التربية] واشتقاق الرَّبّ من التربية. يقال رَبَّاهُ يُربِّيه تربيةً، ورَبَّبه يُربِّبه تزبيبًا، وربَّتَهُ يُربِّته تزبيتاً. وأنشدنا ثعلب:

سَـمَّـيْـتُـهـا إذْ وُلِـدَتْ تـمـوتُ والـقـبـرُ صـهـرٌ ضـامِـنٌ زِمّـيـتُ

لـيـس لـمـن ضُـمّـنَـه تـربـيـتُ ١٠٢[٢]

وإنما قيل للمخلوق رب الشيء لأنه يسوسه ويدبّره فيكون ذلك له بمنزلة التربية. والتربية هو القيام عليه بالصلاح حتى يبلغ المراد.

ومن أجل ذلك سُمِّي الرَّبائب لأنهم[٣] يترَبَّوْن في حجور أزواج أمهاتهم[٤]. فكأنهم قاموا بإصلاحهم[٥] حتى بلغوا. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ورَبَائِبكم اللاتي في حُجُوركم**﴾[٦]. وكذلك رب المال يقوم بإصلاحه.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لرجل: رَبُّ إبل أنت أم رَبُّ غنم؟ فقال: من كل قد آتاني الله فأكْثرَ وأطْيبَ[٧]. يعني أنه مالكها والقائم عليها.

---

(١) وقد شاع اللفظ على الإضافة بمعنى السيد في الشعر القديم، كما شاع في الآرامية مثل רב שוק. واستعمل اللفظ في السريانية ܪܒܐ والعربية الجنوبية [illegible] من غير إضافة في صفة الله.

(٢) الجوهري (صح/ ربت وزمت): قال الراجز: سميتها... الخ. والزميت بفتح الزاي وكسرها الحليم الساكن الوقور. والزميت بالكسر أوقر من الزميت بالفتح. وفي ل/ زمت قال: قال الشاعر في الزميت بمعنى الساكن: والقبر صهر... الخ.

(٣) كذا في ي و س و ع. م و ح: لأنهن.

(٤) كذا في ي و س و ع. م و ح: أمهاتهن.

(٥) كذا في ي و س و ع. م و ح: بإصلاحهن.

(٦) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٧) مسند أحمد ابن حنبل حم ٤/ ١٣٦: عن أبي أحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فصعد =

وإنما قيل لله عزَّ وجلَّ الرب لأنه مالك كل شيء ومُدبِّره والقائم عليه، وهو عزَّ وجلَّ رب الأرباب ومالك الملوك وما مَلَكَتْ.

[رب ويا رب] ويقال في الدعاء «يا ربِّ» بإسقاط الألف واللام. وقد يقال بغير ياء النداء، فيقال «ربِّ». قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبِّ أَرِني أنظُرْ إلَيك﴾[1]، و ﴿رَبِّ إنهنَّ أضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ الناس﴾[2]، و ﴿قال ابْنَ أمَّ إنَّ القوْمَ استَضْعفوني﴾[3]. وقد جاء في القرآن أيضاً بياء النداء: ﴿يَا رَبِّ إنَّ قَوْمي اتَّخذُوا﴾[4]. معناه الإضافة إلى ياء المخبر عن نفسه: ربّي ويا ربّي. قال أبو عبيدة: وبنو تميم يقولون «يا ربُّ»، وأنشد:

يــا ربُّ إنْ أخــطَــأتُ أو نــســيــتُ فــأنــت لا تَــنــســى ولا تــمــوتُ ١٠٣

فلا يضيفون بالياء.

[ربنا ويا ربنا] وربما أضيف إلى الجميع: «يا ربَّنا» و «ربَّنا». قال عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنا اغفرْ لنا ذُنوبَنا﴾[5] وإنما حذفوا الألف واللام عند الدعاء، لأن كل اسم فيه ألف ولام يُدْعى بيا أيُّها. فإن لم يكن فيه ألف ولام يدعى بيا. وإنما يدعى بيا أيها المخاطَب المشاهَد المدرَك المشار إليه. والله عزَّ وجلَّ لا يُدرِكه مخلوق ولا يُشاهِده، بل يُدرك المخلوقين ويشاهدهم، فحذفت[6] الألف واللام عند الدعاء لذلك، فقيل: يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا عزيز. قال الله عزَّ وجلَّ في صفة المخلوق: ﴿يا أيُها العَزِيز﴾[7]. لما كان المخاطَبُ مُدْرَكاً خاطبه بيا أيها، كما تقول لمن تخاطبه: يا أيها الإنسان.

[الألف واللام في الله] فإن قيل: إن «الله» تبارك وتعالى فيه ألف ولام

= في النظر وصوب وقال: أرب إبل أنت أو رب غنم؟ قال: من كل قد آتاني الله فأكثر وأطيب... الحديث.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٠. وفي الأصول كلها: رب إن القوم الآية.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

(٦) كما في ي و س و ع. م و ح. فحذفوا.

(٧) سورة يوسف: الآيتين ٧٨ و٨٨.

وقد دُعِي بيا ولم يسقط منه الألف واللام، ولم يدع بيا أيها فقيل «يا الله»، قلنا: الألف واللام في هذا الاسم هي[1] كأنها من سنخ الكلمة على ما بينت في تفسير هذا الاسم. ألا ترى أنك إذا رددته إلى أصله قلت: «الإله»؟ فإذا دعوت أسقطت الألف واللام [٨٣] فقلت: «يا إله» كما أسقطت من الرب.

ووجه آخر ـ نقول: إن هذا الاسم هو له خاصٌّ لم يُسمَّ به غيره، فلزمته الألف واللام حتى صارت كأنها من سنخ الكلمة. لأن الألف واللام إنما تسقطان عن الاسم الذي يكون في حال الخصوص مرة، كقولك رب الدار، وفي حال العموم مرة، كما جاء في صفة الله عزَّ وجلَّ، فقيل: الرب، أي هو رب كل شيء. والله هو اسم لا يكون لغيره، فيكون في حالتين، فلزمته ولم تسقط عنه في شيء من الأحوال، لأنها حال واحدة، فصارتا فيه كأنهما من سنخ الكلمة. وإنما سقطتا في الإله في حالةٍ ما[3]، لأن العرب كانت تقول لأصنامها: آلهة. فكل صنم كان يُنسب إلى قوم، فيقال له: إله بني فلان، فسقطت الألف واللام التي لم تكن من أصل الكلمة. فإذا أردت به[4] الله عزَّ وجلَّ قلت الإله، لأنه الإله الحق، لا إله غيره.

(١) هي ناقص في ي و ع.
(٢) راجع باب ما جاء في الله ص١٧٨ وما بعدها وهامش رقم ٣ ص١٧٨.
(٣) ي: في حال له ما. س-و ع: في حال ما. م و ح و حاشية س: في حالة ما.
(٤) كما في ي و س و ع. سقط به في م و ح.

باب الواحد الأحد

[هو الأول السابق ثم الإبداع] قال بعض الحكماء: إنما قيل له واحِد لأنه عزَّ وجلَّ لم يزل قبل الخلائق مُتوحّداً بالأزل لا ثاني معه ولا خَلْقَ. ثم أبْدَع الخلق، فكان الخلق ثانياً. وخَلق الْخَلق كله، محتاجاً بعضه إلى بعض، ممسكاً بعضه بعضاً، متعادياً ومتضاداً، ومتشاكلاً ومزدوجاً، ومتصْلاً ومنفصلاً. واستغنى عزَّ وجلَّ عن الخلائق، فلم يحتج إلى شيء، فيكون ذلك الشيء مقروناً به لحاجته[1] إليه؛ ولا ناوأه شيء، فيكون ذلك الشيء ضدّاً له مُضرّاً به، ويكون ذلك الضدّ والقرين ثانياً له. بل تَوحَّدَ بالْغنى عنْ جميع خلقه، لأنه كان قبل كل شيء. فالأولية دَلّت على الوحدانية، إذ لم يكن قبله شيء مُتوحَّداً بالأولية[2] كما توحّد هو عزَّ وجلَّ بها، فيكون هو ثانياً[3] لذلك الشيء الذي تقدمه. بل كان هو الأول السابق[4] بالوحدة، وكان الْخَلْق ثانياً بالإبداع. فالواحد اسم يدل على نظام واحد، يُعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شيء.

[هو واحد وأحد ـ لا شيء قبله ولا شيء بعده] والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد، وهو خارج من العدد. والواحد كيفما أدَرْته أو جزّأته لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء. تقول واحد في واحد، فلم يزد على الواحد شيء. وتقول نصف الواحد نصف واحد، فلم يتغيّر اللفظ عن الواحد. فدلّ أنه لا شيء قبله. وإذا دلّ أنه لا

---

(١) ي لحاجة.

(٢) س و ي: شيء متوحد بالأزلية.

(٣) ي و س: فيكون ثانياً.

(٤) ي: والسابق.

شيء، قبله دل أنه مُحدِث الشيء. فإذا دلّ أنه مُحدِث الشيء دلّ أنه مُفني الشيء. فإذا دل أنه مفني الشيء دل أنه لا شيء بعده. فإذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء فهو المتوحّد بالأزل، فلذلك قيل هو واحِدٌ وأحَدٌ.

[الأحد أكمل من الواحد] وقلنا: إن الأحد هو اسم أكمل من الواحد. ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهما؟ وإذا قلت: فلان لا يقوم له أحد، فقد جَزَمْتَ[1] أنّه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما. فصار الأحد أكمل من الواحد. وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد. تقول: ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون واحد من الدوابّ أو الطير أو الوحش أو الإنس؛ فكأنّ الواحد تعمُّ الناسَ وغيرَ الناس. وإذا قلت: ليس في الدار أحد، فهو مخصوص للآدميّين دون سائرهم. والأحد ممتنع من الدخول في الضرب وفي العدد وفي القسمة وفي شيء من الحساب. وهو منفرد بالأحديّة. والواحد منقادٌ للعدد والقسمة وغيرها، داخلٌ في الحساب. تقول: [٨٤] واحد واثنان وثلاثة، فهذا العدد. فالواحد وإن لم يكن من العدد فهو علّة العدد. وهو داخل في العدد وليس بعدد[2]، لأنك إن[3] ضربت واحداً في واحد لم يزد[4] واثنان فهو جذر الحساب. وتقول: واحد في اثنين أو في ثلاثة فما فوقها، فهذا هو الضرب. وتقول في القسمة: واحد بين اثنين أو ثلاثة، لكلّ واحد من الاثنين نصف، ومن الثلاثة ثُلُث، فهذه القسمة. والأحد ممتنع من هذا. لا يقال: أحد واثنان وثلاثة، ولا أحد في أحد ولا أحد في واحد[5] أو في اثنين أو في ثلاثة. ولا يقال: أحد بين اثنين أو بين الثلاثة. والواحد وإن لم يتجزّأ من الواحد فهو يتجزّأ من الاثنين والثلاثة فما فوقها. تقول: جزء واحد من جزءين فما فوقها. ولا يجوز: جزء أحد من جزءين فما فوقها[6]. فإن قال قائل: إنّك إذا قلت أحد عشر وأحد وعشرون

---

(١) حاشية ي: جزمت الشيء فقطعته.

(٢) سقط وليس بعدد في ي و س و ع.

(٣) كما في ي و س و ع. م: لأنك لو.

(٤) كما في ي و س و ع. م: لم يزد شيئاً.

(٥) كما في ي و س و ع: ولا أحد في واحد ناقص في م و ح.

(٦) كما في ح و س. سقط ولا يجوز... فما فوقها في م. ع: ولا يقال جزؤ واحد من =

فقد دخل أحد في العدد[1]، قلنا: جاز هذا إذا اتّصل باسم غيره كاتّصاله بعشر وبعشرين. فإذا كان متصلاً بغيره، صار كأنّه والمتصل به اسم واحدٌ، ويُعبَّر[2] عن لفظه، فيدخل حينئذ في العدد. فأما إذا كان منفرداً لم يدخل في العدد كدخول الواحد إذا قلت: واحد واثنان. والفرق بينهما بَيِّنٌ، وفضيلة الأحد على الواحد واضحة.

[الله الواحد الأحد محض في الأحدية والوحدانية] وقد سمّى الله عزَّ وجلَّ نَفْسَه بالواحد والأحد[3]، ووصف نفسه بالواحدية[4] والأحديّة، فقال في محكم تنزيله: **﴿قُل إنّما أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ أنّما إلهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ﴾**[5]، وقال: **﴿لا تَتّخِذُوا إلهَيْنِ اثْنَيْنِ إنّما هُوَ إلهٌ وَاحدٌ﴾**[6]، وقال: **﴿إنما اللّهُ إلهٌ وَاحِدٌ﴾**[7]، وقال: **﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ﴾**[8]. فوصف نفسه في كتابه بالواحديّة[9] والأحديّة. فالواحد نعتٌ يَلزَمه على الحقيقة، لإنّه كان قبل ولا ثاني معه. والثاني خلاف الواحد، فهو واحد لاتحاده بالقِدَم؛ والْخَلق اثنان لاقترانه بالحدوث، لأنّ الحدوث ثان للقدم، وبه ظهرت التثنية. فالواحد هو الأحد في ذاته إذ لم يلزمه نعت أو صفة فيكون ذلك ثانياً له. والْخَلق اثنان لأنّه صِفَةٌ وموصوفٌ. فهو لا شيء قبله ولا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ولا لشيء ولا مع شيء، فيكون ذلك الشيء ثانياً معه؛ بل هو الواحد مُنْشِيء الأشياء، والأشياء كلّها له. وهو المتّحد بذاته، ممتنع من أن يكون له شيء ثانياً معه بوجه من الوجوه. والخلق كلّه له وإن كان يُسمّى بالواحد. وكانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء في وجه، فإنها

= جزءين فما فوقها. ففي رواية ع حذف وتحريف ظاهر.

(1) كما في ح و ي و س و ع. م: في العددين.

(2) كذا في ي و س. م: يغيره. ح: يعيره.

(3) ي و س و ع: نفسه وأحداً واحداً.

(4) س و ع: بالوحدانية.

(5) سورة الكهف: الآية ١١٠ وسورة فصلت: الآية ٦.

(6) سورة النحل: الآية ٥١.

(7) سورة النساء: الآية ١٧١.

(8) سورة التوحيد: الآية ١.

(9) ع: بالوحدانية.

تزول عنها في وجه، كما قيل: إنسانٌ واحدٌ وفرس واحد وبعير واحد. وكذلك يقال لسائر الأشياء. وهذه صفة تلزمها في اللفظ. والْمُسمّى لا يخلو من معاني كثيرة مجتمعة فيه، كالجسم والعرض. وهو واحد مجموع من أشياء كثيرة متفرقة؛ فكل شيء لا يخلو من تراكيب كثيرة، كالإنسان يقال له رجلٌ واحدٌ، وهو لحم ودم وعظم ومُخّ وعُزوق وغير ذلك. وأقلّ ما يوجد في الشيء الواحد معنيان. فإن كان حيواناً قيل روحٌ وجسدٌ. وإن كان مواتاً قيل بارد رطب أو بارد يابس أو حارّ رطب أو حارّ يابس. فإذا اجتمعت هذه الأشياء صارت باجتماعها واحداً في اللفظ. فالمخلوق واحد بتأويل عدد في المعنى. وكلّ شيء لا يخلو من ازدواج وتضادّ [٨٥] وتشاكلٍ وحدّ وعدد؛ فهذه الصفات كلها تنفي عنه معنى الأحديّة والواحديّة. والواحد الأول أحَديّ الذات وأحَديّ المعنى[١] لا تلزمه هذه الصفات. وهو مَحْضٌ في الأحديّة والواحدية[٢] تبارك الله الواحد الأحد، المتحد بالأحدية، المتوحِّد بالوحدانية[٣]، لا شريك له في الأحديّة والوحدانية[٤]. تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

[لغات في الواحد والأحد] وفي الواحد عن العرب لغات كثيرة. يقال واحِدٌ وأحَدٌ ووَحَدٌ ووَحيدٌ ووُحَادُ وأحَادُ ومَوْحَدُ وأوْحَدُ. فأمّا الواحد والأحد فصفتان معروفتان قد نطق بهما القرآن في صفات الله عزَّ وجلَّ.

وقال النابغة في الوَحَد[٥]:

كــأنَّ رَحْـلــي وقــد زَالَ الــنَّــهــارُ بــنــا
بـذي الـجـلـيـل عـلـى مـسـتَـأنِـسٍ وَحَـدِ ١٠٤[٦]

---

(١) ي: واحدي الذات وأحدي المعنى.
(٢) س: الوحدانية. ع: وهو مختص بالأحدية والوحدانية.
(٣) كما في ي و س و ع. م و ح: بالوحدانية.
(٤) كما في ي و س و ع. م و ح: والواحدية.
(٥) د النابغة/ العقد ٦ ول/ وحد.
(٦) حاشية س: أي على نور. قال الصغاني: ذي الجليل واد لبني تميم. رواية الديوان: يوم الجليل. والوحد من الوحش المتوحد، ومن الرجال الذي لا يعرف نسبُه ولا أصله. رجل وحد وثور وحد.

وقال الراعي(١):

يَهْدِي الأدِلاَّءَ فبها كوكبٌ وَحَدُ ١٠٥

يعني بالكوكب الوحد الْجذي لأنه منفردٌ واحِدٌ(٢).

وقال صَخْر الغَيّ(٣) في أحادَ:

مَـنَـتْ لـك أن تُـلاقِـيـنـي الـمـنـايـا
أُحَـادَ أُحَـادَ فـي شَـهْـرَيْ حَـلاَلِ ١٠٦(٤)

وقال صَخْر السُّلَميّ(٥) في مَوْحَدَ:

ولـقـد قَـتَـلْـتُـكُـمُ ثُـنَـاءَ ومَـوْحَـداً
وتـركـتُ مُـرَّةَ مـثـلَ أمْـسِ الْـمُـدْبـرِ ١٠٧(٦)

وقال ابن عَنَمة الضَّبِّي(٧):

يُبَاعُون بالبُعْران مَثْنى وَمَوْحَدَا ١٠٨(٨)

---

(١) شاعر فحل مشهور. ذكره ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. وهو حصين بن معاوية. ويقال عبيد بن حصين من بني نمير. وسمى الراعي لأنه كان يكثر وصف الرعاء في شعره. هجاه جرير لأنه فضل الفرزدق على جرير. راجع طبقات ابن سلام/ هل ٢٤٦ ـ ٢٤٨ والشعر والشعراء ٩٤ والمؤتلف والمختلف ١٢٢ والأغاني ٢٠/١٦٨ ـ ١٧٤.

(٢) كذا في ي و س و ع. م و ح: لأنه تفرد واحد.

(٣) كذا في الأصول كلها. وإنما البيت للشاعر الهذلي عمرو ذي الكلب كما جاء في باب القدر والقضاء وفي رواية السكري (أشعار الهذليين/ كوزكارتن ٢٣٦). وفي المجاز ١/١١٥ قال: قال صخر الغي الهذلي: منت لك... البيت. وفي ل/ مني قال: وقال آخر: منت لك... البيت.

(٤) رواية المجاز: في شهر حلال. وورواية السكري ول/ مني: في الشهر الحلال. قال الشارح (أشعار الهذليين ٢٣٦): منت لك المنايا قدرت لك الأقدار أن نلتقي وأنا واحد وأنت واحد. والحلال ليس بحرام، دعاء كأنه يدعو أن يقدر ذلك. ونصب أحاد على الحال أي واحداً واحداً. وروى أبو عمرو: أحم الله ذلك من لقاء أي قدر الله أن ألقاك وحدي ووحدك. قال أبو عبيدة في شرح البيت: أخرج الواحد مخرج ثناء وثلاث.

(٥) م و ح: السليمى. هو صخر بن عمرو بن الشريد من بني سليم أخو تماضر الخنساء الشاعرة. الشعر والشعراء ١٩٧ والأغاني ١٣/١٣٩.

(٦) م: قتلتكمو. ي: مثل أمس الذاهب. رواية ل/ ثنى: مثل أمس الدابر. والمجاز ١/١١٥: مثل أمس المدبر. وفي ثناء، قال أبو عبيدة: أخرج اثنين على مخرج ثلاث.

(٧) هو عبد الله بن عنمة الضبي من بني غيظ بن سيد شاعر إسلامي مخضرم شهد القادسية. راجع الإصابة ٤/رقم ٤٨٥٩.

(٨) المجاز ١/١١٤. والبعران بضم الباء وكسرها جمع البعير.

وقال آخر[1]:

ولــكـــنّــمـــا أهْــلـــي بِـــوادٍ، أنِـــيـــسُـــهُ
سِـبـاعٌ تَـبَـغَّـى الـنـاسَ مَـثْـنَـى ومَـوْحَـدا ١٠٩[2]

وقال طرفة في أوحَدَ:

تَـــمـــنَّـــى رجـــالٌ أن أمـــوت وإنْ أمُـــتْ
فـتـلـك سَـبِـيـلٌ لـسـتُ فـيـهـا بـأوْحـدِ ١١٠[3]

قال أهل اللغة[4]: يعني لست فيها بواحد[5]. ومثله في الأذان: الله أكبر، أي كبير. ومثله: وإنّي لأوْجَل، أي واجلٌ ووَجِلٌ. قال الله: ﴿وهو أهون عليه﴾[6]، أي هيّن عليه، لأن أفْعَلُ توضع في موضع فَاعِل.

قال معن بن أوس[7]:

لَـــعَـــمْـــرُك مـــا أدْرِي وإنّـــي لأوْجَـــلُ
عـلـى أيِّـنـا تَـغْـدُو الْـمَـنِـيَّـةُ أوّلُ ١١١[8]

وقال الفرزدق:

إنّ الـــذي سَـــمَـــكَ الـــســـمـــاءَ بَـــنَـــى لَـــنَـــا
بـــيـــتـــا دَعَـــائِـــمُـــهُ أعـــزُّ وأطْـــوَلُ ١١٢[9]

أي عزيزةٌ طويلةٌ.

---

(١) حاشية س: هو ساعدة بن جوية الهذلي.

(٢) د الهذليين ١/٢٢٧ والمجاز ١/١١٤. قال السكري في تفسير البيت: يقول أهلي بواد ليس به أنيس. هم مع السباع والوحش في بلد قفر. حاشية س: تبغي الشيء إذا طلبه وبغاه. رواية المجاز وع: ذئاب تبغي.

(٣) لم يرد البيت في د طرفة، ولعله من قصيدته مطلعها: لخولة أطلال ببرقة ثهمد. وقد يكون من مجمهرة عدي بن زيد، ولم يرد في جمهرة أشعار العرب أيضاً.

(٤) أبو عبيدة في المجاز/ مراد منلا ١٣٥: قال أهل اللغة.

(٥) كما في ح و ي و ع و س والمجاز. م: يعني أنه ليس فيها بواحد.

(٦) سورة الروم: الآية ٢٧ والمجاز/ مراد منلا ١٣٥.

(٧) معن بن أوس المزني من مزينة بن أد بن طابخة. شاعر مخضرم. عمر إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم. توفي حوالي عام ٦٤. معجم الشعراء ٣٩٩ ومقدمة د معن.

(٨) د معن ٣٦. ي: تأتي المنية. ع ورواية الديوان ومعجم الشعراء: تغدو المنية. والمجاز/ مراد منلا ١٣٥: تعدو المنية. ورفع أول للأشعار بحالة الإضافة وتغدو المضاف إليه.

(٩) د الفرزدق ٧١٤ والمجاز/ مراد منلا ١٣٥. ذكر الشاهد في باب السماء والأرض.

[ترك الصرف في أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ورباع] قال أبو عبيدة[1]: مَثْنَى لا يُنوَّن لأنه مصروف عن حدّه، وحدّه أن يقول اثنين[2]. وكذلك ثُلاثُ ورُباعُ وأُحادُ وثُناءُ. فإذا قالوا أُحادُ ومَوْحَدُ لم يصرفوه. قال الكسائي وأبو عبيدة والفرّاء (دخل كلامُ بعضهم في بعض): إنما تُرِكَ الصرْف فيهنّ لأنهنّ معدولات عن مكانهنّ وهو اثنتان وثلاثٌ وأربعٌ. وكذلك هو في مَثنى وثُلاثَ ورُباعَ لأنهن معدولات عن اثنين وثلاثة وأربعة[3]. وأُحادُ معدول عن واحِد. كذلك مَوحَدُ ومَثْنى ومَثْلثُ ومَرْبَعُ. العلّة فيهنّ جميعاً واحدة أنهن نُقِلْن عن موضعهنّ. قال الفرّاء[4]: ومما يبيّن ذلك أنهنّ منقولات من مكانهنّ أن الذكر والأنثى فيهنّ سواءٌ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**مِنَ النّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾[5]. وقال في التذكير: ﴿**أولى أجْنِحةٍ مَثْنَى وثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾[6]. والجناح ذكر. وأنشد أبو عبيدة في ثناءَ ومَوْحَدَ بيت صخر السلَميّ:

ولـقـد قَـتَـلْـتُـكُـمُ ثُـنَـاءَ ومَـوْحَـداً

ولم يصرف ثُناءَ ومَوْحدَ. قال الكسائي والفرّاء: هذا كله يجوز إجْرَاؤُه[7] في الشعر. قال أبو عبيدة[8]: ولم نسمع العرب تجوز[9] من رباع إلى ما فوقه؛ قالوا ثلاث ورباع إلاّ أنَّ الكميت قد قال في شعره:

فـلـم يَـسْـتَـرِيـثُـوكَ حـتـى رَمَـيْـ ... ـتَ فوق الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا ١١٣[10]

---

(١) المجاز ١/ ١٥.

(٢) كما في ح و س و ي ع والمجاز. م: أن تقول اثنين اثنين.

(٣) ع: إنما ترك الصرف فيهن لأنهن معدولات من اثنين وثلاثة وأربعة.

(٤) راجع معاني القرآن ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٥) سورة النساء: الآية ٣.

(٦) سورة فاطر: الآية ١.

(٧) إجراؤه أي صرفه وهو اصطلاح كوفي. والمجري في الشعر حركة حرف الروي، وليس في الروى المقيد مجري. سمى ذلك مجرى لأنه موضع جري حركات الإعراب والبناء.

(٨) س: أبو عبيد. ول/عشر: أبو عبيد. والصواب أبو عبيدة كما جاء في م و ح و ي و ع.

(٩) كذا في الأصول. وفي المجاز ١/ ١٦١ قال: ولا تجاوز العرب رباع غير أن الكميت بن زيد الأسدي قال: فلم يستريثوك... البيت.

(١٠) صح/ عشر ول/ عشر والتاج/ عشر. وجاء في خزانة الأدب (الجزء الأول في باب ما لا =

يريد عشراً. ولم يسْمَع غير هذا.

[الأحدَ بمعنى الأول وبمعنى الواحد] ثمّ نعود إلى ذكر الواحد و [٨٦] الأحد، فنقول: إن «الأحد» يجيء في الكلام بمعنى الأول وبمعنى الواحد. فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد جاز أن يُتكلّم به في الخبر، كقولك: هذا واحد وأحد. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(١). أي واحدٌ وأولٌ. والعرب كانت تُسمّي يوم الأحد في الجاهلية «أوّل»(٢). وقولك: يوم الأحد، دليل على أنه اليوم الأول، والاثنين، دليل على أنه اليوم الثاني. وفي التوراة: إن الله عزَّ وجلَّ أول ما خلق من الأيام يوم الأحد. وضدُّ الواحد اثنان، وضد الأحد الآخر. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أعصر خَمْراً﴾(٣). ثم قال في ضدّه: ﴿وقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي﴾(٤) فهذا دليل على أن معنى قولهم يوم الأحد هو اليوم الأول، لأنهم قالوا لما بعده الاثنان، ولم يقولوا الآخر، لأن الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر.

وإذا كان الأحد بمعنى الأول جاز في الخبر وجاز في الجحد. وإذا لم يكن بمعنى الأول وكان بمعنى الواحد لم يجز في الخبر وجاز في الجحد. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ﴾(٥). فهذا في الخبر. وإذا لم يكن أحد بمعنى الأول وبمعنى الواحد(٦) لم يجز أن يتكلّم به إلاّ في

= ينصرف) أنه من قصيدة قالها الكميت في مدح أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. ومعنى يستريثوك يجدونك رائثاً أي بطيئاً من الريث وهو البطء. ورميت زدت. يقال: رمى الخمسين زاد. يقول: لما نشأت نشأ الرجالة أسرعت في بلوغ الغاية التي يطلبها طلاب المعالي، ولم يقنعك ذلك حتى زدت عليهم بعشر خصال، فقت السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين.

(١) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٢) وأول اسم يوم الأحد في الجاهلية من أسماء أيام الأسبوع كما قال قائل (ل/ جبر):

أرجي أن أعيش وأن يومي ... بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن يفتني ... فمؤنس أو عروبة أو شيار

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٦.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٦.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٦) الظاهر «ولا بمعنى الواحد».

الجحد، تقول: ما جاءَني أحدٌ. لا يجوز: جاءني أحد، وكلّمني أحدٌ. قال الله عزّ وجلّ في معنى الجحد: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[١]. وقال: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٢]. فهذا جحد. وقال المفسرون: أحد في هذين الموضعين هو الله عزّ وجلّ. معناه: أيحسب أن لم يره الله.

[هو الله أحد ـ النعت بدل] وقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٣] فهو خبرٌ. وعلى هذه القراءة اجتمعت الأمّة. وروى قوم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد رضوان الله عليه أنه قرأ: قل هو الله الأحد الله الواحد الأحد الصمد. فأما القراءة التي عليها عامة الأمة فإن الملحدين طعنوا عليها، فقالوا: الله معرفة وأحد نكرة، ولا تُنعَت معرفة بنكرة. وإنما أُتوا من قِصَر[٣] أفهامهم وَقلّة معرفتهم بكلام العرب ومذاهبها، لأن النعت على ضربين: يكون النعت بدلاً وتابعاً وترجمةً وعبارةً. فإذا كان بدلاً تُنعَت المعرفة بالنكرة والنكرة بالمعرفة، كقوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾[٤]. فالناصية الأولى معرفة والثانية نكرة. وفي موضع آخر: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللهِ﴾[٥]. فالأول نكرة والثاني معرفة. وهذا لا يقال له نعت، وإنما يقال له بدل. فأما نعت النكرة بالمعرفة[٦] فقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾[٧] برفع[٨] الجزاء بالتنوين، فجزاء نكرة والحسنى معرفة، والحسنى بدل من الجزاء. وأما قراءة جعفر بن محمد عليه السلام فلا مؤنة فيها، ولا يقدر طاعن أن يطعن عليها وإن قلّت معرفته بالعربية ومجاري كلام العرب.

---

(١) سورة البلد: الآية ٧.
(٢) سورة البلد: الآية ٧.
(٣) سورة الإخلاص: الآية ١.
(٤) كما في ي و س و ع. م: قصور.
(٥) سورة العلق: الآية ١٥ ـ ١٦.
(٦) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٧) الأصول كلها: نعت المعرفة بالنكرة.
(٨) سورة الكهف: الآية ٨٨.
(٩) ع: يرفع. ورفع جزاء بالتنوين قراءة، فيكون الحسنى تفسيراً لجزاء. وقرىء جزاء بالنصب والتنوين على معنى فله الحسنى مجزياً بها.

[الأحد الشيء والجماعة] وربما جاء أحد بمعنى الشيء. يقال: فلانٌ لا أحدٌ. معناه لا شيء إذا خلا من العقل والفهم والخير[1] كأنه بمنزلة لا شيء.

وأحد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث. قال الله عزّ وجلّ: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُن كأحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾**[2]. وواحد لا يستوي فيه المذكر والمؤنّث حتى تدخل فيه الهاء، فيقال: واحدة. لا يجوز: كواحد من النساء.

وأحد يكون بمعنى الجمع. يقول العرب: يظل[3] أحدُنا الأيامَ لا يأكل. يعني كلنا لا يأكل[4]، فاحتمل معنى الواحد والجماعة. قال [٨٧] النابغة:

وقَـفْـتُ فـيـهـا طَـويـلاً كـي تُـجـاوِبَـنـي
أعـيَـتْ جَـوابًـا ومـا بـالـرَّبْـع مـن أحَـدِ ١١٤[5]

وقال آخر:

لـو كُـنـتَ مـن أحـدٍ يُـهـجَـى هـجَـوْتُـكُـمُ
يـا أبْـنَ الـرِّقَـاع ولـكِـنْ لَـسْـتَ مـن أحَـدِ ١١٥

وقال آخر:

إنّ بـنـي الأدْرَم لـيـسـوا مـن أحَـدْ لـيسوا إلى قَيس ولـيـسـوا مـن أسَدْ
ولا توفَاهم قريشٌ في العَددْ ١١٦[6]

فالأحد ها هنا يكون بمعنى القبيلة والجماعة.

---

(١) ع: والخبر.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٣) ع: يبيت.

(٤) ع: لا نأكل.

(٥) كما في ي و س و ع. م: كي أسائلها عيت. رواية د النابغة/ العقد ٦: وقفت فيها أصيلاناً أسائلها عيت... البيت. والمجاز ٣٢٨/١ ول/ أصل: أصيلالا أسائلها عيت. أبو عبيدة: أصيلال تصغير آصال اهـ. وفي ل/ أصل قال: يجوز أن يكون أصل واحداً وتصغيره أصيلان. وأصيلال على البدل أبدلوا من النون لاما. والربع الدار والمنزل.

(٦) س: ولا توقاهم. ولا توقاهم أي تعني بذكرهم إذا ذكرت غيرهم من القبائل العظيمة كأسد وقيس. ولا توقاهم بمعنى لا تخشى بأسهم إذا ذكرت القبائل.

[في جمع الواحد] والواحد يجمع وُحداناً. قال الشاعر:

وقد بَلَوْتُكُمْ مَثْنَىَ ووُحْدَانَا ١١٧

وقال الكميت فجمعه على هجاءين فقال واحدين:

وضَمَّ قَواصِيَ الأحياء مِنهُمْ فقد رَجَعُوا كحَيٍّ واحِدِينَا ١١٨[(١)]

واحدينا جماعة الواحد. قال الأصمعيّ: هذا مما يعاب به الكميت[(٢)] إذا جَمَع الواحد واحدين. وإنما يجمع الواحد من غير لفظه. يقال اثنان وثلاثة، ولا يقال واحدون. وقال غيره: إنما جَمَعَ واحدين لمكان الحيّ لأنه جَمْع. والأحد يجمع على آحاد على القياس. وقال أصحاب الحساب في جمع واحد وُحْدان، وأحد آحاد، وعشرة عشرات، ومئة مئون، وألف ألوف.

[الواحد والأحد من الحد] وهذه اللغات كلّها قد جاءت عن العرب في الواحد والأحد مثل وُحَادَ وأُحادَ ووَحيدٍ ووَحَدٍ ومَوْحدَ وأوْحَدَ. وهذا كلّه راجع إلى معنى الواحد والأحد وإن كان في ذلك معان لطيفة. ولم يجىء في صفة الله عزَّ وجلَّ إلاّ الواحد والأحد. وبذلك وصف نفسه عزَّ وجلَّ في كتابه.

والواحد والأحد وغيرهما من هذه الألفاظ مشتقة من الوَحدَة[(٣)]. قال: وكان ذلك مأخوذاً من الحدّ[(٤)]، كأن الأشياء كلّها إليه انتهاؤها: وهي محدودة كلها غيره عزَّ وجلَّ. وهو غير محدود، بل هو غاية المحدودين لا حدّ له، وغاية الغايات لا غاية له. تبارك الله الواحد الأحد.

---

(١) الجوهري (صح/ وحد): قال الفراء يقال أنتم حي واحد وحي واحدون. قال: ومعنى واحدين واحد كما يقال شِرذمة قليلون، وأنشد للكميت: فضم قواصي الأحياء... البيت اهـ. ول/ وحد.

(٢) كما في س و ع. م: ما يعاب به الكميت. ي: مما يعاب به على الكميت.

(٣) ي: الوحد.

(٤) ونظير «أحد» في العبرية אחד (أحد)، وفي العربية الجنوبية القديمة 𐩱𐩢𐩵 (أحد)، وفي الآرامية والسريانية חד (حد)، على معنى «واحد».

باب الصمد

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الصَّمَد».

[الصمد والمصمد الذي لا جوف له] قال عزَّ وجلَّ: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾.
قال عكرمة ومجاهد في تفسير ذلك: الصمد هو الذي لا جوف له، تعالى الله، و «الْمُصْمَد»[1] في كلام العرب هو الذي ليس بأجوف، وأنشد:

كمرْدَاةِ صخر في صفيح مُصَمَّدِ ١١٩[2]

وقال قوم من أهل اللغة: الدال مبدلة من التاء كأنه مُصمت[3].

[الصمد من صفاته عزَّ وجلَّ السيد المقصود] وليس هذا من صفاته عزَّ وجلَّ؛ بل «الصَّمَد» في صفاته السيد المتناهي في السؤدد حتى لا سيد فوقه، وهو الذي يَصمُد إليه الخلائق في حوائجهم، وينتهون إليه في أمورهم. يقال: صَمَدَ نحوه يَصْمد صَمْداً. والصمد الاسم. وذلك مشهور في كلام العرب. قال الشاعر:

يَـزَعُـون الـجـهـل فـي مـجـلـسـهـم   وهُمُ أنصار ذي الِحلْم الصَّمَدْ ١٢٠[4]

فالصمد هو السيد المقصود، الذي[5] انتهت إليه السيادة،

---

(١) ع: الصمد. والمصمد في ي مشددة. والمصمد والمصمد بالتشديد كلاهما بمعنى واحد. والأول وصف من أصمد والآخر من صمد بالتشديد. ولا يترتب على اختلاف وسيلة التعدية اختلاف في المعنى.

(٢) قبله في د طرفة/ العقد ٥٤: وأروع نباض أحذ ململم. الجوهري (صح/ ردى): ابن السكيت: المرداة صخرة تكسر بها الحجارة.

(٣) في صح/ صمد قال: المصمد لغة في المصمت وهو الذي لا جوف له.

(٤) في صح/ وزع: وزعته أزعه وزعاً كففته فاتزع هو أي كف.

(٥) كما في ي و س و ع. م: والذي.

فليس[1] فوقه سيّد. قال الأسدي[2][3]:

لـقـد بَـكَّـرَ الـنَّـاعِـي بـخَـيْـرَيْ بـنـي أَسَـد
بـعـمرو بـن مـسـعـود وبـالـسـيِّـد الـصـمَـدْ ١٢١[4]

وقال طرفة:

وإنْ تَـبْـغِـنـي فـي حـلـقـة الـقـوم تـلْـقَـنـي
إلـى ذروة الـبـيـت الـكـريـم الْـمُـصَـمَّـد ١٢٢[5]

ويروى هذا البيت:

وإن يـلـتـق الـحيُّ الـجـمـيـع تُـلاقـنـي إلى ذروة البيت الكريم المصمَّد[6]

والمصمّد المقصود يعني ذروة البيت الذي يُصْمَد إليه ويُقْصَد نحوه.

وقال عمرو بن الأسلغ في قتله حذيفة بن بدر:

عـلـوتُـهُ بـحـسـام، ثـمّ قـلـت لـه:
خُذْها حُذَيْفَ، فأنت السَّيّدُ الصمَدُ ١٢٣[7]

[٨٨] وإنما قيل لله عزَّ وجلَّ صَمَد، لأنه المقصود بالحاجات، وهو

---

(١) ي و س و ع: ليس.

(٢) كما في ي. م و س: الأسيدي. ع: الراعي. ولم نعثر على اسم الشاعر ولا الشاهد إلا أننا نظن أن القائل هو عبيد بن الأبرص الأسدي. وقد ورد في حديث قتله (د عبيد بن الأبرص، والشعر والشعراء ١٤٤) اسمي رجلين من بني أسد كانا نديمين للملك المنذر بن ماء السماء الذي بنى الغريين على قبريهما، أحدهما خالد بن نضلة الفقعسي والآخر عمرو بن مسعود. وذكر المرزباني في معجم الشعراء ٢١١ اسم عمرو بن مرارة الأسدي الفقعسي وهو جاهلي. وقد يكون المراد بالسيد الصمد خالد بن نضلة الفقعسي.

(٣) في رواية ل/ صمد وابن سيده (المخصص ١٧/ ١٥٢): قال الأسدي: ألا بكر... البيت. ويروى بخير بني أسد.

(٤) والبيت في د طرفة/ ٥٧ هكذا:

وإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد

(٥) كذا في م و س و ع. وسقطت «ويروى هذا البيت: وإن يلتق الحي... البيت» في ي. وفي رواية د طرفة/ العقد ٥٧: البيت الرفيع.

(٦) صح/ صمد. وفي م وردت بعد الشاهد العبارة الآتية: يقال سيد وسادة وجميع السادة سادات. قال الجعدي:

وسـادات قـومـي حـتـى تـركـت فـردا كـصـيـصـيـة الأعـضـب

والظاهر أنها زيادة، لم ترد في ي و س: وع.

غاية الغايات، وسيد السادات، لا سيد فوقه ولا غاية وراءه، بل هو الغاية في أنفس المخلوقين، يُصْمَدُ إليه ويُقْصَد نحوه لمعرفة الأنفس في ضمائرها وغامض عقولها أنه الغاية التي يضطرّ إليه[1] الخلائق عند الكُرَب والشدائد، فَيُلْجأ إليه ويُصْمَد نحوه ويستعان به عند الضرورة والشدائد بالدعاء: يا ربِّ، يا ربِّ، ويعلم أنه القادر على قضائها، القريب الرحيم، وأنه لا مقصِد إلاّ نحوه، ولا غاية غيره، ولا ملجأ إلا إليه، فهو الصمد السيد المقصود. تبارك وتعالى[2].

(١) س: إليها.

(٢) كما في ي و س و ع. م: تبارك الله الصمد وتعالى.

باب الفرد والوتر

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الفرد».

[الفرد والزوج] قال الحكيم: إنما قيل له فرد، لأنه لا يختلط بالأشياء ولا يمازجها، بل هو مستغن عنها، منفرد لغِناه عنها. وكل مختلط بها محتاج إليها. فالأشياء كُلها مختلطة بعضها ببعض، محتاجة بعضها إلى بعض، مركبة بعضها من بعض، فمنها موافقة بعضها لبعض، ومنها مخالفة بعضها لبعض في جوهرها. وهو جل وعلا[1] خالقها ومركبها ومؤلّفها ومفسدها ومصلحها، فهو الفرد، المنفرد عنها، الممتنع من الاختلاط بها، متوحّد بالفردانية. والأشياء كلّها ليست بمنفردة بعضها عن بعض، وهي مزدوجة. وليست بواحدة، بل هي غاية قابلة بعضها بعضاً[2] لحاجتها إليها وموافقتها لها، متضادّة لمخالفتها بعضها[3] بعضاً. وهو جلّ وعزّ لا يقال له مُوافِق ولا مُخالِف لها في جوهر[4] ولا طبيعة ولا قوة، لأنه خالِق[5] الجوهر والطبيعة والقوة، فهو لا متصل بها ولا منفصل عنها، والاتصال يدلّ على الانفصال، وهو خالق الاتصال والانفصال، فهو لا يتصل ولا ينفصل. بل هو الفرد الخالق لكلّ ما نالته العقول من هذا العالم، فالفرد اسم من أسمائه، والزوج اسم من أسماء المخلوقين. تبارك الله الفرد.

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الوتر».

---

(١) كما في س. م و ع: وتعالى. ي: وعز.
(٢) ي: من بعض.
(٣) س: لمخالفة بعضها.
(٤) ي: جوهر ولا عرض.
(٥) كما في ي و س و ع. م: خالف.

[الوتر والشفع] وهما لغتان: وَتْر ووِتْر بفتح الواو وكسرها. ويقال الكسر هو لغة بني تميم[1]، وعليه عامة الناس. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**والشَّفْعِ والْوَتْرِ**﴾[2]. وأكثر القراءة على كسر الواو. وقرأ قوم بفتح الواو، ومنهم أبو عمرو بن العلاء وغيره. وهي لغة أهل الحجاز، يقولون للفرد وَتْر. قال المفسرون في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**والشّفْعِ والوَتْرِ**﴾: الوتر هو الله، والشفع هو الخلق. فالوتر بمعنى الفرد، والشفع بمعنى الزوج. والله عزَّ وجلَّ وتر، لا شفع له، أي لا زوج له من شكل أو ضدّ. والأشكال والأضداد هي شفع بعضها لبعض، وهو خالق الشفع المزدوج بالتشاكل والتضادّ. وكل شكل أو ضدّ وإن كان فرداً في ذاته، فهو شفع لضدّه وشكله، أي زوج له. والله عزَّ وجلَّ لا شكل له ولا ضدّ، فيكون ذلك الشكل والضدّ شفعاً له؛ بل هو فرد لا زوج له، ووتر لا شفع له.

[الفرد والواحد] وقد قال أصحاب الحساب للواحد فردٌ، وللاثنين زوج، وللثلاثة فرد، وللأربعة زوج، وللخمسة فرد، وللستة زوج، فعلى هذا بنية الحساب؛ فكل فرد هو زوج، والزوج على جهة المخالفة والموافقة[1]. والله عزَّ وجلَّ لا يُحَدّ بمخالِف ولا بِمُوافِق، فيكون ذلك المخالف زوجاً له بالمخالفة أو الموافقة. بل هو فرد وتر لا بمعنى عدد على ما بينا من [٨٩] تفرّده عن كلّ ما نالته العقول وأحاطت به الأوهام. والفرد فيه معنى الفردية، وليس هو متوّحداً بها كتوحّد الواحد بالواحديّة، فاجتمعت في الواحد معنى الواحدية والفردية، لأن الواحد اسم لا يلزم إلا الواحد، والفرد اسم يلزم الواحد والثلاثة والخمسة والسبعة وغيرها، فهذه أفراد كلّها اشتركت في اسم الفردية. وتفرد الواحد بالواحدية واختص بها، فلم يشركه في هذا الاسم شيء من الأعداد.

---

(١) وفي ل/ وتر عن اللحياني قال: أهل الحجاز يسمون الفرد الوتر، وأهل نجد يكسرون الواو وهي صلاة الوتر. والوتر (بفتح الواو) لأهل الحجاز والكسر لتميم وأهل نجد.

(٢) سورة الفجر: الآية ٣.

(١) في ع: فكل فرد زوج للزوج على جهة المخالفة. تنقص كلمة «أو الموافقة» في ي و س و ع.

باب الأول والآخر[١]

ومن صفاته عزّ وجلّ «الأول والآخر»[٢].

قال ابن عباس في قوله: ﴿الأَوَّلُ والآخِرُ﴾[٣]: يقول الله: أنا الأوّل، فلم يكن لي سابق من خلقي، وأنا الآخر، فليس لي غاية ولا نهاية.

قال الحكيم: قيل له الأوّل. لأنه لم يزل قبل كلّ شيء. فأحدث الأشياء بعد أن لم تكن. وإذا كان هو قبلها لم يزل، وكانت الأشياء بعد مُحدثة، دلّ[٤] بأوليته على أنه لم يزل. فلما دلّ على أنه لم يزل دلّ على أنه لا يزال، لأن الذي لا أول له لا آخر له فلما دلّ على أنه لم يَزل ولا يزالُ دلّ على حدوث كلّ شيء سواه. فلما ثبت أن الأشياء محدثة، وأن الْمُبدِع لها لم يزل قبلها ولا يزال بعدها، دلّ على أنها مُبدَعة، وأن الذي لم يزل ولا يزال هو الأول الذي كان قبلها أوّلياً، والآخر الذي يكون بعدها أبدياً، فقيل هو الأول والآخر. تبارك الله وتعالى.

---

(١) وقد ذكر م في هذا الموضع «الجزء الثالث»، ولعله من تجزئة المؤلف لكتابه.

(٢) أورد البيهقي في تفسير الباطن حديثاً رواه مسلم في صحيحه كما علمه النبي لفاطمة في الدعاء: أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء... الخ. والراغب في المفردات/ بطن: الظاهر والباطن من صفات الله لا يقال إلا مزدوجين كالأول والآخر.

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

(٤) الأصول: «ودل». والظاهر أنه «دل» بحذف الواو ليكون جواب إذا.

باب الظاهر والباطن[١]

قال ابن عبّاس في قوله «الظاهر والباطن»[٢]: يقول الله: أنا الظاهر ظَهَرْتُ فوق الظاهرين بقهري المتكبرين، وأنا الباطن، فليس من دوني إله ولا لي قاهر.

فأمّا في هذا المعنى[٣] على ما ذكر ابن عبّاس فالظاهر هو بمعنى الغالب. يقال: ظَهرَ فلان على فلان إذا غلبه وتقوّى عليه. وفلان ظهيرٌ لفلان أي مُعين له. واستظهر بالشيء أي قوي به. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيهِ﴾**[٤]، أي تتعاونا عليه وقال: **﴿والْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾**[٥] أي معين مُقَوٍّ.

وقال الحكيم: إنّما قيل له «ظاهر» لظهور صنعته، فكأنّ ما يُرَى من آثاره الظاهرة في صنعته دالّة على أنه مُحدِثها ومُدبِّرها وصانعها. وكانت إنِّيته[٦] فيها ظاهرةً بَينة واضحة، كما ترى بناء فتعلم أن له بانياً، فكأن ظهور البناء ظهور الباني إذ كان يدلّ على إنِّيته. وقيل له «باطن»، لأنه خفي عن أن

---

(١) تقدم في م هذا الباب على الباب السابق.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.

(٣) كما في ي و س. م: فأما الظاهر في هذا المعنى. ع: فأما هذا المعنى.

(٤) و(٥) سورة التحريم: الآية ٤.

(٦) الإنية اصطلاح فلسفي أخذه الجيلي في الإنسان الكامل (فصل ٢٧) من «أنا»، أو قد يكون أخذه من «أنّ» وهو لغة في «أنا» مما رواها قطرب، فالأنية يكون معناه الأنانية أو الذاتية. وهذا ليس بشيء. وقيل إنه مأخوذ من الكلمة اللاتينية ens (إنس) أي الوجود المطلق في معناه الفلاطوني. وهذا بعيد لأن العرب لم تأخذ مصطلحاتهم الفلسفية من اللاتينية. وقيل إنه عرب من الكلمة اليونانية EL VAL (أيناي) أي الوجود، وهو مصدر، ومنه فعل الكينونة ειϚ (أيس)، ومنه OV (أن) أي الموجود. ولهذا الرأي وجاهة كبيرة. وإنما نرجح =

تُدرِكه الخلائق بكيفيته أو تحيط به أوهامهم أو تبلغه صفاتهم أو تدركه عقولهم. فلما كان هكذا قيل هو الباطن، فكان لظهور إنِّيته[1] في صنعته ظاهراً، ولامتناعه عن درك المخلوقين بذاته باطناً. فكان ظاهراً باطناً. تبارك الله الظاهر الباطن.

= أن الإنية مأخوذة من ظاهر اللفظ العربي «إنّ» أو «أنّ». وهو في الأصل مصدر صناعي يراد به وجود الشيء وحقيقته، ويساوي في معناه مقولة أرسطاطاليس: الوجود = tò öti tò = [redacted] Dasein في تفسير فرفوريوس. ومما يثبت ذلك ما قاله أبو البقاء في الكليات: «إن» بالكسر والتشديد هي في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود. ولهذا أطلق الفلاسفة لفظ الإنية على واجب الوجود لذاته لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وفي قوة الوجود. وأشار أبو البقاء أن اللفظ محدث ليس من كلام العرب اهـ. وفي هذا دليل على أن العرب قد استمدوا أحياناً في وضع مصطلحاتهم الفلسفية من العربية ظاهر اللفظ يشبه اللفظ اليوناني في الصورة والصيغة والجرس، كما يشبهه في المعنى والمدلول. وكذلك وضعوا أيس وليس، ومنها أيسيات وليسيات (entities and non- entities)، و «ليس» هو لا أيس. فاللفظ العربي لا يختلف من اللفظ اليوناني «أيس» في الصورة ولا في الدلالة. وقد اشتقوا من «إن» «الإنية الأولى» وهي وجود واجب الوجود، والصفة الأولى منه «إنٌّ»، أي موجود، ومنه «البرهان الإني» وهو الاستدلال من المعلول على العلة، و «البرهان اللمي» وهو الاستدلال من العلة على المعلول. ويجوز فيه «أن» و «أنية» بفتح الهمزة، والشائع على الألسنة بالكسر. راجع أثولوجيا أرسطاطاليس ١٠٨ وهورتن ٣٠/ ١٢٩ ومقال دي بورفي EI.

(١) كما في ي و س و ع. م: فكان إنيته.

باب الدائم

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الدائم».

[الأزلية لله والإبداع للعالم] قال الحكيم: إنّما قيل له دائم لأنه لم يزل. ولم يختلف علينا أحد فزعم أنه مُبْدَع، إذ كان كُلّ من أقرّ به أقرّ أنه لم يزل. ومن أنكره زعم أن العالم لم يزل، فأثبت الصفة للعالم بالأزلية ولم ينكر الأزلية. فلما كانت الأزلية ثابتة بلا مُخالِف، ولم يقدر على دفعها أحد، فكانت عندنا لله عزَّ وجلَّ، وأزلناها عن العالم، إذ كان هو أولى بها وإذ كان العالم مُبْدَعاً. ولا يقدر أحد أن يُزيلها عنه تبارك وتعالى، لأن الأزلية توجب الإبداع، وهما جميعاً موجودان. فلما ثبتت الأزلية والإبداع جميعاً قلنا الأزلية له عزَّ وجلَّ والإبداع للعالم، إذ كانت الأزلية لا تُثْبَت إلا بالإبداع. ولما أقرّوا لنا بالأزلية وأنكرناها للعالم وجب عليهم إثباتها للعالم بلا مُخالِف، إذ كانوا مقرّين بإنّية الأزلية[1]. فلما لم يقدروا على إثبات الأزلية للعالم بلا مُخالِف وكانوا مقرّين بإنيتّها ثبتت لِمُبدِع العالم. فلما ثبتت لمبدع العالم قلنا لم يزل. فلما ثبت أنه لم يزل ثبت أنه لا يزال، لأن الذي لم يزل ولا مُبدِع له لا يزال ولا مُفْنِي له. فإذا ثبت أنه لم يزل ولا يزال فهو الدائم، الخالق للزوال والانتقال والزيادة والنقصان والفناء، لا زيادة فيه ولا نقصان. ولا فناء له ولا انتقال. وهو الدائم، خالق المكان [٩٠] والزمان والحدود والأوقات التي فيها الزيادة والنقصان والفناء والانتقال. تبارك الله الدائم.

---

(١) وردت في م وحاشية ع بعد «بأنية الأزلية» الزيادة الآتية ولم ترد في ي و س: وإذا كانت الأزلية تقتضي الإبداع فلما ثبتت الأزلية وثبت الإبداع ولم يجز أن يُلزم الله عزّ وجلّ بل وصفناه بالأزلية لزم الإبداع العالم.

باب الخالق والخلاق والقادر

ومن صفاته «الخالِق» و «الْخلاّق».

[الخالق والخلاق] وقد جاءت الصفتان[1] جميعاً في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿الْخالِقُ الْبارِئ﴾[2]. قال: ﴿وَهُوَ الْخلاّقُ الْعَلِيمُ﴾[3]. وهما جميعاً من خَلقَ يَخْلُقُ خَلقاً فهو خَالِق وخَلاّق. فالخالق معناه أنه ابتدأ الْخَلق أوّل مرّة. والخلاّق لأن من شأنه أن يخلق إلى آخر الدهر حتى يتِمّ له الْخَلق، فلا يزال يخلق كلّ يوم خَلْقاً من بعد خَلق. فالْخالِق على وزن فاعل أي أنه خالِق في الابتداء، كما تقول قاتِل وجَازِر لمن يقتل نفساً أو يجزر بَدَنَة. والْخلاّق على وزن فَعّال، كما تقول قَتّال وجَزّار لمن يكون من عادته وشأنه أن يقتل النفوس ويجزر البُدُن[4].

[الخلق والتقدير] والْخَلق المصدر، يقال خَلقَ يَخْلقُ خَلقاً. والْخَلق الاسم أيضاً، يقال هذا الخلق، قال الله عزّ وجلّ: ﴿هٰذَا خَلْقُ اللهِ﴾[5]. ومعنى الخلق واشتقاقه التقدير[6]. يقال خَلقَ إذا قَدَّرَ. قال زهير:

---

(١) ي: الصفات.

(٢) سورة الحشر: الآية ٤.

(٣) سورة يس: الآية ٨١.

(٤) جمع البدنة بدن بالضم وكذلك بجزم الدال مثل عشر بضم السين وجزمها. والبدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها (صح/ بدن).

(٥) سورة لقمان: الآية ١١.

(٦) في صح/ خلق قال: الخلق التقدير. يقال خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع. ومنه قول زهير: ولأنت تفري... البيت. وقال الحجاج: ما خلقت إلا فريت، ولا وعدت إلا وفيت اهـ.

ولأنـــت تَــفْــرى مـــا خَـــلـــقْـــتَ وبــعـــ
ضُ الـقــوم يـخــلــق ثــمّ لا يَـفْـرى ١٢٤[1]

يمدح رجلاً، يقول: تَقْطَع ما قَدَّرتَ وتُتِم ما ابتدأتَ، وبعض القوم يُقدّر ولا يقطع، ويبتدىء ولا يتِم[2]. وإنما هو مثل، يعني تُمضي ما ابتدأت به من الأمور وتُحْكِمها قال الكميت:

لَــمْ نَــجْــشَــم الــخــالــقــاتُ فِــرْيَــتَــهــا
ولــم يَــفِـضْ مـن نُـطـافِـهـا الـسَّــرَبُ ١٢٥[3]

يعني بالخالقات اللاتي يُقدّرن من الأديم المزاد والقِربَ، فهنّ يخلقنه أي يُقدّرنه[4]. وفِرْيتها قطعها.

وإنما سمى نفسه عزَّ وجلَّ خالقاً لأنه قدّر الأشياء كلّها ثم أمضاها، فهو الخالق في ابتدائه الخلق، الخلاّق في تتميمه إيّاه إلى آخر الدهر بعلم وحكمة وصلاح. وخَلقه تامٌ مُصلِح لا فساد فيه[5].

[الخلق والخرق] والخالق هو المقدِّر بعلم. يقال خَلقَ الشيء إذا قدَّره بعلم ومعرفة وتدبير، وخَرَقَه إذا قدَّره بغير علم ولا معرفة ولا تدبير فأفسَدَه[6]. ومن أجل ذلك قيل لمن لا يحسن العمل أخْرَقُ وللمرأة[7] خَرْقاء.

قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وخَلقَهُمْ وخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وبَنَاتٍ بِغَيرِ عِلْم﴾**[8].
أي كان تقديره لهم عزَّ وجلَّ حين خلقهم بعلم وحكمة، وجبلهم على

(١) د زهير/ العِقد ٨٢: فلأنت تفري... البيت.
(٢) ي و ع: يتمم.
(٣) قد ورد في الهاشميات شرح أبي رياش (مخطوط مكتبة الأزهر) «لم يغض» بالغين أي لم ينقص، وفسر النطاف بالماء القليل أو الكثير، والسرب بالماء الذي بين البئر والحوض. وفي ل/ سرب السرب بالتحريك الماء السائل. ومنهم من خصّ فقال: السائل من المزادة. واطلب فيما يأتي من باب معنى الخلق.
(٤) كما في ي و س و ع. م: يقدرن عليه.
(٥) ي و س: لا إفساد فيه.
(٦) كما في ي و س و ع. م: فأفسد.
(٧) كما في ي و س. م و ع: المرأة.
(٨) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

معرفة، وقدَّر عليهم أن يعرفوه ويُوحِّدوه، فأفسدوا ما قدّره الله عزَّ وجلَّ لهم من فطرتِه إيّاهم، وقدَّروا له ما نسبوه إليه من البنين والبنات كذبًا بغير علم بل جهلاً وفساداً، فسمَّى فعله خَلقاً إذ كان بعلم وحكمة، وسمَّى فعلهم خَرْقاً إذ كان جهلاً وفساداً.

وروى أبو عبيد[1] بإسناد له عن مجاهد في قوله «خرقوا»: كذبوا. وقال أبو عبيدة[2]: «خرقوا» اختلقوا الكذب افتعلوه[3]. وقرأ أهل المدينة خرَّقوا بالتشديد، والكسائي وأبو عمرو بالتخفيف[4].

قال الله في موضع آخر: ﴿وتَخْلُقُونَ إفكاً﴾[5]. قال أبو عبيدة: تُقدِّرون كذبًا وتخرّصونه وتؤلّفونه. ويقال قد تَخَلَّقَ كذبًا واخْتَلَقَ وخَلَقَ. وقال: مجازه تختلقون وتفترون[6].

وقال غيره: صخرة خَلْقَاء أي ملساء كأنها قد قُدِّرت لملاستها. وأنشد البيت للأعشى:

قد يترك الدهر في خَلْقاءَ راسِيَةٍ
وَهْيا ويُنزِل منها الأعْصَمَ الصَّدَعا ١٢٦[7]

ويقال سحاب أخلقُ ومُخْلَوْلِقٌ إذا تخيل للمطر [٩١] كأن معناه قد قُدِّر فيه المطر وقُدِّر للمطر.

ويقال أخلِقْ به أن يفعل كذا وكذا أي قَدِّرْ فيه.

ويقال أيضاً خِليقٌ أن يفعل كذا على ذلك المعنى[8].

---

(١) كما في ع. م و ي و س: أبو عبيدة.
(٢) كما في ي و س و ع. م: أبو عبيد.
(٣) المجاز ١/٢٠٣.
(٤) في ل/ خرق قال: التخرق لغة في التخلق من الكذب. خرق الكذب وتخرقه وخرقه بالتشديد كله اختلقه. قرأ نافع وحده بالتشديد وسائر القراء قرؤوا بالتخفيف.
(٥) سورة العنكبوت: الآية ١٧.
(٦) ي و س: يغيرون.
(٧) الصبح المنير ٧٣ ول/ خلق.
(٨) كما في حاشية م. م و ي و ع. يفعل ذلك على ذلك المعنى. س: بفعل ذلك المعنى.

[قدر وقدير وقادر] وقال الكسائي في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَم تَعْلَم أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]: هو من قَدَرْتُ الشيء أَقْدُرُه قَدْراً بجزم الدال. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٢] وقد يجوز فيه الفتح. قال عزَّ وجلَّ: ﴿فسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[٣] ففتح في موضع وجزم في موضع. وقد تدخل كلّ لغة منها على الأخرى. قال: وكان الخفيف[٤] هو المصدر والثقيل[٥] هو الاسم. قال: ومن ذلك قول الشاعر[٦]:

وما صَبَّ رِجْلي في حَدِيدِ مُجاشِعٍ
مَعَ القَدْرِ إلاّ حاجةٌ لي أريدُهَا ١٢٧[٧]

أراد القَدَر فخفّف.

وقال غيره: قيل لله عزَّ وجلَّ خَالِق الْخَلق أي هو الذي قدَّر الأشياء كلّها فسمَّى تقديرَه لها خَلقاً، وذلك قوله: ﴿إنا كُلَّ شَيْءٍ خَلقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٨]. وقَادِر وقدير في معنى واحد. وقدير فعيل في معنى فاعِل. ويقال قَدَرَ الشيء وقَدَّرَه فهو قَادِر[٩]. هذا في معنى التقدير.

ويكون في معنى الغلبة والقهر والتمكّن من الشيء، فيقال في هذا المعنى: قَدَرَ على الشيء، فتُخفَّف وتدخل عليه الصفة، ولا يجوز بالتثقيل ها هنا. ولا تُطرَح الصفة إذا أردت به معنى الغلبة والقهر والتمكّن، ويقال: هو قادر عليه. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[١٠].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٩١ والحج ٧٤ والزمر ٦٧.
(٣) سورة الرعد: الآية ١٧.
(٤) ي و س و ع: التخفيف.
(٥) ي و ع: التثقيل.
(٦) هو الفرزدق كما ورد في باب القدر والقضاء ول/ قدر و د الفرزدق ٢١٥.
(٧) في رواية الديوان: مع القد.
(٨) سورة القمر: الآية ٤٩.
(٩) اطلب باب القدر والقضاء.
(١٠) سورة الأحزاب: الآية ٢٧ والفتح ٢١.

باب الباري

ومن صفاته «البَارِىء».

[برء وبري] قال أهل اللغة: معناه الْخالِق. يقال: بَرَأَ الله الْخَلقَ، أي خَلقَه، والبَرِيَّة الْخَلق، والبارِىء الخالِق. وأكثر القرّاء والعرب لا يهمزون البريّة لكثرة ما جرت على الألسنة، وهي[١] فَعِيلة في معنى مَفْعُولَة.

وزعم بعض الناس أنها مأخوذة من بَرَيْتُ العود.

ومنهم من يزعم أنها من البَرَى وهو التراب. ويقال في بعض الأمثال: «بفيه البَرَى فإنه خيسرى»، يعني بفيه التراب فإنه خاسر. قالوا[٢]: البريّة مأخوذة من التراب. قالوا: ولذلك لم تهمز. وجمع البرية البرايا.

[خلق وبرء وتصوير] قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ﴾[٣]، ففرّق بين الصفتين. قال بعض العلماء: لأنّه خَلقَ الْخَلق أولاً فقدّره، ثم بَرَاه[٤] أي سوّاه وعدّله. وفي كلام أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه[٥]: «والذي فَلَقَ الْحبَّة وبَرَى[٦] النَّسَمَة»، النسمة النفس، بَرَاها[٧] أي هيّأها وسوّاها بعد أنْ قدّر لها صورة. فلذلك بدأ الخالق، ثم البارىء، لأنه ابتدأ فخلق الصورة أي قدّرها، ثمّ برى[٨] النسمة. وهذا يدلّ على أنه ليس

---

(١) كما في س و ع: م و ي: وهو.
(٢) كما في ي و س و ع. م: قال.
(٣) سورة الحشر: الآية ٢٤.
(٤) كما في ي و س و ع. م: برأه.
(٥) ي: أمير المؤمنين صلوات الله عليه. ع: أمير المؤمنين عليه السلام.
(٦) كما في س. م و ي و ع: برأ.
(٧) كما في ي و س و ع. م: برأها.
(٨) م: برأ. ي و س: برا. ع: برا لها.

من البَرَى الذي هو التراب، لأن النسمة ليست من التراب، إنما خلق الله الصورة من التراب، ثم نفخ فيها الروح. قال الله عزَّ وجلَّ في صفة آدم عليه السلام: ﴿إنّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي﴾[1]. وهذا تصحيح لما قلنا في باب الخلق أنه التقدير. كأنه عزَّ وجلَّ خلق الصُّوَر أي قدَّرها ثم برى لها[2] النسمات، فالتقدير الأول هو خَلق الصور، والثاني هو بَرْء[3] النسمات. فلما نفخ النسمة في الصورة كان ذلك تمام [٩٢] الصورة. فالحال الأولى خَلق، والثانية بَرْء، والثالثة تصوير. وهكذا وصف نفسه عزَّ وجلَّ فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبَارِىءُ الْمصورُ﴾.

[البري] والبَرْى في اللغة معناه التسوية والنحت. ويقال: بَرَى القلم أي نَحتَه وسَوّاه، وبَرَى القوس أي نَحتَها وسَوَّاها. وفي المثل: «أعْطِ القَوْس باريها»، أي من نَحتَها على علم ومعرفة وحكمة. ثمّ قيل لكلّ شيء نَحتَّه أي بَرَيْتَه. قال الشاعر في صفة ناقة[4]:

كـمِـثـل الْـحَـنِـيِّ بَـرَاهـا الـكـلالُ   يُـرْكَـبْـنَ آلا ويُـنْـضَـيْـن آلاَ ١٢٨

قال: بَرَاها الكلال أي نَحتَها، ولم يهمز.

فكأن الذين لم يهمزوا الباري أيضاً ذهبوا إلى معنى البَرْء[5]، ولَكِن لما كثرت على ألسنتهم تركوا الهمز، وإن كان أيضاً من البَرْي[6]، ولم يكن من البَرَى الذي هو التراب. فكأن الله عزَّ وجلَّ بَرَى الْخَلق أي سوّاه على علم وحكمة، كما يبرى الباري القلم بعلم ومعرفة فَيُسَوّيه.

[البرية والذرية] ومثل البَارِىء الذَّارِىء[1]، وهو أيضاً معناه الخالق على

---

(١) ص/ ٧١ ـ ٧٢.

(٢) م و س: برأ لها. ي و ع: برا لها.

(٣) كذا في الأصول كلها، والسياق يقتضي أن تكون برىء مع أن كلتا الكلمتين ـ كما ذكرها المؤلف أيضاً فيما يأتي ـ استعملتا على التعاقب بمعنى.

(٤) كما في ي و س و ع. م وحاشية س: صفة إبل.

(٥) ع: البرا. ي و س: البرى.

(٦) ي: البراء. ع: البرا. يريد بهذا بعد أن فرغ من الكلام على البارىء بالهمز أن يبين أن الباري غير المهموز يجوز أيضاً أن يكون من البرء بمعنى الخلق والتقدير وأن يكون من البري بمعنى التسوية.

ما فسّره العلماء. ويقال ذَرَأ الله الْخَلق. قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّم كَثِيراً﴾[2]، أي خلقنا. والذرّيّة منه[3]. كأنّ الذُّرِّيّة خَلْق الله من نسل الرجل.

وأكثر القرّاء والعرب على ترك الهمز فيها أيضاً لكثرة ما تتكلم به[4]. منهم الكسائي قال: لم نجد[5] العرب تهمز النبي والذرّيّة والبريّة، وذلك أن الذرّيّة فيما نرى من ذَرَوْتُ أو ذَرَيْت والبريّة من بَرَيْتُ العود. قال أبو عبيد: يذهب الكسائي إلى أنهما لو كانا من ذَرَأ الله الْخَلقَ وبَرَأهم لكانا مهموزين. وقال أبو عبيدة: أصل الحرف مهموز وهو من بَرَأ الله الْخَلقَ وَذَرَأهم، ولكنّ العرب تركت الهمز فيهما[6] وفي حروف أخر، فقالوا الْخابِية بغير همز وهو من خَبَأتُ، ومنهم من يزعم أنه من ذَرَوْتُ أو ذَرَيْتُ. ولم يوجد في صفة الله عزّ وجلّ الذّارِىء كما قيل البَارِىء[7].

---

(١) ي و س و ع: ومثل الباري الذاري.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩ والمجاز ١/ ٢٣٣.

(٣) في ل/ ذرأ: قال ابن بري: جعل الجوهري الذرية أصلها ذريئة بالهمز فخففت همزتها وألزمت التخفيف. قال: ووزن الذرية على ما ذكره فعيلة (بضم الفاء وتشديد العين) من ذرأ الله الخلق. وغير الجوهري يجعل الذرية فعلية من الذرأ وفعلولة اهـ. اطلب باب الذرية وباب النبي.

(٤) ي و ع: يتكلم به.

(٥) كما في ع: م و ي و س: لم أجد.

(٦) ي و س و ع: فيها.

(٧) ي و س و ع: الذاري كما قيل الباري.

باب المصور

ومن صفاته «الْمُصَوِّر».

[الصورة الغاية والمثال] قال عزّ وجلّ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[1]. فابتدأ بالخالق ثم بالبارىء، ثمّ بالمصوّر، لأنه قَدَّرَ تراكيب الخلائق، ثم بَرَأ لها النسمات، ثمّ أظهر صُورَها، فقامت تامّة بتدبيره عزّ وجلّ. والصورة اشتقاقه[2] من صَارَ يَصِيرُ[3]، ومعناه التمام والغاية. ومن أجل ذلك قالوا: إلى ماذا صار أمرك؟[4] أي إلى أين انتهى وما غايته؟

وتكون الصورة معناها[5] المثال. ومنها قيل للتماثيل تصاوير، لأنها مُثّلت على مثال الصُّوَر، فكأن كلّ أمر إذا انتهى إلى غايته وتمامه ظهرت صورته وبرز مثاله. ويقال: كيف صورة هذا الأمر؟ أي كيف مثاله؟

[إن الله خلق آدم على صورته] وفي الحديث: لا تُقبِّحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورته، ونفخ فيه من روحه[6].

فاضطرب الناس في هذا حتى أنكره كثير من الناس فِراراً من التشبيه.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٤.

(٢) كما في ي و س و ع. م: اشتقاقها.

(٣) صار الشيء كذا يصير صيراً وصيرورة. والمصير شاذ والقياس مصار مثل معاش. وصاره يصيره لغة في يصوره أي أماله. راجع صح/ صير وصور.

(٤) ع: صيرك.

(٥) كما في ي و س و ع. م: في معناها.

(٦) ورد الحديث في سنن النسائي: لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته (المنياوي: كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ١٨٣)، وفي مس بر ١١٥ نصه: عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته.

وتأول فيه قوم، فقالوا: على صورته، أي على صورة آدم نفسه، وجعلوا الهاء راجعة إليه. وقال آخرون: على صورته، [٩٣] على صورة المقبَّح؛ فإذا قلت للرجل: قبَّحك الله وقبَّح من يُشبِهك، كأنه قال على صورة المقبَّح؛ فلا تسُبُّوه، فتكونوا قد سببتم آدم. وقال قوم: على صورته، أي على صورة الطين المصوَّر قبل نَفْخ الروح فيه. وقال قوم: يعني خَلقَه بالِغاً لَم تنقله الأرحام، فتصرّفه[1] من نوع إلى نوع. فجعلت طائفة الهاء راجعةً على المقبَّح، وطائفة أخرى الهاء للطين، وطائفة الهاء لصورة آدم.

وفي حديث آخر: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وهذا الحديث يرد هذه التفاسير كلّها ويبّين أن الهاء للرحمن، فقال قوم: كأنه ذهب إلى الخصوصية أن الصورة تقدمت الصُور، فَنُسِبَتْ إلى الله عزَّ وجلَّ على معنى الخصوصية، كما قيل للكعبة بيت الله والبيوت كلّها لله عزَّ وجلَّ. وأشباه ذلك كثير.

قال ابن عباس: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[2]، قال: في استواء[3]، وكبٌّ سائر الْخَلق على وجهه. وقال: ﴿ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِما خَلقْتُ بِيدَيّ﴾[4]. ألا ترى كيف نَسَبَ خلقة آدم إلى نفسه، لأنه يُنْسَب إلى الله عزَّ وجلَّ من كلّ شيء أشرفه وأفضله، فكانت صورة آدم أحسن الصور وأشرفها. ومثله: ﴿واعْلَمُوا أنَّ ما غَنمتم مِنْ شَيْءٍ فَإنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾[5]، ولله الدنيا والآخرة، فهذا خصوصية.

[صارت صورة آدم مثالاً تاماً] وقال بعض العلماء: إنّ الله عزَّ وجلَّ قدَّر خَلق آدم فكان ذلك خَلْقاً له، ثمّ بَرَأ النَسَمَة فأسكنها في تلك الصورة فكان ذلك نَفْخ الروح فيه، ثمّ أقام مثالَه صورةً سويّةً في[6] آخر أمره، وعند تمامه[7] ظهرت صورته. قال جلّ وعلا: ﴿الْخالِقُ الْبَارِىءُ الْمصَوِّرُ﴾.

---

(١) ي: وتصرفه. ع فيصرفه.
(٢) سورة البلد: الآية ٤.
(٣) كما في ي و س و ع. م: على استواء.
(٤) سورة ص: الآية ٧٥.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٤١.
(٦) ع: صورة سواه و.
(٧) ي و س: عند إتمامه.

وقال: ﴿خَلقْنَاكُمْ ثُمّ صَوّرْنَاكُمْ ثُمّ قُلْنَا لِلْملائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[١]. هذا حين انتهت خلقته إلى الغاية والتمامية سمّاها «صورة». وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمّ خَلقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فخَلقنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلقنَا الْمضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أنْشَأنَاهُ خلقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[٢]. فكان هذا التقدير[٣] خَلقاً منه لها في هذه الحالات، فلما صارت إلى التمام والغاية أبرزها تامة فسماها[٤] «صورة»، لأنها صارت مثالاً تاماً.

[أبو عبيدة: الصور جمع صورة] وجمع الصُورة صُوَرٌ بفتح الواو. ويقال صُورٌ بتخفيف الواو. قال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾[٥]: يعني جمع صورة[٦]. فذهب[٧] إلى أن الله عزّ وجلّ ينشر[٨] صُوَر الخلائق في المعاد ثمّ ينفخ فيها، ﴿فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرونَ﴾[٩]. قال: وخرجت مخرج سُور المدينة، ومجازه مجاز المختصر[١٠] أيْ نُفِخَ فيها أرواحُها. وأنشد للعجّاج:

فــرُبَّ ذي سُــرَادِقٍ مــحْــجُــورِ سِرْتُ إليه في أعالي السُّور ١٢٩[١١]

قال: ومنها سورة المجد[١٢]. وأنشد لجرير:

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١١.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤.

(٣) س و ع: هذا التدبير.

(٤) ع: فسواها.

(٥) سورة الكهف: الآية ٩٩ ويس ٥١ والزمر ٦٨.

(٦) المجاز ١/٤١٦: واحدتها صورة.

(٧) كما في ع. م: يذهب. ي: نذهب.

(٨) ي و س: ينشىء.

(٩) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(١٠) ورواية المجاز ١/٤١٦: المختصر المضمر فيه.

(١١) في د أراجيز العجاج: ٢٧:

فــرب ذي ســرادق مــحــجــور حم الغواشي حاضر المحضور

أشوس عن سفارة السفير سرت إليه في أعالي السور

والسور جمع سورة وهي ما طال من البناء وحسن.

(١٢) ي و س: الحمد، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه من م و ع وحاشية س.

لـمّـا أتـى خَـبَـرُ الـزُّبَـيـر تَـواضَـعَـتْ
سُـورُ الـمـديـنـة والـجـبـال الْـخُـشَّـعُ ١٣٠[1]

قال أبو عبيدة: لست أرى هذا من قول أبي عبيدة شيئاً، لأن الحديث فيه عن عبد الله[2] أن الصُور قَرْن[3]. [٩٤] وفي الحديث المرفوع: إن صاحب الصور لم يزل مُلتقِمه منذ خلقه الله ينتظر متى يُؤمَر. فهذا يردّ ذلك القول.

[الله المصور] فسمّى عزّ وجلّ نفسه مُصوِّراً، لأنه ابتدأ تقدير الخلائق في الدنيا، وهو يُتَمِّمها حتى تصير إلى غاياتها التي خُلقَت لها في الآخرة، فتظهر صور الخلائق التي صارت إليها، فهو المصور جلّ وتعالى، لا صورة له، لأنه خالق الصور، ولأنه لا غاية له ولا مثال، بل هو منشىء الصُوَر والأمثلة في غاياتها. تبارك الله المصوِّر.

(١) يتلو الشاهد في د جرير ٣٤ ما يأتي:
وبـكـى الـزبـيـر بـنـاتـه فـي مـأتـم   مـاذا يـرد بـكـاء مـن لا يـسـمـع

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره العزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير ٢/٣٦٩. وترجمه النووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨١ رقم ٣٢٣ فقال: أسلم عبد الله قبل أبيه. وكان كثير العلم،مجتهداً في العبادة تلاء للقرآن. وكان أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ. ثبت في الصحيح عن أبي هريرة قال: ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب. روي له عن رسول الله سبع مئة حديث. اتفق البخاري ومسلم على سبعة عشر منها، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين. وتوفي عبد الله سنة خمس وستين بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بفلسطين، وكان عمره ٧٢ سنة.

(٣) نص الحديث: الصور قرن ينفخ فيه. وقال العزيزي (نفس المرجع): قال الترمذي: إن أعرابياً قال: يا رسول الله ما الصور؟ فوصفه له بما ورد في الحديث. رواه جماعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وذكر العزيزي أن الحديث صحيح.

باب السلام

و «السَّلاَم» اسم من أسماء الله عزّ وجلّ.

[السلام هو الله] قال الله: ﴿السَّلاَمُ الْمؤمِنُ الْمهَيمنُ﴾[1]. ومنه سُمّي الرجل عبد السلام كما يقال عبد الله. وزعم بعض أهل اللغة[2] أن السلام بمعنى السلامة، كما يقال الرَّضَاع والرَّضَاعَة واللَّذَاذ واللَّذَاذَة. سَمّى نفسه عزّ وجلّ[3] «سلاماً» لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء والموت والزوال والتغيير. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إلى دَار السَّلاَم﴾[4]. فالسلام هو الله عزّ وجلّ وداره الجنة. ويجوز أن يكون سماها دار السَلام، لأن الصائر إليها[5] يسلم فيها من كلّ ما يكون في الدنيا من الآفات كالمرض والموت والهرم وغيرْ ذلك، فهي دار السِلام. ومثله: ﴿لَهُمْ دارُ السَّلام عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[6].

[معنى السلام عليكم] ومنه يقال: السلام عليكم. يراد[7] اسم السلام عليكم، كما يقال: اسم الله عليكم. قال لبيد:

إلى الْحَوْل ثمّ اسْمُ السلام عليكما
ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقَدِ اعْتَذَرَ ٧٥[8]

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) لعله ابن قتيبة كما ورد في ل/ سلم.
(٣) ي: سمى الله عزّ وجلّ نفسه. ع: سمى عزّ وجلّ نفسه.
(٤) سورة يونس: الآية ٢٥.
(٥) ي: الصائر فيها. س: السائر إليها.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١٢٧.
(٧) كما ي و س و ع. م: أراد.
(٨) د لبيد ٢/١.

اسم السلام عليكما، أي اسم الله عليكما. وقد ذهب قوم في هذا البيت إلى غير هذا المعنى، وقد بيناه في باب الاسم والمُسمَّى[1].

ويجوز أن يكون معنى قولهم «السلام عليكم» أي السلامة عليكم ولكم. وإلى هذا يذهب من قال: سلام الله عليكم، وأقرأ على فلان سلام الله.

[السلام والسلامة] قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾**[2]. أي فسلامة لك منهم، أي يَحبُونك[3] عنهم بالسلامة[4]. وهو معنى قول المفسرين. وقال: **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾**[5]. قال المفسّرون: قالوا صوابًا من القول وسداداً، كأنه إنما سَمَّى[6] الصواب والسداد من القول سلاماً، لأنه قد سلم من الكذب والعيب والإثم.

[أهل السلام] وقال الكميت في السلام:

يَـــقْـــضِ زَوْرٌ هُـــنـــاكَ حـــقَّ مَـــزُوريـــ
ـنَ، ويَـحْـبُ الـسَّـلامَ أهـلُ الـسَّـلام ١٣١[7]

يعني بأهل السلام أهل مكة، لأنهم أهل الله.

قال هشام بن الكلبيّ: إنما سُمّي أهل مكة أهل الله أيام الفيل حين أرسل الله على أصحاب الفيل[8] الطير الأبابيل فذَبَّ عنهم، فسُمّي أهل مكة أهل الله. قال هشام: فالسلام هو الله عزَّ وجلَّ من قوله[9]: **﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾**[10]، وأهل السلام أهل مكة، لأنهم أهل الله.

---

(١) اطلب باب ما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم (الزينة ١٦٥ وما بعدها).
(٢) سورة الواقعة: الآية ٩١.
(٣) كما في ي و س. م و ع: يحبوك.
(٤) ي: بالسلام.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٦٣.
(٦) كما في ع وحاشية س. م و ي و س: يسمى.
(٧) ي و س و ع: يحبو. رواية الهاشميات ٣٥: يحبي.
(٨) حاشية س و ع: أرسل الله عليهم.
(٩) ع: لقوله.
(١٠) سورة الحشر: الآية ٢٣.

وفي حديث عمر: إنه قال لنافع بن الحارث[1]: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ على آل الله؟ يعني أهل مكة.

قال الشاعر:

نحن آلُ الله في بَلْدَتِه لم نَزَلْ آلا على عَهْدِ ابْرَهَمْ ٢٣٢[2]

وفي حديث آخر: لكل شيء أهل، وأهل الله أهل القرآن[3].

[سن النبي السلام عليكم] وقول الناس «السلام عليكم» [٩٥] فإنها سنة من رسول الله[4] ﷺ، ولم يكن هذا قبل الإسلام[5]. كان أهل الجاهلية من العرب يقولون: أنعِم صباحاً، وأنعِمْ مساء. وكانت العجم ينحني بعضها لبعض، يريد بذلك الخضوع له وتعظيمه، فرُفعت هذه الذلّة عن هذه الأمة.

---

(١) كذا في الأصول كلها. وهو نافع بن عبد الحارث بن حبالة بن عمير بن الحارث الخزاعي كما ذكره ابن سعد في الطبقات ٣٣٩/٥ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ١٢٢/٢ رقم ١٨٤ والحافظ في الإصابة رقم ٨٦٥١. وقال الحافظ (نفس المرجع): وقع في رواية إبراهيم الحربي نافع بن الحارث بإسقاط عبد، والصواب إثباته. وذكره بن سعد في الصحابة في طبقة من أسلم يوم الفتح وأقام بمكة. واستعمله عمر على مكة والطائف وفيهما سادات قريش وثقيف.

(٢) قال ابن خالويه (إعراب ٤): إبراهيم اسم أعجمي، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه. ومن العرب من يقول إبراهام، ومنهم من يقول إبرهم بغير ألف؛ قال الشاعر: نحن آل الله... على عهد إبرهم اهـ. وسبق أن ذكرنا اسم إبراهيم في الهامش رقم ٦ الزينة ١٤٥.

(٣) اطلب باب الآل والأهل وأهل البيت فيما يلي.

(٤) كما في ي و س و ع. م: فإنها سنة من سنة رسول الله ﷺ.

(٥) كانت التحية المشتقة من «ش ل م» قد شاعت في الآرامية والعبرية وما تشعبت منها من اللغات والحضارات. وقد استعمل שלום بالعبرية بمعنى السلامة، ثم تدرج وارتقى بمعنى السلام؛ ويعني שלמא بالآرامية الأمانة، وبالسريانية الأمانة ثم السلام. وقد أتى روسيني في Glossarium ص ١٩٦ بتطور اللفظ 𐩪𐩡𐩣 في العربية الجنوبية القديمة. ومن المحتمل أن السلام تأثر في تطور دلالته من لغات الجنوب العربي. وإنما يرى غولد تصير (ZDMG ٢٢/٤٦) أن اللفظ بمعنى التحية كان منتشراً في المنطقة الآرامية، وأنه دخل في كلام العرب قبل الإسلام، غير أن توري (في Foundation كما حكاه جيفري ١٧٥) قد اعتبره عربياً محضاً في أصله وصيغته ودلالته وتطوره من معنى الأمانة، فالسلامة ثم إلى معنى السلام. ومهما يكن الأمر، فإن النبي ﷺ سنه تحية إسلامية سواء كانت اللفظة العربية تدرجت وتطورت إلى معنى التحية كأخواتها السامية القديمة.

وسنّ النبي ﷺ «السلام عليكم»، كأنه أراد أن يعلمهم أن من دخل في الإسلام فقد سَلِم وأمِن وحَرُمَ دَمُه وماله، وسقطت عنه الجزية، فهو سَلِيمٌ آمِن في الدنيا مما على أهل الحرب من المشركين وعلى أهل الجزية من أهل الذمّة، وأنّه سليم آمن في الآخرة من عذاب النار.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعَلاَكم السلام[١]. يعني أن السلام هو الله عزَّ وجلَّ، وعَلاَكم يعني غَلَبَكم وقَهَرَكم، ليس بمعنى[٢] أنه فوقكم، لأنه جل وعز لا يوصف بالفوق والتحت.

وفي حديث آخر: إنه قال صلى الله عليه في ردّ السلام عليهم: إنهم يقولون: «السام عليكم»، فقولوا: «عليكم»[٣].

قال الأصمعيّ: السام الموت والبرسام بالسريانية ابن الموت، وذلك أن بر هو ابن[٤].

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: إن هذه الحبّة السوداء شفاء من كلّ داء إلاّ السام. قيل: ما السام؟ قال: الموت[٥].

---

(١) ليس له ورود بلفظ علاكم في كتب السنة، بل الوارد بلفظ عليك أو عليكم.

(٢) س و ع: ليس يعني.

(٣) م و ي و س: فقولوا وعليكم. وقد أثبتنا ما ورد في ع بحذف واو العطف. خ الاستئذان ٢٢ (باب يرد على أهل الذمة السلام): عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: «السام عليك»، فقال: «وعليك». وفي المرجع نفسه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: «السام عليك»؛ ففهمتها، فقلت: «عليكم السام واللعنة». فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة! فإن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله! أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت: «وعليكم». وفي النهاية/ سوم قال: قال الخطابي: عامة المحدثين يروون هذا الحديث: «فقولوا وعليكم» بإثبات واو العطف. وكان ابن عيينة يرويه بغير واو، وهو الصواب. لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً خاصة. وإذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم فيما قالوه، لأن الواو تجمع بين الشيئين.

(٤) بر في العبرية בר والسريانية ܒܪ على معنى ابن.

(٥) خ الطب ٧ (الحبة السوداء) نصه: عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام. قال ابن شهاب: والسام الموت والحبة السوداء الشونيز.

فالله عزَّ وجلَّ وضع هذا الاسم بين عباده ليكون أماناً لهم فيما بينهم. فإذا سلَّم أحدهم على الآخر فقد أعطاه الأمان، كأنه يقول: قد سَلِمْتَ من قِبلي[١] أن أتناولك بيد أو لسان. فمن وَفَّى بذلك وأدَّى[٢] أمانة الله[٣] وَقاه الله في الدنيا من البلايا وسلّمه منها، وسلَّمه في الآخرة من العذاب، وأدخله سالماً إلى دار السلام. ومنها قال[٤] النبي ﷺ: المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده[٥]. فأمر الله عزَّ وجلَّ عباده بإفشاء السلام فيما بينهم في الدنيا، ليسلم بعضهم من بعض على إعلام أحدهم صاحِبه أنه سليم منه قلبًا وقولاً وفعلاً، لأن المؤمن حرام الدم والمال والْعِرض.

وقال الله عزَّ وجلَّ في صفة أهل الجنة: ﴿ادْخُلوها بِسَلاَمٍ آمِنِينَ﴾[٦]. وقال: ﴿تحيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾[٧]. وقال: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾[٨]. أي سلَّمهم الله في الدنيا من آفاتها، فسلموا منها، وفي الآخرة من عذاب النار، فسلموا في الدارين، فلذلك كرّر سلاماً سلاماً. وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ﴾[٩].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أُعْطى أمّتي ثلاثَ خصال لم يُعْطَها أحدٌ قبلهم، صفوف الصلاة، وتحية أهل الجنة، وآمين، إلاّ ما كان من موسى وهارون[١٠] فأمّا تحية أهل الجنة يعني قوله: ﴿وتحيَّتُهُمْ فِيها سَلاَمٌ﴾. وقال: يتباشرون بها فيما بينهم لأنهم قد سلموا من آفات الدنيا وعذاب الآخرة.

[والسلام والسلم] والسَّلاَم السَّلاَمَة. قال لبيد:

---

(١) ع: سلمت مني.
(٢) ي: فأدى.
(٣) ع: الأمانة.
(٤) كما في ي و س و ع. م: قول.
(٥) خ الإيمان ٤: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.
(٦) سورة الحجر: الآية ٤٦.
(٧) سورة يونس: الآية ١٠ وإبراهيم ٢٣.
(٨) سورة الواقعة الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.
(٩) سورة الرعد: الآية ٢٤.
(١٠) اطلب فصل الكلمات الإسلامية (الزينة ١٤٩ هامش رقم ٨) وباب آمين فيما يلي.

المرءُ يَدْعُو للسَّلا م وطولُ عَيْشٍ ما يَضُرُّه[1]

والسَّلاَم مصدر سَالْمتُهُ مُسَالَمةً وسَلاَماً. والسَّلاَم والسَّلْم[2] الصُّلْح. ويقال السَّلْم بفتح السين[3]. قال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ جَنُحوا لِلسَّلْمِ﴾[4]: أي رجعوا[5] إلى المصالحة[6]، وطلبوا الصلح، وهو السلم. والسلم[7] مكسورة ومفتوحة ومتحرّكة الحروف بالفتحة واحد. [٩٦] وأنشد[8]:

أنائِلُ إنَّني سِلْمٌ لأهْلِكِ فاقْبَلِي سِلْمي ١٣٤

قال: فيها ثلاث لغات[9]. ويقال للدلو سَلْم بفتح السين وسكون اللام. ويقال: أخذْتُه سَلماً، أي أسَرْته ولم أقتله ولكن استسلم[10]، متحرّكة الحروف. والسَّلَم الذي يُسلَم فيه وهو السَّلَف الذي يُسلَف فيه، متحرّكة الحروف[11]. والسَّلَم أيضاً شجر، واحدته سَلَمه متحرّكة الحروف بالفتح.

وإنما قيل للصلح سَلْم، لأنهم يتسالمون أي يتصالحون، والقراءة بالفتح والكسر. ويروى عن عبد الرحمن بن أَبْزَى[12] قال: كان رسول الله

(١) د لبيد ٢/٢.

(٢) د و ي: والسلم والسلم. وقد أثبتنا «والسلام والسلم» من ع.

(٣) كما في ع. م و ي و س: والسلم، بفتح السين واللام. ابن إسحاق السكيت: إصلاح المنطق ١٩: السلم، بفتح السين وكسرها، باتفاق المعنى الصلح يذكر ويؤنث.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٣ والمجاز ١/٢٥.

(٥) كما في ي و ع. م و س: أي إن رجعوا.

(٦) رواية المجاز: إلى المسالمة.

(٧) ي: السلم والسلام.

(٨) في المجاز قال: قال رجل من أهل اليمن جاهلي: أنائل.... البيت.

(٩) وردت بعدها في ي و س و ع «وكذلك السلم أيضاً»، وفي المجاز «وكذلك السلام أيضاً، وقد فرغنا منه في موضع قبل هذا».

(١٠) كما في ي و س و ع. م: لأنه استسلم. رواية المجاز: ولكن استسلم لي.

(١١) يقال أسلم وسلم (بتشديد اللام) إذا أسلف وهو أن تعطي ذهبًا أو فضة في سلعة معلومة إلى أمد معلوم فكأنك قد أسلمت الثمن إلى صاحب السلعة وسلمته إليه. فلذلك أسلم في الشيء وسلم (بتشديد اللام) وأسلف بمعنى واحد (ل/ سلم).

(١٢) عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولى نافع بن عبد الحارث الخزاعي أدرك النبي وسكن الكوفة. واستعمله الإمام علي على خراسان. وفي صحيح مسلم: إن عمر قال لنافع بن =

ﷺ يقرأ ﴿في السَّلْم كافَّةً﴾[1]، ﴿وَإنْ جَنَحوا لِلسَّلْم﴾[2]، ﴿وتَدْعُوا إلى السَّلْم﴾[3]. وكان الكسائي يفتح هذا كلَّه، وكان أبو عمرو بن العلا يقرأ بالكسر.

[ألقى إليكم السلم] وقال الكسائي والفرّاء في قوله: ﴿وَلاَ تقولُوا لِمن ألقَى إلَيكمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤمناً﴾[4]، قالا: يقرأ السَّلْم والسَّلام؛ فمن قرأ السَّلم أراد الاستسلام، ومن قرأ السلام أراد التسليم.

وروى أبو عبيد[5] عن ابن عباس قال: أدرك المسلمون رجلاً، فقال: السلام عليكم: فقتلوه، فنزلت[6]: ﴿وَلاَ تَقُولوا لِمنْ ألْقَى إلَيكُمُ السَّلْم لَسْتَ مُؤمِناً﴾. قال: وكذلك قرأها ابن عباس. وروي عن الحسن أنه قرأ: ألْقَى إلَيكُم السَّلامَ[7]. قال: وقال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، فأتاهم رجل، فقال: السلام عليكم، فقاموا إليه ليقتلوه. فقال: إنّي مؤمن. فقالوا: كذبت، بل متعوّذ. فقتلوه، فأنزل الله: ﴿ولا تَقُولوا لِمنْ ألْقَى إلَيكُم السَّلامَ﴾[8] لَسْتَ مُؤمناً.

= عبد الحارث حينما لقيه بعسفان: من استَعْمَلْتَ على مكة؟ قال: أبن أبزى. قال: فاستخلفت عليهم مولى. قال: إنه قارىء لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما أن نبيكم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين. أكثر رواياته عن عمر وأبي بن كعب. طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ والنووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٩٣ رقم ٣٤١ والإصابة رقم ٥٠٦٦.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦١.
(٣) سورة محمد: الآية ٣٥.
(٤) سورة النساء: الآية ٩٤. وفي الأصول كلها: ألقى إليكم السلم.
(٥) كما في ي و ع. م و س: أبو عبيدة.
(٦) كما في ي و س و ع. م: فنزلت الآية.
(٧) ي و س: السلم.
(٨) كما في ع. م و ي و س: السلم.

باب المؤمن

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «المؤمن».

[المؤمن أصله من الأمان] قال الله: ﴿السَّلام الْمؤمِنُ الْمهَيمنُ﴾[١]. وأصله من الأمان كأنه آمن عباده أن يظلمهم. أي أعطاهم الأمان على ذلك، لأنه[٢] العادل في حكمه، لا يظلم خَلْقَه ولا يجور عليهم. فلذلك يقال: آمَنَ[٣] الأمير فلاناً، أي أعطاه الأمان، فلا يخاف عادِيَتَه وبَطْشَهَ ولا يخشى سطوته ولا يتّقي شرَّه، فهو مؤمن له. وهو على وزن أَفْعَلَ فهو مُفْعِلٌ، والمفعول به مُفْعَلٌ، وأَمِنَ يَأْمَنُ فهو آمِنٌ فَعِلَ يَفْعَلُ فهو فاعِلٌ. فالعباد أَمِنوا أن يجور الله عليهم، والله مؤمِنهم. قال النابغة:

والـمُـؤمـنِ الـعـائِـذاتِ الـطَّـيْـرِ يَـمْـسَـحُـهَـا
رُكْـبـانُ مـكَّـةَ بـيـن الـغَـيْـل والـسَّـنَـدِ ٦٩[٤]

يعني أَمِنَ[٥] الطير في الحرم أن تُصَاد، فهو مؤمن لها إذا عاذَتْ بالحرم. وإنما هذا قَسَمٌ كما يقول: والله ما فعلت ذلك[٦]، لأنه يقول في البيت الذي بعده:

(١) سورة الحشر: الآية ١٣.
(٢) كما في ي و س و ع. م: لأن.
(٣) ي: أمن، بتشديد الميم.
(٤) د النابغة/ العقد ٨. واطلب الشاهد في فصل ظهور الأسماء على عهد النبي (الزينة ١٤٦، هامش رقم ٨).
(٥) كما في ي و س و ع. م: آمن.
(٦) ي: ما ذاك. س: ما فعلت ذاك.

مـــا إنْ أتَـــيـــتُ بـــشـــيءٍ أنـــت تَـــكْـــرَهُـــهُ

إذاً فـــلا رَفَـــعَـــتْ ســـوطـــي إلَـــيَّ يَـــدِي ١٣٥[١]

[الإيمان بمعنى التصديق] ويقال للعبد مؤمن، وهو ها هنا من التصديق. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَمَا أنتَ بِمُؤمِنٍ لَنا﴾**[٢]. قال أبو عبيدة: وما أنت بُمصدِّق لنا ولا بِمُقِرٍّ أنه صِدْق[٣]. ويقال: ما أومن بشيء مِمَّا تقول، أي ما أصدِّق به، فالإيمان من العبد هو التصديق بما أتى به الرسول ﷺ، فإذا صدّق به أطاع أمره تنَجُزاً لما وعده ويقيناً[٤] به، فيكون ذلك تصديقاً لقوله، فيقال للعبد: قد آمن بالله ورسوله، أي صدّق الله وصدّق رسوله بما ألقَى إليه من الوعد [٩٧] والوعيد.

[والتصديق راجع إلى معنى الأمان] فإذا آمن بذلك آمنه الله وصار في أمانه. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْم أولئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهتَدُونَ﴾**[٥]. فقيل لله عزَّ وجلَّ مؤمن وللعبد مؤمن، لأن الأمان[٦] بين الله وبين عبده. وإنما قيل للمصدِّق مؤمن، لأنه لما صدّقه استسلم له، وَآمَنَ كلَّ من[٧] كان على مثل تصديقه، فلم يستحلّ دَمَه ومالَه وعِرْضَه، فأمنه[٨] من كان على مثل تصديقه، فيكون المؤمنون بعضهم في أمان بعض، وقد أعطى بعضهم بعضاً[٩] الأمان. من ذلك قول رسول الله ﷺ حين سئِل فقيل له: من المؤمن؟ قال: من أمِنَ جارُه بَوَائِقَه[١٠]. فأصل الإيمان من الأمان.

---

(١) رواية د النابغة/ العقد ٨: ما قلت من سيىء مما أتيت به إذن. . . البيت. ورواية التاج: ما إن نديت بشيء.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٣) المجاز ١/٣٠٣.

(٤) ع: وتيقنا.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٦) س: الإيمان.

(٧) ي: وأمن كل من. ع: وأمن من.

(٨) ع: فآمنه.

(٩) كما في ي و س و ع. م: لبعض.

(١٠) خ الأدب ٢٩ (باب من لا يأمن جاره بوائقه): عن أبي سريح أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.

ويقال للعبد آمَنَ يُؤمِنُ[١] فهو مُؤمِنٌ على ظاهر اللفظ، كما قال المفسرون صَدَّقَ فهو مُصَدِّقٌ، وهو[٢] راجع في الحقيقة إلى ما قلنا من معنى الأمان[٣]. ولا يقال في صفة الله عزَّ وجلَّ آمَنَ فهو مُؤمنٌ، فيكون على وجه التصديق في نعته، لا يتصرف[٤]، إجلالاً له[٥] أن تُشبه صفتُه صفةَ العبد. فأمّا على وجه الأمان فهو جائز[٦]. وإذا تُكُلِّم به في صفة العبد وصُرِّف أُدخِلت فيه اللام الزائدة والباء الزائدة، فيقال له: آمَنَ لله، وآمَنَ بالله. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤمِنٍ لَنَا﴾**[٧]، وقال: **﴿آمِنوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**[٨] لأنه يرجع إلى معنى التصديق، وإذا تُكلِّم به في صفة الله لم تدخل فيه اللام والباء. يقال: آمَنَ، لأنه يراد به معنى الأمان، كما قال النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرِ يَمسَحهَا رُكبَانُ مَكَّةَ بينَ الغَيلِ والسَّنَدِ ٦٩

فهذا على وجه الأمان، لا على وجه التصديق.

---

(١) «يؤمن» ناقص في ع.

(٢) ي و س: وهذا.

(٣) ي: معنى الإيمان.

(٤) س: لا ينصرف.

(٥) ع: إجلالاً لله. و ي و س ينقصهما «له» أو «لله».

(٦) أما كلمة «المؤمن» التي تطلق على العبد فيجيء منها الماضي والمضارع، والتي من أسماء الله فلا تتصرف هذا التصرف إلا إذا كانت من معنى الأمان.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٨) سورة النساء: الآية ١٣٦ والأعراف ١٥٨ والحديد ٧.

باب المهيمن

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «المهيمن».

[تفسير «ومهيمنا عليه»] قال الله تعالى: ﴿**الْمؤمِنُ الْمهَيْمنُ**﴾[1]. قال قوم من المفسرين: هو الشاهِد من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمُهَيْمناً عَلَيهِ**﴾[2]: أي شاهِداً عليه. روى ذلك أبو صالح عن ابن عباس. وقال غيره: أميناً عليه، وهو أقرب الوجهين وإن كانا جميعاً متقاربين في المعنى.

وروى أبو عبيد بإسناد له عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمُهَيْمناً عَلَيهِ**﴾ قال: وكان الكسائي يقول: المهيمن الشهيد. وقال أبو عبيد: هو الرقيب على الشيء. يقال: قد هَيْمنَ فلانٌ[3] على هذا الأمر، إذا كان كالحافظ له والرقيب عليه. وهو يرجع إلى قول ابن عباس لأنه لا يكون رقيبا وشاهداً إلا وهو مؤتمن عليه.

ورُوِي عن الحسن، قال أبو رجاء: سألته عن قوله: ﴿**وَمُهَيْمناً عَلَيهِ**﴾ فقال: مُصَدِّقاً لهذه الكتب وأميناً عليها. قال: وسئل عنه عكرمة وأنا أسمع، فقال: مؤتمناً عليها. ورُوِي عن مجاهد قال: محمد عليه السلام[4] مؤتمن على القرآن وشاهد عليه. قال أبو عبيدة: مُهَيْمناً عَلَيْهِ أي مُصدِّقاً مؤتمناً على القرآن وشاهداً عليه[5].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) ي و س: قد هيمن الرجل.

(٤) ي: محمد صلوات الله عليه وآله.

(٥) المجاز ١٦٨/١. وردت في معنى المهيمن وجوه عديدة (راجع ل/همن)، ذكر بعضها صاحب الزينة في هذا الباب، قائلاً إنها كلها أو بعضها متقاربة في الدلالة. وأما المادة =

[مهيمن من أمين] وقال قوم من أهل اللغة: مهيمن اسم مبنِيٌّ من أمين ومُؤَيمن[١] مثل بَطير ومُبَيْطِر. وأنشد للنابغة:

شَــكَّ الـفَـريـصَـةَ بـالْـمِـدْرَى فـأَنـفَـذَهـا
شَـكَّ الْـمُـبَـيْـطِـر إذ يَـشْـفي مـن الـعَـضَـدِ ١٣٦[٢]

قال: وهو في الأصل مُؤَيْمن، فقُلِبت الهمزة هاء لقرب مخرجيهما[٣]، كما نُقِلَت في أرَقْتُ الماء وهَرَقْتُهُ، وماءٌ [٩٨] مُهرَاقٌ ومُؤرَاقٌ، وكما قالوا: إبْرِيَةٌ وهِبْرِيَةٌ[٤]، وهَيْهات وأيْهَاتَ، وإيَّاكَ وَهِيَّاكَ[٥]، فأبدلوا من الهمزة هاء، وأنشد عن الأخفش:

فــهِــيَّــاكَ والأمْــرَ الــذي إنْ تَــوَسَّــعَــتْ
مَــوارِدُهُ ضَــاقَــتْ عــلـيـكَ مَـصَـادِرُهْ ١٣٧[٦]

وقال العباس بن عبد المطلب في رسول الله ﷺ وسمَّاه مهيمناً، أراد به أميناً. وبهذا كان يعرف رسول الله ﷺ، كان[٧] يقال له الأمين، فقال فيه العباس:

= الأصلية وهي «همن» فلا تفيد هذه المعاني كلها؛ فلذلك اعتبره نولدكي في Beitraege ص ٢٧ من الكلمات الدخيلة في العربية. وقد أشار فرينكل في Vocabilis ص ٢٣ وجيفري ص ٢٧٣ إلى نظيرها في الآرامية والسريانية ܡܗܝܡܢܐ (مهيمناً) وقد تعسف أصحاب النحو في تفسير الكلمة وإيصالها بآمن وفي قلب الهمزة الأولى منها هاء والهمزة الثانية ياء، كما حكاه المؤلف فيما يأتي. وإنما تدل صيغتها واختلاف الأوجه في تفسير مدلولها على أنها مأخوذة من السريانية، ثم عربت.

(١) ع: ومبيمن. ي: ومؤتمن.
(٢) حاشية س: الفريصة اللحمة بين الكتف والجنب التي لا تزال ترعد من الدابة. والمدرى القرن. والعضد (بفتح الضاد) داء يأخذ من العضد. رواية د النابغة/ العقد ٦ ول/ بطر: طعن المبيطر. صح/ بطر: شك المبيطر.
(٣) كما في ي. م: مخرجهما. س و ع: مخرجيها.
(٤) الإبرية والهبرية والهبارية (بضم الهاء) ما تعلق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس وأيضاً ما طار من الريش ونحوه (ل/ هبر).
(٥) ويجوز أياك بفتح الهمزة ثم تبدل الهاء منها مفتوحة.
(٦) رواية ل/ هيا: عليك المصادر.
(٧) كما في ي و س و ع. م: إذ كان.

حتى احْتَوَى بَيْتُكَ المهيمن من
خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتَها النُّطُقُ ٤٣[1]

يعني احتويت أنت من خِنْدِفَ عَلْياءَ، فأقام البيت مقامه. وقال آخر: يعني احتوى بيتك، يا مهيمن. ومعناه يا أمين. ومثل قوله «احتوى بيتك» قول الآخر[2]:

وحَلَّتْ بيوتي في يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ
تَخالُ به راعي الْحَمُولَةِ طائِراً ١٣٨ [3]

أي حَلَلْتُ أنا، فأقام البيوت مقام نفسه.

[الله المهيمن] فسمّى نفسه عزَّ وجلَّ مهيمناً، لأنه شهيد على كل نفس بما كسبت، مُطَّلِع على ضمائرهم، لا تخفى عليه خافِية، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء إلاّ وهو يشهدها ولا يغيب عنها، وهو الرقيب عليهم، يعلم سرائرهم، ويُحصي أعمالهم، وهو الحافظ عليهم، الدافع عنهم، الأمين الذي لا يَنقصُهم من حسناتهم، ولا يِلِتْهُم[4] من أعمالهم شيئاً. تبارك الله المهيمن.

(١) ي و س و ع: تحته. اطلب ما سلف من شرح البيت في الزينة ١١٩، هامش رقم ٢. وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٧.

(٢) هو النابغة الذبياني.

(٣) حاشية س: اليفاع المرتفع من الأرض. رواية د النابغة/ العقد ١٢: يخال به.

(٤) حاشية س: يلتهم أي ينقصهم. وفي ل/ ولت قال: ولت حقه ولتا نقصه. وفي حديث الشورى: وتولتوا أعمالكم أي تنقصوها.

باب العزيز

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «العَزيز».

[العزة الامتناع من الوجود] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ**﴾[(١)]. ويقال عند ذكره: عَزَّ وَجلَّ[(٢)]، ويقال: عَزَّ اسمه.

فالعزيز يكون على وجوه. يقال: عَزَّ إذا امْتَنعَ فلم يُقدَر عليه. ومنه يقال للشيء إذا لم يوجد: قد عَزَّ، أي قَلَّ في أيدي الناس وامتنع من الوجود. فقيل: عَزَّ الله وهو العزيز[(٣)]. ولزمه هذا الاسم على الحقيقة إذ لم يُقدَر على كيفيته. ولم تخلص هذه الصفة إلاّ له إذ كان كلّ عزيز من الأشياء يوجد على حالٍ ما، وهو العزيز عزَّ وجلَّ، ممتنعٌ من أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات.

[العزة الغلبة والقهر] والوجه الآخر: فمعناه الغلبة والقهر. يقال: عزَّ إذا غَلَبَ وقَهَرَ. قال أوس بن حجر[(٤)]:

إذا أنــت نــاوَأتَ الــقُــرونَ فــلــم تَــنُــؤْ
بــقَــرْنَــيــن عَــزَّتْــك الــقــرونُ الــكــوامِــلُ ١٣٩[(٥)]

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) ي و ع: عزّ الله وجلّ.

(٣) ي و س و ع: وهو عزيز.

(٤) أوس بن حجر بن عتاب. قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٢٥): قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه.

(٥) ورد البيت وما بعده في ل/نوأ:

ولا يــسْــتــوي قــرن الــنــطــاح الــذي بــه   تــنــوء وقــرن كــلــمــا نــوّت مــائــل

ولم ينسب ابن منظور البيتين إلى أوس. وكذلك لم يرد البيتان في ديوانه. لعلهما من المقطوعة (د أوس بن حجر عدد ٣٠ ص ١٩) أولها: =

عَزَّتْك معناه غَلَبَتْك.

ويقال في المثل: من عَزَّ بَزَّ، أي من غَلَبَ سلَبَ. وأنشد:

وصـــارَ مـــن عـــزَّ بـــزَّ صـاحِـبَـــه
إلاَّ قـــريـــبًـــا أو دانِـــيَ الـــنَّـــسَـــبِ ١٤٠

أي سَلَبَه وأخذ بِزَّتَه[1]. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وعَزَّني في الخطاب﴾[2]، أي غَلَبَني.

يقال: اسْتُعِزَّ بفلان، إذا مات كأنه غُلِبَ عليه فذُهِبَ به. وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ حين دخل المدينة نزل على كلثوم بن الهِدْم وهو شاكٍ فأقام عنده ثلاثاً، فاسْتُعزَّ بكلثوم. وانتقل إلى سعد بن خيثمة[3]، اسْتُعزَّ به، معناه مات. ويقال أيضاً: اسْتُعزَّ بالعليل، إذا غُلب على عقله.

يــا راكــبًــا إمــا عــرضــت فــبــلــغــن يــزيــد بــن عــبــد الله مــا أنــا قــائــل
ناوأت الرجل مناوأة ونواء بكسر النون فاخرته وعاديته. وفي رواية ل/ نوأ: غرتك.

(١) البز بفتح الباء والبزة بالكسر الهيأة والسلاح (صح/ بزز).

(٢) سورة ص: الآية ٢٣.

(٣) في النسخ كلها: كلثوم بن الهرم وسعد خثيمة. ولعل الصواب ما أثبتناه من المصادر الآتية: قال ابن هشام في السيرة ٣٥٤: قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ (فيما يذكرون) على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بني عوف ثم أحد بني عبيد. ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة. ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم، إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة. وذلك أنه كان عزبًا لا أهل له، وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين. فمن هنالك يقال إنه نزل على سعد بن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة بيت العزاب. والله أعلم أي ذلك كان، كلا قد سمعنا. وقال ابن سعد في طبقاته ٣ (٢)/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ما معناه: كان كلثوم بن الهدم شيخاً كبيراً، وأسلم قبل مقدم رسول الله المدينة. فلما هاجر رسول الله ونزل في بني عمرو بن عوف نزل على كلثوم بن الهدم. وكان ﷺ يتحدث في منزل سعد بن خيثمة، وكان يسمى منزل العزاب. ولم يلبث كلثوم بن الهدم بعد قدوم رسول الله المدينة إلا يسيراً حتى توفي. وذلك قبل أن يخرج رسول الله إلى بدر بيسير. راجع أيضاً الطبقات ٣ (٢)/ ٤٧ و١٣٨. وذكر السهيلي في الروض الأنف ٢/ ١٠ بعد أن ذكر ما قاله ابن إسحاق: وكان (أي كلثوم بن الهدم) شيخاً كبيراً مات بعد قدوم رسول الله المدينة بيسير. هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ. ثم مات بعده سعد بن زرارة بأيام وسعد بن خيثمة.

قال أبو عبيدة في قوله ﴿فَعزَّزْنا بِثالثٍ﴾[١]: أي قوَّيْنا. وأنشد للنمر بن تولَب[٢]:

كـأنَّ عـمْـرَةَ أو عَـزَّتْ لـهـا شَـبَـهـاً
بـالـجـزع يـوم تـلاقَـيْـنـا بـأزمـام ١٤١[٣]

أو عَزَّتْ لها غَلَبَتْها. ويقال في المثل: من عَزَّ بزَّ، أي من قَهَرَ سَلَبَ. وقال[٤] في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وعَزَّنِي في الْخطَابِ﴾: صار أعزَّ منّي في الخصومة[٥] أي غلبني.

قال الأصمعيّ: سُئل أبو عمرو بن العلاء عن قول الله: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾، فأنْشَدَنا [٩٩] للمتلَمِّس:

أُجُـدٌ إذا ضَـمَـرَتْ تَـعَـزَّزَ لَـحْـمُـهـا
وإذا تُـشَـدُّ بِـنِـسْـعِـهـا لا تَـنْـبِـسُ ١٤٢[٦]

ويقال: عَزَّزَ به أي شدَّدَ منه.

[العز المنعة] والوجه الثالث: فالعِزّ الْمنْعَة مِمَّن يُناويه ويكيده والاحتراز منه. ويقال: فلان في عِز، أي في منعة. قال أبو النجم[٧]:

يَدْفَعُ عنها العِزُّ جَهْلَ الْجُهَّلِ ١٤٣

وقال أبو كبير الهُذَلي في صفة عُقاب:

---

(١) سورة يس: الآية ١٤ والمجاز/ مراد منلا ١٤٦.

(٢) هو النمر بن تولب من عكل، جاهلي أدرك الإسلام، وكان يسمى الكيس لحسن شعره. راجع الشعر والشعراء ٦٢.

(٣) كما في ي و س والمجاز/ مراد منلا ١٤٦. وحاشية س: بأرحام. ع: بأزمام.

(٤) كما في ع. سقط «قال» في م و ي و س.

(٥) في المجاز/ مراد منلا ١٥٥: صار أعز مني فيه.

(٦) رواية د المتلمس ٤٣: عنس. وصح/ عزز: أجد. وقال الجوهري (صح/ أجد): ناقة أجد إذا كانت قوية موثقة الخلق. ولا يقال للبعير أجد. وفي ل/ عزز قال: تعزز لحم الناقة اشتد وصلب وتعزز الشيء اشتد. وقوله لا تنبس أي لا ترغو.

(٧) أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي وهو من رجال الإسلام الفحول المقدمين، وعده ابن الأعرابي في الطبقة الأولى منهم. راجع الشعر والشعراء ١٤٢ ومعجم الشعراء ٣١٠ والأغاني ٩/ ٧٣ ـ ٧٨.

حتى انتهيتُ إلى فِراشِ عَزِيزَةٍ
سَوْدَاءَ رَوْثَةُ أنفها كالمِخْصَفِ ١٤٤[(١)]

فراش عزيزة بمعنى[(٢)] وَكْر عُقاب. وسماها عزيزة لأنها تأوي إلى كلّ منيع من الجبال.

[العزة الأنفة والحمية] وقالوا في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وشِقَاقٍ**﴾[(٣)]. قال: معناه الأنفة والحميَّة تدخل قلبه حقداً على صاحبه، ومعنى قوله: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعزيزُ الْكَرِيمُ**﴾[(٤)]، قال: نزلت في أبي جهل بن هشام، لأنه حين أنزل الله: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعامُ الأَثِيمِ**﴾[(٥)] إلى آخر القصّة، قال أبو جهل: «أيُوعِدُني محمّد بهذا؟ فَوالله لأنَا أعزُّ من مشى بين جبليها»، تعزُّزٌ بغير عِزّ وتكرُّمٌ بغير كرم عزّةً وحميّةً. وقال الله عزّ وجلّ في موضع آخر: ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ**﴾[(٦)]، يعني الحميّة والأنفة.

فالعزّة من العبد الحميّة والأنفة وهي مذمومة، ومن الله مِدْحَة وثناء. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾[(٧)]. وقال: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[(٨)].

وفي الحديث: قال الله عزّ وجلّ: الكِبْرياءُ ردائي، والعَظَمَةُ إزاري، والعِزّة لي لا لغيري، فمن نازَعَني في شيء منها أدخلتُه جهنّم خالِداً مُخَلّداً مُهاناً مُصَغَّراً قَمِئاً»[(٩)].

---

(١) د الهذليين ٢/ ١١٠ ـ ول/ روث وعزز. في رواية ل/ عزز: شعواء، وفي ل/ روث والديوان: سوداء. وروثة أرنبة الأنف، وروثة العقاب منقارها. والمخصف مخرز الإسكاف.

(٢) ي و س: يعني.

(٣) سورة ص: الآية ٢.

(٤) سورة الدخان: الآية ٤٩.

(٥) سورة الدخان: الآيتان ٤٣ ـ ٤٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

(٧) الملائكة ٣٥/ ١٠.

(٨) سورة الصافات: الآية ١٨٠.

(٩) حم ٢/ ٢٤٨: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال عزّ وجلّ: =

وقال ابن عباس في قوله: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]. قال: عزيزٌ في نقمته إذا انتقم من المشركين، حكيم في أمره.

[العزيز الملك] فهذه المعاني كلُّها قريبة بعضها من بعض، لأنّ الذي لا يُقْدَر عليه هو ممتنع ممن يكيده، غالبٌ لمن يُناويه. ومنه[٢] قيل للملك عزيز. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾[٣]. وقال: ﴿وقَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾[٤]، بمعنى يا أيّها الملك. وقال الشاعر[٥]:

كَـأسُ عَـزيـزٍ مـن الأعْـنـاب عَـتَّـقَـهَـا

لـبـعـض أربـابـهـا حَـانِـيَّـةٌ حُـومُ ١٤٥[٦]

فقيل للملك عزيز، لأنه قاهرٌ من ناوَأه من رعيّته، ممتنعٌ من أن يتناوله[٧] أحد بظلم، ممتنع من البروز، محتجب عن الناس، فهو لا يُشاهَد إلاّ قليلاً[٨].

= «الكبرياء ردائي والعزة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيه في النار». راجع نفس المرجع ٢/٣٧٦ و ٤١٤ و ٤٢٧ و ٤٤٢. وأورد المناوي الحديث بثلاث طرق، ومثله محمد المدني، في كتابيهما المسمى كل منهما الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية. وفي جميع النسخ: قميا، وقد أثبتنا المهموز، والفعل قمأ بفتح العين وضمها كجمع وقرم قمأة ذل وصغر فهو قميء، والجمع قماء بالكسر والضم كجبال ورحال. راجع صح/ قمأ والأساس/ قمأ وق/ قمأ.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٩ و ٢٢٠ و ٢٦٠ والمائدة ٤١ والأنفال ١٠ و ٥٠ و٦٣ والتوبة ٤٠ و ٧١ ولقمان ٢٧.

(٢) ع: ومثله.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥١.

(٤) سورة يوسف: الآية ٧٨ و٨٨.

(٥) م وحاشية س: وهو علقمة بن عبدة.

(٦) د علقمة/ العقد ١١٣ ول/ حوم. حاشية س: الحانات المواضع التي تباع فيها الخمر. والحانية الخمر منسوبة إلى الحانة وهو حانوت الخمار من صح/ حين. والحوم الكثيرة. وقال خالد بن كلثوم: الحوم التي تحوم في الرأس أي تدور. أصله الفتح من حومة القتال ولكن ضمه للروي من التكملة اهـ.

(٧) ع: أن يناويه.

(٨) كما في ي و س و ع. م: فهو لا يشافهه إلا قليل.

[الله العزيز] والله عزَّ وجلَّ عزيزٌ أي غالِبٌ من[1] نَاوَأه، قاهِر له، منيع من أن يكيده كائِد، ممتنع من أن يدركه أحد بصفة أو وَهْم، فهو العزيز على الحقيقة، لأنه القاهر لما أراد، المنيع[2] من كَيْد الكائدين، الممتنع من دَرْك المخلوقين، فعَزَّ الْخلقَ كلّه بالقهر والغلبة، وتمنَّعَ من الكلّ، وامتنع عن الكلّ، قدير على ذلك كلّه. تبارك الله العزيز.

(١) ع: لمن.
(٢) كما في ع. م و ي و س: الممتنع.

باب الجبار

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الجبَّار».

[الجبار النخل الذي طال وفات اليد] والجبّار في كلام العرب هو النخل الذي طَالَ وفَاتَ اليد. يقال نخلة جبّارة إذا طالت فلم يقدر المتناول أن يبلغ أعلاها. قال امرؤ القيس:

سَـــوَامِـــقَ جـــبَّـــارِ أثِـــيـــثٍ فُـــرُوعُـــهُ
وعـالَـيْـنَ قُـنْـوانـا مـن الـبُـسْـر أحْـمَـرَا ١٤٦[(١)]

وقال الجعديّ:

بـــتـــثْـــلـــيـــثَ أو نَـــخْـــلٍ مَـــنْـــفُـــوحَـــةٍ
مَـــوَاقِـــيـــر جـــبَّـــارة الْـــمُـــرْطِـــبِ ١٤٧[(٢)]

فالجبَّار ها هنا النخل الذي قد طال وفات اليد. ويقال: ناقةٌ جبَّارٌ، بلا هاء إذا عظمت وسمنت، والجمع [١٠٠] جَبَابِرُ، وفرسٌ جبَّارٌ إذا كان قويّاً

(١) في رواية د امرىء القيس/ العقد ١٢٨:
فــأتـــت أعـــالـــيـــه وآدت أصـــولـــه ومـال بـقـنـوان مـن الـبـسـر أحـمـرا
الأثيث الكثير من النبات من أث يإث أثاثة أي كثر والتف. وقنوان بضم القاف وكسرها، جمع قنو أي كباسة وهو عزق من النخل بما عليه من الرطب (صح/ أثث).

(٢) ع و س: بتثليث. ياقوت (البلدان/ تثليث): موضع بالحجاز قرب مكة. وذكره البكري (معجم/ تثليث) ببلاد بني عقيل، أو من ديار بني تميم باليمامة، أو من ديار مذحج وبني زبيد. وقال البكري نقلاً عن أبي محمد الحسن الهمداني: وتثليث لبني زبيد وهم فيها إلى اليوم، وبها كان مسكن عمرو بن معد يكرب الزبيدي. م: منقوحة، وهو تصحيف. ومنفوحة كما ذكره ياقوت قرية من نواحي اليمامة. والشطر الثاني من الشاهد كما في ي و س و ع. م: مواقر جبارة الرطب. ونخلة موقرة وموقر وميقار إذا كثر حملها. والجمع مواقر ومواقير.

مُشْرِفًا[١] متناهياً في الكرم[٢].

[الجبار ملك مسلط] ويقال للملك جبّار إذا تكبّر على الناس واحتجب[٣]، فلم يُوصَل إليه في ظُلاَمَة، ولم يُكلَّم هيبة له، فلا يُقْدَر[٤] على الانتصاف منه، ولا يُوجَد في سلطانه نَصَفَة، فَيقَعُ في سلطانه الْخبْط والظلم. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿إنَّ فِيهَا قَوماً جَبَّارِينَ﴾**[٥] قال أهل التفسير: هم قوم عاد. والجبّار الْمِلِك المستصغر للناس من إذلاَله[٦] بنفسه. وقال[٧] في قوله **﴿وَمَا أنْتَ عَلَيهِمْ بِجبَّارٍ﴾**[٨]: أي مَلِك مسلَّط. ويجمع أيضاً جبَابِرَة. قال أبو عبيدة في قوله تعالى **﴿وَخَابَ كلُّ جَبَّارٍ عَنِيد﴾**[٩]. قال: عنِيدٌ وعَنُودٌ وعَانِدٌ كلّه واحد، والمعنى جائر.

وفي حديث النبي ﷺ: ضِرْس الكافر[١٠] في النار مثل أُحُدٍ وكَثافَة جِلْده أربعون ذِراعاً بذراع الجبّار[١١]. قال ابن قتيبة: الجبَّار ها هنا الْمِلِك. قال: وهو، كما تقول، ذِراع المِلِك. قال: وهو ملك من ملوك العجم، كان تام الذراع، فنُسِبَ الذراع إليه. وقال غيره: ليس بأنّه كان أتَمَّ ذراعاً من غيره، ولكنه هو الذي وَضَعَ مقدار الذراع، فنُسِب إليه. وخَلَّصوا الحديث عن التشبيه بهذا التفسير.

---

(١) فرس مشترف أو مشرف الحلق، والاشراف الانتصاب (صح/ شرف).
(٢) ع وحاشية س: في الكرم والفراهة.
(٣) ي: واحتجب منهم.
(٤) ي: فلم يقدر.
(٥) سورة المائدة: الآية ٢٢.
(٦) ع: إجلاله.
(٧) ع: وقالوا.
(٨) سورة ق: الآية ٤٥.
(٩) سورة إبراهيم: الآية ١٥ والمجاز ١/ ٣٣٧.
(١٠) حاشية س: ضرس الفاجر.
(١١) حم ٢/ ٣٣٤ نصه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديسة ومكة وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار. واطلب نفس المرجع ٢/ ٥٣٧. وروي الحديث بجملة طرق بألفاظ مختلفة متقاربة. وقال العزيزي (السراج المنير شرح الجامع الصغير ٢/ ٣٧٤): إنه حديث حسن.

[ابن قتيبة: **الجبار من الجبر**] وقال قوم: الجبّار هو من جَبَرَ الْخَلقَ أي نَعَشَهُم وكَفَاهم[1]. ويقال في الدعاء: اللَّهُمَّ اجْبُرْ فلاناً. يريد: اللَّهُمَّ انْعَشْه. يُدْعَى له إذا كان مضروراً. ويقال: جَبَرَ العَظْم[2] فهو جَابِر. والْجبَّار الفَعَّال كما تقول غَافِر وغَفَّار. ولم يُسْمَع[3] في الدعاء: يا جابر، بلا إضافة. وسمعت[4]: يا جابِرَ كلِّ كَسير، ويا مُسَهِّل كلِّ عَسير. كأنّه شبَّه المضرور بالكسير لما وصف الناعش والكافي.

وسمعت من يقول الجبار من الإجْبار، أي أنه أجْبَرَ الخلائق على ما أراده من حُكْمه، فلم يقدر أحد أن يُخالف مشيئته أو يَفوت قضاءَه، بل أجْبَرَهم على ذلك.

وفي دعاء عليّ عليه السّلام رواه ابن قتيبة: اللّهمّ بارِىءَ الْمسْموكات وجبَّارَ القلوب على فِطراتها شَقيِّها وسعيدها.

قال ابن قتيبة: جبّار القلوب من قولك: جَبَرْتُ العظم فجَبَرَ، إذا كان مكسوراً فَلأَمْتَه وأقَمْتَه، كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فَطَرَها عليه من المعرفة به والإقرار له.

قال: ولم أجعل جبّاراً من أجْبَرْت فلاناً على الأمر إذا أكرهته عليه، لأنه لا يقال فَعال من أفْعَلَ[5]، إلا أن بعض القرّاء قد قرأ: ﴿**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَّادِ**﴾[6]، مشدَّدة، فَعَّال من أرْشَدَ. قال: وأمّا قوله: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، أي ما أنت عليهم بملك مُسَلَّط تسليط الملوك. فإن كان يجوز أن يقال جبار من أجبرته على الأمر فأنا جبار له، فقد يجوز أن يقال جبار القلوب من ذلك، وهو أحسن في المعنى. وهذا تقوية لقول الْمُجبِّرة.

---

(١) ع: وكافا هم.

(٢) كذا في م وحاشية س. ي و س و ع: جبر الخلق. وفي صح/ جبر قال: أبو عمرو: الجبر أن تغني الرجل أو تصلح عظمه من كسر. يقال: جبرت العظم جبراً، وجبر العظم جبوراً أي انجبر. وقد جمع العجاج بين المتعدي واللازم فقال: قد جبر الدين الإله فجبر.

(٣) ع: ولم أسمع.

(٤) كما في ي و س و ع. م: ويقال.

(٥) ي و س و ع: لأنه لا يقال أفعل من فعال.

(٦) سورة المؤمن: الآية ٣٨.

[ثعلب: جبروت وجبرية] ويقال في الدعاء: يا ذا الْجَبَرُوت. قال ثعلب: جبَرُوت على وزن فَعَلُوت وهو من التجبُّر والتكبُّر. قال: ويقال قومٌ فيهم جَبَرِيَّةٌ بفتح الباء أي كِبْرٌ، وقومٌ جَبْرِيَّة وهم[1] خلاف القَدَرِيَّة بتخفيف الباء[2].

[الله الجبار] فسمَّى نفسه عزَّ وجلَّ جبّاراً، لأنه ارتفع عن أن يتناوله أحد أو يدركه أحد بحد أو صفة، فلا يقدر مظلوم أن يرفع إليه ظُلامَتَه ويتظلّم من ظالم في الدنيا، بل أخَّرَ الْحُكْم بين عباده إلى يوم الجزاء، فهو [١٠١] الجبّار على الحقيقة، الذي فات أيدي المتناولين، وهو الجبّار الذي جَبَرَ الخلائق فَنَعَشهم. تبارك الله الجبّار.

(١) ي و س: وهو.

(٢) اطلب باب الفطرة وباب المعتزلة فيما يأتي.

باب المتكبر

ومن صفاته «المتكبِّر».

[التكبر والكبر والكبرياء] وهو من تَكَبَّرَ إذا أعْلَى نَفْسَه[1]. وكذلك استكْبَرَ إذا أعلَى نفسه وتَرَافَعَ. والتكبُّر التعظُّم. يقال: تَكَبَّرَ الرجل واسْتَكْبَرَ، كما يقال: تَيقَّنَ واسْتَيقَنَ وتثبَّت واستثبت. فتكبَّرَ معناه تعظَمَ، وهو من الكِبْر، والكِبْر العَظَمَة.

ويقال لِمُعْظَم الشيء كِبْره[2]، بكسر الكاف. قال قَيس بن الْخطيم[3]:

تَـنَـامُ عـن كِـبْـر شـأنـهـا فـإذا
قـامَـتْ رُوَيْـداً تَـكـادُ تَـنْـغَـرِفُ ١٤٨[4]

كِبْر شأنها مُعظَمه. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿والّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[5] قال أبو عبيدة: يعني مُعظَمه. قال: فهو معنى الكِبْر من الأمر[6]، وفرقوا بين هذا وبين الكبر في السِّن، فقالوا: «كُبْر قومه»، وقالوا: «فلان ذو كِبْر» أي ذو كِبرياء[7]. . . . .

---

(١) ي: علا نفسه.

(٢) ي و س: كبر هذا الأمر. ع: كبر الشيء.

(٣) قيس بن الخطيم من بني ظفر من الأوس من فحول الشعراء المخضرمين. طبقات ابن سلام/ شاكر ١٧٩ و ١٩٠ ـ ١٩٣.

(٤) د قيس بن الخطيم ١٧ وصح/ غرف: غرفت الشيء فالغرف أي قطعته فانقطع.

(٥) سورة النور: الآية ١١.

(٦) ي: قال فهو الكبير من الأمر. ع: قال فهو بمعنى الكبر من الأمر.

(٧) أبو عبيدة في المجاز/ مراد منلا ١١٨: تولى كبره أي تحمل معظمه، وهو مصدر الكبير من الأشياء والأمور. وفرقوا بينه وبين مصدر الكبير. فضموا الكبير هذا فقالوا هو كبر قومه. وقد قرأ بعضهم بالضمة... ويقال فلان ذو كبر... أي ذو كبرياء اهـ. وفي ل/ =

وفي الحديث: الوَلاء للكُبْر[١]، بضمّ الكاف. وهو أقعد القوم في النسب أي أقربهم إلى الأب الأكبر. ويقال في المثل: كُبْر سياسة الناس في المال، يعني عُظم سياستهم. ويقال: تكبَّر الرجل، وبه كِبْر، أي ارتفاع عن حدّه الذي يستحقه، مفتخر، مُدِلٌّ بنفسه، يستصغر من سواه، مُتعالٍ عن مخالطة الناس، وهو ذمٌّ له، لأنّه تَحلَّى بصفة الله عزَّ وجلَّ. وفي الحديث: قال الله عزَّ وجلَّ: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري والعزّة لي لا لغيري. فمن نازَعني في شيء منها أدخلته جهنم خالِداً مخَلَّداً مُهاناً مُصَغَّراً[٢]. فالكِبْر والتكبّر والكبرياء مدحة لله عزَّ وجلَّ. والكبرياء مأخوذ من الكِبْر، وهو الامتناع وقلّة الانقياد والصعوبة. قال حُمَيْد[٣] في صفة ناقة:

عَفتْ مثل ما يَعْفُو الطَّليحُ فأصبحت
بها كِبْرِيَاءُ الصَّعب وهي رَكُوبُ ١٤٩[٤]

الطَّليح الْمهْزول. وعفا الطليح إذا سمن. والصعب ضدّ الذلول. قال الكميت:

ذو الكِبْرِياء الذي يَرَى البُعْدَ والـ
حِدَّةَ من حيث ثَابَه القَرَبُ ١٥٠[٥]

= كبر قال: قال ثعلب: يعني معظم الإفك. قال الفراء: اجتمع القراء على كسر الكاف، وقد قرأ حميد الأعرج وحده «كبره» (بضم الكاف) وهو وجه جيد في النحو لأن العرب تقول: فلان تولى عظم الأمر (بضم العين) يريدون أكثره.

(١) دي الفرائض ٢١ باب الولاء للكبر: ٣٣: عن الشعبي عن عمر وعلي وزيد قال (وأحسبه قد ذكر عبد الله أيضاً) قالوا: الولاء للكبر، يعنون بالكبر ما كان أقرب بأب وأم.

(٢) سبق أن ذكرنا الحديث في هامش رقم ٩ في باب العزيز من الزينة ٢٤٧.

(٣) هو الشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي من عامر بن صعصعة، عده ابن سلام في طبقاته/ شاكر ٤٩٥ من الطبقة الرابعة من الإسلاميين. راجع الشعر والشعراء ٨٧ والاستيعاب رقم ٥٦٣ والإصابة رقم ١٨٣٤ وسمط ٣٧٦ والأدباء ٤/ ١٥٣ ود حميد.

(٤) رواية ي و س و ع ول/ عفا ود حميد ٥٨: وأصبحت. م و ح: إذا سمت. وفي ل/ عفا قال: عفت الأرض إذا غطاها النبات، قال حميد يصف داراً: عفت... البيت. والشاهد في كبرياء الناقة. قال الشارح: سمنت الإبل بعد الهزال فاشتدت وصلحت للركوب.

(٥) لم نعثر على الشاهد في هاشمياته. وأثبتناه كما جاء في ي و س. ع:... يرى البعد والجدة... تابه القرب. و م و ح:... يرى البعد والحيدة... مائة القرب. والحدة الشدة والصعوبة وهو بتقدير مضاف أي ذا الحدة كما أن البعد بتقدير مضاف أي ذا البعد. وثابه القرب بمعنى صار قريبًا. وكذلك تابه.

فالكبر والكبرياء واحد، يعني أنّه مُدِلّ بنفسه، فيرى البعيد قريبًا والكبير صغيراً والصعب يسيراً.

[الكبرياء الملك] ويقال: الكبرياء الْمُلْك. قال مجاهد في قوله عزَّ وجلَّ **﴿وتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ في الأرضِ﴾**[1]، قال: الملك.

فالكبرياء والكبر لله عزَّ وجلَّ، لأنه امتنع من الانقياد لِخَلقه في حُكْمه[2]، فتعظَّم وتكبر أن ينَاله[3] أحد بصفة أو يُدركه مخلوق بنَعْت، بل أعلَى نفسه عن ذلك، والخَلْق كلّه منعوتٌ موصوف غير ممتنع من النعت والصفة ولا مُتعالٍ عنه. ولله الكِبرياء والْمُلْك والسلطان. تبارك الله المتكبّر ذو الكبرياء.

---

(١) سورة يونس: الآية ٧٨.

(٢) ع: ملكه. ابن قتيبة في غريب القرآن ١٠: كبرياء الله عظمته.

(٣) ع: يتناوله.

باب سبوح

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «سُبُّوح».

[سبوح على وزن فُعول] وهو اسم مبني على فُعُّول من قولك «سُبْحان الله». قال ثعلب: سُبُّوح قُدُّوس مضموم الأول وقد يُفتح أوله. وكل اسم على وزن فَعُّول فأوله مفتوح إلاّ هذين الاسمين، فإنه يُضمّ أوّلهما. [وكذلك الذُّرُّوح][1]. فالذي فُتح أوله مثل سَفّود[2] وتَنّور[3] وكَلّوب[4] وسَمّور[5] وشَبّوط[6].

[معنى سبحان الله ونصبه] قال أبو عبيدة: مجاز «سُبْحانَه»[1] مجاز موضع التنزيه والتعظيم والتبرؤ[2]، وأنشد للأعشى:

أقــول لــمّــا جــاءنــي فــخــره سُبحان مِن عَلْقَمة الفاخِر ١٥١[3]

فأراد التبرّؤ من ذلك لعلقمة ولفخره[4]. وهذا كما يقول: حَاشَى له[5]. وقال غيره: قد يكون تعجّبًا من فخره، كما يقول القائل إذا تعجّب

---

(١) «وكذلك الذروح» ناقص في ي و س و ع. ذكر في م و ح وحاشية س. والذروح بالضم دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من السموم، والجمع الذراريح. وقال سيبويه: واحد الذراريح ذرحرح. وليس عنده في الكلام فعول بواحدة. وكان يقول سبوح وقدوس بفتح أوائلها (صح/ ذرح).

(٢) السفود: الحديدة التي يشوى بها اللحم (صح/ سفد).

(٣) التنور الذي يخبز فيه (صح/ تنر)، وفي التنزيل العزيز: حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور. قيل: التنور وجه الأرض. الأزهري: إن الاسم في الأصل أعجمي. فعربته العرب فصار عربياً على بناء فعول. قال: ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس والإستبرق وما أشبهها. (ل/ تنر).

(٤) الكلوب والكلاب المنشال. والجمع الكلاليب. ويسمى المهماز وهو الحديدة التي على خف الرائض كلابًا. والكلوب السفود (ل/ كلب).

من شيء[٦]: [١٠٢] سبحان الله؛ فكأنه قال: عجبًا من علقمة ومن فخره! قال: ونُصب سُبحانَ على المدح[٧]. والمدح والذم ينصبان.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً﴾[٨]: قال أهل العربية في نصب سبحان إنما انتصب لأنه اسم في موضع مصدر، سبّحت الله تسبيحاً وسُبحاناً. فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم منه، كقولهم: كفّرت اليمين تكفيراً وكفراناً. قال: فالتكفير المصدر والكفران الاسم منه. وأنشد لأمية بن أبي الصَّلْت:

سُبْحانَه ثمّ سُبْحاناً نَعُوذُ به
وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ[٩]

فهذا مذهب إعراب سُبحان في نصبها. وقال بعضهم: ويجوز على النداء «يا سبحان الله»، ويجوز على أنه موصوف[١]. قال: والتفسير الأول

---

(٥) السمور حيوان بري يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة، ويكثر في الأقاليم المتجمدة من بلاد الروس وراء بلاد الترك.

(٦) الشبوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين الملمس. أعجمي (ل/ شبط).

(١) الأصول كلها: قال أبو عبيدة مجاز «سبحان الله». وقد أثبتنا «سبحانه» (النور ٣٠/ ٤٠) من تفسيره في المجاز/ مراد منلا ١٣٦.

(٢) المرجع نفسه و م و ح: التبري.

(٣) المجاز/ مراد منلا ١٣٦ وصح/ سبح ول/ سبح. ورواية الصبح المنير ١٠٦: . . . فجره. . . علقمة الفاجر.

(٤) في المجاز: يتبرأ من ذلك له.

(٥) حاشية س: حاشى لله أي معاذاً لله. وفي ل/ حشا: وحاشى لله وحاش لله أي براءة لله ومعاذاً لله. الفارسي: حذفت منه اللام لكثرة الاستعمال. الفراء في قوله تعالى: ﴿قلن حاش لله﴾: هو من حاشيت أحاشي. ابن الأنباري: معنى حاشى في كلام العرب أعزل فلاناً من وصف القوم بالحشى وأعزله بناحية ولا أدخله في جملتهم. ومعنى الحشى الناحية.

(٦) كما في ي وحاشية س. م و ح و س و ع: من الشيء.

(٧) فيكون التقدير أمدح سبحانه أي تنزيهه وهو ضعيف.

(٨) بني إسرائيل ١/١٧.

(٩) د أمية بن أبي الصلت. ٦ ول سبح وجود وجمد: يعود له. والجودي قيل جبل استوت عليه سفينة نوح على نبينا محمد وعليه السلام. والجمد بضم الجيم والميم ما صلب وارتفع من الأرض. وقيل جبل معروف.

أعجب إليّ في نصبها.

فأما تأويلها في المعنى فإنّه البراءة والتنزيه[٢]. وإذا قال: سبحان الله، فإنما هو في[٣] مذهب الكلام براءة لله وتنزيه، وتبعيد من التكذيب به، أو أن يكون له ولد وزوجة، ونحو ذلك مما يُنْفَى عن الله عزَّ وجلَّ.

قال: وفي التسبيح أيضاً أوجه سوى هذا، منها الصلاة النافلة، ومنها الاستثناء وهو أغرب حرف فيه، ومنها النور.

[السبحة الصلاة] فأمّا الصلاة فقوله: ﴿**فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ**﴾[٤]. قال سعيد بن جبير: من المصلّين. قال أبو عبيد. وهو مستفيض في الحديث أنّ «السُّبْحَة»[٥] هي النافلة. ومنه حديث ابن عمر أنه كان يصلي سُبْحته في موضعه الذي يصلي فيه المكتوبة. وحديث عائشة في سُبْحَة الضُّحَى[٦] أنها كانت تصلّيها[٧]، وتقول: لو نُشِر لِي أبي ما تركتها[٨]. قال: ومثله كثير في الحديث.

[التسبيح الاستثناء] فأمّا الاستثناء فقول الله: ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ**

---

(١) أي كما جاز النداء على أنه مضاف. وذلك كما في قول أمية «سبحاناً نعوذ به» بخلاف قول الأعشى «سبحان من علقمه الفاخر» فلا يجوز تقدير النداء فيه لأنه كان يجب نصبه وتنوينه، وهذا لأنه شبيه بالمضاف.

(٢) كذا فسره ابن قتيبة وأبو بكر السجستاني في كتابيهما غريب القرآن.

(٣) ح: هو علي.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) السبحة بالضم خرزات يسبح بها، وقضى سبحته أي صلاته، وسبح صلى. وروي أن عمر جلد رجلين سبحا بعد العصر أي صليا. قال ابن الأثير: وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح لأن التسبيحات في الفرائض نوافل. وقد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر مجازاً كالتحميد والتمجيد وغيرهما (صح ول والأساس والنهاية في مادة سبح).

(٦) سبحة الضحى هي صلاة الدعاء وهي نافلة ولم يصح حديث في تحديد عددها. قال السيوطي: (الحاوي للفتاوي ١/ ٥٤): فقد وقع الكلام في استحباب صلاة الضحى والرد على من أنكرها. فتمسك المنكر بحديث البخاري (التهجد ٣٢) عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يسبح سبحة الضحى وإني لأسبحها.

(٧) كما في ع. م و ح: تصليها بسبحتها. ي و س: تصليها تسبحها.

(٨) ع: لو يسرت لي ما تركتها.

لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾[1]. روى أن تأويله «لولا تستثنون». وهي لغة بعض أهل اليمن. وليس للكلام وجه غيره، لأنه قال قبل هذا: **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾**[2] ثم [قال]: **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾**. فأذكرهم ترك الاستثناء[3].

[سبحة النور] أما سُبْحة النور فهو نور الله تبارك وتعالى. قالوا: لولا ذلك لأحرَقَتْ سُبُحَات وجهه ما أدركت من شيء[4]. يقال في هذا الحرف إنه نور وجهه. ولم نسمع هذه الكلمة، ولا نعرف لَهَا شاهداً في كلامهم إلاّ في هذا الحديث.

[التسبيح تنزيه وتوحيد] وقال بعض العلماء: **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[1]، أي تنزيهاً له وتبرئة من الشرك؛ وسَبَّحت الله[2] يعني وحّدته، ونزّهته من أن يكون له شريك، ووصفته بالوحدانية والفردانية. قال: وذلك معنى قوله: **﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾**[3]، وقوله: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾**[4]، وقوله: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ الْعَذَابُ﴾**[5]. يعني أنها كلها تشهد له بالوحدانية، وتدلّ على فردانيته، وأنه جل وعز صانِع واحِد لا شريك له. قال: وليس

---

(١) سورة القلم: الآية ٢٨.

(٢) سورة القلم: الآيتان ١٧ ـ ١٨.

(٣) وفي ل/ سبح قال: في الاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يشاء أحد إلا أن يشاء الله، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء.

(٤) الجوهري (صح/ سبح): سبحات وجه ربنا بضم السين والباء أي جلالته. وفي النهاية/ سبح: في حديث: حجابه النور والنار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره.

(١) سورة الطور: الآية ٤٣ والحشر ٢٣.

(٢) ع: لله. في الأساس/ سبح: سبحت لله وسبحت له.

(٣) سورة الجمعة: الآية ١ والتغابن ١.

(٤) بني إسرائيل ١٧/ ٤٤.

(٥) سورة الحج: الآية ١٨.

تسبيحها وسجودها على معنى النطق والفعل، ولكن على طريق الدلالة. ومن أجل ذلك قالت الحكماء: كلّ صامت ناطق. أي [١٠٣] يَدُلُّ على صانعه، فدلالته عليه بمنزلة النطق والتسبيح. وقوله: «وكثيرٌ من الناسِ» يعني الموحّدين، «وكثيرٌ حَقَّ عَليهِ العذابُ» يعني المشركين، لأن الموحد إذا وحّده فقد نزّهه وبرّأه من الشرك؛ والمشرك غير مُسبّح لأنه غير موحّد، فهو مشرك به. وهو عزّ وجلّ مُبرّأ من شركه، مُنزّه، سُبُّوح. سُبحانه عما يُشركون.

باب القدوس

«القُدُّوس» هو حرف مبنى على فُعُّول مثل سُبُّوح. والتقديس قريب من التسبيح في المعنى. فمن قدّس الله فقد نزّهه من الشرك. وكذلك من سبَّحه فقد نزّهه من الشرك، وأخلص له الوحدانية(١). قال الله عزَّ وجلَّ حكاية عن الملائكة: **﴿وَنَحْنُ نُسَبِحُ بحَمْدكَ ونُقدِّسُ لَكَ﴾**(٢).

قال أبو عبيدة: نُقدِّس لك أي نُطهِّر لك. والتقديس التطهير. ونُسبِّح نُصلي. تقول: قد فرغت من سبحتي، أي من صلاتي(٣). وقال في قوله: **﴿الأَرْض المقدَّسَة﴾**(٤): أي المطهَّرة. يقال: لاقدَّسَه الله(٥).

قال غيره: القدس الطهارة، ومنه قيل «الأرض المقدَّسة» أي المطهَّرة بالتبريك(٦). ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿نُسَبِّحُ بِحمدكَ وَنُقدِّسُ لكَ﴾**، أي

---

(١) البيهقي ٢٨: التسبيح موجود في ضمن التقديس، والتقديس في ضمن التسبيح. وقد جمع الله بينهما في سورة الإخلاص. والأمران راجعان إلى إفراده وتوحيده ونفي التشريك والتشبيه اهـ. وكذلك نفي التبي تشريك النصارى الذين يجعلون الملائكة وروح القدس وسطاً بين الله وبين عباده في حديث عائشة أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث شعبة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه «سبوح قدوس رب الملائكة والروح». ويقال إن أصل التسبيح بمعنى المدح يوجد في الآرامية القديمة، ثم استعمل بتوسع بنفس المعنى في السريانية حتى يوجد فيها ܫܘܒܚܐ = سبحان و ܬܫܒܘܚܬܐ تسبيح. وكذلك معنى التقديس كان قد شاع في الآرامية المسيحية، ومنه ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ روح القدس. وقد أضيفت إلى الكلمتين العربيتين دلالات عديدة كما ذكرها صاحب الزينة في هذين البابين.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) المجاز ١/ ٣٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٢١.

(٥) المجاز ١/ ٦٠. وفي ل/ قدس: حكى ابن الأعرابي: لا قدسه الله أي لا بارك عليه.

(٦) كما في ي و س و ع. م و ح: بالتبرك.

ننسبك إلى الطهارة. ونقدّس لك ونقدّسك بمعنى واحد. وكذلك نسبّح لك ونسبّحك. قال: و «حَظيرة القدْس» ذكر قوم أنها الجنة، لأنها موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا، مثل الغائط والبول والحيض وأشباه ذلك. ومنه «روح القُدس» لأنه ينزل على كلّ طاهر من الأنبياء والرسل، ويطهّر كلَّ من نزل عليه[1]. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿قُلْ نزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالحقِّ﴾**[2]. وبيت المَقدِس[3] منه، كأنه البيت المُقَدَّس أي المُطَهَّر. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿يَا قَوْمِ ادخُلوا الأرْضَ المقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**[4].

---

(١) ى و س و ع: وتطهر كل من نزلت عليه. وفي صح/ قدس: القدس بسكون الدال والقدس بالضم الطهر، اسم ومصدر.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٣) ى و س: بيت القدس. وفي صح/ قدس قال: بيت المقدس يشدد ويخفف. والنسبة إليه مقدسي مثال مجلسي ومقدسي بالتشديد.

(٤) سورة المائدة: الآية ٢١.

باب الحي القيوم

ومن صفاته عزّ وجلّ «الحيّ القيوم».

[الحي والتحية من الحياة] والحيّ من الحياة. أي أنه الدائم الذي لا يفنى، حيّ لا يموت. والتحية مأخوذة من الحياة. وفي التشهّد: التحيات لله، أي الحياة لله، وتقديرها من الفعل تَفْعِلَة، فيعني أنّ البقاء له عزّ وجلّ والدوام[١]. ويروى عن الحسن البصريّ أنه قال: كان لأهل الجاهلية أصنام صِغار، فكانوا يمسحون وجوهها، ويقولون: لك الحياة الدائمة الباقية. فأُمِر المسلمون أن يقولوا: التحيات لله، أي البقاء لله عزّ وجلّ لا لغيره. قال الله عزّ وجلّ في صفة أهل الجنة: ﴿تحيّتُهُمْ فِيها سَلامٌ﴾[٢]. قال: لأنهم أعطوا دَوام الحياة، وسَلِموا من الآفات، فهم عند لقاء بعضهم بعضاً يتباشرون بها بقولهم[٣]: ﴿سَلاَماً سَلاَماً﴾[٤]. أي سلمنا من الآفات في الدنيا، وسلمنا من العذاب في الآخرة، وحيينا الحياة الدائمة. فمن أجل ذلك كرّر مرتين.

---

(١) حاشية س: قال والمشهور أن التحية الملك. وذلك أن الملك في الجاهلية كان يحيي بتحية مخصوصة، فيقال له: أبيت اللعن. ومعناه: أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه اهـ. قال الجوهري (صح/ حيا): التحية الملك، واستشهد ببيت زهير بن جناب الكلبي:

ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية

(اطلب الزينة ٩٩ فيما سبق). قال: وإنما أدغمت لأنها تفعلة والهاء لازمة. يقال: حياك الله، أي ملكك. والتحيات لله. قال يعقوب: أي الملك لله. وفي ل/ حيا قال: قال خالد بن يزيد: لو كانت التحية للملك لما قيل التحيات لله. والمعنى السلامات من الآفات كلها، وجمعها لأنه أراد السلامة من كل آفة. قال الأزهري: قال الليث في قولهم في الحديث التحيات لله، قال: معناه البقاء لله. فإلى المعنى الأخير ذهب صاحب الزينة.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠ وسورة إبراهيم: الآية ٢٣.

(٣) حاشية س: فيها يقولون. ي: يقولون: ع: لقولهم.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

[القيوم والقيام] والقيوم. قال أبو عبيدة: القيوم القائم، وهو الدائم الذي لا يزول، وهو فَيعُول[1]، وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿الله لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القُيومُ﴾[2]: فيعني الحيّ قبل كلّ حيّ، والحيّ قبل كلّ شيء، الذي لا يموت، ولا تفنيه الدهور، ولا يغيّره انقلاب الأمور. قال: والقَيُّوم يعني أنه القائم على العباد بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم. والقيوم فيه لغتان: قَيُّوم وقَيَّام. وقد قرىء بهما جميعاً، وهما فَيْعُول وفَيْعَال من قمت بالشيء إذا وَلِيته، كأنه القائم بكلّ شيء قال: ومثله في التقدير: ما فيها دَيُّور ودَيار، وكان اشتقاقه من الدار، أي ليس فيها ساكن دار.

[أصل القيوم والقيام] قال أبو عبيد[1]: هي من الفعل فَيْعُول، كان في الأصل [١٠٤] قَيْوُوم، فانقلبت الواو الأولى ياء لسكون الياء التي قبلها. وكذلك القَيَّام. يروى عن عمر أنه قرأ بذلك[2]. ويروى عن مجاهد أنّه قال: القَيُّوم القائم على كلّ شيء. قال أبو عبيدة[3]: القيام فَيْعَال من قمت. أصلها قَيْوَام، فانقلبت الواو ياء، ولو كان فَعَّالاً لكان قَوَّاماً كقوله: ﴿كونُوا قَوَّامينَ بالقِسط﴾[4]. قال: ومثله الأيَّام. إنما أصله أيْوَام، لأن الواحد يَوْم، الياء ساكنة في قولهم أيْوام، وجاءت الواو تتلوها، ولا حرف بينهما، فحوّلوها ياء وأدغموها في الياء التي قبلها، لأنها أخفّ على ألسنتهم. قال: وكذلك القَيوم أصله القَيْوُوم، فحوّلت الواوا ياء كما[5] أعلمتك إذ كانت الياء التي تتلوها الواو ساكنة، وليس بينهما حرف. قال: ومثله: ﴿فَسَوْفَ يلقوْنَ غَياً﴾[6] الغيّ واد في جهنم وهو من غَوَيْت غَيّا. فإن كان من غَوَى يَغْوي فإن مصدره غَيّا[7]. قال: وكان أصلها أن يكون غَوْيا. وكذلك كَوَيْت كيّا.

---

(١) المجاز ١/٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥ وسورة آل عمران: الآية ٢.

(١) س: أبو عبيدة.

(٢) ذكر الجوهري (صح/ قام) قراءة عمر «الحي القيام» قائلاً إنه لغة.

(٣) كما في ي و س و ع. م و ح: أبو عبيدة.

(٤) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٥) ي و س و ع: لما.

(٦) سورة مريم: الآية ٥٩.

(٧) الغي خلاف الرشد. غوى (بفتح الواو) الرجل وغواه غيره. لازم متعد. وغوي (بكسر الواو) يغوى (بالفتح) غواية.

إنما أصلها كوْيا، فحوّلت الواو ياء استثقالاً للجمع. وأرادوا أن يكون الحرفان يخرجان من مخرج واحد، فيكون أخفّ عليهم.

[القوام] وقال غيره: القَيوم الدائم القوّام الذي لا يزول. والقوّام الذي لا يزول قِوامه بالأمر[1] والقَيوم والقَيام بمعنى واحد. قال: ولا يزال القائم بالأمر العالم به. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾**[2]. ولم يذكر في صفة الله عزَّ وجلَّ قوّام، وقيل: قَيوم وقَيام.

فهو عزَّ وجلَّ الحيّ الذي له الحياة الدائمة، الذي لم يزل حيّاً ولا يزال حيّاً، القيوم الذي هو القائم على كلّ نفس بما كسبت، الدائم، القوّام الذي يَتوَلّى تدبير صنعتها إلى انتهاء مدّتها وهو وَليُّ مُجازاتها[3] بما كسبت. تبارك الله الحيّ القَيوم.

---

(١) كما في ي. م و ح: مقامه بالأمر. س و ع: قوامه بالأمر. يعني قوامه بالأمر قيامه به.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٣) ي و س و ع: ويتولى.

باب الغفور

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الغفور».

[الغفور] يقال: غَفُورٌ وغَفَّار وغَافِر، ثلاث لغات، وهي من المغْفِرَة. والمغفرة السَّتْر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم، فلا يكشفها، للخلائق. ويقال في الدعاء: اللَّهم تَغمَّدْني بمغفرتك[1]، أي استُر ذنوبي. وأصله من غَفَرْت الشيء إذا غطيته. ويقال: ثَوْبٌ[2] كثير الغَفْر، أي كثير الزِّئْبَر[3] إذا كان من خَزٍّ أو وَبَر أو صوف أو غيره، سُمِّي بذلك لأنه يستر النَّسْج بزئبره. ويقال: اَضْمُم مَتَاعَك في وِعائِك، واغْفِرْ مَتاعَك في وِعائِك، وهما بمعنى واحد. ويقال: غَفَر غَفْراً[4]. ومنه يقال: اللهمّ غَفْرا[5]. وقال الشاعر:

لَـيْـثٌ يَـهَـابُ الـنَّـاسُ صَـوْلَـتَـهُ
جَـمَـعَ الـعِـقَـابَ وأحْـسَـنَ الـغَـفْـرَا ١٥٣

وقال الكميت:

فـي ظِـلِّ مَـن عَـنَـتِ الْـوُجـوهُ لَـهُ
مَـلِـكِ الـمـلُـوك ومـالِـك الـغَـفْـرِ ١٥٤

ويقال لِجُنَّة الرأس مِغْفَر، لأنه يُغَطّي الرأس ويستره. فالغَفُور على

---

(١) س و ع: تغمدني برحمتك.
(٢) كما في ي و س و ع. م: و ح: الثوب.
(٣) الزئبر بالكسر مهموز ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز (صح/زبر).
(٤) غفر بالكسر لغة فيه. الغفر والغفر بالتحريك التغطية. والغفر الغفران.
(٥) كما في ي و س و ع. م: م و ح: اللهم اغفر.
(٦) حاشية س: اللهجة اللسان. يقال: هو فصيح اللهجة.

وزن فَعُول، يعني من شأنه أن يغفر الذنوب، كما تقول: فلان فَعَل كذا وكذا، فتقول: هو فَعول لذلك، يعني من شأنه أن يفعل ذلك. ويقال: فلانٌ صَدُوق اللَّهْجَة(٦)، أي من شأنه وعادته الصِّدْق.

[الغفار والغافر] وأمّا الغَفّار فهو الذي يغفر ذنبًا بعد ذنب، كأنه يغفر ذنوبًا كثيرة مرّة بعد أخرى، وهو على وزن فَعّال، كما يقول: رجلٌ [١٠٥] قَتّال، أي يكثر القتل. فالتشديد يدلّ على التكرير والتكثير. ومنه يقال في الدعاء: يا غَفّار الذنوب، لا يكاد يقول: يا غفّار الذنب.

وأما الغَافِر فإنه يقال بالإضافة. يقال: غافِر الذنب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾(١). وهو على وزن فاعِل، كما يقول: قاتِلُ الرجل. والتخفيف يدلّ على التقليل. غافر الذنب أي يغفر ذنبًا واحداً، وغَفّارٌ يغفر الذنوب الكثيرة. ومثل ذلك قولهم: أَغْلَقَ وغَلّقَ، يعني أغلق بابًا واحداً وغلّق أبوابًا كثيرة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ**﴾(٢). وقال: ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾(٣)، لأنها أيْدٍ كثيرةٌ. فالله عزّ وجلّ غافِر الذنب، وغفّار الذنوب، غَفُور لها، لأن من شأنه المغفرة.

وقال الحكيم: قيل له غَفّار، لأنه خَلق المغفرة لرحمته بخَلقِه، ولتمام خِلْقته(٤)، لئلاّ يكون في الخلق تقصيرٌ عن الخِلقة في الكل(٥)، فغَفَرَ وعَفَا ورَحِمَ المستوجبين لذلك. ولم نرِ أحداً أقْدَرَ على المُجازاة بالذنب منه، فغَفَر الذنب، فلذلك قيل له غَفّار، لا غفّار غيره.

---

(١) سورة المؤمن: الآية ٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: الآيات ٣١، ٥٠.

(٤) خلقة اسم هيئة من الخلق ومعناها الفطرة يعني فطرته تعالى، وتمامها بأن يكون فيها مغفرة كما أن فيها مجازاة بالذنب.

(٥) الخلق الإيجاد بالفعل، يعني أنه لو لم يوجد المغفرة لكان في هذا تقصير عن خلقته في الكل أي في جميع مخلوقاته. ولا يخفى ما في العبارة من الغموض.

باب الملك والمالك والمليك

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الْمَلِك» و «المالِك» و «الْمليك».

[ملك ومالك ومليك] وقد جاء بها كلها القرآن. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[١]. وقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢]. قرأ قوم «مالِك»، وآخرون «مَلِك»، وهي مشتقّة كلها من الْمُلْك والمِلْك. ويوصف بها المخلوق[٣] أيضاً، فيقال للرجل: مَلِك ومالِك ومليك.

ويقال له أيضاً: مَلْك بسكون اللام[٤]. ولم تجيء هذه اللغة في القرآن. ولا روي أنّ أحداً قَرَأ بها. قال السجستاني: لو قرأ بها أعرابي أجَزْناها له، وهي لغة مشهورة. قال: وكلّ شيء من الأسماء والأفعال على فَعِلٌ وفَعْلٌ فإسكان الثاني فيه لغة معروفة؛ يقولون: رَجُلٌ ورَجْلٌ، وفَخِذٌ وفَخْذٌ، وأشباه ذلك؛ ويقولون: ضَرَبٌ وضَرْبٌ[٥] وعَلِم وعَلْم[٦]. قال: وهو كلام عربيّ في القرآن وفي الأشعار والكلام.

[الملك المليك] قال: ويقال هو المِلك والمليك في معنى واحد. وأنشد:

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٥.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ١.

(٣) كما في ي و ع وحاشية س. م و ح و س: المخلوقون.

(٤) في ل/ ملك قال: كأن الملك بسكون اللام فخفف من ملك بالكسر، والملك بالكسر مقصور من مالك أو مليك.

(٥) الضرب بالتحريك العَسَل الأبيض الغليظ. يذكر ويؤنث. والضرب بتسكين الراء لغة فيه.

(٦) العلم بالتحريك الشق في الشفة العليا. والعلم بتسكين اللام لغة فيه.

أنت مليكُ الناس ربًّا فاقْبَلِ ١٥٥[١]

وأنشد غيره لعبد الله بن الزِّبَعْري يمدح رسول الله ﷺ:

يـا رسـولَ الـمـلـيـك إنَّ لـسـانـي راتِـقٌ مـا فَـتَـقْـتُ إذ أنـا بُـورُ ٣٤[٢]

ولطرفة بن العبد في عمرو بن هند يهجوه:

مَـلِـكُ الـنـهـار وأنـتَ الـلـيْـل مُـومِـسَـةٌ مـاءُ الـرجـال عـلـى فَـخْـذَيْـك كـالـفَـرَسِ ١٥٦[٣]

[مَلِك ومالك] فأمّا مالِك ومَلِك فقد قُرِىء بهما جميعاً. وكان أبو عبيد يختار «مَلِك يوم الدين» على مالك. وذلك أنه قال عزَّ وجلَّ: ﴿**لِمنِ الْمُلْكُ**﴾[٤]. ولم يقل: لِمَن الْمِلْك. وذلك أنّ الْمُلْك مصدر الْمَلِك والْمِلْك مصدر المالِك. رخطّأه أبو حاتم السجستانّي في ذلك فقال: أظنّه احتّج على نفسه ولم يشعر لأن معنى «لِمنِ الْمُلْكُ»[٥] يعني من يَملِك الْمُلْك. فَيجاب بأن الله عزَّ وجلَّ: ﴿**مالِك الْمُلْك**﴾، لأنه يقال: لمن الدار؟ يُسأل عن مالِكها. وكذلك الْمُلْك لمن يْملِكه أي لمالِك الْمُلْك. ولم يُختَلَف فيه.

قال: وأنشدنا أبو عبيدة[٦] لأعشى بني الحرماز[٧] في مخاطبة النبي ١٥٧

---

(١) هو من أرجوزة لأبي النجم الفضل بن قدامة مطلعها:

الـحـمـد لله الـعـلـي الأجـلـل

(٢) حاشية س: رجل بور أي هالك يكون جمعاً وواحداً ويستوي فيه المذكر والمؤنث. اطلب فعل الدفاع بالشعر (الزينة . ١١١).

(٣) روى الأصبهاني في الأغاني ٢١/ ١٢٥ عن يعقوب بن سكيت قال: قدم المتلمس وطرفة بن العبد على عمرو بن هند، فقال:

قـولا لـعـمـر بـن هـنـد غـيـر مـتـئـب يا أفطس الأنف والأضراس كالعدس

ملك النهار. . . البيت

وروي عن ابن الكلبي يقال: هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني. وبسببه قتل عبد عمرو. حاشية س: مومسة أي فاجرة. ي و س: كالغرس. وحاشية س: الغرس بالكسر الذي يخرج مع الولد كأنه مخاط. وفي الأغاني قال: أراد بالقرس القريس وهو الجامد.

(٤) سورة المؤمن: الآية ١٦.

(٥) ي و س و ع: لأن معنى الملك.

(٦) كما في ي و س و ع. م و ح: أبو عبيد.

(٧) حاشية س: واسمه عبد الله بن الأعور من التكملة. الحرماز حي من تميم من صح/ =

ﷺ يشكو إليه امرأته، فقال:

يـا مـالِـكَ الْـمُـلْـك ودَيَّـانَ الـعَـرَبْ

فقال النبي ﷺ: مَهْ![1] ذاك الله عزَّ وجلَّ.

ويقال في الدعاء: يا ربَّ الأرباب ومالِك الْمُلوك! ويقال: الله مالِك كلِّ شيء، ولا يقال: مَلِك كلِّ شيء. إنما يقال: مَلِك الناس وحدهم. فمالِك أوسع وأجمع. قال: وقال أبو عبيدة: مالِك أجمع من مَلِك. وقال الأخفش: الوجه في القراءة «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ». قال: وضعف مَلِك في هذا الموضع. قال: ولا يقال مَلِك في كلّ شيء. إنما يقال مَلِك الناس. قال السجستاني: وأين أبو عبيد[2] في الفطنة والدقّة من الأخفش، ولم يكن له

= حرمز. وأشار الآمدي في المؤتلف والمختلف ١٥ إلى أن أصحاب الحديث يقولون أعشى بني المازن. والتثبت أعشى بني الحرماز. وأما بنو مازن فليس فيهم أعشى. ذكر الآمدي رواية عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد أنه وفد على رسول الله فأنشده:

يـا سـيـد الـنـاس وديـان الـعـرب ... إلـيـك أشـكـو ذربـة مـن الـذرب
خـرجـت أبـغـيـهـا الـطـعـام في رجـب ... فـخـلـفـتـنـي بـنـزاع وهـرب
أخـلـفـت الـعـهـد ولـطـت بـالـذنـب ... وهـن شـر غـالـب لـمـن غـلـب

قوله: ذربة يعني امرأته أي ذربة سلطة حديدة. وقوله: وهرب، ويروى حرب.
وروى الآمدي عن ثعلب عن ابن الأعرابي أن الأبيات للأعور بن قراد بن سفيان بن الحرملة وهو أبو شيبان الحرمازي أعشى بني حرماز. وكان مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. وأنشد ثعلب في الأبيات زيادة، وهي:

وتـركـتـنـي وسـط عـيـص ذي أشـب ... تـكـد رجـلـي مـسـامـيـر الـخـشـب
أكـمـه لا أبـصـر عـقـدة الـحـقـب ... ولا أرى الـصـاحـب إلا مـا اقـتـرب
وهـن شـر غـالـب لـمـن غـلـب

ورد الحديث في حم ٢/٢٠١ و ٢٠٢ عن نضلة بن طريف أن رجلاً منهم يقال الأعشى، كانت عنده امرأة يقال لها معاذة، خرج في رجب يمير أهله من هجر؛ فهربت امرأته بعده ناشزاً عليه... فخرج حتى أتى النبي، فعاذ به، وأنشأ يقول:

يـا سـيـد الـنـاس وديـان الـعـرب ... إلـيـك أشـكـو ذربـة مـن الـذرب
كـالـذئـبـة الـغـبـشـاء في ظـل الـسـرب ... خـرجـت أبـغـيـهـا الـطـعـام في رجـب
فـخـلـفـتـنـي بـنـزاع وهـرب ... أخـلـفـت الـعـهـد ولـطـت بـالـذنـب
وقـذفـتـنـي بـيـن عـيـس مـؤتـشـب ... وهـن شـر غـالـب لـمـن غـلـب

فقال النبي ﷺ عند ذلك: فهن شر غالب لمن غلب. واطلب أيضاً النهاية/ دين والمزهر ٢/٢٢٩.

(١) حاشية س: مه اسم فعل يزجر بها، فيقال: مه أي اكفف.
(٢) ي و س و ع: أبو عبيدة. وأثبتنا أبو عبيد من م و ح، والسياق يؤيد ذلك.

نظير في دهره؟ وأين أبو عبيد من أبي عبيدة في العلم بكلام العرب؟ قال: وقوله: ﴿فَتَعَالى الله الْمَلِكُ [١٠٦] الْحقُّ﴾[١]، فهو الذي[٢] لا يموت، ولا يُسلَب مُلكه، له الْملْك الدائم، لم يزل ذلك، ولا يزال. وكلّ مَلك سواه فهو جعله مَلِكاً بعد أن لم يكن[٣]، وهو يسلبه مُلْكه بموت أو غيره. وقال: ﴿قُلِ اللهُمّ مالِكَ الْملْكِ تُؤتي الْملْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِع الْملْكَ مِمّنْ تَشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾[٤]. فلما أمات الله عزّ وجلّ الْمُلُوك، وسَلَبَهُمْ مُلْكهم، قال بعد ذلك: ﴿لِمنْ الْمُلْكُ الْيومَ﴾[٥]. ثم أجاب نفسه إذ لم يكن حيّ يجيبه: لِلّهِ الْوَاحِدِ القهّارِ. قال أبو عبيد: المالِك يكون مَلِكاً وغير مَلِك، ولا يكون الْملِك إلاّ مالِكاً. قال السجستاني: فهذا في الدنيا في المخلوقين، والله عزّ وجلّ هو مالِكُ مُلْكِ ومَلِك ومليك[٦].

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤ وسورة المؤمنون: الآية ١١٦.
(٢) كما في ي و س و ع. م و ح: فهو الله الذي.
(٣) ي و س و ع: لم يكن ملكاً.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٦.
(٥) سورة المؤمن: الآية ١٦.
(٦) في الأصول: وملك مالك.

باب الحكيم

ومن صفاته «الحكيم».

[الحكيم بمعنى المحكم] قال أبو عبيدة: العرب ربما وضعت فعيلاً في موضع مُفعِل، وربما وضعته في موضع مُفعَل، بكسر العين وفتحها. قال: وحكيم في معنى مُحكِم بكسر عين الفعل. وقال في معنى قوله ﴿**الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾[1]، قال: الْمُحكَم بفتح الكاف[2]، ومعناه الْمبَيَّن الواضح. وقال في قوله ﴿**هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾[3]: مجازه مُعْتَدٌ[4]. وأنشد لأبي ذُؤَيب الهُذَلِّي:

[............] أنّـــــــــي غـداتَـئِـذٍ ولـم أشْـعُـرْ خَـلـيـفُ ١٥٨[5]

أي مُخْلِفٌ من قولك: أخلفتُه الْموْعِد.

قال غيره: فالله سبحانه وتعالى سمّى نفسه حكيماً، لأنه أحكَمَ ما خَلق، فلم يفته شيء، ولم يكن فيه خَلل، ولم يُعجزه شيء من لطيف

---

(١) سورة يونس: الآية ١ وسورة لقمان: الآية ٢.

(٢) المجاز ١/ ٢٧٢. وفي المفردات قال: معنى الحكيم المحكم (بفتح الكاف) نحو أحكمت آياته، فإنه محكم ومفيد للحكم. ففيه المعنيان جميعاً؛ والحكم أعم من الحكمة.

(٣) سورة ق: الآية ٢٢.

(٤) المجاز: مجازه معد. قال الراغب (المفردات/ عتد): العتاد كالإعداد ادخار الشيء قبل الحاجة إليه. وفي الأساس/ عتد: هو عتاد لكذا أي عدة. وأعتده له هيأه، وهو عتيد معد حاضر.

(٥) كذا رواه أبو عبيدة في المجاز. ورد الشاهد في د الهذليين ١/ ٩٩:

تـواعـدنـا عـكـاظ لـنـنـزلـنـه ولـم تـعـلـم إذا أنـى خـلـيـف

وفي ل/ خلف:

تـواعـدنـا الـربـيـق لـنـنـزلـنـه ولـم تـشـعـر إذا أنـى خـلـيـف

الْخَلق وجليله، ولم يَدَع شيئاً مما ينبغي أن يكون مخلوقاً إلاّ خَلقه بحكمته، ومنع بعضه أن يُفسد بعضاً، وقَدَر على إمساك كلِّه، وجعله يُمسك بعضه بعضاً عن أن يبطل أو يَفسد إلاّ بأمره وإذنه؛ فذلك كان حكيماً. ويقال في كلام العرب: أحْكَمْتُ الشيء، أي استوثقت منه ومنعته أن يفسد؛ وأحكمت البناء، أي بَنَيته بناءً لا يَتَداعَى. ويقال: أحْكَمْت الرجل عن الشيء، إذا منعته عنه: ويقال: حَكَمْتُ الغلام أحْكُمُه، أي منعته عن الفساد، وأحْكَمْتُه أيضاً، لغتان. قال جرير:

أبـنـي حَـنـيـفـةَ أحْـكِـمُـوا سُـفَـهَـاءَكُـم
إنّـي أخـاف عـلـيـكُـمُ أن أغْـضَـبَـا ١٥٩[1]

أي امنعوهم من التعرُّض لي. ومنه سُمِّيت «حَكَمَة اللِّجام» لأنها تمنع الدابّة. والحاكِم يحكُم بالشيء، فيمنع الناس من الظلم. وقال عَدِيّ بن زيد[2]:

أعـاذِلَ مـن لا يـحْـكُـمِ الـنـفـسَ خَـالِـيـا
عـن الـغَـيِّ لا يَـرْشُـدْ بـطـول الـتـفَـنُّـدِ ١٦٠[3]

وقيل للرجل «حكيم». قالوا: ولا يُسمَّى حكيماً حتى يجمع العِلْم والعَمَل، كأن عِلْمه مَنعه من المعاصي، فعمل بطاعة الله، ولأن عمله[4] يثبِّت، فإنه يعلم عمله[5]، فأمسك عِلْمه عَمَلَه، لأن كلّ عمل بلا علم فهو باطل.

---

(١) د جرير ٥٠ ول/ حكم. قال الزمخشري (الأساس/ حكم): حكمت السفيه تحكيماً وأحكمته إحكاماً إذا أخذت على يده أو بصرته ما هو عليه، والشاهد قول جرير: أبني حنيفة أحكموا... البيت.

(٢) هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب بن زيد مناة من تميم. وفي الشعر والشعراء ٢٤ ذكر القتبي أن العلماء لا يرون شعره حجة، لأن شيئاً كثيراً حمل عليه. وعده ابن سلام في طبقاته/ هل ٣٠ - ٣٢ وشاكر ١١٥ و١١٧ - ١١٨ في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء موضعهم مع الأوائل. وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة. اطلب أخباره في الأغاني ١٧/٢ - ٤٣.

(٣) اطلب الشاهد في باب الحكمة والحكيم. وفي رواية شعراء النصرانية ٤٦٥/١:
أعـاذل مـن لا يـصـلـح الـنـفـس خـالـيـاً   عـن الـلـب لا يـرشـد لـقـول الـمـفـنـد

(٤) كما في ي و س و ع. م و ح: علمه. والظاهر: يثبته.

(٥) كما في س و ع. م و ح: لأنه يعمل بعلم. ي: فإنه يعمل عمله.

قال[1]: فالله عزّ وجلّ أحكم كل شيء خَلقه، فحجز بين المتضادّات بالْمشاكلات، وجعلها مُصلحة[2] بينها، محجز بين الْحرّ والبَرْد بالبَلَل والْيبْس، وجعلها يَحصُر بعضها بعضاً، ويجمع بعضها قُوَى بعض، ويُفَرّق بعضها أجزاء بعض، قِواماً للعالم، وصَلاَحاً للَحرْث والنّسل، ولم يُعجزه شيء أراده من ذلك، فاعتدل العالم وما فيه بحِكمته، فهو الحكيم بمعنى الْمُحكِم لإحكامه خلقه. تبارك الله الحكيم.

(١) كذا في ع. وقال ناقص في الأصول الأخرى. والقائل هو صاحب الزينة، كما ذكر اسمه في أواخر الأبواب في الأجزاء الأخيرة.

(٢) كذا في ي و س و ع. م و ح: مصالحة.

باب الواسع الكريم

ومن صفاته عزّ وجلّ «الوَاسِع»، وهو الغَنيّ.

[الواسع الغني] يقال: أعْطَى من سَعَة أي من غِنَى. قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[1]، ذو الغنيَ من غِناه. وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ والسَّعَةِ أنْ يُؤْتُوا أولي الْقُرْبَى﴾[2]، بمعنى أولو الغِنَى. قال أبو عبيدة في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]: أي جَواد يَسَع [١٠٧] لما يُسأل[4]. ويقال: وَسَّعَ الله على فلان. أي أغناه.

[الكريم الصفوح] و«الكَرِيم»، يقال هو الصَّفُوح عن الذنوب. قال المفسرون في قوله عزّ وجلّ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[1]، قال الصَّفوح. وكذلك قالوا في قوله ﴿إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[2]، أي صفوح.

[الكريم المرتفع الفاضل] وقال أهل اللغة: الكريم المرتفع من كل شيء. يقال: فلانٌ أكرمُ قومه، أي أرفعهم منزلة، وأعظمهم قدراً، وأنبلهم في نفسه. وكذلك يقال في كلّ شيء ارتفع عن منزلة نُظرائه. يقال: فَرَسٌ كريم، إذا كان أشهر الأفراس فراهة، وشَجرةٌ كريمة، أي ناعمة حسنة التثمير نضرة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[3]. وهذه صفة

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٢) سورة النور: الآية ٢٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(٤) المجاز ١/٥١.
(١) سورة الانفطار: الآية ٦.
(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٧ وسورة لقمان: الآية ١٠.

يوصف بها أصناف كثيرة من الخلق من الناس والدوابّ والنبات والشجر وغير ذلك. وكلّ شيء وُصِف بالكرم فإنما يُراد به الارتفاع والشرف والفضل. ومنه يقال: أكْرَمت فلاناً وكَرّمْته، أي رفعته وبَجّلته وفضّلْته. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّي أُلقِي إليّ كِتَابٌ كريمٌ﴾[1]، أي شريف. ويقال سُمّي كريماً لأنه كان مختوماً. ويقال سمّي كِريماً لشرف صاحبه. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ندخِلكمْ مدخَلاً كَرِيماً﴾[2] أي فاضلاً. و[قال]: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3]، أي فاضل. وقال: ﴿أرأيْتَكَ هَذَا الّذِي كرّمْتَ عَلَيّ﴾[4]، يعني فضّلته علَيّ ورفعته فوقي. وقال: ﴿ولَقَدْ كرّمْنا بَنِي آدَمَ﴾[5]، أي شرفناهم وفضّلناهم على سائر الخلق. قال أبو عبيدة: كرّمْنَا أي أكرمنا إلاّ أنها أشدّ مبالغة في الكرامة[6].

[الكريم الذي لا يمن] وقال غيره: ويقال الكريم الذي لا يمُنّ إذا أعطى فُيكدّر العطيّة بالْمنّ. وقال الأعشى[7]:

رَبّـي كـريـمٌ لا يُـكـدّر نـعـمـة

وإذا تُـنُـوشِـدَ فـي الْـمَـهـارق أنْـشَـدَا ١٦١[8]

فقيل لله عزّ وجلّ «واسِع كريم» لأنه غنيٌّ عن خلقه، يُعطي خلقَه لِغناه

---

(١) سورة النمل: الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٣١.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٤.

(٤) بني إسرائيل ١٧/٦٢.

(٥) بني إسرائيل ١٧/٧٠.

(٦) المجاز ١/٣٨٦.

(٧) ي و س و ع: وقال عدي بن زيد. حاشية س: قيل إنه للأعشى. م و ح: وقال الأعشى. ورد الشاهد في الصبح المنير ١٥١ وصح/ نشد، فقال الجوهري: وقول الأعشى: ربي كريم... البيت.

(٨) رواية ثعلب (الصبح المنير ١٥١): وإذا يناشد. وفي صح/ نشد: قال: قال أبو عبيدة: يعني بقوله «ربي» النعمان بن المنذر إذا سئل بكتب الجوائز أعطى، وقوله تنوشد هو في موضع نشد أي سئل. والمهارق جمع مهرق. قال الجوهري (صح/ هرق): المهرق الصحيفة فارسي معرب. وأدى شير في الألفاظ الفارسية ١٤٨: تعريب مهره بضم الميم اهـ. وتقلب الهاء قافًا، كما ذكره المؤلف في فصل النحو والإعراب (٨٧).

عمّا يَهَبه لهم، وهو يعطي من سَعَة، لا تنقصه العطايا، وهو الكريم لأنه صفوح عن ذنوبهم، مرتفع عنهم، غالِب لهم بالسلطان والمُلْك، لا يَمُنّ بالعطاء، فهو الواسع الكريم عزَّ وجلَّ.

باب الوهاب والواهب والجواد والغني

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الوَهَّاب» و «الوَاهِب».

فالواهِب هو الذي لم يبخل على خَلقه، فوَهَب لكلّ ما يحتاج إليه. والوهّاب لأن من شأنه الهِبَة، فخَلق الْخَلق كلَّه ووَهَب بعضه لبعض، ولم يبخل بشيء منه فيحبسه، لأنه غني عنه، غير محتاج إلى شيء منه، بل وهبه كلَّه لحاجة بعضه إلى بعض، وجادَ به، واستغنى عنه، إذ لم يخلقه لحاجة منه إليه، ولا حَبَسهُ بخلاً به.

والجوَاد في لغة العرب هو الذي يتفضّل على من لا يستحقّ، ويُعطي من لا يسأل، ويعطي الكثير، ولا يخاف الفقر. وهو الذي يَهَب الشيء بلا تقدير، بل يهب كثيراً حتى لا يُقادَر قَدْرُه. فلذلك يقال له الْجواد والوَهَّاب. ومنه قيل: مَطَرٌ جَوْدٌ، إذا جاء كثيراً بلا مقدار. وقالوا: فَرَسٌ جَوادٌ، لأنه يَعْدُو عَدْواً كثيراً قبل أن يطلب منه[1].

فالله عزَّ وجلَّ عطاياه لا تُحصَى، وهو يَجُود على من لا يسأله، ويعطي من لا يستوجب، وهِباته لا يُقادَرُ قَدرُها، وهو يَهَب بلا مقدار لِغناه عنها. فهو الواهِب الذي لا يبخل على خلقه، الوهّاب الذي يَهَب كثيراً، الْجواد الذي لا تُحصَى عطاياه، الغنيُّ عن الأشياء كلّها. تبارك الله وتعالى.

---

(١) وردت بعد «أن يطلب منه» في م و ح العبارة الآتية وهي ناقصة في ي و س و ع: «قال زهير:

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً، ويظلم أحياناً فيظلم

فقوله: يعطيك نائله عفواً، أي ابتداء من غير مسئلة» اهـ. والشاهد في د زهير/ العقد ٩٧.

باب اللطيف الخبير

ومن صفاته عزّ وجلّ «اللطيف الخبير».

[اللطيف] قال الحكيم. لأنه لَطَفَ[1] في صُنْعه لرأفته ورحمته، فلم يَدَع شيئاً من لَطيف صُنْع إلاّ خَلقه بحكمته، ولَطَفَ لكلّ ما يحتاج إليه خَلقُه رحمة منه بهم، ولم يعلم شيء من [١٠٨] خَلقه ما يحتاج إليه لنفسه ولا قدر على صنعته. فلما نظَر إليهم وهم محتاجون لَطَف لهم أن خَلق لكل ما يحتاج إليه، ولم يُؤهلهم أن يخلقوا لأنفسهم فيكونوا خالقين مثله. بل خَلقه فوَهَبه لهم، فقيل له لَطيفُ لرِفْقه بهم، وعِلْمه بما يصلحهم. واللُّطْف[2] في معنى الرِّفْق والعِلْم بالشيء. يقال: فلانٌ لَطيف الكفِّ، أي رفيقٌ بعَمَله[3]، عالِم به، حَسن التأنّي له. ويقال: ألطِفْ لفلان في هذا الأمر، إذا أمَره أن يَتأنّى له من وَجْه يخلص إلى بغيته منه. فالله عزّ وجلّ لَطَف[4] للخلائق كلِّهم حتى وصلوا إلى ما يصلحهم بلُطفه. تبارك الله اللطيف بعباده وتعالى علوّاً كبيراً.

[الخبير] والخبير العالِم بالشيء. يقال: فلانٌ يخبُرُ هذا الأمر. أي يعلمه، وهو خُبْرٌ به[5] وخَبيرٌ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

---

(١) في ل/ لطف قال: يقال لطف (بالفتح) به وله لطفًا إذا رفق به. وأما لطف بالضم فمعناه صغر ودق.

(٢) س و ع: واللطيف.

(٣) كما في ي و ع. م و ح و س: رفيق بعلمه.

(٤) كما في ي و س و ع. م و ح: لطيف.

(٥) وفي ل/ خبر قال: تقول «لي به خبر». فالخبر بفتح الخاء وكسرها والخبرة والمخبرة كله العلم بالشيء.

﴿الْخَبِيرُ﴾[1]. وقال: ﴿فَاسْأَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]، أي عالماً به عارفًا له. فالله تعالى خبير بالأشياء كلّها، لا يخفى عليه منها شيء، فهو خبير بها. تبارك الله الخبير.

(١) سورة التحريم: الآية ٣.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩.

باب الجليل العلي العظيم المتعالي

ومن صفاته عزّ وجلّ «الْجليل» وهو العظيم.

[الجليل العظيم] قال الحكيم: وإنما قيل جليل عظيم، لأنه خَلق الْخَلق الجليل العظيم. فاستدللنا عليه بهذا الخلق الجليل العظيم، وعلمنا أنه أجلّ وأعظم مما خلق، لأن الْخَلق الجليل العظيم - وإن كان جليلاً عظيماً - فإن الحواسّ قد أحاطت به، والمشاعِر قد حَوَتْه؛ والخالِق جلّ وعزّ عن أن يُحيط به الحواسّ، أو تبلغه المشاعِر، فقلنا: هو أجل وأعظم من أن تحيط به الحواسّ، أو تبلغه المشاعر، أو تُدركه الأوهام، أو تبلغه الخطرات. وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. فعجز المخلوقون عن درَكه بوجه من الوجوه، واعترفوا بالعجز على أنفسهم، لأنهم لا يقدرون على جَلِيته[1]، ولا تبلغ قوتهم دَرَك كيْفِيته، ففزعوا إلى أسمائه، والْتَجؤوا إلى صِفاته، وأقرُّوا أنهم لا يُدركون ذاته لتَعاليه عنهم، وتعظّمه عن أوْهامهم[2]. فاستغاثوا باسمه «الله»، ثم وَصَفوه بالجلال والتعالي والعظمة، فقالوا: لا حَوْل لنا ولا قوة إلى دَرَك معرفته إلاّ باسمه والالتجاء إليه وإلى صفاته. فاسمه: الله، وصفاته: الْجليل العليّ العظيم الْمتعالي، فقالوا: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم. فالجليل من الجلالة، والجلال هو العظمة، فكأن الْخلق لما عرفوا جلاله وعظمته، ولم يقدروا على بلوغ صفته، واعترفوا بالعجز، تذَلّلوا بالخضوع، فقالوا: يا ذا الجلال والعظمة!

---

(١) ي و س و ع: على حيلة. والجلية الخبر اليقين وجلية الأمر حقيقته. وفي ل/ جلا قال نقلاً عن ابن بري: الجلية البصيرة.

(٢) كما في ي و س و ع. م و ح: أفهامهم.

[العلي المتعالي] والعَليّ من العُلوّ. قال أهل اللغة في معنى قولهم «تبارك وتعالى»: تَبَارَكَ تَفَاعَلَ من البَرَكة، وتَعالَى من العُلوّ. قالوا: ويجوز في صفته «مُتَعَالٍ»[1]، ولا يجوز «مُتَبارك». قالوا: ولم نسمع ذلك في صفاته، وننتهي فيها إلى حيث انتهى. ولا يجوز لنا أن ننطق فيها إلاّ بما جاء عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة. والمتبارِك المتَفاعِل من البركة. وأنشد:

إلى الجِذْعِ جِذْعِ النَّخْلةِ المُتَبارِكِ

وأصله من النماء والزيادة. حَكى أبو بكر القارىء[2] أن أعرابِياً جَدَحَ[3] لآخر سَويقاً، فقال: خُذْ من قبل أن يَتَبَارَك. يريد: من قبل أن يَرْبُو ويَغْلظ.

قال الحكيم: قلنا تَبارَك لأنه خَلق الخَلق كلّه، وبارَكَ فيه، وقَدَّر لكلّ قُوتَه، ولم يَبْخَس شيئاً حظّه، فمنه ظهرت البركة. وقلنا: تَعالَى، لأنّا رفعناه عن خَلقه، وقلنا في صفاته على خلاف صفات [١٠٩] المخلوقين. فَتَعَالَى عن أن يَناله أحد بكيفيَّته، فيصفه بها؛ واتَّضَعَ الخَلق كلُّه، ولم يمتنع من الصفات؛ فقيل: تَعالَى الله عن صفات المخلوقين. فلزم المخلوقَ اسمُ الصفة، ولزم الخالِق اسم العلوّ والربوبيّة. تبارك وتعالى جلَّ وعزَّ عن الصفات، وهو الجليل عنها العليّ. قال أبو عبيدة في قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾[4]. قال: تَعالى مجازه عَلاَ عن ذلك.

[تعالى جد ربِّنا] وأما قولهم في الدعاء: تَعالَى جَدُّكَ، قال بعض أهل اللغة: الجَدُّ عظمة الله. من قوله: ﴿تعالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[5]. والجِدّ بالكسر

---

(١) ي و س: متعالي.

(٢) لم نعثر على أبي بكر القارىء. وإنما ذكر اسم أبي بكر المقري العطار. روي عن ثعلب. وله ترجمة في بغية الوعاة ٣٦.

(٣) كما في ي و س. م و ح: جذع، فيه تحريف. ع: خرج. في حاشية س: جدح السويق لته.

(٤) الأغلب أن صاحب الزينة يشير إلى تفسير أبي عبيدة الآية (الروم ٣٠/٤٠). والمصور من مخطوط مراد منلا للمجاز مخروم في هذا الموضع، فقرأنا: سبحانه وتعالى عما يشركون [مجازه علاء] من ذلكم شيئاً.

(٥) سورة الجن: الآية ٣.

الاجتهاد والمبالغة. وأنكر قوم أن يقولوا في الدعاء: تعالى جَدُّك، فقالوا: تعالى ذِكْرُك. كأنهم فَرُّوا من التشبيه، وقالوا: الذي في القرآن «تَعالَى جدُّ رَبِّنَا»، هو قول الجن حكاية عنهم. وخَطَّأهم الآخرون، فقالوا: إن الله عزَّ وجلَّ وَصَف هؤلاء الجنّ بأنهم مؤمنون، ومَدَحهم، فقال: ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[١]. وفي الحديث: كان الرجل مِنّا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا[٢]. معناه عظم فينا وجلَّ مقداره.

[الجد] والجدّ أبو الأب وأبو الأمّ. وكذلك الجدّة أم الأب وأمّ الأمّ. وكلُّ من عَلاَ في الأُبوّة، وصار مُعظَّماً مُبَجَّلاً مُفضَّلاً لِسنّه.

والْجدّ في غير هذا هو البخت. يقال: فلان مجدود في هذا الأمر، أي مَرْزوقٌ ذو حَظٍّ منه. وفي الدعاء: ولا ينفع ذا الْجد منك الْجدُّ، أي من لم يُساعِده القضاء من الله عزَّ وجلَّ فيما قسمه له من الرزق لم ينفعه جَدُّه. وقال آخرون: لا ينفع ذا الِجدّ يعني الِجدّ هو الاجتهاد ويقال: جَدَّ في الأمر جِدّاً إذا اجتهد فيه، أي لا ينفع المجتهد اجتهاده إذا لم يساعده القضاء من الله فيما قسمه له من الرزق.

وفي مثل العرب: اسْعَ بِجِدِّه أو دَع. وفي مثل آخر: جَدُّك لا كَدُّك. أي أن المرء إذا لم يكن مَجدُوداً لم ينفعه السَّعْي والكَدّ.

---

(١) سورة الجن: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) حم ٣/ ١٢٠ نصه: عن أنس أن رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ، وقد كان قرأ البقرة وآل عمران فجد فينا، يعني عظم.

باب الشكور الحميد

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الشَّكُورُ الْحمِيدُ».

[الشكور بمعنى شاكر ومشكور والحميد بمعنى حامد ومحمود] فالشكور بمعنى الشاكِر، وبمعنى مَشكُور. وكذلك الحميد بمعنى حامِد وبمعنى مَحمود. قال أبو عبيدة: الحميد معناه المحمود. وحَمْد الله هو الثناء عليه بصفاته الْحسنى، وشُكْره الثناء عليه بنِعَمه. يقال: حَمِدت الرجل إذا أثْنيت عليه بصفاته، بكرم أو حسب أو شجاعة وأشباه ذلك، وشكرته إذا أثنيت عليه بمعروف أوْلاَكه أو خير فَعَله بك. ومن شكر فقد حمد، لأن الشكر يجمع الحمد والشكر جميعاً. وإذا شكرت الرجل بمعروف فَعَله فقد وصفته بالسخاء والكرم، وهو حَمْد. وليس كلُّ من وَصَفَ رجلاً بسخاء أو كرم من غير أن يُصْطَنَع إليه يكون قد شكَرَه. وأصل الشكر إظهار النعمة والحديث بها. قال الله: ﴿**وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[1]. أمر بإظهار النعمة والحديث بها من الْمُنعَم. وقال: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أنْعَمتُ عَلَيْكُمْ**﴾[2].

[ضد الشكر الكفر] وضدّ الشكر الكُفْر. ويقال كَفَرَ النعمة إذا سَتَرَها ولم يُثْنِ على الْمنعم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**اشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونَ**﴾[3]. يقال: شكرته وشكرت له. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**لَئِن شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[4]. فجعل ضدّ الشكر الكفر. وقال النابغة:

---

(١) سورة الضحى: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآيات ٤٠ ـ ٤٧ ـ ١٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٧.

شَكَرْتُ لكَ النُّعمى فأثنيتُ [١١٠] جاهِداً
وعَطَّلْتُ أعْراضَ العُبَيْدِ بن عامِرِ ١٦٣[(١)]

فقد أعلمه أنه شكر النعمة بالثناء عليه جاهداً: وقد ذكرنا ذلك في باب الحمد والشكر بأكثر من هذا.

[الشكور من يقنعه القليل] والشكور من الناس الذي يَرضى بالقليل من العطاء. يقال: فلان شكور، إذا كان يُقنعه القليل. ومن أجل ذلك يقال لمن قُدِر عليه الرزق[(٢)]. اشكر الله، أي اقنع بالقليل. وكذلك لمن يُمنع شيئاً أو يُسلب شيئاً يقال له: اشكر الله أي أرض بما قسم الله. ويقال: دابّة شَكور، إذا كانت تسمن على القليل من العلف. وقال الشاعر[(٣)]:

ولا بُدَّ من غَزْوَةٍ في المَصيـ ـفِ رَهْبٍ تُكِلّ الوَقاحَ الشَّكورا ١٦٤[(٤)]

وإنما قيل للدابّة إذا سمنت على القليل من العلف «شكور»، لأن أثر ذلك العلف القليل ظهر عليها.

فكأن الله عزَّ وجلَّ سمّى نفسه شكوراً، لأنه يرضى من عباده القليل من العبادة. وأقل ما يجب على عباده أن يُوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإذا فعلوا ذلك فقد تضمّن عزَّ وجلَّ لهم أن يغفر ذنوبهم إذا شاء لمن شاء. فقال عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**[(٥)]. تبارك الله الشكور الحميد.

---

(١) ليس الشاهد في ديوانه. حاشية س: النعمى النعمة، إذا ضمت نونها فهي مقصورة، وإن فتحت فهي ممدودة. وفي ق/ عبد قال: بنو العبيد بطن.

(٢) قدر عليه رزقه أي ضيق عليه.

(٣) هو الأعشى الأكبر ميمون بن قيس.

(٤) ي و س و ع: في المصيف وهب. م و ح: . . . وهب. الصبح المنير ٧٢ برواية ثعلب: في المصيف حت. روى أبو عمرو: رهب. ل/ رهب: رهب. ل/ شكر وحجن: في الربيع حجون. والرهب نعت للغزوة وهي التي تكل ظهرها. حاشية م: هب البعير في السير هبابا أي نشط. وفي ل/ حجن قال: والغزوة الحجون التي تظهر غيرها ثم تخالف إلى غير ذلك الموضع ويقصد إليها، ويقال هي البعيدة. وقال ثعلب: الحث السريعة.

(٥) سورة النساء: الآية ٤٨ و ١١٦.

باب المجيد والماجد

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الْمجيد والماجِد».

[الماجد والمجيد] وهما في وزن فَعيل وفاعِل وهو مأخوذ من الْمجد. والمجد الجلالة والعظَمة والشرف. وقد يوصف الإنسان بالمجد، فيقال: رجل ماجِد، ولا يقال: مجيد، لأن الماجد هو الذي يفعل المجد بالاكتساب، والمجيد هو مَعدِن المجد. ومثاله: حكيم وحاكِم، فالحاكم الذي يفعل الْحكْم، والحكيم هو معدن الحكمة، وهو الذي منه اقْتُبست الأحكام. قال الْحطيئة في الماجد:

إلى ماجِد الآباء فَرْعٍ عَثَمْثَمِ ١٦٥[(١)]

وقال النابغة:

لهم لِواءٌ بكفَّيْ ماجِدٍ بَطَلٍ
لا يقطع الْخَرق إلاّ طَرْفُه سَامِ ١٦٦[(٢)]

وقال أيضاً:

أَبُوهُ قبْلَه وأبُو أبيه
بَنَوْا مَجدَ الحياة على إمَامِ ١٦٧[(٣)]

---

(١) د الحطيئة ٩٩ برواية السكري: قرم عثمثم. ومدح الحطيئة علقمة بن علاثة قائلاً:
إلى القائل الفعال علقمة الندى   رحلت قلوصي تجتويها المناهل
إلى ماجد الآباء قرم عثمثم   له عطن يوم التفاضل آهل

(٢) د النابغة/ العقد ٢٧. حاشية س: الخرق الأرض الواسعة.

(٣) نفس المرجع ٢٩. حاشية س: الإمام خشبة يستوي عليها البناء. والإمام الذي يقتدى، وجمعه الأئمة.

يعني بَنَوا شَرَفا يتوارثونه على مثال واحد. وقال الكميت:

حـيـاتُـك كـانـت مَـجْـدَنـا وسَـنـاءَنـا
ومـوتُـك جَـذْعٌ لـلـعـرانـيـن مُـوعِـبُ ١٦٨[1]

[الماجد المتناهي في الشرف] ويقال: الماجِد المتناهي في الشرف والسؤدد. وفي مثل للعرب: في كلّ شجر نار، واسْتَمْجدَ الْمرْخُ والعَفَار، أي في كل شجر نار ولكن المرخ والعفار قد تناهيا فيه حتى يُقتبس منهما[2]. وقال أبو عبيدة: المجيد معناه الماجد. وقال الكسائي: يقال من الماجِد مَجدَ يَمْجد مَجادَة ومَجداً[3]. وفي الحديث: كان سَعْد بن عُبادة يقول: اللهمّ هَبْ لي حمداً ومجداً، فإنه لا حَمْد إلا بمال، ولا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال. وقيل لله عزّ وجلّ ماجد ومجيد، لأنه تمَجَّد، وكان معدناً للمجد والجَلالة والعظمة تامّاً فيه.

[التمجيد] ومنه قيل: فلان يُمَجِّد الله، أي يعظّمه ويُثني عليه ويَذكر آلاءه وعظمته. والتمجيد هو القول من العبد في تعظيم الله عزّ وجلّ والثناء عليه، كأنه يصفه بأفضل الصفات، ويصفه بالعظمة التامة.

وقيل له عزّ وجلّ «ماجِد»، لأنه هو الذي يُمَجِّد عبيده، أي يعطيهم الفضل والشرف ويفعل بهم المجد. وقيل له «مجيد»، لأنه معدن للمجد، وله المجد التام. تبارك الله المجيد الماجد.

---

(١) د الهاشميات ٤٢: حاشية س: موعب مستأصل. قال الشارح: جدعه فأوعب أنفه أي استأصله.

(٢) في الكشاف ٣٦/ ٨٠ قال: يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منها الماء، فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى، فتنقدح النار بإذن الله. راجع أيضاً مجمع الأمثال للميداني ٢/ ١٨ ول/ مجد.

(٣) ل/ مجد: وقد مجد يمجد مجداً فهو ماجد، ومجد بالضم مجادة فهو مجيد.

باب الودود

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الوَدُود».

[الود الوصلة] وهو من الوُدّ والمودّة، وهي الوُصْلة على محبة. والودود فيه قولان: فَعول بمعنى مفعول، مثل هَيوب بمعنى مَهيب، ويكون فَعول بمعنى فاعِل، مثل غَفور بمعنى غافِر. ويحتمل المعنيين ها هنا جميعاً. يكون بمعنى الفِعْل لله عزّ وجلّ، أي يَوَدّ عباده الصالحين، وبمعنى مفعول، أي [١١١] يوده عباده الصالحون، فكان الود بينه وبين عباده الصالحين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾[(١)]، يعني وُصْلَةً على محبة، لأنهم أحبوه فوصلوه بالطاعة له وإخلاص العبادة، وأحبهم فوصلهم بالرضى عنهم والمغفرة لهم.

[الود بالفتح] والوَدّ بفتح الواو هو صنم كان في الأمم الماضية. قالوا: وَدّ وسُواعٌ ويَغُوثُ ويَعُوقُ ونَسْرٌ، كانت في الزمن الأول فغرّقها الله بالطوفان. فلما نَضَبَ الماء عن وجه الأرض أخرجها إبليس فبَثّها في الناس. فيقال: إن وَدّاً كان في بني كلب[(٢)]. وقد ذكرنا ذلك في باب الأصنام. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً﴾[(٣)]. ولست أدري أهو بالعربية أم بغيرها من الألسنة.

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٢) في ل/ ودد قال: الود صنم كان لقوم نوح، ثم صار لكلب، وكان بدومة الجندل، وقال هشام بن محمد الكلبي (الأصنام ٥٤ ـ ٥٦): وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر الأجدار. فقاتلهم حتى قتلهم، فهدمه وكسره.

(٣) سورة نوح: الآية ٢٣. وفي ل: ودد قال: قال أبو منصور، أكثر القراء قرؤوا ودا بفتح الواو، وقرأ نافع ودا بالضم.

والوَدِّ أيضاً الوَتدِ[٤]. قال: وسمّي بذلك لأن الحبل يُربَط إليه ويُوصَل به.

(٤) الجوهري (صح/ ودد): الود بالفتح الوتد في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء فأدغموها في الدال. وفي ل/ ودد: ابن سيده وغيره: الود الوتد بلغة تميم. فإذا زادوا الياء قالوا: وتيد.

باب الباعِث

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «البَاعِث».

[الباعث المثير المنهض] والباعِث في كلام العرب الْمُثير الْمُنهض. يقال: بَعَثْتُ البعير، أي أثَرْتُه وأنهضته من مَبْرَكه. وكذلك بعثت الرجل، أي أثرته من مكانه الذي تمكّن فيه أو اضطجع فيه. قال الأعشى:

مَـهْـلاً بُعَـنَـيَّ فـإنّ الـمـرء يَـبـعَـثُـه
هَـمٌّ إذا خـالَـطَ الْـحَـيْـزومَ والـضِّـلَـعَـا ١٦٩[1]

يعني إذا كان في صدره هم أثاره ذلك الهم للأمر الذي يهتم له. وقال آخر:

الـبـاعِـثُ الـنُّـوَّحَ فـي مـأْتِـم
مِـثْـلَ الـظِّـبـا الأبْـكـار بـالْـجـرَدِ ١٧٠[2]

الباعث المثير. والنوَّح جماعة النساء في المأتم. وقال آخر:

ولا تَـبْـعَـثِ الأفْـعَـى تُـداوِر رأسَـهـا
ودَعْـهـا إذا مـا غـيَّـبَـتْـهـا سَـفـاتُـهَـا ١٧١[3]

أي لا تُثر الأفعى من الموضع الذي قد رقدت فيه. وقال عديّ:

---

(١) الصبح المنير ٧٣. حاشية س: الحيزوم الصدر.

(٢) الأصول كلها: مآتمه. والوزن إنما يستقيم بجعلها مأتم. ناحت المرأة تنوح نوحاً ونياحاً. والاسم النياحة. ونساء نوح وأنواح ونوح بتشديد الواو ونوائح ونائحات (صح/ نوح). حاشية س: الجرد فضاء لا نبات فيه.

(٣) رواية ابن بري (ل/سفا): فلا تلمس الأفعى يداك تريدها... البيْت. ي و س و ع: تداور. م و ح: تزاول. حاشية س: السفاة التراب.

إذا ما رأيتَ الشرَّ يَبْعَثُ أهلَهُ

وقامَ جُناةُ الغَيِّ للغَيِّ فاقْعُدِ ١٧٢[١]

يبعث أهْله أي يُثيرهم. وقال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ الله غُرَابًا يَبْحَثُ في الأَرْض﴾[٢]، أي أثاره.

[**باعث الخلائق بعد الموت**] فقيل لله عزَّ وجلَّ باعِث، كأنه تبارك وتعالى يبعث الخلائق بعد الموت، أي يُثيرهم من القبور ويُنهضُهم من مضاجعهم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا وَيْلَنَا مِن بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنَا﴾[٣]. وقيل ليوم القيامة «يوم البَعْث»، لأن الخلائق يُبْعَثون فيه، أي يُثارون من قبورهم ويُنْهَضون. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَهـذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ولَكِنَّكُمْ كُنْتُم لاَ تَعْلَمونَ﴾[٤]. وقال أبو عبيدة في قوله: «بَعَثْنَاهُم»: أي أحْيَيناهم[٥]. ويوم البعث يوم الحياة.

[**باعث الأنبياء**] ويكون الباعث أيضاً مأخوذاً من بَعَثَ الأنبياء والرسل إلى الناس. أي أثارَهم من بينهم بالرسالة وأنهضهم لذلك، كأنهم كانوا ساكنين بين الناس؛ فلما أوحى إليهم ثاروا من بينهم، فكأن الله قد أثارهم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٦]، أي أثارهم من بين القبائل والشعوب بعد أن لم يعرفوا قبل ذلك بشيء منه.

والمعنيان جميعاً صحيحان جائزان في صفة الله عزَّ وجلَّ، لأنه باعث الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولا باعث غيره؛ وهو باعث الخلائق من قبورهم يوم البعث، لا باعث سواه. تبارك الله الباعث.

---

(١) شعراء النصرانية ٤٦٦: وقام حناة الشر بالشر فاقعد.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣١.
(٣) سورة يس: الآية ٥٢.
(٤) سورة الروم: الآية ٥٦.
(٥) سورة الكهف: الآيات ١٢ و ١٩ والمجاز ١/٤٩٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

باب الوارث

ومن صفاته عزَّ وجلَّ: «الوارِث».

[إرث الشيء أصله وبقيته] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنَّا نحنُ الوَارِثِينَ﴾[١]. والوارث مشتق من الإرْث. وإرث كل شيء أصله وبقِيَّته. وفي الحديث عن النبي ﷺ: اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام[٢]. يعني على أصله وعلى بقية شرف منه. قال الشاعر[٣]:

فـــي إرْث عـــادِيَّـــةٍ عـــزًّا ومَـــكْـــرُمَـــةً
فـيـهـا مـن الله صُـنْـعٌ غـيـرُ ذي خَـلـلِ ١٧٣

إرث عادية يعني بقية عزِّ وشرف لقوم قد درجوا، فبقى ذلك في أعقابهم. [١١٢] قال الهذلي[٤]:

فـيـنـظـر فـي صُـحُـف كـالـرِّبـا ط فـيـهـنّ إرْثُ كـتـاب مَـحِـيُّ ١٧٤[٥]

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٨.

(٢) نس الحج ٢٠٢ نصه: عن يزيد بن شهبان قال: كنا وقوفًا بعرفة مكاناً بعيداً من الموقف. فأتانا ابن مربع الأنصاري، فقال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، يقول: كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام.

(٣) هو الحطيئة قال يمدح طريف بن دفاع الحنفي (د الحطيئة ٤٨):

مــبــرأ عــرضــه راع أمــانـــتــه فـلـيـس يـغـتـالـهـا بـالـعـجـز والـدغـل
فــي إرث عــاديــة عــز ومــكــرمــة فـــيـــهـــا...... الـــبـــيـــت

قال السكري في شرحه: إن صحت الرواية بفتح العين فالمعنى ذات عز أي غلبة.

(٤) م: قال الهذلي هو أبو ذؤيب.

(٥) د الهذليين ١/ ٦٥ والمفردات/ ورث. م: فنمتم في صحف... البيت. ومحي فعيل بمعنى مفعول.

قال الإرث أصل الكتابة وبقية منها بعد أن امَّحى. وأنشد أيضاً:

وأشْعَثَ في الدار ذي لِمَّة   لدا إرْث حَوْض نفاه الأتِيُّ ١٧٥ (١)

يعني بقية حوض قد بقي أصلهِ بعد أهله. وقال آخر(٢):

عَفا غَيْرَ إرْث من رَماد كأنه   حَمَامٌ بألْباد القِطار جُثُومُ ١٧٦ (٣)

إرث من رماد أي بقية من رماد، بقيَ من آثار الدار.

والميراث أخذ من ذلك. يقال للميراث أيضاً إرْث، لأنه بقية من سَلَف على خَلف قد بقي بعد موتهم، فسمِّي ما يبقى بعدهم إرثاً وميراثاً. وقيل لمن يحويه وارِث.

[العلماء ورثة الأنبياء] وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لعليّ كرّم الله وجهه: أنت أخي ووارثي. قال: ما إرْثك يا رسول الله؟ قال: ما أورثت الأنبياء قبلي، كتاب الله وسُنتي. فلم يَعْن ﷺ أنه حازَ الكتاب والسنة دون الأمّة(٤)، ولكنه كان وارث علم الكتاب وعلم السنة، فكأنه وارث الكتاب والسنة. وفي الحديث: العلماء وَرَثة الأنبياء. كأن العلم هو بقية من الأنبياء(٥). وكذلك الكتاب والسنة هو البقية التي تركها النبي ﷺ من بعده. ومن أجل ذلك سَمَّت اليهود التوراة «أوريثاً»، يعنون أنه الكتاب الذي ورثوه عن موسى عليه السلام(٦).

فقيل لله عزَّ وجلَّ وارِث، لأنه يبقى بعد فناء الخلائق الذين ملكوا

---

(١) نفس المرجع ١/٦٦. وأشعث بالجر عطف على «هامد» في البيت السابق:

فلم يبق منها سوى هامد   وسفع الخدود معاً والنؤى

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلي.

(٣) د الهذليين ١/٢٢٧. جثوم جمع جاثم. وفي ل/ جثم: جثم الإنسان والطائر جثماً وجثوماً فهو جاثم لزم مكانه فلم يبرح أي تلبد بالأرض. وقال الشارح: الألباد ما لبده المطر وهو القطار، أي كأنه حمام جثوم قد لبده القطر.

(٤) ع: الأمم.

(٥) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن ابن النجار عن أنس، ونصه: العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة.

(٦) اطلب باب التوراة فيما يلي.

الممالك، فلا يكون مالك غيره. والخلائق وإن كانوا وما يملكون في هذه الدنيا في ملكه فإنه عزَّ وجلَّ وَهَب لهم ممالك الدنيا لغناه عنها. فإذا بادوا وهلكوا وبقيت ممالكهم بلا مالك غيره، وصارت ممالكهم إرثاً أي بقايا بعدهم، ولا يكون لها من يحوزها، قيل لله عزَّ وجلَّ وارث إذ لا وارث غيره. وفي التفسير أنه عزَّ وجلَّ ينادي يوم القيامة بعد موت الخلائق، فيقول: لِمنِ الْملْكُ. فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه، ويقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1]. تبارك الله الوارث.

(١) سورة المؤمن: الآية ١٦.

باب الحنان

ومن صفاته عزّ وجلّ: «الحنّان».

[الحنان التعطف والرحمة] وهو المُتعطِّف عليهم بالرحمة. قال عكرمة في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَّدُنَّا﴾[1]، قال: رحمةً. وقال مجاهد: تعطّف من الله.

[حنانك وحنانيك] والعرب تقول: وحَنَانَكَ يا ربّ، وحنانَيْك. وهما لغتان. وليس[2] بتثنية، وهو مثل حَوَالَيك. ومنهم من يقول: هو تثنية. قال الكميت:

حَـنَـانَـيْـك رَبَّ الـنـاس مِـن أنْ يَـغُـرَّنـي
كـمـا غَـرَّهـم شُـرْبُ الـحـيـاة الْـمُـنَـضَّـبُ ١٧٧[3]

قال أبو عبيدة: وَحَنَاناً مِن لَدُنّا، أي رحمة من عندنا[4]. وأنشد لامرىء القيس:

ويَـمْـنَـحُـهَـا بـنـو شَـمْـجـى بْـنِ جَـرْمٍ
مَـعِـيـزَهُـمُ حَـنَـانَـكَ ذَا الـحَـنَـانِ ١٧٨[5]

وقال: عامة الناس على لفظ الاثنين[6]. قال طرفة:

---

(١) سورة مريم: الآية ١٣.

(٢) ي و س و ع: وليست.

(٣) د الهاشميات ٤٦. حاشية س: المنضب الذاهب.

(٤) المجاز/ مراد منلا ١٠٣.

(٥) د امرىء القيس/ العقد ١٦١ والمجاز/ مراد منلا ١٠٣.

(٦) في المجاز/ مراد منلا ١٠٣: وعامة ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين.

أبـا مُـنـذِر أفـنـيـت فـأسْـتَـبْـقِ بـعـضَـنـا

حنانَيك بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعضِ ١٧٩[١]

وقال الطِّرِمَّاح[٢] على لفظ الواحد:

ويُــؤْدِيَــهُــم عــلَــيَّ فَــتَــاءُ سِــنِّــي

حــنــانَــك ربَّــنــا يــا ذا الــحــنــانِ ١٨٠[٣]

قال أبو عمرو وغيره: حنانك رحمتك ومغفرتك. وقال بعضهم: معناه تباركت. قال: وهذا كله معروف عند العرب. يقال: قد تحنَّنت[٤] على فلان.

[حديث ابن عباس في الحنان] قال: وكان ابن عباس ينكر معرفتها، والكلام واسع. وروى أبو عبيد[٥] بإسناد له عن ابن عباس في قوله: «وَحَنَاناً مِن لَّدُنَّا»، قال: والله ما أدري ما الحنان[٦]. وروى عنه في وجه آخر، قال: هو الرحمة. قال أبو عبيد[٧]: وقد فسّره ابن عباس في حديث، وأنكره في حديث، وهو عندنا [١١٣] أثبت[٨].

---

(١) نفس المرجع ود طرفة/ العقد ١٨٦.

(٢) هو الطرماح بن حكيم بن نفر الطائي.

(٣) د الطرماح ١٧٥. يؤديهم أي يعينهم. الفتاء الشباب. وفي ل/ فتى: فتى السن بين الفتاء.

(٤) س: قد تحنن.

(٥) ي و س: أبو عبيدة. والصواب أبو عبيد كما جاء في م و ح و ع.

(٦) سبق أن ذكر حديث ابن عباس في فصل الأسماء الأعجمية في القرآن (١٣٤).

(٧) ي و س: أبو عبيدة.

(٨) قال الطبري في تفسيره ١٦/ ٤٣: وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان. فقال بعضهم: ورحمة منّا به ومحبة له. قال آخرون: معنى ذلك وتعطفًا من عندنا عليه فعلنا ذلك. وقال آخرون: ومعناه تعظيماً منا له اهـ. وقال السجستاني في غريب القرآن ٧٦: عن ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل: وحنانا أي هيبة اهـ. والزمخشري في الفائق/ حنن: الحن من حن عليه إذا رق وأشفق. والرقة والضعف من واد واحد. ألا ترى رقاق القلوب وضعاف القلوب. ويحتمل أن يكون من أحن إحناناً إذا أخطأ اهـ. ولم يرد «حنان» في التنزيل إلا في موضع واحد وهو في وصف يحيى بن زكريا عليه السلام (سورة مريم: الآية ١٣)، كما لم يرد فيه أي لفظ من مشتقات «حن». ويقارن حن وحنان بالعبرية חָנַן وبالسريانية ܚܢܢܐ وبالعربية الجنوبية القديمة 𐩢𐩬 . والحنان في العربية كما في العبرية لفظاً ومعنى الرحمة والرزق والبركة والهيبة والوقار والتعظيم والتعطف ورقة القلب والضعف. وقد يكون ابن عباس توقف من هنا في معناه لأنه يكون من الصفات الموهمة التي ينفرد الله تعالى بعلمها، فأنكر معرفتها في حديث وفسرها في حديث. وقد يكون المفسرون اختلفوا من هنا =

فكأن الله عزَّ وجلَّ هو المتعطّف على عباده بالرحمة. وهو على وزن فَعَّال، لأنه من شأنه التعطف بالرحمة والتحنّن[1]. تبارك الله الحنّان.

= في تحديد مدلول اللفظ.

(١) وردت العبارة الآتية في م و ح، ونرى أنها أدخلت في المتن، وهي لا توجد في الأصول القديمة ي و س و ع: «وأصله من حنين الناقة وهو تعطفها على ولدها بالرفق وبالصوت الشجي الذي يخرج من صدرها. يقال حنت الناقة إذا خرج من صدرها ذلك الصوت الشجي».

باب المنان

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الْمنَّان»، ومعناه الْمُعْطي.

[المن العطاء] يقال: مَنَّ فلان علَيَّ بكذا، أي أعطانية. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أو أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. وقال: ﴿وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[2]، أي لا تُعط لتأخذ أكثر مما أعطيتَ من المكافأة في الدنيا. هكذا فسَّره المفسرون. وقال: ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ﴾[3]، أي يعطيهم من فضله. فالمنَّان من الْمنِّ. والَمنُّ العطاء.

[المِنة الاعتداد] فأما المِنّة فهو الاعتداد. يقال: امتَنَّ عليه بالعَطية، ومَنَّ عليه أيضاً مِنَّة ومَنّا. وأنشد:

أفسَدْتَ بالمنِّ ما قدَّمْتَ مِنْ حَسَنٍ
لَيس الْكَرِيمُ إذا أعْطَى بِمَنَّانِ 181

فالمنان ها هنا المعتدّ بالعطية[1]، أي اعتدَّ عليه بها، وهو مذموم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلاَمَكُمْ بَل اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ﴾[2]. فهو من العباد مذموم، ومن الله عزَّ وجلَّ محمود، لأنه الْمُفْضِل بالعطايا.

---

(١) سورة ص: الآية ٣٩.

(٢) سورة المدثر: الآية ٦. الزمخشري (الكشاف/ المدثر): وقرأ الحسن تستكثر بالسكون، إبدال من تمنن، كأنه قيل: ولا تمنن لا تستكثر. وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن. وتؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر. ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١١.

(١) لم ترد في ي و س و ع العبارة: «ليس الكريم... المعتد بالعطية».

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.

والمنَّان على وزن فَعَّال. وكل ما جاء على هذا الوزن مثل غفّار وقهّار ومنّان وحنّان، فمعناه من شأنه أن يفعل ذلك، فالمنان أي من شأنه المن والإعطاء. تبارك الله المنان.

باب الديان

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الدَّيَّان».

[الدين الطاعة] وأصله من الدين وهو الطاعة، لأن الْخَلق كله دانَ له، وتَذلَّل بالطاعة له، فلم يَفُته شيء من خلقه، ولم يستَعْص عليه شيء حين كوَّنه وأبدَعه، بل كان كما قال له «كُنْ» فكانَ. ولم يخالف شيء إرادته ومشيئته، ولم يعجزه شيء ولا الْتَاثَ عليه[1]، فكلٌّ[2] قد دانَ له، أي أطاعه. ويقال: دانَ له يَدين، أي أطاع. قال الكميت:

ولـــكـــنْ مَـــواريـــثَ ابـــن آمِـــنـــة الـــذي
بـــه دانَ شـــرْقِـــيٌّ لـــكـــم ومُـــغَـــرِّبُ ١٨٢[3]

وقال القُطاميّ[4]:

[..............] بـــعـــدمـــا
كـــانَـــتْ نَـــوارُ تَـــديـــنُـــك الأديـــانَـــا ١٨٣[5]

يعني كانت تطيعك. فالله عزَّ وجلَّ دانَ له جميع الخلائق من الحيوان

---

(١) التاث الشيء اختلط. والتاث الأمر على فلان التبس واشتد. حاشية س: التاث في عمله بالثاء معجمة بثلاث أي أبطأ. والتاثت الأمور أي اختلطت.

(٢) كما في م و ح وحاشية س. ي و س و ع: فكان.

(٣) د الهاشميات ٤٢. اطلب باب الدين فيما يأتي.

(٤) هو عمير بن شييم من بني تغلب، وكان حسن التشبيب رقيقه، كما وصفه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١٧٠.

(٥) د القطامي رقم ٣ ص ١٥:
رمتِ الـمـقـاتـل من فؤادك بـعـد مـا   كـانـت جـنـوب تـديـنـك الأديـانـا
وفي رواية: كانت ظلوم... البيت. وابن قتيبة في مشكل القرآن ٣٥١: كانت نوار.

والموات والنامي والجماد، لأنه كان كما أراد الخالِق[١].

[الدين المجازاة] ويكون الديّان أيضاً الْمُجازِي الْمُحاسِب. والدين الحِساب[٢]، أيْ يجزي كلاً بعمله، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً. وقال المفسرون في قوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّين»، قالوا: يوم الحساب. وقيل في صفة الله عزَّ وجلَّ: ديّان يوم الدينِ، أي إليه حساب الخلائق يوم الحساب. وفي المثل: كما تدَين تُدان، أي كما تزرع تحصد؛ ومن عمل خيراً جوزى به، ومن عمل شراً جوزى به. والديان الذي يَلي المجازاة، وهو قادِر عليها، ويُجازي كلا على مقداره. قال ذو الإصبع:

لاهِ ابْـنِ عـمِّـك لا أَفْـضَـلْـتَ فـي حَـسَـبٍ

عـنـي ولا أنـت ديَّـانـي فـتَـجْـزونـي ٧٧[٣]

هكذا أنشدناه عن المبرد. قال: وقال: تَجزُوني معناه تجزيني، فأبدل من الياء واواً، لأن الياء والواو يتعاقبان[٤].

فالله عزَّ وجلَّ ديَّان الخلائق، لأن الخلق كله دانَ له، فلم يُخالف مشيئته فكان كما أراد؛ وهو ديَّان يوم الدين، لأنه يُجازيهم بأعمالهم. والمعنيان صحيحان في صفته عزَّ وجلَّ. تبارك الله الديان.

---

(١) كما في ي و س و ع. م و ح: أراد الخلائق.

(٢) اطلب فصل أسماء الأشياء ومعانيها (١٢٨)، ذكره من الأسماء التي تجر أكثر من معنى، فالدين الطاعة والجزاء والحساب والعادة. وقد ورد الاسم في الشعر القديم بهذه المعاني، واشتقاقه معروف، فلذلك نرى أنه عربي قديم. وإنما ذكره الثعالبي (فقه اللغة ٢٤٤) في الأسماء القائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد. ويرى نولدكي(Beiträge) أن الدين بمعنى الطاعة والاستسلام والعقيدة أخذته العرب قبل الإسلام من البهلوية، وأنه بمدلول الحساب والجزاء كما ورد في التنزيل يناظر ديناً بالآرامية والسريانية ودين דין بالعبرية ودين 𐩵𐩺𐩬 بالعربية الجنوبية، وأن يوم الدين هو יום הדין بالعبرية الربانية لفظاً ومعنى.

(٣) اطلب باب الله ﴿١٧٨﴾ وباب الدين فيما يأتي.

(٤) حاشية س: والمشهور عند أهل اللغة «فتخزوني»، معناه فتسوسني. قال: هذا الذي حكاه عن المبرد. وهذا كلام من لا يحسن شيئاً من علم القوافي، والمبرد قد صنف كتابًا في القوافي وجوده، ولا يذهب عليه أن الواو والياء يتعاقبان، وأنه لو قال «فتجزيني» كان جائزاً في الشعر. والرواية الصحيحة «ولا أنت دياني فتخزوني»، أي فتسوسني. يقال: خزاه يخزوه إذا ساسه. ومعناه: ما أنت مالكي فتسوسني. وفي نفس هذه القصيدة: ولا بنفسك في العفراء تكفيني، وفيها يا آت وواوات يتعاقب معناها. اهـ.

باب الرءوف

ومن صفاته عزَّ وجلَّ «الرَّءوف».

[الرءوف والرؤوف واحد] قال أبو عبيدة في قوله عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[1]، قال: الرَّءوف والرؤُوف واحد، وهما لغتان. وكلاهما معناه الرحمة. قال: ومنه الحديث عن أنس أنه وَضَع مَيتاً في قبره، فقال: اللَّهمَّ ارْأفْ به. يقال: قد رَأفَ رَأْفَةً[2]. قال: والرَّءُوف [١١٤] الفَعُول من الرحمة، وهو ذو الرحمة. قال كعب بن مالك الأنصاري:

نُطيع نبِيَّنا ونُطيع ربًّا
هو الرحمٰنُ كان بنا رؤُوفَا ١٨٤[3]

وقال آخر [هو جرير]:

تَرَى لِلْمُسلِمين عليك حَقّاً
كفعْل الوالِد الرَّؤُفِ الرحيم ١٨٥[4]

وقرأ أهل المدينة «رَؤُوف» على مثال فَعُول من الرأفة، وهي أشد الرحمة. وأنشد الكميت:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣ وسورة الحج: الآية ٦٥.

(٢) رأف من باب فتح وكرم وسمع رأفة. قال الجوهري (صح/ راف) نقلاً عن أبي زيد: كل من كلام العرب.

(٣) صح/ رأف ول/ رأف.

(٤) د جرير ٥٠٨. رواية صح/ رأف: يرى للمسلمين عليه... البيت. والرَّؤُف على فعل بضم العين.

وهـــم الأزأفـــون بـــالـــنـــاس فـــي الـــلأْ
وَاءِ والأخـــلَـــمـــون فـــي الأَخـــلام ١٨٦[1]

فالله عزَّ وجلَّ هو الرؤوف، لأنه المتناهي في الرحمة بعباده، لا راحِم أرحم منه، ولا غاية وراء رحمته. تبارك الله الرؤوف.

---

(١) رواية المجاز ١/ ٥٩ ود الهاشميات ٢٧ : بالناس في الرأفة. واللأواء كاللولاء الشدة والضر (ل/ لوى).

باب آمين

قالوا: «آمين» اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ.

[معنى آمين] يقال بعد الدعاء: آمين! معناه: يا الله! قال بعضهم: إنما معنى قول الْمُصلِّي بعد فراغه من قراءة سورة الحمد «آمين»، معناه: يا الله اشهَدْ، ولكن لا يجوز إظهار قوله: اشهد، لأنه كلام(1).

[آمين بالمد وأمين بالقصر] وآمين، قال قوم من أهل اللغة، هو مقصور؛ وإنما أدخلوا فيه المدَّة بدلاً من ياء النداء، كأنهم أرادوا «يا أمينُ». ومنهم من يختار القصر، فيقول: «أمين» مقصوراً. وأنشد:

أمينَ فزادَ اللّهُ ما بيننا بُعْداً ١٨٧

فيقصر الألف ولا يمدُّها ويفتحها لانفرادها وانقطاعه، عما يُضْمَر فيها من معنى النداء، حتى صارت عندهم بمعنى «كذلك فَعَلَ الله». فأما الذين

---

(١) في ل/ أمن قال: وآمين وأمين كلمة تقال في إثر الدعاء. قال الفارسي: هي جملة مركبة من فعل واسم، معناه: اللهم استجب لي. قال: ودليل ذلك أن موسى عليه السلام لما دعا على فرعون وأتباعه فقال: ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم. قال هارون عليه السلام: آمين! فطبق الجملة بالجملة. وقيل: معنى آمين كذلك يكون اهـ. وقد جاء في الحديث أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن (اطلب فصل الكلمات الإسلامية التي لم تكن للأمم من الزينة ١٥٥، هامش رقم ٨). والكلمة بالعبرية **אָמֵן** (آمان بإمالة الألف بعد الميم) قد اشتقت من **אָמַן** أي صدق، وتدل على قبول ما قدم من الحلف وما يترتب من المسئولية عند قبول العهد والميثاق. وكذلك هي كلمة الشهادة والتصديق بما سبق من الدعاء. وبهذا المعنى ورد في المزامير ١٠٦/ ٨ ـ ٤٧: خلصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم لنحمد اسم قدسك، ونتفاخر بتسبيحك. مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين! هللويا!

قالوا مطوّلة فكأنه معنى النداء: يا أمين، على مخرج من يقول: يا فلان، يا رجل. ثم يحذفون الياء، فيقولون: أفلان، أزيد[١]. وقد قالوا في الدعاء: أرب[٢]، يريدون يا رب. وحكى بعضهم عن فصحاء العرب: أخبيث، يريدون يا خبيث[٣]. وقال آخرون: إنما مُدَّت الألف ليطول بها الصوت، كما قالوا «أوّه» مقصورة الألف، ثم قالوا «آوّه»[٤]، يريدون تطويل الصوت بالشكاية. قال ثعلب: إذا دعا الرجل قلت: أمين رب العالمين، بقصر الألف. وأنشد:

تَبَاعَدَ مِنِّي فُطْحُلٌ إذ سألْتُهُ
أمينَ فزادَ اللّهُ ما بيننا بُعْدا ١٨٧[٥]

قال: وإن شئت طوّلت، وأنشد[٦]:

يا ربِّ لا تسلُبَنِّي حُبَّها أبداً
ويَرْحَمُ اللّهُ عبداً قالَ آمِينا ١٨٨

قال: ولا تشدّد الميم فإنه خطأ[٧].

---

(١) ي و س: فيقولون اافلان اازيد. ع: فيقولون أي فلان أي زيد. قال ابن قتيبة في غريب القرآن ٧: آمين، كأنه قال يا الله، وأضمر استجب لي. ومخرجها ومخرج اازيد يريد يا زيد، اراكب يا راكب.

(٢) ي و س: اارب. ع: أي رب.

(٣) ي و س و ع: ااخبيث.

(٤) أوه الرجل تأويهاً وتأوه تأوهاً إذا قال: أوه، والاسم منه الآهة بالمد، ورجل أواه كثير الحزن والدعاء والمتضرع والمسبح والمؤمن (اطلب باب الأواه والتواب والأواب فيما يأتي ول/ أوه).

(٥) صح/ أمن وفطحل. ول/ أمن قال: روى ثعلب فطحل بضم الفاء والحاء. أراد: زاد الله ما بيننا بعداً! آمين!

(٦) في ل/ أمن: وقال عمر بن أبي ربيعة في لغة من مد آمين: يا رب... البيت.

(٧) وردت في مخطوط ع في آخر هذا الباب العبارة الآتية، وهي ناقصة في الأصول الأخرى: «وفتحوا النون من آمين، وكان حقها في الإعراب الضم كما تقول: يا الله، ولكنها في الأصل ساكنة للوقوف عليها، لأنها بمنزلة الأصوات، إذ كان غير مشتق من فعل، كقولك «اأوه» الهاء ساكنة، وكقولك «إيها» الألف ساكنة. فلما حركوها فتحوها، فقالوا: أمين أمين، لالتقاء الساكنين، ولم يكسروها لأن الكسرة تثقل بعد الياء».

باب الأمر

[الأمر الكلمة] قد جاء ذكر «الأمر» في كتاب الله عزَّ وجلَّ. وقد فسَّره المفسرون على وجوه كثيرة. وبالأمر كَوَّن الله الأشياء كلَّها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ﴾[1]. فَفَرَّق بين الْخَلق والأمر.

وأمره كَلِمته التي كَوَّن بها الأشياء، فقال: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]. فبهذه الكلمة خَلق الله الْخَلق كله. وفي الإنجيل في أول الكتاب وفاتحته: في البَدء كانت الكلمة. والكلمة كانت عند الله. وبالكلمة خَلق الله الأشياء كلها. هذا ما كان قبل كل شيء[3]. هذا هو أول الإنجيل، وهو مُوافِق لما في القرآن، غير أن الذي في القرآن أشدُّ اختصاراً. والكلمة التي ذُكرت في الإنجيل هي «كُنْ»، وهي أمر الله عزَّ وجلَّ.

[وجوه في معنى الأمر] وقالوا في تفسير قوله: «ألا لَهُ الْخَلقُ والأَمْرُ»: إن الخلق القضاء والأمر هو الدين، وفي قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[1]: أي دينهم، [١١٥] وفي قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحقُّ وظَهَرَ أَمْرُ الله﴾[2] قالوا: دين الله، وفي قوله: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾[3]: الأمر القول. وقالوا: الأمر أيضاً العذاب في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾[4]، أي

---

(١) سورة الأعراف: الآية٥٤.

(٢) سورة يس: الآية٨٢.

(٣) فاتحة إنجيل يوحنا ١/١ ـ ٣ نصه: في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٣ وسورة المؤمنون: الآية ٥٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٩.

(٣) سورة الكهف: الآية ٢١.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

وَجَبَ العذاب. وقالوا: الأمر القيامة في قوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلوهُ﴾[1]، وفي قوله: ﴿وغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ الله﴾[2]، أي القيامة والموت. وقالوا: الأمر الوحي، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[3]. وفي قوله: ﴿يُدبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ﴾[4] قالوا: القضاء.

قال عليّ كرم الله وجهه للرجل الذي سأله، فقال له: ما هذا القضاء والقدر اللذان ساقانا إلى كذا وكذا؟ فقال: هو الأمر من الله. ثم تلا: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلا إيّاهُ﴾[5].

فقد فسروا الأمر على هذه الوجوه كلها. وهو وإن اختلف اللفظ به فإنه يرجع إلى معنى واحد، لأن هذه الأشياء مُكوَّنة بأمر الله. فسميت هذه كلها أمراً لأن الأمر سببها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلاَ إِلَى الله تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[6].

[سبب الشيء يقوم مقام الشيء] فلما كانت هذه الأشياء كلها بأمره عزَّ وجلَّ، وكان الأمر سببها، سمِّيت أمراً، لأن سبب الشيء يقوم مقام الشيء. وهو معروف في لغة العرب أن يُسمَّى الشيء باسم السبب، كما قالوا للمطر سماء، لأنه من السماء، ولأن السماء سبب للمطر. وقال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيهِمْ مِدْرَاراً﴾[7]، قال: مجازه المطر؛ يقال: ما زِلْنا في سماء، أي في مطر؛ وما زلنا نَطَأ السماء، أي المطر؛ وأين أخَذَتْكُم السماء، أي المطر[8]. وأنشد غيره[9]:

---

(١) سورة النحل: الآية ١.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٤.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٤) سورة السجدة: الآية ٥.

(٥) بني إسرائيل ١٧/ ٢٣.

(٦) سورة الشورى: الآية ٥٣.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٦.

(٨) المجاز ١/ ١٨٦: وأني أخذتكم هذه السماء؟ ومجاز أرسلنا أنزلنا وأمطرنا. مدراراً أي غزيرة دائمة.

(٩) هو معود الحكماء معاوية بن مالك، كما ذكره ل/ سما.

إذا نَـزَلَ الـسـمـاءُ بـأرضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنـاه وإن كـانـوا غِـضـابـا ١٨٩[١]

فأقام السماء مقام المطر، وسماه باسمه، لأن السماء سبب للمطر والسماء لا تنزل. والسماء مؤنّثة والمطر مُذكّر[٢]. فلذلك قال: إذا نزل السماء، ولم يقل: نزلَت، وقال: رعيناه. وقال الحطيئة:

إذا نَـزَلَ الـشّـتـاءُ بـجـارِ قـومٍ تَـجنّـبَ جارَ بـيـنـهـم الـشـتـاءُ ١٩٠[٣]

يعني بالشتاء الضيق والشدّة لما يلحق للناس من الضيق والشدة في الشتاء، فأقام الشتاء مقام ذلك وسماه باسمه، والشتاء ينزل بالغنيّ والفقير ولا يجتنب أحداً. وقال آخر[٤]:

كـثَـوْر الـعَـدَاب الـفَـرْدِ يـضـربُـه الـنَّـدَى تَـعَلّى النَّدَى في مَتْنه وتَحدَّرَا ١٩١[٥]

العَدَاب أرض. والندى يعني به الكَلأ، لأنه بالندى يكون، فسماه باسمه، وتعلّى الندى في متنه وتحدر، يعني به السَّمَن، لأن السمن يكون بالكلأ، والكلأ يكون بالندى. فسُمّيَ كل واحد باسم صاحبه لما كان ذلك سببه.

[الرسول سبب الله] وقال الله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[٦]. وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾[٧]. فأقام الرسول مقام نفسه، وسماه باسمه، لأن الرسول سبب الله عزّ وجلّ. من تعلّق به فقد تعلق بالله. وسمّى رسولُه ﷺ القرآن سبب الله. قال رسول الله: القرآن سبب الله. حَبْلٌ ممدود طَرَفٌ منه بيد الله وطرف منه بأيديكم، فاستمسكوا به،

---

(١) رواية ل/ سما: إذا سقط السماء... البيت.

(٢) وفي ل/ سما قال: والسماء المطر مذكر. ومنهم من يؤنثه وإن كان بالمـ ـنى المطر كما تذكر السماء وإن كانت مؤنثة كقوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾.

(٣) س و د الحطيئة ٣٧: بدار قوم. والديوان: تجنب دار بيتهم الشتاء ـال السكري: ويروى بجار قوم تجنب حيث جارهم الشتاء. قال: يقول يمونون جارهم ويكفونه فيعيش في جوارهم مخصبًا مريعاً كأنه لم يصبه بأس من الشتاء.

(٤) كما في ي و س. م و ح: وقال أخو عمرو بن أحمد.

(٥) م وحاشية س و ل/ندى: يضربه الندى. ي و س: يحبطه الندى. ع: يخبطه الندى.

(٦) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٧) سورة الفتح: الآية ١٠.

فإنكم لن تَضِلّوا ما إنْ تمسّكتم به[1]. وقال أبو عبيدة في قول الله تعالى: ﴿فَلْيرْتَقُوا في الأَسْبَابِ﴾[2]: يقول العرب «فلان قد ارتقى في الأسباب»[3]. قال: والسبب الحبل أيضاً. والسبب ما تُسُبِّبَ[4] به من رَحِم أو يَد أو دين. قال النبي ﷺ: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي[5]. وقال: المسلم إذا تقرَّب إلى الرجل ليس بينهما نسب فهو [١١٦] سبب[6]. والإسلام أقوى سبب وأقرب نسب.

[أمر الله سبب كل شيء] فالعرب تقيم سبب الشيء مقام الشيء، وتسميه باسمه على ما ذكرنا؛ والقرآن نزل بمذاهب العرب. فلما كان أمر الله عزَّ وجلَّ سبب كلِّ شيء، وبأمر الله كانت الأشياء كلُّها، سَمَّاهَا أمراً. فيجوز أن يُقال: السماء أمر الله، والأرض أمر الله والدين أمر الله، والقيامة أمر الله، والموت أمر الله، والعذاب أمر الله، وكل شيء هو أمر الله، لأنه بأمره كان، والأمر سببه. وهي كلمته التي كانت بها الأشياء كلها، وهي سبب بين الله وبين خلقه. ومن أجل ذلك اختلف الناس في القول بخلق الله القرآن، فقال قوم: هو مخلوق، وقال آخرون: غير مخلوق. واختلفوا في القدر وخلق الأفعال. وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله.

---

(١) عن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً. رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

(٢) سورة ص: الآية ١٠.

(٣) المجاز/ مراد منلا ١٥٤: يقول العرب للرجل الفاضل في الدين قد ارتقى فلان في الأسباب.

(٤) نفسه و س: ما تسببت.

(٥) حم ٤/ ٣٣٢ نصه: عن المسور قال: بعث حسن بن حسن إلى المسور يخطب بنتاً له. قال له: توافيني في العتمة. فلقيه. فحمد الله المسور فقال: ما من سبب ولا نسب ولا صهر أحب إلي من نسبكم وصهركم. ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة شجنة مني، يبسطني ما بسطها، ويقبضني ما قبضها، وإنه ينقطع يوم القيامة الأنساب والأسباب إلا نسبي وسببي. وتحتك ابنتها، ولو زوجتك قبضها ذلك. فذهب عاذراً له.

(٦) سقط «فهو سبب» في المجاز/ مراد منلا ١٥٤.

باب الخلق

[الخلق والتقدير] الْخَلق في كلام العرب التقدير. يقال: خَلقَ الثوب، إذا قَدَّرَه، وخَلق الأديم للسِّقاء، إذا قدَّره. قال الكميت:

لـم تُـجـشَـم الـخـالِـقـاتُ فِـرْيَـتَـهـا

ولَـمْ يَـفِـضْ مِـن نُـطـافِـهـا الـسَّـرَبُ ١٢٤

الخالقات النساء اللواتي يخرزن المزاد والقِرَب ويُقَدِّرنه. يصف حواصِل الطَّير يشبِّهها بالمزاد. يقول: ليست من خَرْز هؤلاء الخالِقات يعني الْمُقدِّرات من النساء، فيخرج الماء من خرزها. وقال زهير:

ولأنـت تَـفْـري مـا خَـلَـقْـتَ وبَـعْـ

ضُ الـقـوم يـخـلـق ثـم لا يَـفْـرِي ١٢٣

يمدح رجلاً، أي تُمضي ما دَبَّرْته وقدَّرته من الأمور، وجعل الخلق والتقدير مثلاً لِما يُدَبِّره من الأمور. وتَفْرِي تقطع. يقال: فَرَيْت الأديم، إذا قطعته لِلْخرز والصلاح، وأفريته إذا قطعته وأفسدته وشققته. وقال الكميت:

أراد الـنـاس مـن خَـلِـفَـيْ نـزارٍ   خِـلالاً يـمـتـنـعـن ويـلـتـويـنـا
أرادوا أن تُـزايِـل خـالِـقـاتٌ   أديـمَـهُـمُ يَـقِـسْـن ويَـمْـتـرينا[1] ١٩٢

ويقال: صَخْرة خَلْقاء، أي مَلْساء، سميت بذلك كأنها مُقدَّرة. وقال

(١) ي و س و ع: من سلفي نزار. م و ح و ل/ خلق: من خلفي نزار. قال: يصف ابني نزار بن معد وهما ربيعة ومضر. أراد أن نسبهم وأديمهم واحد. فإذا أراد خالقات الأديم التفريق بين نسبهم تبين لهن أنه أديم واحد، لا يجوز خلقه للقطع. وضرب النساء الخالقات مثلاً للنسابين الذين أرادوا التفريق بين ابني نزار. ويقال: زايلت بين الشيئين وزيلت إذا فرقت.

امرؤ القيس:

وبَهْوٌ هَواءٌ تحت صُلْبٍ كأنَّهُ
من الصَّخْرة الخَلقَاء زُحْلُوفُ مَلْعَبِ ١٩٣[(١)]

ويقال: رجُلٌ مُخْتَلق، إذا كان حَسَنا تامّاً كأحسن الرجال. قال ابن أحمر:

مُتبشِّرُ الوَجْه للأصحاب مُخْتَلَقٌ
لا هَيِّبانٌ ولا في أمره زَلَلٌ ١٩٤[(٢)]

مُخْتَلَق يعني جميل تام. هكذا قال الأصمعي والباهِلي. والمخْلوق أيضاً التام الحسن.

فكأنه قيل خَلقَ الله الْخَلق أي قدّره أحسن تقدير وأتمّه، لأنه عزَّ وجلَّ أحسن الخالقين، فَخَلق الخَلق كله تاماً حسناً، كما وجب أن يكون، لم ينقص عن خلقته ولم يقبح، بل خَلَقه مقدَّراً، وهو يقول عزَّ وجلَّ: ﴿إنا كلَّ شَيْءٍ خَلقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(٣)]. فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) هذا البيت ذكره الأعلم الشنتمري في العقد الثمين في قصيدة لعلقمة بن عبدة الفحل أولها:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

والبيت على ما في د علقمة/ العقد ١٠٤:

وجوف هواء تحت متن كأنه من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

ثم ورد في د امرىء القيس/ العقد ١١٨:

وبهو هواء تحت صلب كأنه من الفضة الخلقاء زحلوق ملعب

قال صاحب الزينة فيما يأتي في باب الهواء: يصف الفرس. والبهو الهواء يعني به الجنب، وصفه بالسعة. م و ع: زحلوف. ي و س: زحلوق. الزحلوقة مكان منحدر مملس يتزحلق عليه الصبيان. الجوهري (صح/زحلف): هي لغة أهل العالية، وتميم تقوله بالقاف. والجمع زحالف وزحاليف. ول/ز حلف: الزحلوفة كالزحلوقة.

(٢) التاج/ خلق. الجوهري (صح/هاب): هيبان بكسر الياء جُبان. ول/هاب نقلاً عن ثعلب بفتح الياء الهيبان الذي يهاب. قال: فإذا كان ذلك كان الهيبان في معنى المفعول.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٩.

باب القدر

[القدر بفتح الدال وسكونها] «القدر» فيه لغتان؛ تقول العرب: قَدَر الله وقَدْر الله، بفتح الدال وسكونها. وقد جاء باللغتين في القرآن. قال الله عزّ وجلّ: **﴿إنّا كلّ شَيْءٍ خَلقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**[1]. وقال: **﴿إنّا أنزَلْنَاهُ في لَيلةِ القَدْرِ﴾**[2]. وقال: **﴿قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾**[3]. وليلة القدر، قالوا: هي ليلة تقدير الأشياء كلها إلى آخر السَّنَة. وقال بعض الناس: [١١٧] تقدير الأشياء كلها التي تكون من السنة إلى السنة القابلة هي في ليلة النصف من شعبان. وقال آخرون في ليلة القدر لقول الله تعالى: **﴿فِيهَا يُفرَقُ كلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ﴾**[4]. قال ابن أحمر في القدر:

ولـــكـــلِّ أمْـــرِ واقـــعٍ قَـــدَرُ ١٩٥

وقال الفرزدق:

ومـا صـبَّ رِجْـلـي فـي حـديـدِ مُـجـاشِـعٍ
مـع الـقَـدْرِ إلاّ حـاجـةٌ لـي أريـدُهـا ١٢٦[5]

ويقال للقدر «كتاب» كأن كل شيء قد قدَّره الله قد كتبه[6]. وقال الجعديّ:

---

(١) سورة القمر: الآية ٤٩.
(٢) سورة القدر: الآية ١.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٣.
(٤) سورة الدخان: الآية ٤.
(٥) اطلب باب الخالق والخلاق والقادر (الزينة ٢٢٠).
(٦) اطلب باب الكتاب فيما يلي.

يــا بِــنْــتَ عَــمِّــي كــتــابُ الله أخْــرجَــنــي
عَــنْــكُــمْ وهــل أمْــنَــعَــنَّ الــلّــهَ مــا فَــعَــلا ١٩٦[1]

وقال الهُذَلي[2]:

أبَــى جِــذْمُ قــومــك إلاّ ذَهــابَــا أنــابُــوا وكــانَ عَــلَــيــهِــمْ كِــتــابــا ١٩٧[3]

أي قَدَراً مقدوراً. وقال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي جعل لكم وقضاها[4].

[القدر التقدير] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[5]. وهو مِفْعال من القدر. والقدر في كلام العرب هو التقدير. ويقال: قَدَرْت الثوب وقَدَّرته، بالتخفيف والتثقيل، وهو من التقدير، وتفسيره الهندسة. والخيّاط يُقدِّر الثوب قبل القطع. وهو ثوب مُقدَّر، ثم يفَصِّله. فالقدر بمنزلة التقدير، والقضاء بمنزلة التفصيل والقطع.

[أسماء القدر ومعانيه] ومن أسماء القدر الكتاب والمنِيَّة والزوء. فأما الكتاب فقد مضى تفسيره. ويقول العرب: مَنَى لك الماني، أي قَدَّر لك المُقدِّر. وقال الشاعر[6]:

مَــنَــتْ لــك أن تُــلاقِــيــنــي الْــمَــنَــايَــا
أحَــادَ أَحَــادَ فــي شَــهْــرَىْ حَــلالِ ١٠٦[7]

مَنَتْ لك أي قَدَّرَتْ لك.

وأما «الزَّوْء»[8] فإنه يقال في تصريفه: زَاءَ يَزُوءُ زَوْءاً، كما يقول: قَالَ يَقُولُ قَوْلاً. وقال عنترة:

---

(١) ل والتاج/ كتب.
(٢) هو أسامة بن الحارث.
(٣) د الهذليين ٢/١٩٧.
(٤) سورة المائدة: الآية ٢١. والمجاز ١/١٦٠.
(٥) سورة الرعد: الآية ٨.
(٦) م و ح. وقال الشاعر عمرو ذو الكلب ديوان الهندس.
(٧) ي و س و ع: شهري حلال. م و ح: شهر حلال. اطلب الشاهد في باب الواحد والأحد (الزينة ٢٠٦).
(٨) ي و س: الزو. وفي ل/زوأ وزوى قال: قال الأصمعي: الزوء بالهمز زوء المنية ما يحدث من المنية. وقال ثعلب: زو المنية أحداثها. فالزوء بالهمز والزو لغتان.

- ومــن زَوِّ الــحــوادث يــوم جَــزمٍ عــلـى رَيـبِ ويَـوْمَ بـنـى عَـدِيٍّ ١٩٨[١]

قال أصحاب اللغة: الزوء القدر اللازم. وأنشد:

ومــا زال زَوْء الــدهــر حــتّــى رأيــتَــنــا
علـى سُفُنٍ وَسْطَ الفُرات بنـا تَجْرِى ١٩٩[٢]

قال: وإنما سُمّي زوءاً لأنه يَزُوء الشيء أي يَذْهب به. ويقال للسفينتين المقرونتين «الزوء». ويقال: زَاءَ به الدهر، أي انْقَلَبَ عليه، يَزُوءُ به[٣].

وفي القدر معنى آخر، قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾**[٤]، أي ما عَظّموه حقّ عظمته. ويقال: فلان عظيم القدر والجاه. ويقال: قَدَرَ عليه رِزْقَهُ، بالتخفيف، أي ضيّق عليه. قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَأَمَّا إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَر علَيهِ رِزْقَهُ﴾**[٥]. ومن خفّف فالفاعل منه قادر. والقادِر الْمُضَيِّق في هذا المعنى. والقادر الغالِب على كل شيء. والقدير بمعنى القادِر. قال الله عزّ وجلّ: **﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾**[٦] قال بعض أهل التفسير: أي يُضَيِّق. والله أعلم. يقال: قَدَرَ عليه بالتخفيف، والمفعول مَقدور، والفاعِل قادِر. ومن شدّد فالفاعل مُقَدِّر بالكسر، والمفعول به مُقَدَّر بالفتح والتشديد[٧].

وروي عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه سُئل عن القدر، فقا[ل:] الناس فيه على ثلاث منازل: من جعل للعباد في الأمر مشيئة، فقد ضاد الله في أمره؛ ومن أضاف إلى الله شيئاً مما تنزّه عنه، فقد افترى على الله افتراء عظيماً؛ ورجل قال: إن رُحِمْتُ فبفضل الله، وإن عُذِّبت فبعدل الله، فذاك

---

(١) ي و س و ع: زو الحوادث. م و ح: زوء الحوادث. وفي د عنترة: العقد ٥٢ كما يلي:
أمــن زو الــحــوادث يــوم تــســمــو بــنــو جــرم لــحــرب بــنــي عــدي
(٢) ي و س و ع: زو الدهر.
(٣) في ل/ زوء قال: قال أبو عمر: زاء الدهر بفلان أي انقلب به.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١ وسورة الحج: الآية ٧٤ وسورة الزمر: الآية ٦٧.
(٥) سورة الفجر: الآية ١٦.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٦٥.
(٧) ورد هذا المعنى في باب الخلق والخلاق والقادر (الزينة ٢٢٠).

الذي سلم له دينه ودنياه جميعاً، ولم يظلم الله في خَلقه، ولم يجهله في حُكمه.

والقدر عن طريق اللغة هو تقدير الله الأشياء كلها أول مرة، ثم قضاها ففصَّلَها.

باب القضاء

[القدر ثم القضاء] في حديث النبي ﷺ أنه كان إذا مَرَّ بحائط مائِل أو بهدف أسْرَعَ الْمشي، فقيل له: يا رسول الله، أتَفِرُّ من قضاء الله؟ قال: أفِرُّ من قضائه إلى قدره[1].

وروى بعض أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: كنت عنده فقلت في كلامي: ما شاء الله وأراد وقضى وقدَّر. فقال: أخطأت. إنما هو ما أراد الله وشاء وقدَّر وقضى. إن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً شاءه، فإذا شاءه قدَّره، فإذا قدَّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه.

[أبو عبيدة: القضاء القطع] فالقدر على ما بيَّنا هو التقدير، والقضاء هو التفصيل والقَطْع، ومن ذلك يقال: قَضَى بينهم القاضي، أي فَصَلَ الْحُكْمَ وقَطَعَه وفَرَغَ منه. وقال أبو عبيدة: القضاء هو القَطْع. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أجَلُهُمْ﴾ مجازه لفُرِغَ ولقُطِعَ ولنُبِذَ[2]. وأنشد لرؤبة بن العجّاج:

فبَاتَ يَقْضي لَيْلَه أهازِعَا . . .[3]

ويقال: قَضَيْت الأمر فَرَغْت منه وأحْكَمْته. وقال في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إذَا قَضَى أمْرًا﴾[4]: أي أحكم أمراً وأتقنه. وكل شيء أحكمته فقد قضيته. وأنشد لأبي ذؤيب:

---

(١) جه الطب ١ ح رقم ٣٤٣٧. وقد شرح أبو حاتم الحديث في آخر الباب.

(٢) سورة يونس: الآية ١١ والمجاز ١/ ٢٧٥.

(٣) في د رؤبة ٦٤ بعده: حتى إذا كشف ليلاً واضعاً. والهزيع من الليل صدره أو الطائفة منه نحو ثلثه أو ربعه.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٧ وسورة آل عمران: الآية ٤٧ وسورة مريم: الآية ٣٥ وسورة المؤمن: الآية ٦٨. والمجاز ١/ ٥٢.

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا
داوُدُ أو صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ ٢٠١[(١)]

قضاهما أي صنعهما وأحكمهما. ومسرودتان درعان. وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونَ﴾[(٢)]: مجازه كمجاز الآية الأخرى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[(٣)] أمرناهم[(٤)]. وقال في قوله: «فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ»: مجازه فاصنع ما أنت صانع وأنفِذْ ما أنت مُنفِذ فقد قُضي قضاؤك[(٥)]. وقال في قوله: ﴿إِنَّما تَقْضِي هَذِهِ الْحيوةَ الدُّنْيا﴾[(٦)]: تحلف[(٧)].

[تفسير أبي عبيد لآية وقضى ربك] وروى أبو عبيد[(٨)] بإسناد له عن مجاهد في قوله: ﴿وقَضَى رَبُّكَ﴾[(٩)]: أَمَرَ ربك؛ وفي وجه آخر عن مجاهد: أوصى ربك. وروى عن ميمون بن مهران[(١٠)] قال: أنزل الله هذا الحرف على نبيكم «وَوَصَّى رَبُّكَ أَنْ لا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ»، فالتزقت إحدى الواوين بالصاد، فقرأها الناس وَقَضَى رَبُّكَ. وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد

(١) د الهذليين ١/١٩ والمجاز ١/٥٢ و ٢٧٥ وأشعار العرب ٩ ول/قضى. وفي شرح الشنقيطي. أو صنع السوابغ. والصنيع الحاذق بالعمل ثم رد تبعاً على صنع.

(٢) سورة يونس: الآية ٧١.

(٣) بني إسرائيل ١٧/٤.

(٤) المجاز ١/٢٨٠.

(٥) سورة طه: الآية ٧٢ والمجاز/ مراد منلا ١٠٨.

(٦) صورة طه: الآية ٧٢.

(٧) كما في ح و ي و س وع والمجاز/ مراد منلا ١٠٨. م: تحكم.

(٨) كما في ح و ي و س و ع. م: أبو عبيدة.

(٩) بني إسرائيل ١٧/٢٣. والمجاز ١/٣٧٤: مجازه وأمر ربك.

(١٠) كان أبو أيوب ميمون بن مهران واليا لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة وابنه عمرو بن ميمون على الديوان. قالوا: وكان بزازاً، وكان على الخراج، وهو جالس في حانوته. فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج. فكتب إليه عمر: إنما هو درهم تأخذه من حقه وتضعه في حقه. فما استعفاؤك من هذا؟ فلم يزل على الخراج أيام عمر بن عبد العزيز. وكان الغالب على أهل الجزيرة في الفتوى والفقه. كثير الحديث ثقة. وثقه النسائي. عن أبي هريرة وابن عمر وطائفة. وعنه ابنه عمرو والحكم وأيوب وخلق. مات سنة سبع عشرة ومئة (راجع طبقات ابن سعد ٧ (٢)/ ١٧٧ ـ ١٧٨ وخلاصة تذهيب الكمال ٣٣٨ والتهذيب رقم ٧٠٣).

فصارت قافًا. قال أبو عبيد[1]: وأصل القضاء في كلامهم هو إحكام الشيء والفراغ منه إن كان حُكْماً أو عملاً[2] أو وصية أو غير ذلك ومثله قوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ، أي أخبرناهم ([١١٩] بذلك وفرغنا لهم منه. وكذلك: وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلا إياهُ. قال إنما هو عَهِدَ إليهم في ذلك، وخَرَجَ إليهم منه[3]. وأحكمه لهم. ومن ذلك: قَضَى[4] الله وقَدَّره. أي قد أتقن الأشياء كلها وأحكمها وأبرمها وفرغ منها. وقال: إنما سُمِّي القاضي قاضياً لهذا المعنى. وإنما يقال: قَضَى بين الخصمين، أي فصل ما بينهما[5] وفرغ منه. ومنه قيل للميِّت: قد قَضَى، أي فرغ من الدنيا وفصل منها. وكذلك تَقَضَّى النهار. ومثله قولهم: لا ينقضي عجبي من فلان. فكل القضاء إنما يدور على هذا المعنى؛ ثم يتفرّق في وجوه كثيرة.

[القضاء الموت والأمر] وقال غيره: يقال للموت قضاء لأنه إمضاء وفراغ. وقال الحارث بن حلزة:

وثـمـانـين مـن تَـمـيـم بـأيـديـ
هِـمْ رمـاحٌ صُـدُورُهُـنَّ الـقَـضَـاءُ ٢٠٢[6]

يعني الموت. يقول: في أسِنَّتهنَّ الموت.

. وقال رجل لأمير المؤمنين صلوات الله عليه: ما هذا القضاء والقدر اللذان ساقانا إلى كذا وكذا في حديث طويل. فقال: هو الأمر من الله. ثم تلا: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾. فجعل الأمر من الله قضاءً، لأن

---

(١) كما في ع. م و ح و ي و س: قال أبو عبيدة.

(٢) كما في ي و س و ع. م و ح: عهداً. وفي المفردات/ قضى قال: القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً. وكل واحد منهما على وجهين: إلاهي وبشرى. فمن القول الإلاهي قوله: وقضى ربك الآية. ومن الفعل الإلاهي قوله: والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء. ومن القول البشرى، نحو قضى الحاكم بكذا. ومن الفعل البشرى: فإذا قضيتم مناسككم الآية، وقوله: فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا.

(٣) أي أظهره لهم وأعلمهم به.

(٤) كما في ي و ع. م و ح و س: قضاء.

(٥) ع: فصل بينهما.

(٦) في الأصول كلها: وثمانين. وفي معلقته/ الزوزني: وثمانون. قال الشارح: وغزاكم ثمانون من تميم.

أمره فَصْلٌ لا يُرَدّ، ينفذ في كل شيء ويمضي فيه ويحكمه ويفرغ منه.

وقال الهذلّي[1]:

فـقَـضَـى مَـشَـارَتَـهُ وحَـطَّ كـأنَّـهُ
خَـلَـقٌ ولـم يَـنْـشَـبْ بـمـا يَـتَـسَـبْـسَـبُ ٢٠٣[2]

أي فَرَغ من مشارته وهو أخْذ العَسَل. وأنشد أيضاً:

فبتلك أقضي الهَمَّ إن خِلاجَهُ سُقْمٌ وإنّي لِلْخلاج صَرُومُ ٢٠٤

أقضي الهم أنفِذه وأقطعه.

[التقدير والتفصيل] فالقدر على ما فسره العلماء وجاءت فيه الأشعار في لغة العرب هو التقدير، والقضاء هو التفصيل. وسمَّوا القدر كتابًا على ما قد ذكرنا. قال بعض العلماء: القدر هو الكتاب الذي يمحو الله منه ما يشاء ويُثبت، وهو «أُمُّ الكتاب» كما سمَّاه الله عزَّ وجلّ. وأُمُّ كل شيء قَصْده ومَرْجِعه.

فكان القدر هو التقدير الأول. والقضاء هو فَصْل الشيء بعد التقدير. ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: أفرُّ من قضاء الله إلى قدره، أي أفر من الشيء قبل أن يقع فيصير قضاءً فَصْلاً إلى ما قُدِّر ولم يُفَصَّل؛ فإن الله يُزيله عنّي ويُغَيِّرُه ويمحوه[3]. وهو عزَّ وجلَّ قادِر على ذلك جل وتعالى.

---

(١) هو ساعدة بن جؤية.

(٢) د الهذليين ١/١٨٢ ول/شور. قال الشنقيطي في شرح البيت: مشارته ما اشتار من العسل أي أخذ، والشور الأخذ. قوله: لم ينشب، أي لم يعلق وانخرط منحطاً كأنه ثوب خلق. وينشب أي يلبث. ويتسبسب أي يسيل.

(٣) وقد ذكر أبو حاتم الحديث في كتابه الإصلاح وفسر حذار النبي ﷺ من الهدف المائل باستشعاره نفاق المنافقين ونكث الناكثين وسقوطهم عن منزلتهم في الدين، وفسر سرعة المشي بمخاطبته ومفاتحته إياهم بالوعظ والإنذار والأمثال دون التأني في البيان والتأمل في أسرار الكون ومعرفة الغيب. فكان امتناعه من إنالته إياهم بالبيان العلمي المفصل وإسراعه بإفادته إياهم بالموعظة وضربه لهم الأمثال الظاهرة، فكان هذا بمثابة فراره من القضاء (وهو التفصيل = المعنى) إلى القدر (وهو التقدير = الكتاب). «وكان سبب فراره من القضاء إلى القدر هذا الهدف المائل حذراً من سقوطه، لا حذراً من نفسه، ولا فراراً من الكرامة التي أكرمه الله بها ومن الدرجة التي أرقاه إليها، بل كان على الاستكثار منها أحرص، وفي الازدياد فيها أرغب، وعلى النهوض بها أقوى. سلام الله عليه ورحمته وبركاته».

باب الدنيا والآخرة

[الدنيا والآخرة حياتان] قال أبو عبيد[1] في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ﴾[2]: جعل الآخرة نعتاً للدار، ثم قال: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾[3]، فأضاف الدار إلى الآخرة. قال الفرّاء: هذا كثير في كلامهم أن يُضيفوا الشيء إلى نعته إذا اختلف فيه اللفظان، كقوله: ولَدَارُ الآخِرَةِ، وكقوله: ﴿حَقُّ الْيقِينِ﴾[4]، وصلاة الأولى، وبارِحة الأولى، وما أشبه ذلك. وقال الكسائي في قوله: ﴿إذْ أنْتُم بالْعُدْوَةِ الدُّنْيا﴾[5]: فيه لغتان، العُدْوَة والعِدْوة. وقرأها الكسائي بالضم، وأبو عمرو بالكسر. قال الكسائي [١٢٠] وكذلك في القُصْوَى لغتان، القُصْوى والقُصْيَا، ولا يجوز في القراءة إلاّ القُصْوى. قال: والقُصْيا فاشِيَة في كلامهم يَقْلِبون الواو ياء، كما قالوا الدُّنيا والعُلْيا، وهما من دَنَوْت وعَلَوْت. قال أبو عبيدة: بالْعِدْوَة الدُّنْيا مكسورة. وبعضهم يضمُّها. مجازها عَداء الوادي شفيره والعَداء والِملْطاط حافتا الوادي[6]. وتُجمع الدنيا دُناً، مثل الكُبْرى والصُّغْرى والكُبَر والصُّغَر.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا الْحيوةُ الدُّنْيا إلاّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[1]. وقال:

---

(١) كما في ع. م و ح و ي و س: أبو عبيدة: والتفسير لم يرد في المجاز.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٩ وسورة النحل: الآية ٣٠.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٩٥.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

(٦) المجاز ١/٢٤٦. عداء الوادي بفتح العين وكسرها وعدوته بضم العين وكسرها وعداه بفتح العين وكسرها طواره وشفيره. وفي ل/ عدا: قال ابن السكيت: عدوة الوادي بالضم والكسر جانبه وحافته، والجمع عدي بفتح العين وتكسر. والملطاط ساحل البحر. ومنه حديث ابن مسعود، قال: هذا الملطاط طريق بقية المؤمنين. وفي حديث علي، قال: فأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري. يريد به شاطىء الفراط.

﴿إنّما الحيٰوةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهوٌ﴾[٢]. فجعل الدنيا نعتاً للحياة، والآخرة نعتاً للدار، لأنهما حياتان، الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وكذلك هما داران، دار الدنيا ودار الآخرة. والآخرة نعت للدار. وإنما جاء مضافًا إلى نعته لما ذكرهُ القرّاء من العِلّة فيه.

ويذهب قوم إلى أن الدنيا هي الأرض والسماء وما بينهما، وهو خطأ، لأن الآخرة أيضاً في السماء والأرض. فإن كانت السماوات والأرض[٣] هي الدنيا فأين الآخرة؟ وقد قال قوم: إن الآخرة لا تكون إلا بعد انقضاء الدنيا، قلنا: فإن كانت كذلك فمن قد مات فهو في الدنيا، لا يجوز أن يقال قد مَضَى إلى الآخرة. إذا كان الآخرة لم تُخَلق. ولكنا نقول: إنهما حياتان؛ فمن كان في هذه الحياة الدنيا فهو في الدنيا، لأن الله عزَّ وجلَّ قد جعل الدنيا نعتاً للحياة؛ ومن مَضَى فهو في الحياة الآخرة.

والدنيا اشتقاقها من الأدنى وهو الأقرب، أي إن هذه الحياة هي أقرب الحياتينَ، والآخرة هي الحياة الأخرى. وكل شيء له طَرَفان، فالأولى منهما إليك الدنيا، والأبعد هو الآخرة. قال الشاعر:

كــلّ امْــرِىءٍ دُنْــيــاه فــي وَجْــهِــهِ   لــيــســت لــه مــن خَــلْــقِــه آخِــرَة ٢٠٥

فسمّى وَجهه دنياه ودُبُره آخرته، لأن الوجه هو الأدنى إليه والدبر هو الأقصى. وهكذا قال الله تعالى: ﴿إذْ أنْتم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ فجعل الدنيا نعتاً للعُدْوة.

فقد دَلَّك أن الدنيا ليست باسم، إنما هو نعت. والنعت لا بُدَّ أن يكون لاسم قد تقدَّمَه. وربما أُقيم النعت مُقام الاسم. وإنما يُفعَل ذلك إذا كان الاسم مشهوراً، كقولك: قام زيد العاقل. فالعاقل نعت لزيد. ثم يقول: قام العاقِل. فأقيم النعت مقام الاسم، والاسم هو زيد وهو غير مجهول. فكذلك الدنيا هي نعت للحياة. ولم نجد للدنيا اسماً قد تقدَّمه، فتكون الدنيا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٠ وسورة الأنعام: الآية ٣٢ وسورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) سورة محمد: الآية ٣٦.

(٣) ع: السماوات والأرضون. وقد جمع التنزيل: السماوات والأرض أعدت للمتقين (سورة آل عمران: الآية ١٣٣).

نعتاً لذلك الاسم غير الحياة. وكذلك الآخرة نعت للحياة. فما دام الإنسان في هذه الحياة قيل هو في الدنيا، أي في الحياة الدنيا، فإذا صار في الحياة الآخرة قيل هو في الآخرة، يعني في الحياة الآخرة. وكذلك الدار الآخرة. إنما الآخِرة نعت للدار، فأقيم النعت مقام الاسْم على ما قد ذكرنا. فأما ما يذهب إليه العامّة أن الدنيا هي السماء والأرض وما بينهما فهو خطأ. إنما ذلك اسم للعالم، والعالم اسم يجمع هذه الأشياء كلها. وقد ذكرنا ذلك في باب العالم.

باب القلم

يروى أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الوَحْي عن جبرئيل، وجبرئيل عن ميكائيل، وميكائيل عن إسرافيل، وإسرافيل عن اللوح، [١٣١] واللوح عن القلم. ورُوِي عن علي بن الحسين رضوان الله عليه أنه قال: إن الله تعالى خلق العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلاّ ثلاثة أشياء، الهواء والقلم والنون. وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه سُئِل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ن والْقَلِم وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١). فقال: نون نهر في الجنة أشدُّ بَياضاً من الثلج وأحلى من الشهد. قال الله له: اُجْمُدْ! فجمد. ثم قال للقلم: اُكتُبْ! فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة. ثم قال للقلم: اُصْمُتْ! فصمت. فذلك قوله: ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(٢). وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: أول ما خَلَقَ الله القلم، فقال له: اُكْتُبْ! فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. وقال بعض الحكماء: لولا القلم ما قامت الدنيا، ولا استقامت الحكمة. وقال: أمر الدين والدنيا تحت شيئين، أحدهما تحت الآخر، وهما السيف والقلم، والسيف تحت القلم. وقال: كل شيء تحت العقل واللسان، لأنهما الحاكِمان على كل شيء، والقلم يركبهما ويُصوِّرهما ويُوجِد لهما شكلين. وقد رُوِي في القلم حديث كثير وأخبار كثيرة. فأما القلم(٣) الذي خَلقَه الله قبل كل شيء فالله أعلم بكيفيته؛ وليس لنا أن نقول فيه إلا ما رُوِي(٤).

---

(١) سورة القلم: الآية ١.

(٢) سورة يس: الآية ١٢.

(٣) كما في ع. م و ح و ي و س: فالقلم.

(٤) ويكون صاحب الزينة قد أشار بالقلم الذي خلقه الله قبل كل شيء إلى الإبداع أو المبدع =

وأما اشتقاقه من اللغة فإنه يقال: قَلَمتُه، أي قَطَعْته وهَيَّأته من جوانبه وسَوَّيته وبَرَيته. قال: وقيل لأعرابيّ: ما القلم؟ ففكَّر ساعة، وقَلَب يَدَيه، ثم قال: لا أدري. فقيل له: توهَّمْه. فقال: هو عُود قُلِّم من جوانبه كتقليم الأظفور، فسمِّي قلماً[1]. قال الْمُقَنَّع الكِنْديّ[2].

يُـخْـفـي فـيـنـقـص مـن شُـعَـيْـرة أنْـفِـهِ

كـقُـلامَـة الأظْـفـور مـن مِـقْـلامِـهِ ٢٠٦[3]

والقلم في كلام العرب القِدْح والسَّهْم الذي يُتَساهَم به. والأقلام السِّهَام تُجال على الشيء الذي يُقْسَم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِذْ يلقونَ أقلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَم**﴾[4]. وقال أبو عبيدة[5]: أقلامهم قداحهم[6]. وقال بعض أهل التفسير: أقلامهم سهامهم. قال: وذلك أن الأنبياء تَشَاحُّوا أيهم يكفل مريم، فضربوا عليها بالسهام، فخرج سهم زكريًّا عليه السلام. قال الله:

= الأول وهو العقل الفعال أو العقل الأول. والذي يؤيد رأينا هذا وصفه في آخر الباب بالقلم الأول الذي برى الله به الأشياء كلها وسواها وكتب به مقاديرها وحظوظها، ولكنه لا يقول هذا صراحة، بل يلتجيء إلى ما روي فيه من أحاديث وأخبار.

(١) ليس القلم بمشتق من قلمته أي قطعته. والدليل على ذلك ما حكاه المؤلف من تردد الأعرابي وتوقفه في شرح أصله واشتقاقه، ثم توهمه أنه «عود» قلم من جوانبه كما تقلم الأظفور، وقيل إن اللفظ أصله في اليونانية قالموس καλαμος ومعناه عود، ثم قلم يكتب به؛ ويوجد في اللغة السنسكريتية قلم कलम وفي بعض اللغات الهندية الأوروبية القديمة، وأخذته العرب من اليونانية بطريق الآرامية قولموس קולמוס أو السريانية قلما ܩܠܡܐ وإنما يرى نولدكي (Beiträge ص٥٠) أنه مأخوذ من الحبشية قلم ቀለም وورد في النقوش العربية الجنوبية قلم 𐩤𐩡𐩣 بمعنى عود يستجمر به في العبادات (Calamas adoratus) كما ذكره جيفري ٢٤٣ نقلاً عن روسيني (Glossarium ص ٢٣٢).

(٢) هو محمد بن ظفر بن عمير من كندة. وكان من أجمل الناس وجهاً وأمدهم قامة. وكان يتقنع دهره فسمى المقنع، كما حكاه القتبي في الشعر والشعراء ١٧٣. قال الأصبهاني: شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية. وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته. وكان عمير جده سيد كندة. وكان محمد نشأ سمح اليد بماله حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال. أخباره في الأغاني ١٥/١٥٧ ـ ١٦٠.

(٣) أحفى أي بالغ في قص شاربه. والقلامة هي المقلومة عن طرف الظفر.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٥) كما في س و ع. م و ح و ي: أبو عبيد.

(٦) المجاز ١/٩٣.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1].

ويقال: إن الإقليم أُخِذ من ذلك يقال: إن الأرض سبعة أقاليم، أي سبعة أسهم. فإقْليم إفْعيل من القلم[2].

وقال قوم: سُمِّي السهم قلماً، لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم وأنصِباءهم بالقلم. فسمي السهم قلماً لذلك وقال غيره: سُمِّي قلماً، لأن القِدْح على هيئة القلم. وسمِّي النصيب سهماً، لأن سِهام العرب صغيرة، ويكون السهم على مقدار القلم أو القِدْح يزيد قليلاً. وكانوا يكتبون أسماءهم على القدح[3]. فإذا لم يحضر القدح كتبوا على السهم، فأجالوا السهام بدل القداح. والقدح والقلم والسهم كل هذه تُبْرَى وتُسوّى وتُقلَم. والتقليم هو البَرْي للإصلاح. ومن أجل ذلك قالوا: قَلَم ظُفْره، إذا قَطَع منه النابِت ليصلح. وكذلك: قلمت الشجر والكرم، وغير ذلك. كل هذا يقال لما يُبْرَى ويُقطَع ليصلح. فهذا معنى القلم في اللغة. وكان الله عزّ وجلّ سَمّى «ذلك القلم الأوّل» قلماً، لأنه بَرَى الأشياء به كلها وسوّاها، وكتب به مقاديرها وحظوظها[4]. والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣/ ٣٧.

(٢) اطلب باب الأقاليم فيما يلي. وقد ذكر ياقوت في البلدان (المقدمة ب ٢)/ ١٦ ما قال أبو حاتم في كتاب الزينة إن الإقليم هو النصيب مشتق من القلم بإفعيل إذا كانت مقاسمة الأنصباء بالمساهمة بالأقلام مكتوب عليها أسماء السهام كما قال الله تعالى: ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾.

(٣) كما في س و ع. م و ح: أسماءهم وأنصباءهم على القداح.

(٤) س: خظوطها، وهو تصحيف. وسبق أن ذكرنا في الهامش رقم ٤ في هذا الباب أن المراد بذلك القلم الأول هو الإبداع الأول أو المبدع الأول، وأشار المؤلف إلى هذا بعبارة غامضة.

باب اللوح

قال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مجيدٌ فِي لَوْحٍ مَحفُوظٍ﴾[1].

[ألواح موسى] روى أبو عبيد[2] بإسناد له عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: [١٢٢] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وتَفصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]. قال: كانت الألواح من زُمرّد أخضر. فلما ألقى موسى عليه السلام الألواح بَقي الهدى والرحمة، وذهَبَ التفصيل. وفي الآية: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. ثم قال: ﴿أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ﴾[4]. أي نَسَخَ الهدى والرحمة. وعن ابن عباس قال: لم يبق من الألواح إلا سُدسُها.

وروى غيره عن وَهب بن مُنَبِّه: إن أول ما أنزل الله على موسى عليه السلام الكلمات العشر التي كتبت له في الألواح. وكانت الألواح عشرة، في كل لوح كلمة. وكانت الألواح من صخرة صَماء، ولكن لَيَّنها الله لموسى عليه السلام، فقطعها بيده، ثم شقَّها بأصبعه، فأطاعته؛ ثم ناوَلَها ربَّه، فكتب فيها بيمينه، وموسى يسمع صرير القلم. وكان طول الألواح على طول موسى عليه السلام.

[اللوح العظم] قال بعض أهل المعرفة: سمي اللَّوْح الذي يكتب فيه لَوْحاً، لأنهم كانوا يكتبون في العِظام، كعَظْم الكتف وغير ذلك، فكل عظم

---

(١) سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.

(٢) كما في ح و ع. م و س: أبو عبيدة.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٤.

كتبوا فيها سمّوه لوحاً. ثم قيل لكل ما يُكتَب فيه من الخشب لوحاً، لأنه نُحت على تلك الهيئة. واللوح العَظْم. يقال: رجل عظيم الألواح، إذا كان كبير عظم اليدين والرجلين[1]. وكل عظم يُسمّى لوحاً. قال الْجعْدي:

وَلَوْحَيْ ذِراعَيْنِ في بِرْكَةٍ ... إلى جُؤجُؤٍ رَهِلِ الْمنكِبِ ٢٠٧[2]

لَوْحَيْ ذراعين يعني عَظْم الذراعين.

[ألواح السفينة] وسميت ألواح السفينة الواحاً، لأنها نُحتت على هيئة الألواح التي يُكتَب فيها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[3].

[اللوح البريق] واللَّوْح البَريق. يقال: لاحَ الشيْء يُلوح لَوْحاً، إذا بَرَقَ وأضاء. وجمع اللوح ها هنا أيضاً ألواح. قال ابن أحمر:

ولا ألْواحُ درَّة هِبْرقي ... جَلا عنها مُخَتِّمها الكُفُونَا[4]

يُكَرِّمها بديباج وخَزٍّ ... ويُخرِجُها فتأتلِقُ العُيُونَا ٢٠٨

ألواح الدرّة بريقها، ولها لوح واحِد، ولكنه جَمَعَه بما حوله من

---

(١) ع: كثيرٌ عظم اليدين والرجلين. قال الراغب: (المفردات/عظم): عظم الشيء، أصله كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير فأجرى مجراه محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنى. والجوهري (صح/لوح): واللوح الكتف وكل عظم عريض، واللوح الذي يكتب فيه.

(٢) البرك بفتح الباء الصدر. فإذا أدخلت عليه الهاء كسرت وقلت بركة (صح/برك). والجؤجؤ عظام صدر الطائر، ورهل اللحم كفرح اضطرب واسترخى (صح/رهل).

(٢) سورة القمر: الآية ١٣. حاشية س: الدسار حبل من ليف تشد به ألواح السفينة. والجمع دسر. وقيل: الدسر مسامير السفينة. وعلى الوجهين يفسر قوله «على ذات ألواح ودسر». اهـ ورد اللوح في التنزيل بمعنى ما يكتب فيه من حجر أو خشب أو عظم، وبمعنى ألواح السفينة، لأنها سويت على هيئة الألواح التي يكتب فيها. وكذلك سميت العظام العريضة كعظم الكتف ألواحاً، لأنهم كانوا يكتبون فيها، كما حكاه صاحب الزينة. ونظير اللفظة في العبرية لوح לוח وفي الآرامية لوحا לוחא وفي السريانية لوحا ܠܘܚܐ واستعملت نظائرها في هذه اللغات بمعنى ألواح موسى التي كتبت فيها الكلمات العشر، وبمعنى ألواح سفينة نوح. فمن ثم يرى بعض العلماء اللغويينَ أن اللفظ ولو كان عربياً اقتبس هذه المعاني من إحدى هذه اللغات، والأغلب أنها الآرامية. راجع جيفري ص ٢٥٣.

(٣) حاشية س: الهبرقي الحداد. وقيل هو الصائغ. ي و س: مجثمها، والصواب مختمها كما في م و ح و ع ول/ هبرق. ورواية ل/هبرق: الكنونا.

البريق، لأنها تبرق وتلوح من كل جوانبها، كما قالوا: حَسَنَةَ اللبّات، وهي لَبَّة واحدة.

ويقال: جَوْهرٌ لِياحٍ، بَيِّن اللَّوْح أي بَرّاق(١). قال الكميت يصف ثوراً:

لِـيـاحٌ كـأَنّ بـالأَتْـحـمِـيَّـة مُـسْـبِـغٌ
إزارا وفـي قُـبْـطِـيَّـةٍ مُـتـجَـلْـبِـبُ ٢٠٩(٢)

شَبَّه شِدَّة بريق شعره بالأتحمية، وهي ضَرْب من الثياب. وقال طرفة:

لِـخـوْلَـة أطـلال بـبُـرْقـة ثَـهْـمَـدِ
تَـلُـوح كـبـاقي الْـوَشْـمْ في ظاهِر الَـيـدِ ٢٠١(٣)

وقال آخر:

يَـلُـوح كـأنّـه كَـفَّـا فَـتَـاةٍ تَـرَجَّع في مَعَاصِـمـهـا الـوُشُـومُ ٢١١

واللُّوح ما بين السماء والأرض من الهواء، يقال له لُوح. ويقال: ألاَحَ بثوبه يُليح به، أي لَمعَ به. ويقال: لاَحَ يَلوح لَوْحاً، إذا بَرَزَ. واللِّيحَة التي تُطْلى المرآة على وجهها، يُراد به بريق الحمرة. واللوح العطش. وقال:

يا بنت عمّي لاَحَني الهَوَاجِرُ ٢١٢

ويقال: لاَحَ الكوكب لَوْحاً. قال الشاعر:

أُراقِـب لَـوْحـاً مـن سُـهَـيْـل كـأنّـهُ
إذا مـا بَـدَا مـن آخـر الـلـيـل يَـطـرِفُ ٢١٣(٤)

سهيل كوكب أحمر يضطرب، وهو من الكواكب اليمانية، يطلع عن يسار مستقبل [١٢٣] قبلة العراق، يُرى بالحجاز، ولا يرى في كثير من المواضع. فهذا ما جاء في اللوح. والله أعلم بكيفية اللوح المحفوظ الذي هو عنده عزَّ وجلَّ.

---

(١) في صح/لوح قال: شيء لياح أي أبيض. قال الفراء: إنما صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها. ومنه قيل للثور الوحشي لياح لبياضه. وفي ق/لوح: اللياح كسحاب وكتاب الصبح والثور الوحشي وسيف لحمزة رضي الله عنه والأبيض من كل شيء.

(٢) د الهاشميات ٥٣. حاشية س: الأتحمية ضرب من برود اليمن. والقبطية الثياب البيض من الكتان منسوبة إلى القبط. والمسبغ الذي قد أطال ثوبه.

(٣) د طرفة/ العقد ٥٤.

(٤) يطرف مأخوذ من طرفت العين تحركت بالنظر ومعناه يضطرب.

باب الكرسي

[جميع ما خلق الله في جوف الكرسي] روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: العرش والسموات والأرضون وجميع ما خلق الله في جَوْف الكرسي كَحلقة أُلْقِيتَها في فَلاة[1]. وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ﴾[2] ألا ترى أن الفعل للكرسي، والسموات والأرض[3] مفعول بهما، لأن الكرسي هو الذي وسعهما.

---

(١) في ل/ كرس قال: وروى عن عطاء أنه قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة. قال الزجاج: وهذا القول بين، لأن الذي نعرفه عن الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه الخ. وقيل: إن اللفظ مشتق من الكرسي أي الأصل أو اللزوم والثبات. وقال الزمخشري في الأساس/ كرس: قيل الكرسي منسوب إلى كرس الملك كقولهم دهري اهـ. ولا يخفى أن نسبته إلى كرس الملك فيه تعسف شديد، وأنه بعيد عن معنى الأصل وعن الصيغ العربية المعروفة. ويرى صديقنا الفاضل الدكتور مهدي حسن في مقال عنوانه Kursi or Throne: a Chinese word in the Koran نشرته مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (فرع بومباني) ج ٢٨/١ ص ١٩ - ٢١ أن اللفظ بمعناه المقعد العظيم أو العرش دخل قديماً في العربية من الصينية، وأن أصله الصيني K'au-Tsz-I، والمراد منه المقعد العظيم (Tsz-I) مع ظهر رفيع يعتمد عليه (K'au)، كما تصوره الرسامون عرش بوذا وعروش الملوك، وقد أدخلت فيه الراء (R)، فأصبح K'au-R-sz-I، ومنه -Ku-R-S-I = كرسي، كما هو الحال في الكلمات الصينية التي انتقلت إلى اللغات الهندية الأوروبية، نحو Ssu، فمنه Ssu-R = Sur أو Ser أي الأبريسم، و Po-Tzu-Lan منه Po-R-Tzu-Lan = Porcelain. هذا ما قاله مهدي حسن. وقد يكون اللفظ الصيني انتقل إلى اللغات الهندية والفارسية القديمة (البهلوية)، ثم إلى الارامية ،ومن الآرمية [كורסיא] والسريانية ܟܘܪܣܝܐ أخذته العرب، لا من الصينية مباشرة. وما أورده صاحب الزينة في هذا الباب من ذكر الكرسي في إنجيل متى يوافق تفسير العلماء الذين قالوا إن العرب أخذته من الآرامية. راجع فرينكل Vocabilis ص ٢٢ وجيفري ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) س و ع: والأرضون.

ومكتوب في الإنجيل[1]: لا تحلف بالسماء، فإنها كرسي الله، ولا بالأرض، فإنها وِطاء تحت قدميه، ولا بأورى شَلَم، فإنها مدينة الملك العظيم، ولا برأسك، فإنك لا تقدر على أن تزيد فيه شعرة سوداء ولا بيضاء.

[تفسير الكرسي بالعلم] قال ابن قتيبة: إن قوماً حملوا التأويل على عِلْمهم. فقال فريق منهم في قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: إنه عِلْمه. وجاؤوا على ذلك بشاهد لا يُعرَف، وهو قول الشاعر:

ولا يُكَرْسِيءُ عِلْـمَ الله مَخْلوقُ ٢١٤

كأنّه عندهم ولا يعلم علم الله مخلوق. والكرسي غير مهموز، ويكرسيء مهموز[2]. ويستوحشون ـ زعموا ـ أن يجعلُوا لِلّه كرسياً أو عرشاً أو سريراً. وقد أنشدني هذا البيت محمد بن عمر الصيمريّ[3] ببغداد، وكان من مشائخ المعتزلة وكان أميناً[4]. وذكر أنه يرويه عن مشائخهم:

مـالـي بـعِـلْـمـك كُـرسـيٌّ أكـاتِـمـهُ وهل يُكَرْسِيء عِلْم الله مخلوقُ ٢١٤

وأنشدني مرة أخرى: وهل يكرسيء علم الغيب مخلوق. وقال: كرسيه هو العلم، واحتج بهذا البيتْ. وهو مذهب المعتزلة. يريدون بذلك نفي التشبيه.

---

(١) أي في إنجيل متى أحد الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين. وما في الإنجيل (الإصحاح الخامسُ منه والآيات ٢٢ ـ ٢٧) حسب الترجمة المستعملة الآن نصه: أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة. لا بالسماء، لأنها كرسي الله. ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه. ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. لا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

(٢) راجع الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية للقتبي ص ٢٨ ـ ٣٩. وقد علق عليه الكوثري بما يأتي: تفسير الكرسي بالعلم مروى عن ابن عباس بسند يعول ابن قتيبة على ما هو ليس بأحسن شأناً منه، ويستند على أبيات ليست أقوى ثبوتاً من البيت المذكور. وهمز الياء لضرورة التحريك. وقد فسر أبو حيان الكرسي في البيت المذكور بمعنى السر، وأطال في بيان معاني الكرسي في استعمالات العرب. والكرسي أيضاً مخلوق عظيم دون العرش المحيط بالمخلوقات، كما أنه موضع القدمين من عروش الملوك اهـ.

(٣) كما في س وع. م: محمد بن نضر الضمري. ح و ي: محمد بن نصر الضمري.

(٤) ع وحاشية س: وكان أمياً.

ويقال: الكرسي الرجل العالم السيد. ورجال كراسِيٌ أي علماء سادة. وأنشد:

[تـحـف بـهـا بـيـض الـوجـوه] وعُـصْـبَـةٌ
كـراسِـي بـالأحـداث حـيـن تَـنُـوبُ ٢١٥[(١)]

[الكرسي من الكرس] وقال الأصمعيّ: الكِرْس الأصل. وأنشد للعجّاج:

في مَعْدِن الْمُلْك القديم الكرس ٢١٦[(٢)]

وقال: الكُرّاسة الكتاب. سُمِّيتَ بذلك لأنه قد جُمِع فيها العلم والحكمة. قال غيره: سميت كُرّاسة للأوراق التي جمعت بعضها فوق بعض. قال: وهو مأخوذ من الكِرْس، وهو ما دَمَّنَ الناس في آثار الدار من الرماد والسِّرْجين بعضه فوق بعض. قال العجاج:

يـا صـاح هـل تـعـرف رَسْـمـاً مُـكْـرَسَـا؟ قـال: نـعـم أعـرفـه، وأَبْـلَـسَـا ٢١٧[(٣)]

أي قد تكرّست فيه الأبوال والأبعار. وما أكثر ما جاء في هذا. والكِرْس المجتمع المتلبّد من البول والبعر وغير ذلك. وجمعه أكراس. قال الْمُسَيَّب[(٤)]:

الـواهِـب الـطَّـفْـلَـةَ الـحـسـنـاء زيَّـنـهَـا
مُـكَـرَّسٌ كـصُـلِـيِّ الـجـمْـرِ مَـنـظـومُ ٢١٨

يعني الحلى بعضه فوق بعض. وأنشد:

---

(١) تمامه في الأساس/ كرس، قال نقلاً عن قطرب: وأنشد تحف بها... البيت.
(٢) د العجاج ٧٨ والأساس/ كرس. من الأرجوزة المنسوبة إليه:
قـد عـلـم الـقـدوس رَب الـقـدس أن أبـا الـعـبـاس أولـى نـفـس
بـمـعـدن الـمـلـك الـكـريـم الـكـرس
وفي ل/ كرس: وقال العجاج يمدح الوليد بن عبد الملك:
أنـت أبـا الـعـبـاس أولـى نـفـس بـمـعـدن الـمـلـك الـقـديـم الـكـرس
(٣) د العجاج ٣١ ول/ كرس. مكرس بتخفيف الراء. اطلب باب إبليس فيما يلي.
(٤) وهو المسيب بن علس من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الأعشى.

أضـــاءت أخـــوَرَ الـــعـــيـــنـــيـــن طَـــفْـــلاً
تَـــكَـــرَّس فـــي تَـــرائِـــبـــهـــا الـــفـــريـــدُ ٢١٩[1]

تكرس تلبد بعضه فوق بعض.

(١) الطفل بفتح الطاء الرخص الناعم من كل شيء. وحاشية س: الترائب عظام الصلا. والفريد الدر المنظوم المفصل.

باب العرش

[العرش في القرآن والحديث] قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾**(١) وقال: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِهِم﴾**(٢) وقال: **﴿ويَحْمِلُ [١٢٤] عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**(٣). واختلف الناس في تأويل العرش، ورووا فيه روايات كثيرة.

رُوِي عن علي بن الحسن عليه السلام أنه قال: إن الله عزَّ وجلَّ خلق العرش أرْباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنون؛ ثم خلقه من ألوانِ أنوارِ مختلفة، من ذلك نور أخضر منه اخضرَّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرَّت الصفرة، ونور أحمر منه احمرَّت الحمرة، ونور أبيض، وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار. ثم جعله سبعين ألف ألف طَبَق كأول العرش إلى أسفل السافلين. ليس من ذلك طبق إلا يُسبِّح بحمده ويُقدِّسه بأصوات مختلفة وألْسِنة مختلفة، لو أُذِن للسانِ منها، فأسمَع شيئاً مما تحته، لهدم الجبال والحصون، ولخسفِ البحار، ولهلك ما دونه. له ثمانية أركان يحمل كل ركن من الملائكة ما لا يُحصى عَدَدَه إلا الله، يسبحون الليل والنهار، لا يفترون. لو أحسّ شيء بما فوقه ما قام لذلك طرفة عين. بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم. وليس وراء ذلك مقال.

وفي حديث عن النبي ﷺ: الحسن والحسين عل جانِبَي العرش يَهتزُّ

(١) سورة هود: الآية ٧.
(٢) سورة المؤمن: الآية ٧.
(٣) سورة الحاقة: الآية ١٧.

بهما العرش كما تهتز الناقة بقُطْرَيها[١].

وفي حديث آخر: جانب العرش على منكب إسرافيل وإنه لَيئِطّ أطيطَ الرَّحْل الجديد[٢].

وفي حديث آخر: اهتزَّ العرش لموت سَعْد بن مُعَاذ لفرح الرب به[٣].

ورويت في العرش أحاديث كثير، وتأوَّل الناس فيه تأويلات مختلفة، وكل ينكر تأويل صاحِبه.

[العرش السرير] والعرش في كلام العرب هو السرير الذي يتخذه الملك. يقال له عرش. وقال مجاهد في تأويل قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾**[٤]، قال: على السريرِ. وهكذا روى عن جماعة من أهل

---

(١) في السراج المنير ٢/٢١٨ قال العزيزي: الحديث الذي رواه السيوطي في الجامع الصغير: الحسن والحسين شنفا العرش، وليسا بمعلقين. قال المناوي بشين معجمة ونون. وليسا بمعلقين، يعني أنهما بمنزلة الشنفين من الوجه. والشنف القرط المعلق بالأذن. والمراد أن أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يساره. وفي رواية: الحسن والحسين سيفا العرش اهـ. وهو قريب مما رواه صاحب الزينة: بقطريها، أي بجانبيها. وقال: عن الطبراني في الأوسط عن عقبة بن عامر. وقال شارحه: ضعيف لضعف حميد بن علي.

(٢) دا السنة ١٨: عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: ويحك، أتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه. شأن الله أعظم من ذلك. ويحك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا. وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. وفي النهاية/ أطط: ليئط أطيط الرحل الجديد، يعني كور الناقة أي أنه ليعجز عن حمله وعظمته.

(٣) خ مناقب الأنصار ١٢: عن جابر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. قال النووي (تهذيب الأسماء واللغات ١/٢١٤): سعد بن معاذ الأنصاري الصحابي أبو عمرو سيد الأوس. وكان من أعظم الناس بركة في الإسلام ومن أنفعهم لقومه. اطلب باب السماء والأرض فيما يلي. وقال ابن الأثير (النهاية/ عرش): العرش هنا الجنازة وهو سرير الميت، واهتزازه فرحه لحمل سعد عليه إلى مدفنه. وقيل: هو عرش الله تعالى، لأنه قد جاء في رواية أخرى: اهتز عرش الرحمن لموت سعد. وقيل هو على حذف مضاف، تقديره: اهتز أهل العرش بقدومه على الله.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

التفسير وأصحاب اللغة. قال أبو عبيدة: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ، مجازه على السرير[1]. وفسروا قوله: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾[2]، قالوا: كان سريراً، له قائمتان من ذهب، وقائمتان من فضة. وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[3]: مجازه ظَهَرَ على العرش وعلا عليه. ويقال: استويت على ظهر الفرس، وعلى ظهر البيت[4].

[العرش المظلة وسقف البيت] قال الأصمعي: العرش المِظَلَّةُ تُبنَى من قَصَب وغيره. وأنشد لأبي النجم في صفة الظليم:

كــأنــه بــالــسَّــهْــب أو حِــزْبــائِــه
عَـرْشٌ تَـحـفُّ الـرِيـح فـي قَـصْـبَـائِـهِ ٢٢٠[5]

السهب الأرض الواسعة. والحزباءة الغليظة. شبَّه حفيف الظليم إذا مرَّ بحفيف الريح في هذه المظلة. قال أوس:

أذمـــاء مـــن حُـــرِّ الـــهِـــجـــان كـــأنـــهـــا
بـعـد الـسُّـرَى والأيْـن عَـرْشُ بُـيـونِ ٢٢١[6]

يصِف الناقة شبهها بالمظلة تُبْنَى فوق البئر يَسْتَظِلّ بها الساقي. والبُيون البئر التي فيها حُيُود فلا يمر الرِّشاء مستوياً فيها. وقال آخر:

أكـلَّ يـوم عـرشُـهـا مَـقِـيـلـي ٢٢٢[7]

---

(١) المجاز ١/٣١٩.

(٢) سورة النمل: الآية ٤١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤ وسورة يونس: الآية ٣ وسورة الرعد: الآية ٢ وسورة الفرقان: الآية ٥٩.

(٤) المجاز ١/٢٧٣.

(٥) ي و س و ع: تحن الريح. القصباء جماعة القصب، واحدتها قصبة وقصباءة، وكل نبات ذي أنابيب وكعوب فهو قصب محركة، كما جاء في ل/ قصب.

(٦) لعله من المقطوعة (د أوس بن حجر عدد ٤٩ ص ٦٩) التي أولها:

لا تـحـزنـيـنـي بـالـفـراق فـإنـنـي ... لا تـسـتـهـل مـن الـفـراق شـئـونـي
ولـقـد أربـت عـلـى الـهـمـوم بـجـسـرة ... عـيـرانـة بـالـردف غـيـر لـجـون

(٧) ل/ عرش.

والعرش أيضاً السقف. ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[١].

[عرش مكة بيوتها] ويقال لبيوت مكة عُرُش. وفي الحديث: قيل لسعد بن أبي وقاص: إن معاوية ينهانا عن متعة الحج. فقال: تمتَّعنا مع رسول الله ﷺ ومعاوية كافِر بالعُرُش[٢]. وفسروا هذا الحديث أنه كان يومئذ بمكة لم يُهاجِر ولم يُسلم[٣]. والعُرُش جمع عَريش[٤]. وروى قوم [١٢٥] هذا الحديث: ومعاوية كافِر بالعرش، يعني كافِر بِعرْش الله. وقال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[٥]: مجازه يبنون البيوت[٦]. ويقال للقصر عرش. وأنشد:

فجاءَتْ كعَرْش الهَاجِريِّ الْمُطَيَّنِ ٢٢٣[٧]

يعني القصر. وروى أبو عبيد[٨] بإسناد له عن مجاهد في قوله: «وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ»، قال: يبنون البيوت والمساكن. قال أبو عبيدة: والْمَعْروش البناء المبنى. وكذلك كل شيء نصبته كالبناء. ولهذا سميت عُرُش مكة[٩]،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩ وسورة الكهف: الآية ٤٢ وسورة الحج: الآية ٤٥.

(٢) الفائق/ عرش والنهاية/ عرش. ولم يذكر الزمخشري اسم معاوية، بل قال: سعد رضي الله عنه قيل له إن فلاناً ينهى عن المتعة... وفلان كافر بالعرش. وقد ذكره ابن الأثير، ثم قال: أراد بقوله كافر الاختفاء والتغطي.

(٣) قال الزمخشري (الفائق/ عرش): يعني وفلان كافر مقيم بمكة لم يسلم ولم يهاجر؛ فالباء بالعرش لا تتعلق بكافر تعلق باء بالله به في قولك هو كافر بالله؛ ولكن قوله بالعرش خبر ثان للمبتدأ، كأنه قال: وفلان كافر في العرش.

(٤) س: جمع عرش. في الفائق/ عرش: عريش ويجمع عروشاً، وعرش ويجمع عرشاً (بضم العين والراء). وفي ل/ عرش: والعروش والعرش (بضم العين والراء) بيوت مكة واحدها عرش وعريش، وهو منه، لأنها كانت عيداناً تنصب ويظلل عليها... فمن قال عرش (بضم العين والراء) فواحدها عريش مثل قليب وقلب (بضم القاف واللام)؛ ومن قال عروش فواحدها عرش مثل فلس وفلوس. وكذا في صح/ عرش: عروش واحدها عرش.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.

(٦) المجاز ١/٢٢٧.

(٧) لم يرد الشاهد في المجاز ١/٢٢٧. والهاجري البناء منسوب إلى هجر من قرى المدينة على غير قياس. وطان الحائط والبيت طيناً وطينه طلاه بالطين (ل/ هجر وطان).

(٨) كما في س و ع. م و ي: أبو عبيدة.

(٩) س، ع: عروش مكة.

واحدها عريش(1)، بمعنى معروش. قال الكسائي: يَعرِشِ ويَعرُش لغتان. وكان يقرأ: يَعْرُشُونَ.

[العرش السطح] والعريش(2) شيء يتخذ شبه الهودج للمرأة تقعد فيه، وليس هو الهودج بعينه. قاله الخليل، وأنشد لرؤبة يصف الكِبَر:

إمّا تَرَى دَهرا حَناني حَفْضا
أطْرَ الصَّناعَيْنِ العريشَ القَعْضا ٢٢٤(3)

قال: وعرش البيت سقفه. وعرش البئر طيُّها بالخشب بعدما يُطوَى موضع الماء بالحجارة. قال أبو ليلى: إذا كانت رخوة لا تمسك الطيّ، لأنها رملة، فيُعْرَش أعلاها بالخشب، يوضع بعضه على بعض؛ ثم يقوم السُّقاة عليه فيستقون. وأنشد للقطاميّ:

وما لِمَثَاباتِ العُرُوش بَقِيَّةٌ
إذا اسْتُلَّ من تحت العروش الدعائِمُ ٢٢٥(4)

والمثابة أعلى البئر حيث يقوم الساقي.

[العرش أربعة كواكب] والعرش كواكب أربعة قُدّام السِّماك الأعزل، يقال لها عرش(5). قال ابن الأحمر:

---

(1) س: عرش.

(2) ي و س و ع: عرش.

(3) ل./ عرش حناني خفضا. وفي رواية د رؤبة ٨٠ وصح/ عرش والأصول كلها: حفضا. وقد جاء في حاشية على الشاهد في مخطوط م ما يأتي: يخاطب امرأة، يقول إن ترى أيتها المرأة الهرم حناني مثل عطف المرأتين الصناعين للعريش الذي هو شبيه الهودج المعطوف. فقد كنت أفدى في حال شبابي لهدايتي في المفاوز وقوتي على السفر. وبعد قوله العريش القعضا:

فقد أفدى مرجماً منقضا

وإما ترى، أصل إما إن وما زائدة، وترى أصله ترين سقطت النون للجزم بالمجازاة. وقعضت العود عطفته. والقعض ههنا المقعوض، وصف بالمصدر. وأطرت القوس أطرا حنيتها. والصناعين تثنية امرأة صناع. وحفضت العود حفضاً عطفته. وفداه تفدية إذا قال له: جعلت فداءك. والرجل مرجم بكسر الميم شديد. وانقض الطائر فهو منقض أي هوى في طيرانه اهـ.

(4) د القطامي ٤٨ وصح/ عرش ول/ عرش وثوب والأساس/ عرش. ومثاب البئر مقام الساقي من عروشها على فم البئر. والعرش خشبة معترضة على رأس البئر.

(5) صح/ عرش قال: العرش أربعة كواكب صغار أسفل من العواء يقال إنها عجز الأسد.

باتَتْ عليه ليلةٌ عَرْشِيَّةٌ
شَرِيَتْ، وبات على نَقاً مُتهدّمِ ٢٢٦(١)

ليلة عرشية، أي مطر فيها بنَوْء العرش.

[العرش العز وقوام أمر القوم] وعرش الْملِك أركانه وعزه وسلطانه ودعائمه، ولذلك سمى سريره عرشاً. وقال عديّ بن زيد في النعمان:

ولو هَلَكْتَ تركت الناس في وَهَل
بعد الجميع، وصار العرش أكسارَا ٢٢٧(٢)

يعني صار العرش أكساراً، أي قِطَعا، وتَفرّق الناس بعد الجميع. وقال زهير:

تَدَارَكْتما الأخلاف قد ثُلَّ عرشُها
وذُبيانَ قد زَلَّت بأقدامها النَعْلُ ٢٢٨(٣)

يعني تداركتما هذه القبائل بعد أن هدم عزهم وسلطانهم.

قال الخليل: عرش الرجلِ قوام أمِره، فإذا زال ذلك قيل قد ثل عرشه، وأنشد في ذلك هذا البيت لزهير. وفي حديث عمر: إنّه رأى في المنام، فسئل عن حاله. فقال: ثُلَّ عرشي لولا أني صادفت ربًّا رحيماً. فعرش الرجل قوام أمره. وكذلك عرش الْملِك قوام أمره وعزه وسلطانه، وعرش الأمّة الرجل الذي يكون به قوام أمرهم وملكهم. قال الكميت في عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه:

والوصي الذي أمالَ التَّجو بِيُّ به عرش أمّةٍ لانهدامِ ٢٢٩(٤)

---

(١) صح/ عرش ول/ شرى وعرش والتاج/ عرش والأساس/ عرش. وليلة عرشية منسوبة إلى عرش السماك. وفي التاج/ عرش قال: ليلة عرشية كثيرة المطر كأنها نسبت إلى نوء الثريا. ويحرك، أي غير مطمئنة. وبهما روى قولِ عمرو بن أحمر الباهلي يصف ثوراً اهـ. شريت أي لجت. ومتهدم متهافت لا يتماسك. وقوله باتت عليه ليلة عرشية من المجاز العقلي، والأصل بات هو في ليلة عِرشية.

(٢) الوهل بالتحريك الفزع من صح/ وهل.

(٣) د زهير/ العقد ص ٩٠ ول/ عرش. ورواية صح/ عرش: تداركتما عبساً وقد.... البيت.

(٤) د الهاشميات ٢٩. وتجوب قبيلة من حمير حلفاء لمراد منهم ابن ملجم، كما حكاه الجوهري في صح/ جوب وابن عبد البر في الإنباه ١١٨.

وقال قوم من أهل اللغة: الأمة ههنا الدين. وعرش الأمة الرجل الذي كان به قوام أمر دينهم. وقال [١٢٦] أوس يرثي رجلاً:

لَعَمْرُ مَا قَدَرٍ أجْرَى لَمضْرَعِهِ
لقد أخَلَّ بعرشي أيَّ إخلالِ ٢٣٠[(١)]

يعني أن قوام أمره كان بهذا الرجل، فأخلَّ بذلك موته. وقال آخر:

وفي مَن سِواهم من مُلوك وسُوقَةٍ
دَعائِمُ عرشٍ خانَه الدهْرُ فانْقَعَرْ ١٣١[(٢)]

[لا يعلم العرش إلا الله] قال ابن قتيبة: إن قوماً حملوا التأويل على علمهم، فقالوا في الكرسي والعرش وجعلوا العرش غير العرش، والعرب لا تعرف العرش إلا ما عُرش من السقوف والآبار والسرير. وأنشد لأمية بن أبي الصلت[(٣)]:

مَجِّدوا الله وهو للمجد أهْلٌ
رَبّنا في السماء أمْسَى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سَبَقَ النا
س وَسوَّى فوق السماء سَريرا
شَرْجَعا ما يَنالُه بَصَرُ العَيْـ
ـنِ تُرى دونه الملائِكُ صُورَا ٢٣٢[(٤)]

---

(١) الظاهر أن الشاهد من الأبيات التي قالها أوس بن حجر يرثي فيها فضالة بن كلدة الأسدي. وكان أوس قد انقطع إلى فضالة. فلما مات فضالة وكان يكنى أبا دليجة قال فيه أوس (د أوس بن حجر ٢٢):

يا عين لا بد من سكب وتهمال — على فضالة جل الرزء والعالي
أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ — أمسوا من الخطب في نار وبلبال

(٢) م و ح و ي و س: انعقر. والصواب ما جاء في ع: انقعر. والعقر لا يكون إلا في القوائم. وانقعر أي انقلع من أصله. وفي التنزيل: كأنهم أعجاز نخل منقعر. والمنقعر المنقلع من أصله. وفي ل/ قعر قال نقلاً عن ابن الأعرابي ما معناه: صحف أبو عبيدة، فقال: ضربه فانعقر، وإنما هو فانقعر. وقعر النخلة فانقعرت هي، قطعها من أصلها، فسقطت.

(٣) د أمية بن أبي الصلت ٤٢ والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) رواية الديوان: بصر الناس. والشرجع العالي المنيف. والصور جمع أصور وهو المائل العنق لثقل حمله. وفي حديث عكرمة: حملة العرش كلهم صور.

فهذا ما جاء في العرش والكرسي من لغة العرب، وروى في ذلك حديث كثير. وله معان كثيرة، فالعرش السرير، والعرش المظلة، والعرش سقف البيت، والعرش السطح، والعرش القصر، والعرش العز والسلطان، والعرش قوام أمر الرجل وقوام أمر القوم، والعرش كواكب أربعة في السماء. كل ذلك قد جاء عن العرب. وتأوَّل الناس في عرش الله وكرسيه تأويلات كثيرة بآرائهم، ورووا في ذلك حديثاً كثيراً. ولا يعلم كيفية العرش إلا الله عزَّ وجلَّ ومن أتاه الله علم ذلك من رسله ومن ارتضاه من خلقه.

باب الملائكة

[الملائكة من المالكة والملأكة] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[(١)]. فهُمِزت في جميع القرآن، والواحد مَلَك غير مهموز. قال أبو عبيدة: أصله مهموز[(٢)] من الْمأْلَكَة والْملأَكَة، وهي الرسالة، وهما لغتان مثل جَذَبَ وجَبَذَ[(٣)]. قال: وقد همز الملك بعض الشعراء، وأنشد لرجل من عبد القيس يمدح رجلا[(٤)]:

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِملأَكٍ
تنزَّلَ من جوِّ السماء يَصُوبُ ٢٣٣[(٥)]

يَصوب من صَابَ يَصوب، معناه نَزَلَ، من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

(٢) في المجاز ١/ ٣٥ قال: الهمزة فيها مجتلبة، لأن واحدها ملك بغير همزة. قال الشاعر فهمز: ولستَ لإنسي ولكن لملأك... البيت.

(٣) جذبه وجبذه على القلب كما قاله الجوهري في صح/ جذب. وقال أبو العلاء المعري في الملائكة ٦: وزن ملك معل لأن الميم زائدة؛ وإذا كان الملك من الألوكة فهو مقلوب من ألك إلى لأك، والقلب في الهمز وحرف العلة معروف عند أهل المقاييس. وأما جذب وجبذ ولقم الطريق وملقه فهو عند أهل اللغة قلب، والنحويون لا يرونه مقلوبًا، بل يرون اللفظين كل واحد منها أصل في بابه. فوزن الملائكة على هذا أي القلب معافلة لأنها مقلوبة عن مآلكة؛ وأصل ملك مألك من الألوكة وهي الرسالة، ثم قلب.

(٤) أبو عبيدة في المجاز ١/ ٣٣ قال: قال رجل من عبد القيس، جاهلي، يمدح بعض الملوك. وفي ل/ ملك قال: وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك. قيل هو النعمان. وقال ابن السيرافي: هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير ﷺ. وقد نسبه الأعلم إلى علقمة بن عبدة في دولوينه الستة. راجع مختار ص ٤٢٤.

(٥) رواية المعري (الملائكة ٦): لمألك. قال الشارح (مختار ٢٢٤): يقول كأنك لكمال خلالك لا تنسب للإنس وإنما تنسب لملك نزل من السماء.

﴿كَصَيِّبٍ مِن السَّمَاءِ﴾[1]، يعني المطر. وقال علقمة:

فـلا تَـعْـدِلـي بـيـنـي وبـيـن مُـغَـمَّـرٍ
سَقَتْكِ رَوَايا الْمُزْن حيث تَصُوبُ ٢٣٤[2]

والملك من الألوك، وأصله الهمز. وأنشد للبيد:

وغُـلام أرسـلَـتْـه أمُّـهُ بـألـوك فـبـذَلْـنـا مـا سَـأَلْ ٢٣٥[3]

الألُوك الرسالة. ويقال للرسالة أيضاً المألُكة بالضم. وأنشد لعَديّ بن زيد:

أبْـلـغ الـنـعـمـان عَـنّـي مَـأْلُـكـا
أنـه قـد طـالَ حَـبْـسـي وانْـتـظـارِي ٢٣٦[4]

وجمع المألكة المآلِك. ويقال لها ملائِك أيضاً. وقال أبو ذؤيب:

أبـلـغْ لَـدَيْـك مَـعـقِـلَ بْـنَ خُـوَيْـلـدٍ
مَـلائِـكَ يَـهْـديـهـا إلـيـك هُـداتُـهـا ٢٣٧[5]

ويروى مآلك بالهمز، وهي الرسائل.

قال الله عزَّ وجلَّ: [١٢٧] ﴿اللَّهُ يَصْطَفى مِنَ الْملائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[6]. قال غير أبي عبيدة: إنما حَرَّكوا اللام من مَلَك، وهي في الأصل ساكنة وفتحوها، لأنهم لما تركوا الهمز فيه ردوا فتحة الهمزة إلى اللام، لأنه في الأصل مَلأَك.

قال: ومَلَكوت العِراق عِزّه وسلطانه. ويقال: الْمَلْكُوَة[7].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٢) المجاز ١/٣٣ ود علقمة/ الشنتمري ١٩ ومختار ٤١٩. والمغمر والغمر الجاهل الذي لم يجرب الأمور كأن الجهل غمره واستولى عليه.

(٣) د لبيد ٢/١٢ وصح/ألك ول/ألك.

(٤) الأغاني ٣/٢٤ ول/ألك. قال ابن منظور نقلاً عن سيبويه: ليس في الكلام مفعل (بالضم). قال ابن بري: ومثله مكرم (بضم الراء). قال كراع: المألك (بالضم) الرسالة ولا نظير لها، أي لم يجيء على مفعل إلا هي اهـ.

(٥) د الهذليين ١/١٦٢.

(٦) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٧) الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة. ويقال للملكوت ملكوة مثال ترقوة. وملكوت العراق وملكوة العراق أيضاً هو الملك والعز. وملك الله وملكوته سلطانه وعظمته، كما جاء في ل/ملك. وشاعت الكلمة في العبرية الربانية وهي ملكوت، ونظيرها في الآرامية =

ويقال: أَلَكْته إليه في الرسالة. قال الكسائي: أصله مَلأَك مثل مَلْعك، ومألَك مثل مَغْلَك. قال المتلمس:

أَلِكْني إلى قومي ضُبَيْعَةَ أنهم أناسي فَلُومُوا بعد ذلك أودَعُوا ٢٣٨[١]

أَلِكْني أبلِغْ عني. وقال أبو ذؤيب:

أَلِكْني إليها إذا جئتَها رِسالاً وهل تُبلِغَنْها الرسالاَ ٢٣٩[٢]

وقال النابغة:

أَلِكْني يا عُيَيْنَ إليك قولاً سأبديه إليك إليك عنّي ٢٤٠[٣]

وقال آخر وهو أبو ذؤيب:

أَلِكْني إليها وخَيْرُ الرسو لِ أعْلَمُهم بنَوَاحي الخَبَرْ ٢٤١[٤]

[الهاء في الملائكة] والملائكة تُذكَّر وتُؤنَّث. وروى مغيرة عن أبراهيم قال[٥]: كان عبد الله يُذكِّر الملائكة في كل القرآن. وعن الشعبي عن عبد الله قال[٦]: إن القرآن ذَكَّر فذَكِّروه. وإذا اختلفتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء.

قال عليّ بن سليمان الأخفش[٣]: الملائكة جمع مَلأَك، وحقه في

= ملكوتا. وروى عكرمة ملكوثا منقوطة ثلاث نقط. راجع مقدمة المباني ٢١٣ وجيفري ٢٧١.

(١) د المتلمس ٤٠: دعوا. والأصول كلها: ذروا.

(٢) لم يرد الشاهد في شعر أبي ذؤيب من د الهذليين.

(٣) الأصول كلها: سأبديه. ورواية د النابغة/ العقد ٣٠: سأهديه. وفي ل/ ألك قال: قال أبو عبيدة في قوله (ألكني يا عيين إليك عني): أي أبلغ عني الرسالة إليك.

(٤) د الهذليين ١٤٦/١ ول/ ألك ولوك. قال أبو سعيد: أعلمهم بنواحي الخبر، أي يعرف شواكل الأمور. وناحيته شاكلته.

(٥) هو المغيرة بن مقسم بكسر الميم الضبي مولاهم أبو هشام الكوفي الأعمى، ومات سنة ست وثلاثين. قال الحافظ (تقريب التهذيب ٢٥٢): ثقة متقن إلا أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم، من السادسة. وأضاف الخزرجي (خلاصة تذهيب الكمال ٣٣٠) أنه كان يروي عن إبراهيم والشعبي، وعنه شعبة والثوري وخلق، وأنه كان يدلس، وأن عبد الملك بن أبي سليمان والعجلي قد وثقاه. وإبراهيم هو إبراهيم النخعي.

(٦) وأما عبد الله فقد يكون أحد العبادلة الأربعة. والأرجح أنه عبد الله بن مسعود، لأنه إمام أهل الكوفة وعنه أخذ النخعي والشعبي وغيرهما من أهلها، كما أفادنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي.

(٧) ذكر المؤلف الأخفش باسم علي بن سليمان. فمن هنا نرى أنه أطلق اسم الأخفش على علي بن سليمان دون غيره من الأخافش. اطلب الزينة ص ٨٧ هامش رقم ٢.

الأصل ملائك بلا هاء، ولكن الهاء تأتي لتبيين تأنيث الجمع، كقولك الكَواسِجة والمناذرة[1]. وحق هذا كله أن يكون بلا هاء في الأصل، ولكنها دخلت لما قلنا لأنك تريد الجماعة. ومَلأَك ومَلَك[2] لغة. فمن جعله مَلَكاً فجمعه أملاك. وهما لغتان لا تدخل إحداهما على الأخرى.

[الملائكة الرسل] وقال غيره: وكأن الملائكة مأخوذ من المألكة وهي الرسالة، لأن الله عزَّ وجلَّ أرسل الملائكة إلى الأنبياء بالرسالة. ويكون معنى الملائكة الرسل، وبهذا وصفهم الله عزَّ وجلَّ حيث يقول: ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْملائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾[3]. والله عزَّ وجلَّ يوحي إلى الْملك، والملك يوحي إلى النبي.

قال: ولا يقدر النبي أن يرى مَلَكاً حتى يتمثل له في صورة بشر. وروى أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي رسول الله ﷺ عليه في صورة دَحْية الكلبيّ[4]:

وقال الله عزَّ وجلَّ حكاية عن قوم: ﴿**وقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ فَيكُونَ مَعَهُ نَذِيراً**﴾[5]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقَضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ**﴾[6]. لأنهم لا يقدرون أن يَرَوا الملائكة إلا في [١٢٨] الآخرة. فأما في الدنيا فلا يقدر على رؤيته إلا النبي الطاهِر الْمطهَّر، وهو أيضاً يراه في

---

(١) الكواسجة جمع كوسج، أصله بالفارسية كوسه، كما حكاه ابن منظور (ل/ كسج) نقلاً عن سيبويه. الجوهري في صح/ كسج: سمكة في البحر له خرطوم كالمنشار. وحاشية س: الكوسج الذي لم تنبت لحيته، وهو معرب. والمناذرة جمع منذر.

(٢) م و ح: ملائكة وملائك. ي و س و ع: ملك وملائك. والأرجح ملك وملأك كما أثبتناه. ونظيره في العبرية ملأك מלאך وفي السريانية ملأكا ܡܠܐܟܐ وفي الحبشية ملأك መልአክ (والجمع ملئكة መላእክት) مما يثبت صحة ما قاله الأخفش من أنه في الأصل ملأك. ويدلنا على ذلك قولهم في الجمع ملائكة.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٤) حم٢/ ١٠٧ نصه: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في سورة دحية. وفي النهاية/ دحا قال: دحية الكلبي هو دحية بن خليفة أحد الصحابة. كان جميلاً حسن الصورة. ويروى بكسر الدال وفتحها. وأنكر الأصمعي فيه الكسر.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٨.

صورة بشر. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾(١) وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكاً لَجعَلناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيهِمْ مَا يَلبِسُونَ﴾(٢).

وفي حديث النبي ﷺ أنه لما فرغ من قتال أهل بدر أتاه جبرئيل على فرس أنثى حمراء، عاقِداً ناصِيته، عليه درعه ورمحه في يده، قد عَصَمَ بثَنِيَّته الغبار، فقال: إن الله أمَرَني أن لا أفارقك حتى ترضى. فهل رضيت؟ قال: نعم. فانصرف(٣).

[الذين ذكروا من الملائكة] يقال: إن جبرئيل وميكائيل هما الملكان اللذان أيّد بهما محمد ﷺ، وبهما كان يُؤَيِّد الأنبياء عليهم السلام، وإن إسرافيل هو صاحب الصور. وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ ذكر صاحب الصور، فقال: جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره(٤). وملك المرت هو الموكّل بأرواح بني آدم.

وقال أبو قَيس الأوْديّ(٥): سُئل ملك الموت عن قبض الأرواح، فقال: أُوَيِّهُ بها كما يُؤَيِّهُ بالخيل، فتُجيبني. يقال: أيَّهْت بالفرس أي دَعَوْته. قال: وإنما قيل له ملك الموت لأنه ملك أرواح الخلائق.

وجبرئيل وميكائيل قرأه قوم بالهمزة وقوم بغير همزة. أهل المدينة وأهل البصرة يخفِّفون ولا يهمزون ولا يكسرون الجيم من جبرئيل. وقرأ قوم: جَبْرال وميكال. وروى عن ابن عباس أنه قال: معنى جبرئيل وميكائيل كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن. قال: وهو منسوب إلى إيل. وإيل اسم

(١) سورة مريم: الآيتين ١٦ ـ ١٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩.

(٣) في السيرة ١/ ٤٤٤ قال: وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش؛ ثم انتبه، فقال: «ابشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع»، يعني الغبار.

(٤) لم نعثر على الحديث في أصول السنة.

(٥) الأودي نسبة إلى العشيرة من مذحج: قال الخزرجي (خلاصة تذهيب الكمال ٤٠٤): أبو قيس عبد الرحمن بن ثروان.

من أسماء الله. وهو في كتبهم إيليا وألهو أيضاً، اسم من أسماء الله[1]. وقد ذكرناه في باب الذمّة. وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذه الأسماء منسوبة إلى الله. فإذا كانت كذلك فليس معناه عبد الله وعبد الرحمن؛ إنما معناه عبد الله ورسول الله وخليل الله، لأن العبد والخليل والرسول هي مضافة إلى الله تعالى. وكذلك جبر هو مضاف إلى إيل، وميكا مضاف إلى إيل[2]. وكل ما جاء على هذا المعنى فهو اسم مضاف إليه، مثل إسماعيل ـ سمعت بعض أهل المعرفة يذكر أن معناه: اسمع يا الله[3] ـ ومثل إسرافيل[4] وعزرائيل[5] وما أشبههما من الأسماء. قال الأصمعيّ: شراحيل اسم أعجميّ، وكذلك شرحبيل[8]. فهذه الأسماء التي تجيء مضافة إلى إيل معناها كلها كما قلنا

---

(١) في الأصول كلها: إيليا وألهو، وفيهما تحريف. وقد يكون اللفظ الأول אֵלִי (إلى) وهو اسم من اسماء الله. وقد ورد أيضاً אֵלִי (إلى) بمعنى إلاهي. راجع Helot ص٤٢. وأما ألهو فهو، كما يظهر، تحريف אֱלוֹהַּ (إلوه)، وهو الصيغة الثانوية من الأصل السامي إلى אֵל. اطلب الزينة ص ١٨٤ هامش رقم ٣.

(٢) وجبرئيل بالعبرية גַּבְרִיאֵל (جبرى إل) ومعناه رجل الله، ذكره Helot ص١٥٠. واسم جبريل ورد في دانيال ٨/ ١٦ و٩/ ٢١ ولوقا ١/ ١٩. وميكائيل מִיכָאֵל (ميكا إل) مكون من مي = من + كا = ك أو مثل + إل = الله، ومعناه من يشبه الله أو شبيه الله. راجع المرجع نفسه ص٥٦٧. وهو اسم سيد الملائكة لدى بني إسرائيل كما جاء ذكره في دانيال ١٠/ ١٣ و٢١ و١٢/ ١.

(٣) وقد سبق أن ذكرنا معناه في فصل الأسماء الأعجمية في القرآن من الزينة ١٤٥ هامش رقم ٧.

(٤) وقد يكون إسرافيل مأخوذاً من שָׂרָף (سرف) وجمعه שְׂרָפִים (سرافيم) الذي ورد ذكره في التوراة (أشعياء ٥/ ٢ ـ ٨) وهم ملائكة لهم أجنحة ستة واقفون في مقام الملك السيد عزيا ـ فوقه، ونادى بعضهم بعضاً قائلين: قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ. . . الآية. ولعل العرب القدامى ـ وكان منهم نصارى ـ ربطوا الصور بندائهم هذا، وأضافوا אֵל (إل) إلى سراف، تمشياً بما جاء من أسماء الملائكة. ومن الجائز أن يقال أن ميم الجمع في سرافيم قلبت لاماً فصارت سرافيل قياساً على جبرائيل وميكائيل. ويرى لويس شيخو اليسوعي (النصرانية ١٦٦) أن أمية بن أبي الصلت قال في الساروفيم ودعاهم إسرافيل:

حبس السرافيل الصوافي تحته لا واهن منهم ولا مستوغد

(٥) عزرائيل هو عزازيل، وأصله بالعبرية עֲזָאזֵל (عزازل) وهو رباعي بمعنى عزل. وعزازل هو الملك الذي عزل لتخلفه، والذي يقطن الصحراء. ورد ذكره في لاويين ١٦/ ٨. وقد اشتق بعض العلماء عزازيل من עַז־אֵל (عزز + إل) وعزز من القوة والجبروت.

(٦) وقد اختفت حضارة العرب القديمة وأهملت في العصور الأولى إلى أن يعتبر الأصمعي إمام =

عبد الله ورسول الله ونبي الله وخليل الله وصفوة الله وما أشبه ذلك، هي بالعبرانية أو غيرها من اللغات مضافة إلى الله تعالى، وإيل اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ(١).

[١٢٩] فأما جبرئيل وميكائيل ففيه ثلاث لغات، يقال: جبريل وجبرئيل وجبرال، وميكايل وميكائيل وميكال ويقال: إسرافيل وسرافيل. فكل ذلك قد جاء عن العرب. قال جرير:

عبدوا الصَّليب وكذَّبوا بمحمدٍ وبِجِبْرِئيل وكذَّبوا ميكالاَ ٢٤٢(٢)

وقال آخر:

جبريلُ في ألفٍ وميكالُ في ألف ويَتلوهم سَرَافيلُ
ليلةَ بَذرٍ مَددا أُنزلوا كأنهم طَيْرٌ أبابيلُ ٢٤٣(٣)

[الملائكة الموكلون بالأعمال والسياسات] والملائكة خَلق من خلق الله عزَّ وجلَّ، روحانِيّ على ما رواه العلماء وأتت به الأخبار عن النبي ﷺ. وإنما سُمُّوا ملائكة لإرسال الله إياهم إلى الأنبياء على ما دلَّت عليه اللغة أنه مأخوذ من المألكة وهي الرسالة.

= العربية هذا الاسم، أعني شراحيل، من الأسماء الأعجمية. وقد شاع في العربية الجنوبية القديمة الاسمان 𐩦𐩧𐩢𐩨𐩱𐩡 شرحب + إل = شرحبيل) و 𐩦𐩧𐩢𐩱𐩡 (شرح + إل = شراحيل)، وذكر أبو محمد الحسن الهمداني في الجزء العاشر من الإكليل عدة أنفار من أقيال همدان تسموا بهذين الاسمين، كما ورد في النقش الذي اكتشفه Welstead بحصن الغراب اسم شرحب إل يكمل من أبناء سميفع أزوع. وأشار فيلي في كتابه Background of Islam ص١٣٠ نقلاً عن ابن خلدون إلى اسم شرحبيل الذي أولد يلمقه، وهي التي اشتهرت باسم بلقيس ملكة سبأ. وقد وردت أسماء كثيرة في العربية الجنوبية القديمة تضاف كلمة 𐩱𐩡 (إل) إلى ما قبلها أو إلى ما بعدها نحو كرب إل وسعد إل وأوس إل وإل مقه.

(١) اطلب باب الله من الزينة ص ١٨٤ هامش رقم ٣ و١٨٦ هامش رقم ٢.

(٢) قال جرير يهجو الأخطل في قصيدة مطلعها (دجرير ٤٤٨):

حيِّ الغداة برامة الأطلالا وسما تحمل أهله فأحالا

(٣) في التنزيل: ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقولون للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (آل عمران ٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

وسمعت بعض أهل اللغة يقول: سُمُّوا ملائكة لأن الله خلقهم، ووَكَّلَ كلَّ ملك منهم بأمر من الأمور، واستحفظه واسترعاه، وجعل تدبيره إليه وملكه منه؛ فسُمِّي مَلَكاً وفُتِحَت اللام منه فرقاً بينه وبين المَلِك البشريّ، فقيل للبشريّ مَلِك، وللروحانيّ مَلَك[1]. وقد وَكل الله بالريح مَلَكاً، وبالشمس ملكاً، وبالمطر ملكاً، وبالنبات ملكاً؛ ومَلَّكه ذلك التدبير، وسَخَّر له ذلك الشيء الذي وُكِّل به، وأعطى الملك القدرة عليه، كما قيل «ملك الموت»، سُمِّي بذلك لأن الله عزَّ وجلَّ مَلَّكه أرواح العباد، ووكله بقبضها؛ وكما قيل للملائكة «الكرام الكاتبين»، فهم لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يخالفون ما أُمِرُوا به ووُكِّلوا به. وقال: ﴿عَنِ الْيمينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ مَّا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتيدٌ﴾[2]. فهذا في الملكين الموكلين بأعمال العباد. ويقال قد وكل الله بكل عبد ملكين، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فهما يكتبان عمله ويحصيانه عليه. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيكُمْ لَحافِظِينَ * كِرَاماً كاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

[منكر ونكير ومبشر وبشير] وقد ذُكر أيضاً في الملائكة ملكان، يقال لهما: مُنكر ونَكِير. وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: إذا وُضِع العبد في قبره يأتيه ملكان، يقال لهما منكر ونكير. فإن كان كافِراً أو مُنافِقاً يقال له: ما تقول في هذا الرجل، نعني محمداً ﷺ؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون نبياً فقلته. فيقال له: لا دَرَيْتَ ولا ائْتَلَيْت ولا اهْتَدَيْت[4].

---

(١) في المفردات/ ملك قال: وقال بعض المحققين: الملك من الملك بكسر الميم وسكون اللام والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات. يقال له ملك بالفتح، ومن البشر يقال له ملك بالكسر.

(٢) سورة ق: الآيتين ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة الانفطار: الآيات ١٠ ـ ١٢.

(٤) خ جنائز ٦٨ نصه: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار. أبدلك الله به مقعداً في الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا =

وفي حديث آخر عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: إذا وُضِع العبد في قبره يأتيه ملكان، يقال لأحدهما منكِر وللآخر نكير فأول ما يسألانه عن ربِّه وعن نبِيه وعن وَلِيه. فإن أجاب نجا، وإن تحيَّر هَوَى. قال له القائل: فما حال من عرف ربه وعرف نبيه ولم يعرف وليه؟ قال: ذلك مُذَبْذَب. ﴿لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾(١).

قال بعض أهل المعرفة: إنما سمى هذان الملكان منكراً ونكيراً لما يقع من إنكار العبد عند مسألتهما إياه، فهو يُنكر ما يسألانه عنه، لأنه إن كان [١٣٠] كافِراً أو منافِقاً غير عارف بالله ونبيه ووليه فسؤالهما إياه مُنكَر عنده وقولهُ عندهما نكير. فمنكَر في معنى مُفْعَل. ونكير فعيل في معنى فاعِل، لأنه الإنكار وقع من العبد عند المسايلة(٢) لإنكاره قولهما ومن الملكين لإنكارهما قوله، فأحدهما فعيل في معنى فاعِل والآخر مُفعَل في معنى مفعول به.

وروي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: هما للكافر منكر ونكير، وللمؤمن مبشِّر وبَشير. فقد دلَّك أن هذا الاسم وقع من جهة إنكار العبد ما يسألانه عنه وإنكارهما ما يجيبهما العبد عما يسألانه عنه، إذا كان العبد كافراً. فإذا كان مؤمناً استبشر بما يسألانه عنه ويُبشِّرانه أنه بالجنة عند المسايلة، فأحدهما مُبشِّر والآخر بشير. ويقال لكل قبيح وَحْش مُنتِن مُنكَر. ويقال: فلان مُنكَر الصورة، إذا كان قبيح الصورة وَحْشاً، ويقال: شممت ريحاً مُنكَرَة، يعني مَنتِنة. وكذلك كل ريح كريهة وشيء كريه الطعم مثله. ويقال لكل حَسَن جميل بَشير. يقال: رجل بَشير الوجه، أي حَسَن الوجه. والبَشارة الحُسْن والجمال. وقد ذكرنا ذلك في باب البشير والنذير.

[الكروبيون] ويقال لصنف من الملائكة روحانِيُّون ولصنف كَرُوبِيُّون.

= الثقلين اهـ. وفي النهاية/ ألى قال: ولا ائتليت أي ولا استطعت أن تدري. يقال: ما آلوه، أي ما أستطيعه، وهو افتعلت منه. والمحدثون يروونه. لا دريت ولا تليت. والصواب الأول.

(١) سورة النساء: الآية ١٤٣.

(٢) كما في ي و س و ع. م و ح: المسألة. وساءل الرجل عن الشيء استخبر بمعنى سأل، ويقال سايل بالياء.

فالملائكة كلها في الأصل روحانية، ولكن لما ذكر الكروبيين ذكر معهم الروحانيين. وهذا مأخوذ من الرَّوْح والكَرْب، كأن معناه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فالروحانيون، إذا ذكروا مع الكروبيين، يُعني بذلك ملائكة الرحمة والرَّوْح، لأن العبد يستريح إلى ما يُورد عليه من الرحمة وإلى ما يَعرفه مما له عند الله، والكافر يجد الكَرْب والغم مما يُورده عليه ملائكة العذاب. فقيل لملائكة الرحمة روحانيون ولملائكة العذاب كروبيون[١].

[رضوان ومالك] ويقال للملك الموكّل بالنار مالِك، وللملك الموكل بالجنة رضوان، كأن مالِكاً هو الذي مُلِّك النار كلها ووُكِّل بعذاب أهلها[٢]. قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٣]. وأما رضوان فيقال إنه خازِن الجنة، فكأن الله تعالى وكَّلَهُ لمجازاة من رضي عنه من عباده، فأخذ اسمه من الرضى.

[الزبانية] وقد ذكر الله تعالى الملائكة الموكلين بالنار، وذكر أن عِدَّتهم تسعة عشر، فقال: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٤]. والله أعلم بذلك. وفي النار ملائكة يقال لهم الزبانية. قال الله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[٥]. وهم الموكلون بعذاب أهل النار. واشتُقَّ اسمهم من الزَّبْن، والزَّبْن الدَّفع،

---

(١) كروبيون (Cherub) مخلوقات حية رمزية ورد ذكرهم في الكتاب المقدس بأعمال مختلفة مثل حراسة شجرة الحياة في جنة عدن (التكوين ٣/ ٢٤) وذكر أبو عبد الله جعفر بن محمد أن الله أيدهم بخلق يقال له النصر حينما اقتتل الجن والجن (اطلب باب الجن في ما يلي: ٣٥٣). وليس اشتقاقه من الكرب بشيء، وهو في العبرية כרובים كروبيم، والمفرد כְּרוּב كروب، وفي السريانية ܟܪܘܒܐ كروبا، والظاهر أنه اشتق من רְכוּב ركوب = ركب، لأنهم حملة جلاله عزّ وجلّ وحملة عرشه מרכבה مركبة، كما أشار إليه غيزينيوس وليفي في معجميهما.

(٢) وهو في العبرية מֹלֶך وباليونانية Moloch، ملك يتجسم الإلاهية لدى بني إسرائيل؛ وكانوا يعبدونه في «معابد مالك»، ويقدمون إليه قرابين من مواليدهم الأولين، ويقودونهم إلى النار. وبالرغم أن هذا العملَ كان ينافي الشريحة الموسوية (لاويين ١٨/ ٢١ و٢٠/ ١ ـ ٥) فإنهم تأثروا فيه مما كان منتشراً في المناطق الفينيقية والكنعانية المجاورة من إحراق أطفالهم في معابدهم. راجع HBD ص٤٥٣.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٧٧.

(٤) سورة المدثر: الآيتين ٢٩ ـ ٣٠.

(٥) سورة العلق: الآية ١٨.

سُموا بذلك زبانية، لأنهم يدفعون أهل النار في النار ويرمونهم فيها. ويقال: زَبَنَه إذا دَفَعَه برجله. ويقال: ناقة زَبُون. وهي التي تضرب حالِبها برجلها. فالزَّبانِية واحدهم زِبْنِية مثل عِفْرِيَة[١]. قال: وهو كل مُتمرِّد من إنس أو جن، يقال له: زِبْنِية وعِفْرِيَة. وزَبَّان اسم رجل يكون من الزَّبُون وهو الرَّمُوح من الإبل. قالت الخنساء:

وقَــوَّادُ خَـيْـلٍ لـلـقـاء كـأنَّـهـا ... سَعَالٍ وعِقْبانٌ عليها زَبَانِيَةْ ٢٤٤[٢]

وقال أمية بن أبي الصلت:

سَبْعاً وقَطَّعَهُنَّ تحت وَثَاقِهِ

سِلْكاً تَصَوَّغُ للزِّبْنِيَةِ تُشْرَدُ ٢٤٥[٣]

فالزبانية مأخوذ من ذلك. والله أعلم بذلك، لأنهم يدفعون [١٣١] أهل النار فيها. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[٤]. فالدَّعُّ الدَّفع. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٥]. والزَّبْن الدَّفع، فسُمُّوا بذلك.

---

(١) والزبانية إذا اشتق من الزبن، كما فسره صاحب الزينة وأصحاب النحو، فهو عربي، إلا أنهم اضطربوا في تفسير صيغته في الإفراد والجمع. ولا يوجد نظيره في اللغات إلا أن أدى شير في الألفاظ الفارسية المعربة ص٧٧ حاول أن يربطه بالكلمة البهلوية زبان بمعنى لسان، ومنه في الفارسية الحديثة زبانه أي لسان النار.

(٢) في د الخنساء ٢٥٩:

وكان لزاز الحرب عند نشوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه

وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانيه

ورواية ي و س: وقواد خيل ساريات... البيت.

(٣) لم يرد الشاهد في ديوانه، مع أن القرائن تدل على أنه من القصيدة التي منها هذه الأبيات، ونظن أن يكون الشاهد بعد البيت الأول:

فأتم ستاً فاستوت أطباقها ... وأتى بسابعة فأنى تورد

فكأن برقع والملائك حوله ... سدر تواكله القوائم أجرد

وترى شياطينا تروغ مضاعة ... ورواغها صبر إذا ما تطرد

تلقى عليها في السماء مذلة ... وكواكب ترمي بها فتعرد

لولا وثاق الله ضل ضلالنا ... ولسرنا أنا نتل فنوأد

م و ح و ي: سلكا. أي كالسلك في انتظام بعضها فوق بعض. ع: سككا. والسكة الطريق المستوي. وقد جاء في التنزيل: سبع طرائق. س: سكما. لعله من سكم تقارب خطوة أي متقاربة. م و ح: تصوغ. وتصوغ مطاوع صاغ الشيء، هيأه على مثال مستقيم. س: تضوع. من ضاعه حركه. ع: يصوع. أي ينصاع لها. وتشرد أي تطرد وتنفر.

(٤) سورة الطور: الآية ١٣. (٥) سورة الماعون: الآية ٢.

باب الجن والإنس

[الجن والحن] روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: إن الله جل ثناؤه بعد إبداع الكلمة قَدَّ قِدَداً من أنواع الخلق. وذلك قوله: ﴿**كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً**﴾[1]. فلما خلق الله الأرض أهبط تلك القدد إلى الأرض. فقِدَّة النار يسمون الجن، لأنها اجْتَنَتِ الأرض فَعَمِلَت في الأرض. وقِدّة الظلمة يسمون الحنّ. وإنما سموا الحن لأنهم حَنُّوا إلى سطحها. وأذن لهم الكلمة[2] أن يُفَجِّروا فيها الأنهار، وطرح إليهم غَرْساً، فغرسوا من الْحبِّ والنوى، فعمروا الأرض دهراً. فكانت الجن أصحاب النعم والشاء والخيل والضرع، وكانت الحن أصحاب الحرث والغرس. ثم تحاسدوا، فاقتتلوا، فصاروا أحزابًا، فصار صنف الناريين مع الجن، وصار صنف الظلمانيين مع الحن، فاقتتلوا دهراً طويلاً قتالاً شديداً. ثم إن الله عزَّ وجلَّ خلق خلقاً يقال له النصر، وجنداً يقال له الرعب؛ فقذف الرعب في قلوب الجن والحن، وأيّد ملائكة يقال لهم الكَروبِيُّون[3] بالنصر. وكانت الجن والحن تصعد إلى مقاعد السمع، فيسترقون السمع من السماء الدنيا في موضع التدبير، فتنزل وتلقيه على ألسنة الكهنة. وذلك قوله: ﴿**وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ**﴾[4]. وقال: ﴿**وَالْجانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَارِ السَّمُومِ**﴾[5]. وقال: ﴿**إلاّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنّ**﴾[6]. وقال: ﴿**خَلقْتَنِي مِن**

---

(١) سورة الجن: الآية ١١.

(٢) حاشية س: الظلمة.

(٣) سبق ذكرهم في باب الملائكة (الزينة ٣٥١ هامش رقم ٩.

(٤) سورة الجن: الآية ٩.

(٥) سورة الحجر: الآية ٢٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ٥٠.

نَارٍ وَخَلقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1]. فهذا بدء خلقهم على ما روى في الحديث. وقال أبو عبد الله رضوان الله عليه: والجنِ ثلاثة أجزاء، فجزء مع الملائكة، وجزء يطير في الهواء، وجزء حيَّات وكلاب. قال: والجن عليها الثواب والعقاب. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلا لِيعْبُدُونِ﴾[2]. وقال: ﴿لأَمْلَئَنَّ جَهنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاس أجْمَعِينَ﴾[3].

[الجن من الاجتنان] والجن في اللغة مأخوذ من الاجتنان وهو التستر والاستخفاء. ويقال: جَنين ومجنون أي مستور. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذْ أنْتم أجِنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[4]. وسمى الجنين جنيناً لاستتاره في البطن. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَّما جَنَّ عَلَيهِ اللَّيل﴾[5]، أي جعله في جُنَّة من سَوَاده. يقال: جَنَّ عليه الليل يَجُنُّ جنوناً، فهو مع الصفة بحذف الألف على فَعَلَ يَفْعُلُ فُعولاً، ومع غير الصفة بالألف على أفْعَلَ يُفْعِل إفْعالاً. قال لبيد:

وأجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُور ظَلاَمُهَا ٢٤٦[6]

فجاء به على أفعل. وقال ابن الرّقاع[7]:

مِـن لَـدُنْ أن أجَـنَّـنـي الـلـيْـل حـتَّـى
فَـضَـحَ الـصُّـبْـحُ واضِـحـاتِ الـنُّـجـوم ٢٤٧

أجَنَّ عورات الثغور سَتَر الليل موضع المخافة، وأجَنَّني الليل سَتَرَني

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢ وسورة ص: الآية ٧٦.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) سورة هود: الآية ١١٩ وسورة آلم السجدة: الآية ١٣.
(٤) سورة النجم: الآية ٣٢.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٧٦.
(٦) قال لبيد يذكر الشمس: حتى إذا ألقت يداً في كافر * وأجن... البيت. ورد الشاهد في باب الكفر فيما يلي.
(٧) وهو عدي بن الرقاع من عاملة حي من قضاعة (الشعر والشعراء ٣٩١). وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، وكان منزله بدمشق. وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد (الأغاني ٨/ ١٧٢) وجعله ابن سلام الجمحي (الطبقات ص ١٤٢) في الطبقة السادسة من الإسلاميين.

والبَسَني. قال أبو عبيد: جَنَّ عليه الليل، أظلم وغَطَّى عليه، ومصدر جَنَّ جُنُون. وأنشد لدُريد بن الصِّمة الجشَميّ[(١)]:

ولــولا جُــنُــونُ الــلــيــل أدرَكَ رَكْــبُــنَــا
بذي الرِّمث والأرْطَى عِياضَ بْن ثابِت[(٢)] ٢٤٨

قال: جنون الليل، [١٣٢] غطاؤه وسواده. ويروى هذا البيت جنان الليل. وقال سلامة[(٣)]:

ولـولا جَـنَـان الـلـيـل مـا آبَ عـامِـرٌ   إلى جعفر سِرْبَالـه لـم يُـمزَّق ٢٤٩

وجَنان المسلمين دَهْماؤهم وسَوَادهم، لأنه يُستر من دخل فيه. قال ابن أحمر:

---

(١) دريد بن الصمة من فخذ من جشم، يقال لهم بنو غزية من هوازن من قيس عيلان. ويكنى أبا قرة. وأمه ريحانة بنت معد يكرب أخت عمرو بن معد يكرب. وهو أحد الشجعان المشهورين وذوي الرأي في الجاهلية. وشهد يوم حنين مع هوازن وهو شيخ كبير في شجار له يقاد به. والشجار مركب دون الهودج مكشوف الرأس. وقتل دريد يومئذ فيمن قتل من المشركين. راجع الشعر والشعراء ٤٧٠ ـ ٤٧١.

(٢) في ل جنن: وقال دريد بن الصمة بن دنيان. وقيل لخفاف بن ندبة:

ولـولا جـنـان الـلـيـل أدرك خـيـلـنـا   بذي الرمث والأرطي عياض بن ناشب
فـتـكـنـا بـعـبـد الله خـيـر لـداتـه   ذئـاب بـن أسـمـاء بـن بـدر بـن قـارب

ويروى: ولولا جنون الليل، أي ما ستر من ظلمته. وعياض بن جبل من بني ثعلبة بن سعد. وقال المبرد: عياض بن ناشب فزاري. ويروى: أدرك ركضنا. حاشية م: الرمث بالكسر مرعى من مراعي الإبل وهو من الحمص؛ والأرطي شجر من الرمل. قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٤٧٢): وكان عبد الله بن الصمة أخو دريد أغار على إبل لعبس وفزارة ومعه دريد بعد أن أشار عليه دريد ألا يفعل، فخالفه. فخرجت عليهم الخيل، فاستحر القتال في بني جشم، وقتل عبد الله وصرع دريد. ثم أمر الربيع بن زياد بحمله حتى بلغه مأمنه. وكانت لدريد عنده يد متقدمة، فجازاه بذلك، ثم إن هوازن عقدت له رئاسة عبد الله أخيه، فخرج بهم فلقي جماعة عبس وذبيان، فقتل منهم زهاء مئة قتيل، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب قاتل عبد الله بن الصمة، وبعث به إلى أمه ريحانة لتقتله بعبد الله. فلم يصل إليها حتى قتل. وورد البيت في الأغاني ٦/٩ في أبيات له أخرى:

جـزيـنـا بـنـي عـبـس جـزاء مـوفـراً   بـمـقـتـل عـبـد الله يـوم الـذنـائـب
ولـولا سـواد الـلـيـل أدرك ركـضـنـا   بذي الرمث والأرطي عياض بن ناشب
قـتـلـنـا بـعـبـد الله خـيـر لـداتـه   ذؤاب بـن أسـمـاء بـن زيـد بـن قـارب

(٣) وهو سلامة بن جندل من بني عامر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن معد بن زيد مناة بن تميم جاهلي قديم وهو من فرسان تميم المعدودين. راجع الشعر والشعراء ١٤٧ وطبقات ابن سلام/ شاكر ١٣١.

جَـنـان الـمـسـلـمـيـن أوَدُّ مَـسّـاً   وإن جـاورت أسْـلَـم أو غِـفـارَا ٢٥٠[١]

يقول: جماعة المسلمين وسوادهم خير لك من قومك هؤلاء جواراً وإن بعد نسبهم وناءت دارهم. والمَجن التُرس، لأن الْمقاتِل يستتر به من الرامي والطاعن وغير ذلك. وكل شيء وَقَيت به نفسك واستترت به فهو جُنَّة. قال النابغة:

تَـذكَّـرِ أنَّـى يَـجْـعـل الـلّـهَ جُـنَّـةً   فُـيصْـبحَ ذا مـال ويـقـتـل واتِـرَهْ ٢٥١[٢]

ويقال: لا جِنَّ بهذا الأمر، أي لا خفاء به ولا سَتر. وقال الشاعر[٣]:

إذا مـا رآنـي ظَـلَّ كـاسِـرَ عَـيْـنِـهِ
ولا جِـنَّ بـالـبَـغْـضـاء والـنَّـظَـرِ الـشَّـزْرِ ٢٥٢[٤]

وقال عديّ بن زيد:

كـلُّ حَـيٍّ تَـقـودُه كَـفُّ هَـادٍ   جِنُّ عَيْن يُغْشِيهِ ما هو لاقى ٢٥٣[٥]

قوله: جِنُّ عين، يعني ما اسْتَجنَّ عن بصرك. يقول: يقود الموت للناس إلى شيء مُجتَن عنهم من أمر الآخرة حتى يَرَوه. ويقال: الهادي المنية، يقوده إليها وهي مستورة عنه. والْجنان القلب. يقال: فلان رابِط الْجنان، أي ثابت القلب. قالوا: سمي بذلك، لأنه مستور، ولأن الصدر يُجنُّه. ويقال: لأن الهموم والفكر والخطرات قد استترت فيه. وكل ما وارَى

---

(١) في رواية ل/ جنن: وإن لاقيت أسلم أو غفاراً. قال الرياشي في معنى بيت ابن أحمر: قوله أود مساً أي أسهل لك. يقول: إذا نزلت المدينة فهو خير لك من جوار أقاربك.

(٢) د النابغة/ العقد ١٧.

(٣) وهو سويد كما جاء في الأساس/ جنن. وسويد بن أبي كاهل اليشكري شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وجعله محمد بن سلام في طبقاته/ هل ٣٥ وشاكر ١٢٨ من الطبقة السادسة وقرنه بعمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة اليشكري وعنترة بن شداد.

(٤) ورد الشطر الثاني من البيت في الأساس/ جنن ول/ جنن. وقال ابن منظور: ويروى ولا جن بفتح الجيم، معناهما ولا ستر ولا خفاء.

(٥) رواية ل/ جنن: نعشيه. ابن منظور: الهادي ههنا القدر. جن عين، أي ما جن عن العين فلم تره. يقول: المنية مستورة عنه حتى يقع فيها. والهادي المتقدم. أراد أن القدر سابق المنية المقدرة. وأما ما قال أبو حاتم فيختلف عن هذا الشرح من حيث أنه يجعل الهادي المنية. والظاهر أنه مما قاله في السجن يخاطب النعمان بن المنذر ويصف براءته (الأغاني ٢/ ٢٥):

لـيـس شـيء عـلـى الـمـنـون بـبـاق   غـيـر وجـه الـمـسـبـح الـخـلاق

عنك شيئاً فهو جنان. قال الراعي:

وهَـــابَ جـــنـــانُ مَـــسْـــجُـــورِ تَـــرَدَّى
مـــن الْـــحـــلْـــفـــاء واتَّـــزَرَ اتِّـــزارًا ٢٥٤[١]

يعني الغدير الذي فيه الماء. مَسْجور مَملوء. وجَنانه ما تَوَارَى فيه.

والْجننَ القبر، سمي بذلك، لأنه يستر المدفون فيه. قال الأعشى:

وهـــالِـــكِ قـــوم يُـــفَـــدُّونَـــهُ وآخَـرَ فـي قَـبْـره لـم يُـجَـنّ ٢٥٥[٢]

أي لم يُدْفَن. ويقال: الْجننَ الكَفَن. وتقول العرب: جُنَّ النَّبْتُ جُنُوناً، إذا طالَ واكْتَهَلَ. قال ابن أحمر:

تَـفَـقَّـأ فـوقـه الْـقَـلَـعُ الـسَّـوَارِي وجُـنَّ الْـخـازِ بَـازٌ بـه جُـنُـونـاً ٢٥٦[٣]

القَلَع السحاب الضخام. وتَفَقُّؤهُ خروج مائِه. والخازِ باز نبت. وكذلك يقال لكل شيء إذا طالَ وحَسُنَ: قد جُنَّ جُنوناً. قال أبو النجم:

ومَـالَ جِـنِّـيُّ الـسَّـنَـامِ الأمْـيـل ٢٥٧[٤]

جِنِّي السنام ما طال واستوى.

[جن وجنان وجنة وجان] وكأن الجِنّ سموا بذلك لاستتارهم عن أعين الناس. وقال قوم: سموا بذلك، لأنهم جِنَّانون[٥]. ويقال جِنٌّ وجِنَّان وجَانّ وجِنَّة. قال النابغة:

---

(١) رواية ل/ جنن: مسحور تردى به الحلفاء... البيت. الحلفاء نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل ينبت في مغايض الماء. الواحدة حلفة مثل قصبة وقصباء وطرفة وطرفاء.

(٢) ورد البيت في الصبح المنير ص ١٣ كما يأتي:
وهـــالـــك أهـــل يـــجـــنـــونـــه كـــآخـــر فـــي قـــفـــرة لـــم يـــجـــن
س و ع: قفرة.

(٣) ورد الشاهد في ل/ جنن. والخاز باز نبت، وجنون النبت التفافه. وقيل هو ذباب، وجنون الذباب كثرة ترنمه. وجن الذباب أي كثر صوته.

(٤) وتمامه في الأساس/ جنن: وقد حملن الشحم كل محمل. وفي رواية ل/ جنن: وطال جن السنام الأميل. أراد تموك السنام وطوله.

(٥) جنان جمع جن وجان جمع جن.

وخَيِّسِ الجِنَّ إنّي قد أذِنتُ لهُمْ
يَبْنون تَدْمُرَ بالصُّفّاح والعَمَدِ ٢٥٨[1]

وقال أوس:

تَبَدَّلُ حالاً بعد حال عَهِدْتُهُ
تُناوِحُ جِنّانٌ بهنَّ وخُبَّلُ ٢٥٩[2]

قال أبو ليلى: الجن الذين لا يعترضون للناس، والخُبَّل[3] [١٣٣] الذين يُخَبِّلونَ الناس ويُؤْذُونهم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ﴾[4].

وقال زهير:

بِخَيْل عليها جِنَّة عَبْقَرِيَّةٌ
جَديرون يوماً أن ينالوا فيَسْتَعْلُوا ٢٦٠[5]

وقال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أمْ بهِ جِنَّةٌ﴾[6]، قال: الجنة والجُنُون واحد[7]. قال ابن عباس في قوله: ﴿تَهتَزُّ كأنَّها جانٌّ﴾[8]: الجان مَسيخ الجنّ كما مُسِخت القردة من بني إسرائيل.

[الجن من الملائكة] وكانت العرب تُسمِّي الملائكة جِنّا، لأنهم اجْتَنُّوا عن أبصار الناس، كما اجْتنَّت الجنّ. وقال قوم في تفسير قول الله عزَّ

---

(١) قال النابغة يمدح النعمان كما ورد في ديوانه/ العقد الثمين ٧ والمختار ١٥١ ـ ١٥٢:

فتلك تبلغني النعمان إن له ... فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ... ولا أحاشي من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإلاه له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

حاشية س: الصفاح جمع صفاحة، وهي حجارة رقاق عراض. وتدمّر بالشام.

(٢) ورد الشاهد في د أوس ١٨ في أبيات أولها:

لليلى بأعلى ذي معارك منزل ... خلاء تنادى أهله فتحملوا

رواية الديوان: تبدلن حالاً... تناوح أجنان... البيت.

(٣) كما في ي و س و ع. م و ح: والجنان.

(٤) سورة الناس: الآية ٦.

(٥) د زهير/ العقد ٩١.

(٦) سورة سبأ: الآية ٨.

(٧) لم نعثر على تفسيره هذا في المجاز/ مراد منلا.

(٨) سورة النمل: الآية ١٠ وسورة القصص: الآية ٣١.

وجلَّ: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنِّ﴾[1]، قال: كان من الملائكة. وقال الأعشى:

وسَخَّرَ من جِنِّ الملائك تِسْعَةً
قِياماً لديه يَعْمَلُون بلا أجْرِ ٢٦١ [2]

ويقال: إن الجن دون الملائكة بدرجة، لأن الملائكة خُلقوا من الماء والنور، والجن من الماء والنار، والنور والنار هما شكلان؛ فمن أجل ذلك يتراءان يعني الملائكة والجن. والإنس ليسوا من جنسهم، فمن ثم ترى الملائكة والجن والإنس، الإنس لا يرى الملائكة والجن، إلا من أعطاه الله القدرة على ذلك.

[الإنس] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنسِ﴾[3]. وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّهَا الثَّقَلاَنِ﴾[4]. وقال: ﴿إنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرجالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾[5]. فالإنس ضدّ الجن في معنى اللغة، لأن الجن سُمِّيت بذلك لاستتارها على ما بيَّنا، والإنس سمي بذلك لظهوره وإدراك البصر إياه. يقال: آنَسْتُ الشيء إذا أبْصَرْتَه. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾[6]. وقال: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطور ناراً﴾[7]. قال: يعني أبْصَرَ. ويقال: الإيناس يكون بالسمع والبصر. وقال الحارث بن حِلِّزة:

آنَسَتْ نَبْأةً وأفْزَعَها القنَّـ
ـاصُ عَصْراً وقد دَنا الإمْسَاء ٢٦٢ [8]

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) قال الأعشى يذكر سليمان (ل/ جنن) كما وردت في الأبيات التالية (الصبح المنير ٢٤٣):

ولو كان شيء خالداً ومعمراً ... لكان سليمان البرىء من الدهر
براه إلاهي فاصطفاه عباده ... وملكه ما بين ثريا إلى مصر
وسخرمن جن الملائك تسعة ... قياماً لديه يعملون بلا أجر

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٠ وسورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٥) سورة الجن: الآية ٦.

(٦) سورة طه: الآية ١٠ وسورة النمل: الآية ٧.

(٧) سورة القصص: الآية ٢٩.

(٨) في معلقته. وفي رواية: أنست: والقناص بضم القاف جمع قانص. والقنيص والقانص والقناص بفتح القاف الصائد.

آنَسَتْ أي سَمِعَتْ وأَحَسَّتْ. والنَّبْأة الصوت. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً﴾[(١)]. قال المفسرون: رأيتم فيهم رشداً. ويقال: آنِسٌ وأنيسٌ قال الشاعر:

يا دار سَلْمى خَلاءً لا أنيسَ بهِ ٢٦٣

قال: وإنما سُمِّي الذي يُؤنس الناس مُؤنِساً وأنيساً، لأنهما يتراءان ويتناظران، فكل واحد لا يزال يرى صاحبه وينظر إليه، فسمي أنيساً. ويقال: أنِسْت بفلان، إذا ألفته[(٢)]. والعرب تقول للجانب الأيسر إنْسِي، لأنهم منه يركبون وينزلون ويُسْرجون ويَحْزمون؛ وللجانب الأيمن وَحْشِيّ، لأنهم لا يأتون شيئاً من هذه الأعمال من الجانب الأيمن. وسمعت من يزعم أنه سُمِّي إنساناً لأنه نَسِيَ. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[(٣)]. وأنشد:

سُـمِّـيـتَ إنـسـانـاً لأنـك نـاسِـي ٢٦٤

فهذا عندي قول غير مرضي ولا صحيح من جهة اللغة[(٤)]. وقال [١٣٤] آخر: سمي إنساناً من أَنَسْت الشيء بالقصر لا بالمد أي أظهرته. وأنشد لمهلهل:

ولـمَّـا دَنـا حِـيـنُ الـتـصـرُّم بَـغْـتـةً
أَنَـسْـتُ الـذي مـنـه الـفـؤادُ تَـقَـطَّـعـاً ٢٦٥

أي أظهرت ما بي من الوجد. ويقال: أَنَّسَ الإبل، سَكَّنها، وأصله من الأنس. وأنشد:

---

(١) سورة النساء: الآية ٦.

(٢) في صح/ أنس قال: قولك أنست به بالكسر أنسا بفتح الألف والنون أنسة. وفيه لغة أخرى: أنست به بفتح النون أنساً بضم الألف مثل كفرت به كفراً.

(٣) سورة طه: الآية ١١٥.

(٤) وفي المصباح/ أنس قال: واختلف في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة. فقال البصريون: من الأنس، فالهمزة أصل ووزنه فعلان. وقال الكوفيون: مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة ووزنه أفعال على النقص، والأصل إنسيان على إفعلان، ولهذا يرد إلى أصله في التصغير، فيقال أنيسان.

لا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فيها ما يُؤنِّسُهُ
بالليل إلاّ نَئِيمَ البُوم والضُّوَعا ٢٦٦ [١]

فالإنس ضد الجن على ما قلنا من هذه الجهة، لأن الجن مستورون والإنس ظاهرون.

(١) البيت للأعشى الأكبر. الصبح المنير ٨٣ ول/ أنس. وفي صح/ ضوع قال: والضوع طائر من طير الليل في جنس الهام. وقال نقلاً عن المفضل: هو ذكر البوم، وجمعه أضواع وضيعان، والضواع صوته اهـ. والنئيم الأنين بصوت ضعيف.

باب الشيطان وصفاته

[شياطين الإنس والجن] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾[1]. فجعل الشياطين من الإنس كمثل شياطين الجن. فأما عند العامة فإن الشياطين هم الجن بأعيانهم، ولا يعرفون من الإنس شيطاناً. قال أبو عبيدة: كل عاتٍ مُتمرِّد من الجن والإنس والدوابِّ هو شيطان. ويقول العرب لكل منفرد بقوته وجَلَده قويٍّ مستقلٍّ بنفسه منهمك في أمره شيطان. قال جرير:

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي
وكُنَّ يَهْوَيْنَنِي إذ كُنْتُ شَيْطَاناً ٢٦٧[2]

كنّ يدعونه شيطاناً لتفرّده بأفعال الشبان من الغزل وغيره وانهماكه فيه وتنَحّيه عن الناس وتفرّده بذلك.

والشَّيْطَان تقديره فَيْعال، والنون من نفس الكلمة، كأنه اشتق من شَطَن، أي بَعُدَ. والشَّطْن البُعْد. ومنه شَطَنَت داره. ويقال: نَوَى شَطُون، أي بعيدة؛ وبئر شطون أي بعيدة القعر. ويقال للحبل شَطَنٌ، سمي بذلك لطوله، وجمعه أشطان. وفي الحديث: كلُّ هَوًى شاطِن في النار[3]. قال ابن قتيبة: الشاطِن البعيد من الحق. قال محمد بن إسحاق[4]: إنما سمي

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢: وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول.

(٢) رواية د جرير ٥٩٧: أزمان يدعونني. م و ل/ شطن: وهن يهويني.

(٣) ابن الأثير (النهاية/ شطن: وفي الكلام مضاف محذوف، تقديره: كل ذي هوى. وقد روى كذلك. أورده الزمخشري في الفائق/ شطن، فقال: معناه هو البعيد عن الحق.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن خيار. ويقال: أبو بكر، ابن كوثان، المدني. ويقال: أبو عبد =

شيطاناً لأنه شطن عن أمر ربه. والشَّطُون البعيد النازِح[1]. وقال عديّ بن الرقاع:

كـلّــمــا رَدَّ نــاشــطــاً عــن هَــواهُ   شَـطَـنَـتْ ذاتُ مَـيْـعَـة حَـقْـبَـاءُ ٢٦٨[2]

الناشِط الذي يخرج من بلد إلى بلد. وشطنت أخذت على غير القصد وبعدت عن الطريق. وقال أمية بن أبي الصلت:

أيُّــمــا شــاطِــنٍ عَــصَــاه عَــكــاهُ   ثم يُلْقَى في السِّجْن والأغْلالِ ٢٦٩[3]

= الله، المطلبي. رأى أنساً وابن المسيب. وروى عن أبيه وعبيد الله بن عبد الله بن عمر ومعبد بن كعب بن مالك والقاسم بن محمد بن أبي بكر وخلق كثير، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن عون والحمادان. قدم الاسكندرية سنة ١١٩، وروى عن جماعة من أهل مصر أحاديث لم يروها عنهم غيره. وكان خرج من المدينة قديماً، فأتى الكوفة والجزيرة والري وبغداد، فأقام بها حتى مات بين سنة ١٥٠ وسنة ١٥٣. يقال إنه كان من أحفظ الناس. واختلف العلماء في صحة روايته. قال مالك بن أنس: دجال من الدجاجلة. وقال أحمد بن حنبل: كان ابن إسحاق يدلس. ابن معين: ثقة، صدوق. وشعبة: ابن إسحاق أمير المؤمنين لحفظه. ولقد أنصف ابن عدي حيث قال: وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في الشيء بعد الشيء كما يخطىء غيره» (ملخصاً من التهذيب ٣٨/٩ ـ ٤٦).

(١) وقد اختلف في اشتقاقه من شطن، فيكون شيطان على وزن فيعال. هذا ما ذهب إليه صاحب الزينة. أو يكون قد اشتق من شاط أي احترق من الغضب، فيكون على وزن فعلان (ل/ شيط) نحو حيران وهيمان، وهي أمثلة في المعتل الأجوف. وأما فيعال فقد ندر استعماله، فلذلك اعترض بعض اللغويين على اشتقاقه من الشطن. وقد أورد بروكلمان في Grundriss ١/ ٣٤٤ هيذام وهيذار وهيصار من أمثلة الأسماء الثلاثية الصحيحة. فاحتج على ذلك جيفري ص ١٨٨ قائلاً: إنها نعوت نادرة، ولا يقاس بها شيطان بالمعنى الذي ورد في القرآن. وليس هذا بشيء، لأن الشيطان بمعنى البعيد صفة، وليس اسماً للجنس. وهذا ما أشار إليه صاحب الزينة في هذا الباب. أضف إلى ذلك أن العربية لا تمانع أن تكون النعوت أعلاماً للجنس أو الأشخاص. وقد ذكر شيطان بن مدلج من بني جشم في التاج/ شطن، وشيطان بن الحكم في ل/شيط، والشيطان بن بكر بن عوف من أجداد علقمة في الأغاني ٥٣/١٥، وبنو شيطان من كندة في الأغاني ٩٧/٢٠. وروى ابن عطية في مقدمته ص ٢٨٦ نقلاً عن سيبويه أن العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فعل أفاعيل الشيطان. فهذا بين أنه تفيعل من شطن، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط وقيل نظيره في اليونانية ὁ Σατανας وفي العبرية الربانية שָׂטָן، وفي السريانية ܣܛܢܐ وإننا نختار ما وصل إليه غولد تصير في Abbandlungen ١/ ١٠ أن اللفظ عربي قديم، ونؤيد من قال إنه فيعال من الشطن.

(٢) الميعة النشاط وأول جري الفرس. والأحقب حمار الوحش، والأنثى حقباء.

(٣) د أمية ٦٤ ول/ شطن.

فجاء به على فاعل من شطن، فهو شاطِن، أي بعيد.

فكأن شياطين الإنس والجن هم المستبدّون بقوتهم، المتُفرِّدون بأنفسهم، المِتباعِدون عن الحق، الْمتنحُّون عن الطريق، لا يَنقادون لأحد استعلاءً وتَرفعاً وإعجابًا بأنفسهم. ومن أجل ذلك قيل لكل حاذِق بعمله شيطان، لأنه مُتفرِّد بحِذْقه لا يعطي المقادة أحداً في عمله. فمن كانت صفته هذه من الجن والإنس فهو شيطان؛ وليس للشيطان جنس من الخلق على الانفراد مثل الإنس ومثل الجن. إنما لزم هذا الاسم من كانت صفته من الثَّقَلَين.

[الشيطان ضد الإسلام] والشيطان ضد المُسلِم الْمُنقاد، لأن المسلم [١٣٥] مستسلم. ومعنى الاستسلام الانقياد، ومعنى الشيطنة البعد والتفرد والعصيان. وقال أبو النجم:

أحِيـنَ صـارَ الـرأس كـالـثَّـغَـام وشَـابَ أسْـنَـانِـي مِـن الأقـوامِ[١]
وبِـعـت شـيـطَـانِـي بـالإسـلامِ ٢٧٠

فجعل ضد الشيطان الإسلام لما ذكرنا من المعنى فيهما، لأن المسلم مأخوذ من الاستسلام والانقياد، والشيطان مأخوذ من الشطن، وهو التباعد والتنحي والامتناع؛ فيصف أنه انقاد وأذعن بعد الشيب. يقول: استسلمت لمن كنت لا أنقاد له.

[الشيطان حية] والشيطان أيضاً حَيَّة خفيفة الجسم قبيحة المنظر. وقال الشاعر[٢]:

تُـلاعِـبُ مَـثْـنَـى حَـضْـرَمـيٍّ كـأنَّـهُ تَـعَـمُّـجُ شـيـطـان بـذي خِـرْوَع قَـفـرِ[٣]

وقال بعض المفسرين في قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿طَلْعُهَا كأنَّهُ رُؤوسُ**

---

(١) الثغام بالفتح نبت أبيض يكون في الجبل يبيض إذا يبس، ويشبه به الشيب، الواحدة ثغامة. يقال له بالفارسية درمنه (صح/ ثغم). يقال: فلان سن فلان إذا كان مثله في السن. فأسنانه المماثلون له في السن.

(٢) في ل/ شطن: وقال الشاعر يصف ناقته. وفي صح/ عمج: استشهد الشاعر بقوله: تلاعب... البيت، يصف زمام الناقة.

(٣) تعمجت الحية إذ تلوت في وكرها.

الشَّياطِين﴾[١]، قال: واحدها شيطان، وهي الحية الخفيفة الجسم.

[المارد] ومن صفات الشيطان المارِد. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَحِفظاً مِن كلِّ شَيطَانٍ مارِدٍ﴾**[٢]. قالوا: المارِد الْمُتمرِّد والخارج عن الطاعة الْمُنْسلِخ منها. التَمرُّد التَجرُّد. ومنه قيل للأمرد أمرد لأنه أجرد من الشعر. وفي الحديث: أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ[٣]. وكثيراً ما يتكلم به الناس، فيقرنون الكلمتين فيقولون: أجرد أمرد.

[الرجيم] ومن صفات الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: **﴿فاستَعِذْ باللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم﴾**[٤]. الرجيم معناه مرجوم، وهو فعيل في معنى مفعول، كما قالوا: رجل قتيل في معنى مقتول. وأصله من الرَّجْم. والرجم الرَّمْي بالحجارة، ومنه رجم الزاني. وإنما سمي رجيماً، لأن الشياطين كانوا يسترقون السمع، فرُجِموا بالنجوم، أي رُمُوا بها، وإن كان أصل الرجم من الحجارة؛ فَسُمِّي الرمي بالنجوم رجماً على التشبيه. قال الله تعالى في صفة المرجومين: **﴿وأنَّا كُنَّا نَقعُدُ مِنهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَداً﴾**[٥]. وقال: **﴿لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾**[٦]. وقال: **﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾**[٧]. فهذا كله ما رُجمت به الشياطين، لأنهم كانوا يسترقون السمع قبل مبعث رسول الله ﷺ، وتلقيه على ألسنة الكهنة. فلما بعث ﷺ حرس ذلك منها برمي النجوم. قال الله تعالى: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَبًا... إلى قوله: شِهَابًا رَصَداً﴾**[٨].

---

(١) سورة الصافات: الآية ٦٥.

(٢) سورة الصافات: الآية ٧.

(٣) ت صفة الجنة ٨، نصه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم.

(٤) سورة النحل: الآية ٩٨.

(٥) سورة الجن: الآية ٩.

(٦) سورة الصافات: الآيتان ٨ ـ ٩.

(٧) سورة الصافات: الآية ١٠.

(٨) سورة الجن: الآيات ١ ـ ٩.

[الغول] ومن صفات الشياطين الغول والسعْلاَة: قالوا: الغول ساحِر الجن، وكذلك السعلاة. قال رسول الله ﷺ: لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا غُولَ[(١)]. وفي حديث آخر أنه قال عليه الصلاة والسلام: إذا غَوَّلت الغول فأذنوا بالصلاة[(٢)]. يعني إذا ضَلّوا وشَهَّت عليهم الغولُ الطريقَ أذنوا فاهتدوا. وقال: غَوَّلت، أي صارت غولاً. قال: لأنها تتصور بصور كثيرة، مرة طويلة، ومرة قصيرة، ومرة قبيحة، ومرة جميلة، ومرة في صورة الإنس، ومرة في صورة الدوابِّ، وكيف أرادت، تُفزع بذلك الناس. قال كعب:

فما تَدُوم على حال تكون بها   كما تلوَّنُ في أثوابها الغول ٢٧٢ [(٣)]

ويقال: غالَتْه غُول، إذا تَخبّطَ وفزع. وقال عديّ:

ألم يُخزِنْك أنَّ أخاك عانٍ   وأنت مُغَيَّبٌ غَالتْك غُولُ ٢٧٣

قال: معناه بَعُدْتَ. والغَوْل البُعْد. يقال: غَوْلٌ وأغْوالٌ. قال: وإنما سمي البعد غَوْلاً، لأن المتخبط بها يهيم على وجهه، فيبعد [١٣٦] عن أهله. فقيل: غالته غول، أي باعدت به. ويقال: غالَه الدهر، أي غيَّر حاله، كما يَتغوَّلُ الغُول، فيتغير في كل صورة. ومنه: اغتالَه، إذا مكر به، وأتاه من وجه لا يفطن له، لأنه أتاه من وجه غائب، وأظهر له خلاف ما كان عليه. والغِيَلة من ذلك. وكذلك يقال: فلان ذو غيلة وذو غائِلة، إذا كان يُظهر خلاف ما في ضميره[(٤)]. فالغول مأخوذ من التغير والانتقال من

---

(١) خ الطب ١٩، نصه: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. وفي النهاية/ غول قال: الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين. كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، فتتغول تغولاً أي تتلون تلوناً في صور شتى. وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

(٢) مس ٣/ ٣٠٥، نصه: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا سرتم في الخصب فأمكنوا الركاب أسنانها ولا تجاوزوا المنازل. وإذا سرتم في الجدب فاستجدوا. وعليكم بالدلج، فإن الأرض تطوى بالليل. وإذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان. وإياكم والصلاة على جواد الطريق والنزول عليه، فإنها مأوى الحيات والسباع وقضاء الحاجة، فإنها الملاعن. وفي النهاية/ غول: ومنه الحديث: إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان.

(٣) قصيدة بانت سعاد ص ١٠١ وديوانه ص ٨. وفي رواية الشعر والشعراء ٦٨: وما تدوم على العهد الذي زعمت كما... البيت.

(٤) الغائلة الحقد الباطن كالوابلة. والغيلة بالكسر الخديعة والاغتيال. وقتل فلان غيلة أي خدعة، واغتاله أي قتله غيلة، والأصل الواو. (صح/ غول ول/ غيل).

حال إلى حال، ومن التباعد.

ذكرت العرب أن تأبَّط شرّاً وهو أحد الشعراء، واسمه ثابت[١]، ظفر بغول، فقتلها، وجَزَّ رأسها، وجعله تحت إبطه، وانصرف به. فلما رأى أهله ذلك، قالوا: تَأَبَّطَ شَراً ثابتٌ. فسمي تأبط شراً بذلك.

[السعلاة] قالوا: السعلاة أخبث من الغول وأعظمها سحراً. ويقال للمرأة الصَخَّابة[٢] سعلاة تشبيهاً بها. قال الخليل: يقال: اسْتَسْعَلَتْ المرأة، أي صارت كالسعلاة، كما يقال: اسْتَكْلَبَ الرجل واسْتَأسَدَ، وثلاث سِعْليات[٣]، وتصغيرها سُعَيْلَية. وثلاث سَعَالٍ صواب. وأنشد أبو ليلى لِحُمَيْد[٤]:

فأضحتْ تَعالَى بالرِّحال كأنَّها
سَعَالٍ بجَنْبَيْ نَخلةٍ وسُلُوقُ ٢٧٤ [٥]

---

(١) هو ثابت بن عمل. وقال الأصمعي: هو ثابت بن جابر وهو من فهم بن عمرو بن قيس عيلان، شاعر بئيس يغزو على رجليه وحده. قتلته هذيل. راجع الشعر والشعراء ١٧٤ - ١٧٧ و ٤٢٢ - ٤٢٥ والمعارف ٣٨.

(٢) حاشية س: السخب لغة في الصخب، ومنه حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: تساخبوا على الدنيا.

(٣) الأصول جميعها: سعاليات.

(٤) م و ح و س: أبو ليلى الحميد. ولعل الصواب: أنشد أبو ليلى لحميد، كما جاء في ي و ع. ويكنى حميد بن ثور أبا المثنى، ومن كناه أبو الأخضر وأبو خالد وأبو لاحق. ولم يرد أبو ليلى من كناه. ولم نعثر على اسم صاحب هذه الكنية: أبي ليلى، التي ذكرها صاحب الزينة في بابي العرش (٣٣٤) والجن (٣٥٣).

(٥) ي و س و ع: تغالي. رواية د حميد بن ثور ٣٧:

وراحت تعالى بالرحال كأنها   تعالى بجنبي نخلة وسلوق

البيت في وصف الإبل، شبهها بالسعالي والسلوق. ولم يفطن الشارح لكلمة «سعال» فقرأها وصحفها «كأنها تعالى»، واعتبر أن كلمة «سلوق» بفتح السين موضع. فترتب على ذلك أوهام في تفسير البيت، كما يتضح ذلك مما يأتي: نخلة موضع على ليلة من مكة، وهي التي نسب إليها بطن نخلة، وهي التي ورد فيها الحديث ليلة الجن. وسلوق بفتح أوله موضع باليمن تنسب إليه الكلاب والدروع الجيدة اهـ. وأما صاحب الزينة فيعني بالسلوق بالضم الذئاب، والسلوق جمع سلقة، وفي هذا لا إقواء في الروى، والبيت سليم في معناه ومبناه، والمراد بجنبي نخلة نخلة الشآمية ونخلة اليمانية. قال البكري في معجم ما استعجم: الشآمية واد ينصب من الغمير، واليمانية واد ينصب من بطن قرن المنازل، وهو طريق اليمن إلى مكة؛ فإذا اجتمعا فكانا وادياً واحداً، فهو المسد، ثم يضمها بطن قر.

سُلُوق جمع سِلْقَةٍ، وهو الذئبة الأنثى. ويقال: إن السعلاة إذا رأت بَرْقاً أو سمعت صوت رَعْد حَنَّتْ إلى وطنها أين كانت. قال: وتزوج عمرو بن تميم[1] سعلاة، فقال له أبوها: إنها إن رأت لَمْعَ بَارِقة، أو سمعت صوت راعِدة لم تنتفع بها. قال: فمكثت عنده حتى أصاب منها ابناً. فبينا هي ذات يوم إذ رأت برقاً فأجهشت[2]، ثم قالت:

أَضْمُمْ إليك ابْنَكَ إنّي آبِقُ
بَرْقٌ على أرض السَّعالى آلِقُ ٢٧٥ [3]

ثم لمعت، فذهبت، فكان آخر عهده بها. وروى لعمرو في ذلك شعر، منه قوله:

فطالَبْتُها بُضْعَها فالْتَوَتْ[4] بوجهٍ تَغَوَّلَ فاسْتَغْوَلاَ
فَمَنْ قال أين ثَوَتْ جارَتي فإن لها باللِّوَى مَنْزِلاَ ٢٧٦

[الوسواس الخناس] ومن صفاته الوَسْوَاس الْخَنَّاس. قال: سمي وسواساً، لأنه يُوَسْوِس إلى الناس ويُلقي في قلوبهم الوَسْوَسَة، حتى يصير الإنسان مُخَبَّلاً مُوَسْوَساً. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذِي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ﴾**[5]. قال: وسمي خَنَّاساً، لأنه يوسوس، فإذا ذُكِر الله خَنَسَ، أي تَقَبَّضَ فكَفَّ. قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿فَلاَ أُقْسِمُ بالْخُنَّسِ﴾**[6]. قال: هي الكواكب تظهر بالليل وتَخْنِسُ بالنهار. وفي حديث الحجاج: إن الإبل ضُمَّرٌ خُنَّسٌ ما جَشِمتْ. وخُنَّس جمع خانِس، وهو الْمُمسِك. يقال: خَنَسْت عن الرجل، إذا تأخرت عنه، وأَخْنَسْت عن حقه، إذا سترته. والأَخْنَس القصير الأنف. وأنشد:

---

(١) ع: عمرو بن معن.
(٢) حاشية س: الجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه قد تهيأ للبكاء. وكذلك الإجهاش، من صح/ جهش.
(٣) ي و س و ع: أبق. ي و س: ألق.
(٤) البضع بالضم النكاح، والمباضعة المجامعة (صح/ بضع).
(٥) سورة الناس: الآيتان ٤ ـ ٥.
(٦) سورة التكوير: الآية ١٥.

قــولا لــعــمــرو بــن هــنــد غَــيْــرَ مُــتَّــئِــبِ
يـا أخْنَسَ الأنـف والأضـراسُ كـالْـعَـدَس ٢٧٧ (١)

وقيل للبقر خُنَّس لقصَر أنوفها، واحدتها خنساء. فكأنّ الشياطين تخنُس، أي تَقْصُر وتَتَوَارَى. والكواكب الخنَّس، لأنها تتوارى وتَكْنِس، أي [١٣٧] تستتر، كما تكنس الظِّباء، أي تدخل الكُنُس.

[الطيف والطائف والخيال] ومن صفاته الطيف والطائف والخيال. قال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ تذَكَّرُوا**﴾(٢): مجازه(٣) لَممٌ. وأنشد للأعشى يصف الناقة:

وتُــصْــبِــحُ عَــن غِــبِّ الــسُّــرَى وكــأنَّــهــا
ألَــمَّ بــهــا مــن طــائِــف الــجِــنِّ أوْلَــقُ ٢٧٨(٤)

وهو من طِفْت به أطيف. قال الشاعر [وهو كعب بن زهير]:

أنَّــى ألَــمَّ بــك الْــخــيَــالُ يَــطــيــفُ   ومَـطـافُـه لـك ذِكْـرَةٌ وشُـغُـوفُ ٢٧٩ (٥)

وروى أبو عبيد بإسناد له عن مجاهد: إذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ، قال: غضب. وقال الكسائي: الطيف اللمم. قال: ومنه يقال: طِفْتُ به أطِيفُ طَيْفًا. وأنشد:

أنَّــى ألَــمَّ بــك الــخــيــال يَــطــيــفُ

وقال غيره: الطيف الوسوسة. يقال: طَيْفٌ وطائِفٌ. قرأ أهل المدينة:

---

(١) اتأب الرجل أي استحيا وهو متئب (صح/ وأب).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠١ والمجاز ١/ ٢٣٦.

(٣) ينقص في مخطوط ع ما يلي إلى الكلام على الكوفة في باب الأمصار (مخطوط م ص ١٦٤).

(٤) رواية ثعلب (الصبح المنير ١٤٧) وأبي عبيدة (المجاز ١/ ٢٣٦): وكأنما ألم بها. رواية ل/ طيف. وكأنما أطاف بها. وأطاف بها أي ألم بها. وفي صح/ ألق: الأولق الجنون وهو فوعل، لأنه يقال للمجنون مأولق على مفوعل.

(٥) رواية د كعب بن زهير ١١٣ والمجاز ١/ ٢٣٧ ول/ شعف وطيف: شعوف، بالعين المهملة. والأصول: شغوف، بالغين المعجمة أي أصاب شغاف قلبك. وفي ل/ شعف قال: شعوف يحتمل أن يكون جمع شعف، ويحتمل أن يكون مصدراً وهو الظاهر، والشعاف أن يذهب الحب بالقلب. وطاف الخيال طيفًا ومطافًا، ألم في النوم.

طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. وقرأ أبو عمرو والكسائي: طَيْفٌ. ويقال: إن الطيف والطائِف ما يَجيئه لَيلاً في مَنامه، فربما أفْزَعَه. ثم قيل لكل مُخَبَّل: به طَيْفٌ. قال: ومن أجل ذلك قيل للذي يحرس السلطان بالليل[1] طائف، لأنه يطوف ليلاً. قال الحطيئة:

طَافَ الْخَيالُ علينا لَيلةَ الوادي
مِن آل أسْماءَ لم يُلْمِم بميعادِ ٢٨٠ [2]

فقال: طاف ليلة الوادي، لأن أكثر ما ينام الناس ليلاً؛ فهو إذا طاف به أراه في منامه شَخْصَ إنسانٍ بَعيدٍ منه. والطيف من الشيطان. فإذا كان من الْمَلَك يقال له الخيال. ثم قيل للطيف خيال، وللخيال طيف لاشتباههما.

[الخيال] والْخيال شخْص الشيء الذي يراه، فربما أتاه في صورة رجل أو امرأة، فيتراءى له في نومه يُخاطِبه ويُحاوِره. وقال الحطيئة[3]:

نَأَتْكَ أمَامَةُ إلاّ سُؤالاَ وأبْصَرْتَ منها بِغَيْبٍ خَيالا[4]
خيالا يَروعُك عند الْمَنَامِ ويَأبى مع الصُّبْحِ إلا زَوالاَ ٢٨١

وقال:

وفي كل مُمْسَى لَيْلةٍ ومُعَرَّسٍ
خَيَالٌ يُوافِي الرَّكْبَ من أمِّ مَعْبَدِ ٢٨٢ [5]

وإنما سمي خيالاً، لأنه يتخيل إليه في صورة ذلك الإنسان، ولا يكون ذلك الإنسان بعينه. ويقال: تخيل إليَّ الشيء، إذا رأى شيئاً يشتبه عليه أو يشبهه بشيء، ولا يكون ذلك الشيء بعينه؛ أو تظهر له صورة أمر، فتقول: يخيل إليَّ أن هذا الأمر هكذا، ولا يكون حقيقته كذلك، بل يكون مِثالاً له.

---

(١) ي و س: قيل للسلطان الذي يحرس بالليل.
(٢) لم يرد الشاهد في د الحطيئة.
(٣) قال يمدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعتذر من هجاء الزبرقان (د الحطيئة ٣١).
(٤) رواية السكري (د الحطيئة ٣١): يطيف خيالاً. ورواية أبي زيد (أشعار العرب ١٥٣): بعين خيالاً.
(٥) د الحطيئة ٢٢. والممسى بضم الميم وكسرها من المساء كالصبح من الصباح. وأمسينا ممسى. والتعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة، ثم ينيخون، ويناموم نومة خفيفة، ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين (ل/ مسا وعرس).

وكذلك الخيال لا يكون حقيقة ذلك الإنسان الذي يراه، بل يكون مثالاً له. وطائر يقال له «الأخْيَل» وهو الذي يسمى «الشِّقِرَّاق». ويقال له أيضاً «أبو بَراقِشَ». سمى أخيلاً، لأنه يتلون ألواناً كثيرة، فربما رأيته أخضر، ثم تراه بعد ذلك أصفر؛ فقيل له أخيل، لأنه لا يكون للونه حقيقة، وفي أي لون رأيته فشخصه قائم واللون غيره. فكذلك الخيال صورة ذلك الإنسان[1] والعين غيره. وأنشد في الأخيل:

كـــأبـــي بَـــراقِـــشَ كُـــلَّ لَـــوْ
نِ لَـــوْنُـــهُ يَـــتَـــخَـــيَّـــلُ ٢٨٣ [2]

يعني الأخيل، والعرب تتشاءم به. قال الفرزدق:

تُـلاقـي ذبـابـي طـائِـراً كـان يُـتَّـقَـى
وتَـقْـطَـعُ أَصْـلابَ الْـمُـتُـون أخَـائـلـهْ ٢٨٤ [3]

وقال حسان:

ذَريـنـي وعِـلْـمـي بـالأمـور وشِـيـمـتـي
فـمـا طـائِـري فـيـهـا عـلـيـك بـأخـيـلا ٢٨٥ [4]

---

(١) ي و س: صورته صورة ذلك الإنسان.

(٢) في ل/ برقش: أبو براقش طائر يتلون ألواناً، أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود؛ فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى. قال الأسدي:

إن يـبـخـلـوا أو يـجـبـنـوا أو يـغـدروا لا يـحـفـلـوا
يـغـدوا عـلـيـك مـرجـلـيـن كـأنـهـم لـم يـفـعـلـوا
كـأبـي بـراقـش كـل لـو ن لـونـه يـتـخـيـل

(٣) كذا في الأصول كلها. والصواب أن البيت لجرير، والخطاب للفرزدق، لأنه من قصيدة يرد جرير فيها على الفرزدق. ورد الشاهد في النقائض ٦٥٢ لجرير في رواية أبي عبيدة:

ستـلـقـى ذبابي طـائـفًـا كـان يـتـقـي وتـقـطـع أضـعـاف الـمـتـون أخـائـلـه

قال الشارح إنه يروى: تلاقي ذبابي طائراً، وأن الأخيل طائر إذا وقع على متن الفرس قطعه، وأن ذلك الطائر هو الشقراق. قال: وإنما أراد بقوله ذبابي ذباب السيف وهو حده. يقول ستلقى حد سيفي، فيقطعك كما يقطع هذا الشقراق ظهر هذا الفرس.

(٤) د حسان ٧. الجوهري (صح/ خيل): الأخيل ينصرف في النكرة إذا سميت به. ومنهم من لا يصرفه في المعرفة ولا في النكرة إذا سميت به. ومنهم من لا يصرفه ويجعله في الأصل صفة من التخيل ويحتج بقول حسان بن ثابت: ذريني... البيت.

وقال الأعشى:

فـوق دَيْـمـومَـةٍ تَـخـيَّـلُ بـالـسَّـفْـ ـرِ قِـفـارا إلا مِـن الآجَـالِ ٢٨٦ [١]

تَخيَّلُ بالسَّفر، أي يرونها مرة هكذا ومرة هكذا تتلون بهم. وقال كعب:

وصَـرْمَـاءَ مِـذْكـارٍ كـأنَّ دَوِيَّـهـا بُـعَـيْـد جَـنَـان الـلـيـل مِـمَّـا يُـخَـيّـل
حـديـثَ أنَـاسـيٍّ فـلـمـا سَـمِـعْـتُـه
إذا لـيـس [١٣٨] فـيـه مـا أبِـيـنُ فـأعْـقِـلُ ٢٨٧ [٢]

يعني يُخيَّل إليه من هذا الدويِّ فهو لا يدري ما هو لاختلافه عليه. ويقال: خِلت الشيء إخالُه إذا لم أتحقّقه[٣]. وقال النابغة:

وحَـلَّـتْ بـيـوتـي فـي يَـفَـاعٍ مـمـنَّـعٍ تخالُ به راعي الْحَمُولَة طائِرا ١٣٨ [٤]

لأنه يرى الصغير كبيراً[٥]. وقال ابن أحمر:

وازْدَادَت الأشْـبَـاح أخْـيِـلـةً وتَـعَـلّـلَ الْـحِـرْبَـاءُ بـالـنَّـفَـرِ ٢٨٨

رأى الأشباح بصور مختلفة. فكذلك قيل له خيال، لأنه يتصور بأي صورة شاء. قال الأصمعي: كانوا إذا حَموا الِحمىَ نصبوا خُشُبًا عليها ثِياب

(١) الصبح المنير ص ٧. قال أبو العباس ثعلب: الأصمعي: تغول بالسفر. أبو عبيدة: تغول للسفر. الديمومة الفلاة البعيدة الأطراف التي يدوم فيها السير. وقوله: تخيل، يرونها مرة على خلفة ومرة على أخرى، لا تثبت أعلامها على حال. الأصمعي: تغول بالسفر، تبعدهم وتسقطهم من قوله غالته غول.

(٢) د كعب بن زهير ص ٤٥ ـ ٤٦. وفي شرح السكري: الصرماء الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء. والمذكار المخوفة التي لا يسلكها إلا الذكر من الرجال. وقال بعضهم: معنى مذكار أنها ذات هول تذكرهم ما مر بهم فيها. الدوي الصوت، وإنما يريد عزيف الجن بها وتخيلهم. يريد: أسمع همهمة لا تفهم، وذلك من خلاء المكان. وقال غيره: يريد كأن عزيف الجن حديث أناسي.

(٣) خلت الشيء. وتقول في مستقبله: إخال بكسر الألف وهو الأفصح: وبنو أسد تقول: أخال بالفتح وهو القياس. وأخال الشيء أي اشتبه (صح/ خيل).

(٤) اطلب باب المهيمن (الزينة ١/٢٤١).

(٥) كذا في الأصول، والظاهر العكس، لأنه يرى الكبير صغيراً كما يؤخذ من شرح البطليوسي على د النابغة، وقد جاء فيه عن أبي على أنه قال: ما كان من الأشخاص في مستو من الأرض صار فيه الصغير كبيراً، وما كان في شرف عال رأيت فيه الكبير صغيراً.

سُود لُيعْلَم أنه حِمىً، ويسمونه خيالاً. وأنشد الرِّياشي[١]:

أخـي لا أخـا لـيَ بـعـده غـيـر أنـنـي   كراعي الخيال يستطيفُ بلا فِكر ٢٨٩ [٢]

قال: راعي الخيال، هو الرأل ينصب له الصائد خيالاً، فيألفه، ثم يجيء فيأخذ الخيال فيتبعه الرأل، فيصيده.

[الخبل] ويقال لجنس منها الْخُبَّل. وهم الذين يُخَبِّلُون الناس ويُؤْذونهم. والْخَبْلُ الجنون. يقال: رجل مُخَبَّل، إذا كان به مَسٌّ من الجن. والْخبَال الجنون واختلاط العقل. وكذلك الْخبَلُ. وقال أوس:

تَـبَـدَّلُ حـالاً بـعـد حـال عَـهِـدْتُـهُ   تُـنـاوِحُ جِـنَّـانٌ بِـهِـنَّ وخُـبَّـلُ ٢٩٠

وواحد الْخبَّل خابِل[٣] وقال الشاعر في الخبال:

وإذا دَعَـوْنَـك عَـمَّـهُـنَّ فـإنـه   نَـسَـبٌ يَـزيـدُك عـنـدهـن خَبَـالا ٢٩١

أي إذا شِبْتَ ودعونك عمّا نَسَبْنَك إلى ضعف العقل واختلاطه.

[العفريت] ويقال الجنس منها العفاريت، واحدها عفريت. قال الله عزَّ وجلَّ: قال ﴿**عِفرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾[٤]. قال أبو عبيدة: العفريت من كل شيء الْمبَالغ[٥]. يقال: فلان عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ وعُفارِيَةٌ. وهو مثل عفريت. وأنشد لجرير:

قَـرَنْـتُ الـظـالـمـيـن بَـمـرْمـريـسٍ   يَـذِلُّ لـهـا الـعُـفَـارِيَـةُ الْـمـرِيـدُ ٢٩٢ [٦]

المرمريس الداهية الشديدة.

---

(١) هو أبو الفضل عباس بن الفرح، مولى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي. ونسبته إلى رياش رجل من جذام كان أبو العباس عبداً له. وكان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي، وروى عن غيره. وقد أخذ عنه أبو العباس محمد بن يزيد وأبو بكر بن دريد. ومات سنة سبع وخمسين ومئتين بالبصرة قتله الزنج. راجع أخبار البصريين ٨٩.

(٢) ي و س: غيره. والبيت في صح/ خيل ول/ خيل.

(٣) الخبل كفسق جمع خابل. وكذلك الخبل بالتحريك اسم جمع كالقعد والروح، اسمان لجمع قائد ورائح. وقيل هو الجمع.

(٤) سورة النمل: الآية ٣٩.

(٥) المجاز/ مراد منلا ١٢٦: من كل جن أو إنس أو شياطين. الفائق، المبالغ: الرئيس.

(٦) د جرير ١٦٣.

وقال رسول الله ﷺ: إن الله يُبغض العفرية النفرية الذي لم يُرْزَأ في جسمه وماله[1].

قال ابن قتيبة: العفرية الموثق الخلق الشديد المُصحَّح. وأصله العِفْر زيدت الهاء والياء عليه. قال: وأصله من العَفَر. وهو التراب. ومنه يقال: عافَرَه إذا صارَعَه، كأن أحدهما يلقى الآخر بعفر الأرض[2]. ويقال: رجلٌ عِفِرٌّ، بتشديد الراء، كما يقال شر شِمِرٌّ، يريد شَمرٌّ فيه. ويقال: أشجع من ليثِ عِفِرِّينَ. يقال: هي دابّة تشبه الحِرْباء تتحدّى الراكب وتضربه بذنبها، وعِفِرِّين بلد، وهي تكون بذلك البلد.

وقال غيره: العِفْر ذَكَر الخنازير. وإنما معنى قول رسول الله ﷺ عِفْرِيَة هو المُوثَّق الخَلق الجريء الذي يُشبه الخنزير الذكر. فكأن العفريت من الجنّ هو أعظمها خلقاً وأجرؤها.

---

(١) أورده ابن الأثير في النهاية/ عفر، فقال: العفرية النفرية هو الداهي الخبيث الشرير.

(٢) وقد صعب على أهل النحو اشتقاقه من عفر الأرض. وكذلك اشتقاقه من عافره إذا صارعه وألقاه بالعفر ليس بشيء. وإذا كان معنى العفريت الموثق الخلق المبالغ في جسمه، كما ذكره ابن قتيبة، فالأقرب إلى هذا المعنى اللفظ البهلوي: آفريتان، ومنه بالفارسية الحديثة: آفريده، أي المخلوق، راجع جيفري ٢١٥ وفولرس (ZDMG, 50: 646). وقد اعتبره بارث (ZDMG, 48: 17) لفظاً عربياً بحتاً. والله أعلم.

باب إبليس

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إلاّ إبْليسَ كانَ مِنَ الْجنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ﴾[(١)]. قال أهل التفسير: من الجنّ، أي كان من الملائكة، وفَسَقَ، خَرَجَ عن أمر ربّه. قال أبو عبيدة: [١٣٩] إبليس هو اسم أعجميّ، فلذلك لم يصرفه[(٢)]: ﴿فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ﴾[(٣)]. فذكر الملائكة، ثمّ استثنى منهم إبليس، وذكر أنه من الجنّ، قال قوم: لم يكن من الملائكة، ولكنّه كان يلي شيئاً من أمر السماء. وتقديره في الوزن: إفْعِيل، وهو مشتقّ من أبْلَسَ الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجّة. ويقال: هو من يَئِسَ. قالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإذَا هُمْ مُبْلِسونَ﴾[(٤)]، قالوا: يائِسون. قال ابن عباس: لما لعنه الله أبْلَسَ من رحمته. وقال الفرّاء: مُبْلِسون، يعني في العذاب. وقال: الْمُبْلِس اليائِس من النجاة والقانط. وهو أيضاً المنقطع الحجّة. وهي في قراءة عبد الله[(٥)] ﴿وَهُمْ فيها مُبْلِسُون﴾[(٦)]، يعني في جهنّم. ويقال أيضاً: أبلس، إذا سكت

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) المجاز ١/٣٨ قال: نصب إبليس على استثناء قليل من كثير، ولم يصرف إبليس لأنه أعجمي اهـ. وقد أجمع علماء الغرب أن الكلمة دخلت محرفة في العربية من اليونانية Διαβολος ديابولوس. وجاء في المعجم الكبير ١/ ١٦١ أن العرب حذفت «ديا» في أول الكلمة وتوصلوا للنطق بالساكن بزيادة الألف في أوله، وأنه لم يرد ذكره في المعاجم الآرامية والسريانية اهـ. وقد يكون العرب أخذته من اليونانية مباشرة باتصالهم بنصارى العرب الموالين للكنيسة البيزنطية، كما أشار إليه جيفري ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٤ وسورة الأعراف: الآية ١١ وبني إسرائيل ١٧/ ٦١.

(٤) سورة الأنعام ٤٤.

(٥) هو عبد الله بن مسعود لأنه في باب القراءات يراد عبد الله بن مسعود، وفي باب التأويل يراد عبد الله بن عباس. اطلب باب الأدب والمأدبة فيما يلي.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٧٥: (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون).

ولم يُحِر جوابًا. قال العجاج[1]:

يا صَاحِ هل تعرف رَسْماً مُكْرَساً؟ قال: نعم أعرفه، وأبْلَسا ٢١٧

أبلس، أي لم يُحِرِ جوابًا، وصمت عن السائل. ويقال الْمُبْلِس الحزين النادِم. قال أبو عبيدة في قوله: «فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ»، قال: المبلس الحزين النادم. وقد أبْلَسَ الرجل إبلاساً. وأنشد لرؤبة:

وَحَضَرَتْ يَوْمَ خَمِيسِ الأَخْمَاسْ
وفي الوجوه صُفْرَةٌ وإبلاسْ ٢٩٣ [2]

أي اكتئاب وحزن وكسوف. وقال في قوله: ﴿يُبْلِسُ الْمُجرِمُون﴾[3]: أي يتندّمون[4] ويَكْأَبون ويَيْأَسون. قال مجاهد في قوله «يُبْلِسُ الْمُجرِمُونَ»، قال: الإبلاس الفضيحة. وقال غيره: الإبلاس الخشوع. فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ. قال: خاشِعون. وقال غيره: المبلس المتروك المخذول. وكلّ هذه المعاني قد جاءت في الإبلاس، وهي قريبة بعضها من بعض. فكأنّ إبليس هو مأخوذ من ذلك، لأنّه افتضح بعصيانه، فيئس من رحمة الله، وحزن وندم، فصار مخذولاً متروكاً ذليلاً منقطع الحجّة ساكتاً، فقيل له إبليس.

[اللعين والملعون] ومن صفاته: اللَّعين والْمَلْعُون. وهما في وزن فَعيل وَمَفْعُول: وفَعَيْل أيضاً معناه مَفْعُول. وهو المطرود والطريد. واللَّعْن الطَّرْد والإبعاد. قالوا: سُمِّي ملعوناً لأنّ الله تعالى طرده عن الجنّة وأبعده عنها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾[5]. وقال عنترة:

---

(١) النسخ كلها: قال رؤبة بن العجاج. والقائل هو العجاج. انظر باب الكرسي (الزينة ٣٣٠) والمجاز ٢/ ١٩٢.

(٢) المجاز ١/ ١٩٢ ول/ بلس: وحضرت يوم خميس الأخماس: وفي د رؤبة/ ٦٧ وأراجيز العرب ١٣٦:

.... والموت بالمستوردين غماس
وعرفت يوم الخميس الأخماس وقد نزت بين التراقي الأنفاس
وفي الوجوه صفرة وإبلاس من يرد الموت وقد هاب الناس

(٣) سورة الروم: الآية ١٢.

(٤) كما في ي و س والمجاز/ مراد منلا ١٣٤. و م و ح: يندمون.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧.

هل تُبْلِغَنّي دارَها شَدَنيَّةٌ   لُعِنَت بَمَحروم الشَّراب مُصَرَّم(٢)

يصف الناقة أي نُحيَتْ وأبعدت لما لم يكن بها لبن(٣) وهو أصلَب لها(٤). قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾(٥)، قال: طردهم وأبعدهم. واللعين عندهم المطرود. وأنشد للشمّاخ:

ذَعَرْتُ بهِ القَطَا ونَفَيْتُ عنه
مَقَامَ الذِّئب كالرَّجلِ اللعين ٢٩٥ (٦)

أي الطريد. وقال غير أبي عبيدة: الملعون الْمُخْزَى المتروك. وأنشد(٧):

أفُطَيْمُ هل تدرين كم من مَتْلَفٍ
جاوَزْتُ لا مَرْعًى ولا مَسْكُونِ
غَوْرِيَّةٍ نَجْدِيَّةٍ تَصْعِيدَةٍ
تَصْوِيبةٍ مُتَشَابهٍ مَلْعُونِ ٢٩٦

---

(٢) د عنترة/ العقد ٤٦. حاشية م: بمحروم الشراب بضرع محروم شرابه ممنوع مقطوع.

(٣) كما في ي و س. م و ح: وأبعدت لها لم يكن بها لبن.

(٤) في ل/ لعن: أنشد ابن الأعرابي بيت عنترة: هل تبلغني... مصرم، وفسره فقال: سبت بذلك، فقيل: أخزاها الله، فما لها در ولا بها لبن.

(٥) سورة البقرة: الآية ٨٨ والمجاز ١/٤٦.

(٦) د الشماخ ٩٢ والمجاز ١/٤٦ وصح/ لعن ول/ لعن. ونفيت طردت. ومقام مفعم. ونفيت عنه الذئب. الجوهري: الرجل اللعين شيء ينصب وسط الزرع يستطرد به الوحوش. وفي المجاز قال: يريد مقام الذئب اللعين كالرجل. وفي ل/ لعن: أراد مقام الذي هو كالرجل اللعين وهو المنفى. والرجل اللعين لا يزال منتبذاً عن الناس شبه الذئب به.

(٧) أنشد لبدر بن عامر. وقد جاء في د الهذليين ٢/٢٥٩ ما يأتي: أصيب ابن أخ لأبي العيال وهو ابن أبي عتير أحد بني خناعة. وكان ممن خرج إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان فيه بعض الرهق وهو الفساد. فاتهم ابن أبي عتير ابن عم له يقال له بدر بن عامر، اتهمه أن يكون ضلعه مع خصمائه. فبلغ ذلك بدراً. فقال في ذلك بدر بن عامر:

بخلت فطيمة بالذي توليني   إلا الكلام وقلما يجديني
ولقد تناهى القلب حين نهيته   عنها وقد يغوي إذا يعصيني
أفطيم..........   .... البيت
غورية نجدية شرقية   غربية متشابه ملعون

يصف الطريق يعني أنّه متروك لا يُسْلك. قال المفضّل[1]: الطريق إذا عَمِي هُداه[2] قيل: لعنه الله. ويقال [١٤٠] له: ملعون، لأنه تُرِك حتى خفِي، فلم يهتدوا فيه[3]. قال المفسرون في قول الله: ﴿ويَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُون﴾[4]، قال: هي دوابّ الأرض، الخنافس والعقارب. يقولون: مُنِعْنا القَطْرَ بذنوب بني آدم. وروى أبو عبيدة[5] بإسناد له عن أبي مالك[6] في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كفَرُوا مِنْ بَنِي إسْرَائيل عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَم﴾[7]، قال: لُعِنوا على لسان داود فجُعِلوا قِرَدَةً، وعلى لسان عيسى فجعلوا خنازير. وقال مجاهد: القردة والخنازير مُسِخت من يهود. فكأنّ الشيطان سمي ملعوناً، لأنه طُرِد وأبعد وترك، فصار بمنزل الطريق الذي قد عمي هُداه، فلا يُهتَدَى له. وكذلك الذين مُسِخوا قردة وخنازير، لأنّهم نُحُّو عن الصورة الإنسانية إلى غيرها[8].

(١) المفضل بن محمد بن الضبي أبو عبد الرحمن من أكابر الكوفيين، وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري (اطلب فصل الأئمة النحاة، الخزينة ٨٦ هامش رقم ٤) من البصريين لثقته. وللمهدي جمع الأشعار المختارة المسماة بالمفضليات تزيد وتنقص وأصحها التي رواها ابن الأعرابي. راجع النزهة ٢٧.
(٢) عمي هداه بمعنى أنه لم يكن فيه ما يهتدي به.
(٣) ي و س: فلم يهتد فيه.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٩.
(٥) كما في ي و س. م و ح: أبو عبيدة: اطلب باب أصحاب التناسخ.
(٦) أبو مالك هو كنية لعدة من الصحابة والتابعين. والذي اشتهر بالتفسير هو أبو مالك الأشجعي. قال ابن عبر البر (الاستيعاب بهامش كتاب الإصابة ٤/١٧٦): وأما أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق بن أثيم الكوفي فليس له ذكر في الصحابة. وإنما هو تابعي. يروى عن أنس وابن أبي أوفى ونبيط بن شريط الأشجعي. مشهور في علماء التابعين بتفسير القرآن والرواية.
(٧) سورة المائدة: الآية ٧٨.
(٨) الجوهري (صح/ لعن): اللعين الممسوخ. وفي ل/ لعن قال. قال الفراء: اللعن المسخ.

باب الجنة وصفاتها

[الجنة البستان والثواب في الآخرة] ويقال: إنّ الجنّة في السماء السابعة والنار تحت الأرض[1] السابعة. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**كلاً إنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيينَ وَمَا أدرَاكَ ما عِلّيون * كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشهَدُه الْمقَرَّبُونَ**﴾[2]. قال المفسّرون: عِلِّيون السماء السابعة. وقولُه: «كتاب مرقوم»، قال: مكتوب. قال: ويشهده المقرَّبون، قال: يشهد عملهم مقرَّبو كل سماء. وقال في قوله: ﴿**كلاّ إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾[3]، قال: سجّين هي الأرض السابعة، اسمها سجّين.

قال ابن عباس: الجنان سبع، جنّة الفردوس، وجنّة عدن، وجنّة نعيم، وجنة الخلد، وجنّة المأوى، ودار السلام، ودار الجلال.

فالجنّة في كلام العرب البستان والنخل. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أصْحَابَ الْجَنَةِ**﴾[4]. قال المفسّرون: أصحاب النخل. والدليل على ذلك قوله: ﴿**إذْ أقْسَمُوا لَيصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**﴾[5]. والْجدَادِ والصِّرام في النخل، مثل الِحصَاد في الزرع، والقِطَاف في العنب، والاجتناء في الثمار[6]. وقال امرؤ القيس:

---

(١) كما في م و ح. ي و س: تحت الأرضين.

(٢) سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢١.

(٣) سورة المطففين: الآية ٧.

(٤) سورة القلم: الآية ١٧.

(٥) سور القلم: الآية ١٧.

(٦) في ل/ جدد قال: قال الكسائي: هو الجداد (بفتح الجيم وكسرها) والحصاد (بفتح الحاء وكسرها) والقطاف (بفتح القاف وكسرها) والصرام (بفتح الصاد وكسرها). فكأن الفعال =

أَطَافَتْ به جَيْلاَنُ عند صِرَامِهِ ٢٩٧[(١)]

ويروى: عند قطاعه. قال الله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾[(٢)]. وقال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ﴾[(٣)]. وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ﴾[(٤)]. وقال: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾[(٥)]. وقال: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾[(٦)]. وقال: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾[(٧)]. وقال: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[(٨)]. وقال: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾[(٩)]. فهذه كلها في معنى البستان والنخل. والله أعلم. وقال الشاعر امرؤ القيس:

عَلَوْنَ بأَنْطَاكِيَّةٍ فوق عِقْمَةٍ
كجِرْمَةِ نَخْلٍ أو كجَنَّةِ يَثْرِبِ ٢٩٨[(١٠)]

وقال لبيد:

= (بفتح الفاء وكسرها) مطردان في كل ما كان فيه معنى وقت الفعل مشبهان في معاقبتهما بالأوان (بفتح الألف وكسرها). والمصدر من ذلك كله على الفعل مثل الجد والصرم والقطف.

(١) حاشية م: تمامه: تردد فيه العين حتى تحيرا. ويروى: فردت عليه الماء حتى تحيرا، ورد البيت في د امرىء القيس/ العقد ١٢٨ كذا:
أطافت به جيلان عند قطافه   وردت عليه الماء حتى تجبرا
وحاشية س: جيلان بفتح الجيم حي من عبد القيس من صح/ جيل. وفي ق/ جيل قال: بكسر الجيم إقليم بالعجم، معرب كيلان، وقوم ربتهم كسرى بالبحرين.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٤) سورة سبأ: الآية ١٥.

(٥) سورة الكهف: الآية ٣٣.

(٦) سورة الكهف: الآية ٣٢.

(٧) بني إسرائيل ١٧/ ٩١.

(٨) سور الكهف: الآية ٣٥.

(٩) سورة الكهف: الآية ٣٩.

(١٠) د امرىء القيس/ العقد ١١٦. علون رفعن وغطين. بأنطاكية أي بثياب صنعت بأنطاكية وهي قرية بالشام. والعقم ضرب من الوشي ويقال ثوب أحمر. الجرمة ما صرم من النخل. يقول: غطين الخدور بثياب أشبهت حمرتها وصفرتها وحمرة العهون التي على الهوادج حمرة بسر النخل وصفرتها (حاشية م بخط سيدي محمد علي الهمداني).

دَرَى بـالسَّـبَـارِي جَـنَّـةً أَثْـرَمِـيَّـةً
مُـسَـطَّـعَـةَ الأعـنـاق بُـلْـقَ الـقَـوَادِمِ ٢٩٩

بالسَّبارِي يريد بالسَّبارِيت، وهم المحاويج الفقراء. يعني: استاقوا إبلاً كجنّة أثرميّة منسوبة إلى بني الثَّرْماء، شبّهها بالنخل[١]. وقال كُثَيِّر[٢]:

تـفـرّق بـالـمـدْرَى أثـيـثـاً فـروعـه
كـجـنّـة غِـرْبـيـب تـدَلَّـتْ كُـرُومُـهـا ٣٠٠[٣]

شبه [١٤١] الشعر بالعناقيد في البستان.

قال: وإنّما سمّيت الجنّة التي هي الثواب جنّة، لأنه ثواب ادّخره الله لأوليائه وأهل طاعته وهو مستور عنهم، وهو مأخوذ من أَجَنَّ الشيء إذ ستره. وقد ذكرنا في هذا المعنى حججاً كثيرة في باب الجن[٤]. وبذلك أخبر الله عزَّ وجلَّ في كتابه ومحكم تنزيله فقال: **﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٥]. فقال: أُخفي لهم أي سُتِرَ.

---

(١) رواية لبيد ٢/ ٤٤ ول/ يسر وسطع: درى باليساري جنة عبقرية. وفي ل/ يسر قال: أنشده ابن الأعرابي درى باليساري البيت. قال ابن سيده: فإنه لم يفسره اليساري. قال: وأراه موضعاً. ورد البيت في ل/ سبر: درى بالسباري حبة أثرمية. والسبرت والسبروت والسبريت والسبرات المحتاج المقل، والجمع سباريت وسبار الأخيرة نادرة. ومسطعة من السطاع وهي السمة التي في العنق. استاقوا يفسر درى، وهي على هذا مخفف درأ بمعنى دفع. وفي التنزيل العزيز: ولا أدراكم به. وقرىء: ولا أدرأكم به. قيل: الوجه فيه ترك الهمز. دارأت الرجل وداريته إذا دافعته: والأصل في التداري التدارؤ، فترك الهمز. وضمير درى في البيت يعود على طفيل في قوله قبله:

لـمـا أتـانـي عـن طـفـيـل ورهـطـه هـدوءاً فـبـاتـت غـلـة فـي الـحـيـازم

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة بالإضافة إلى عزة، وهي محبوبته، وغالب شعره شبب بها. وقد قيل: إنه أزدي من قحطان. وكان كثير من شعراء الدولة الأموية مع كونه شيعياً غالياً في التشيع. وكان عبد الله بن مروان معجبًا بشعره. ومات كثير وعكرمة في يوم واحد سنة خمس ومئة، فاحتفلت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لحامل العلم من يحمله راجع الشعر والشعراء ٣١٦ ـ ٣٢٩ وطبقات ابن سلام ١٢٢ والأغاني ٨/ ٢٥ ـ ٢٦ ومقدمة بيرس، د كثير عزة.

(٣) الظاهر أن البيت من قصيدته الشهيرة يتغزل فيها بعزة مطلعها:

عـفـت غـيـقـة مـن أهـلـهـا فـحـريـمـهـا فـبـرقـة حـسـنـاً نـاعـهـا فـصـريـمـهـا

(٤) كما في ي و س. م و ح: الجنة. اطلب باب الجن (الزينة ٣٥٣٠).

(٥) سورة السجدة: الآية ١٧.

وفيّ التوراة: قال الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام: «لو رأت عيناك ما اعْدَدْتُ لأوليائي من الكرامة لذاب جسمك وزهقت نفسك شوقاً إليه»[1].

فكأن الجنّة مأخوذ من الاجتنان والستر[2]. قال: وسمّي البستان أيضاً جنّة، لأنّه قد أحيط به وسُتِر ما فيه عن الأعين.

[الفردوس] قال بعض المفسّرين: الفِرْدَوْس الجنّة باللغة الروميّة. وهي أدنى الجنان. طعامهم من رأس الثور الذي عليه الأرضون وزيادة كبد الحوت الذي بسطت الأرض على ظهره. فذلك مَقيل المؤمنين في الفردوس. وذلك قوله: **﴿وأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾**[3] وقد جاء عن العرب ذكر الفردوس. قال عديّ بن زيد:

ثُـمّـتَ أوْرَثَـه الـفِـرْدَوْس يَـعْـمُـرهـا

وزَوْجَـه ضِـلْـعَـه مـن جَـنْـبِـه جَـعَـلا ٣٠١ [4]

---

(١) جاء في الخروج ٣٣/٢٠ ـ ٢٣: وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب هوذا عندي مكان. فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي أن أضعك في نقرة من الصخرة أسترك بيدي حتى اجتازه. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي. أما وجهي فلا يرى اهـ. راجع أيضاً الخروج ٣٣/٣٣ ـ ٣٥. لعل هذه الآيات تؤدي معنى ما أورده المؤلف من التوراة.

(٢) ذكر أبو حاتم في هذا الباب المعنيين للجنة، وقال إنها مأخوذة من الاجتنان والستر. ولقد وردت الجنة في الشعر القديم وفي التنزيل بمعنى البستان والنخيل؛ فالكلمة عربية قديمة كأخواتها السامية نحو جنة גַּנָּה في العبرية، وجنتا גַּנְּתָא في الآرامية و ܓܢܬܐ في السريانية، وجنة ገነት في الحبشية. وأما ما ذكره لسان اليمن أبو الحسن الهمداني في صفة جزيرة العرب ٧٦ من وادي الجنات وصلح الجنات فذلك يشير إلى وجود الكلمة في لغات جنوب الجزيرة. فالظاهر أنها كانت منتشرة في كافة الأقطار السامية؛ وكانت تعني به البستان. وقد وردت الجنة في التنزيل أيضاً بمعنى الثواب في الدار الآخرة، وأضيفت إليها عدن والنعيم والخلد. وكانت الكلمة قد استعملت بهذا المعنى في العبرية الربانية جن عدن גַן עֵדֶן وكذلك وردت بمعنى الفردوس في الآخرة في السريانية كما حكاه فرينكل ص ١٤٨ وجيفري ص ١٠٤.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٤: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً.

(٤) أصل الشطر الثاني: وجعل ضلعه من جنبه زوجه. فضلعه مفعول أول وزوجه مفعول ثان، والتعسف في هذه الرواية ظاهر. وجاء البيت في كتاب الحيوان ١٩٨/٤ هكذا:

ثـمـت أورثـه الـفـردوس يـعـمـرهـا وزوجـه صـنـعـة مـن ضـلـعـه جـعـلا

وكان عديّ عباديّاً نصرانيّاً[١] وأراه أخذ هذا الاسم من الكتب المنزّلة. وروى أبو عبيد[٢] بإسناد له عن أبي أمامة الباهليّ[٣]، قال في قوله: ﴿**كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾[٤]، قال: سُرَّة الجنّة. وروى عن كعب قال: الفردوس التي فيها الأعناب. وروى عن ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل التفسير في أحرف كثيرة أنّها بلغات العجم، قد ذكرناها في غير هذا الموضع، منها الصراط والقسطاس والفرودس، وقالوا هي بالرومية[٥].

[جنة عدن] قال الأصمعي: تقول العرب: عَدَنَت الإبل بمكان كذا وكذا، إذا أَلِفَتْه ولزمته. ويقال: تركت الإبل عَوَادِنَ بمكان كذا، إذ ألفته ولزمته. ومنه قيل لَمعْدِن الذهب والفضّة: مَعْدِنٌ، لأنه يثبت الناس فيه ولا

---

(١) النسبة إلى عباد الحيرة. وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى. ينسب إليهم كثير منهم عدي بن زيد الشاعر (اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ١١١ وبلوغ الأرب ٢/ ٢٤٠). وفي التاج/ عبد قال: والنسب إليه عبادي كأنصاري. وقال شيخنا. قال أحمد بن أبي يعقوب: إنما سمى نصارى الحيرة العباد لأنه وفد على كنود منهم خمسة. فقال للأول: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. وقال للثاني: ما اسمك؟ قال: عبد يا ليل. وقال للثالث: ما اسمك؟ قال: عبد عمرو. وقال للرابع: ما اسمك؟ قال: عبد ياسوع. وقال للخامس: ما اسمك؟ قال: عبد الله. فقال: أنتم عباد كلكم، فسموا عباداً.

(٢) الأصول: أبو عبيدة. ولم يرد ما روى من تفسير الآية في المجاز.

(٣) هو صدى بن عجلان بن وهب. ويقال: ابن عمرو أبو أمامة الباهلي الصحابي. هو آخر من مات من الصحابة بالشام سنة إحدى وثمانين. وقال ابن حبان: كان مع علي بصفين. راجع التهذيب ٤/ ٤٢٠.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٧.

(٥) يروى عن ابن الكلبي أنه قال: الفردوس البستان بلغة الروم. وقال السدي: الفردوس بالنبطية «فرداساً». وأهل الشام يقولون للبساتين والكروم الفراديس. قال الجواليقي: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وبيت حسان:

وإن ثواب الله كل موحد ... جنان من الفردوس فيها يخلد

وقال الفراء: وهو عربي. والفردوس مذكر، وإنما أنث في قوله تعالى: ﴿**يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ لأنه عنى به الجنة. والكلمة أصلها في لغات إيران، وهي في أفيستا «پايريديسا». وأدخلها Xenophon في اليونانية. وكذلك دخلت الكلمة الإيرانية في الأكادية والعبرية والآرامية والسريانية. وقد يكون العرب أخذت الكلمة اليونانية Παράδεισος من السريان المسيحيين، كما أشار إليه جيفري ص ٢٢٤. اطلب فصل الأسماء الأعجمية في القرآن (الزينة ١٤٠).

يتحوّلون. وقال غيره: لأنّ جوهر الذهب والفضّة يثبت فيه. وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[١]، أي خُلد. يقال: عَدَنَ فلان بمكان كذا كذا، إذا أقام وخَلدَ بها. يَعْدِنُ ويَعْدُنُ لغتان. قال: ومنه الْمَعْدِن. و [يقال] هو في مَعْدِنِ صِدْقٍ، أي في أصل ثابت. قال الأعشى:

وإن يَستَضِيفُوا إلى حِلْمِهِ

يُضَافوا إلى رَاجحٍ قَدْ عَدَنْ ٣٠٢ [٢]

أي قد رَزُنَ لا يستَخفّ[٣]. وروى أبو عمرو: إلى عادِنٍ قد رَزُنَ. قال: [١٤٢] وجَنَّاتُ عَدْنٍ من ذلك، أي مقام. والْمَعْدِن من الذهب والفضّة مَفْعِل من ذلك، لأنّه ثابت مقيم في موضعه[٤].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٢ وسورة الرعد: الآية ٢٣ وسورة النحل: الآية ٣١ وسورة الكهف: الآية ٣١ وسورة مريم: الآية ٦١ وسورة طه: الآية ٧٦ وسورة ص: الآية ٥٠ وسورة المؤمن: الآية ٨ وسورة البينة: الآية ٨ والمجاز ١/٢٦٣.

(٢) رواية ثعلب (الصبح المنير ١٧):

وإن يستضافوا إلى حكمه يضافوا إلى هادن قد رزن

قال في شرح البيت: أبو عبيدة: إلى راجح قد عدن. والراجح الوازن. وروى غيره: إلى عادن ثابت. يقال: عدنت بأرض، أي ثبت بها. يقول: قد رزن أمرهم. والرازن الحليم.

(٣) المجاز ١/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٤) وقد ذكر سفر التكوين (الإصحاح الثاني: الآية ٨ ـ ٩) جنة عدن، فقال: وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً. ووضع هناك آدم الذي جبله. فكان عدن، كما جاء في التكوين، مسكن آدم وحواء الأول الأخصب الواقع في الأرض. وقد أخرجهما الرب من هذه الجنة، وذلك لأنهما تناولا ثمرة محرمة عليهما من شجرة المعرفة والخير. وكان عدن قد ارتوت بمياه نهر عظيم، تفرعت منه أنهر أربعة، وهي جيحون والفرات ونهران آخران اختلفوا في تحديد مكانيهما كما اختلفوا في تحديد موضع عدن. والأغلب أنه وقع بين العراق وأرمينيا. وقيل: إنه مأخوذ من الكلمة البابلية «عدينو»، يعني به السهل. راجع مقال عدن في WDB. قيل: إن اللفظ الذي ورد في التنزيل من جنات عدن الواقعة في الآخرة يماثل في العبرية الربانية جن عدن גן עדן يعني به جنة النعيم. وإذا كان المراد من العدن النعيم فهو يناظر بالعربية الغدن، وكذلك الغدنة أي النعمة وسعة العيش والرفاهية. وذهب الإمامان أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة أن المراد من جنة عدن جنة الخلد، وعلى تفسيرهما قد اعتمد صاحب الزينة، خاصة أن عدن بالمكان خلد بالمكان، وأن الخلد من صفات الجنة التي وردت في القرآن.

[جنة الخلد] والخُلد البقاء. يقال: أخْلدَ بالمكان يَخْلدُ إخْلاداً، إذا أقام به[1] وخَلدَ يَخْلدُ خُلوداً إذا بقى. قال ابن أحمر:

خَلدَ الجُبَيْبُ وبادَ حاضِرُهُ ... إلاّ منازلَ كلُّها قَفرُ ٣٠٣

والجُبَيْب بئر، وهو تصغير جُبّ، بقي بعد أن بادَ أهل هذه الدار. وقال آخر:

به خالداتٌ ما يَرِمْنَ وهامِدٌ
وأشْعثُ أرسَتْه الوَلائِدُ بالفِهْر ٣٠٤[2]

يعني أثافي القدر[3] بقيت بعد أهلها. وقال لبيد:

وعَمَرْتُ دَهْراً قبل مُجْرَى داحِسٍ
لو كان للنفس اللَّجوج خُلودُ ٣٠٥[4]

ويروى: وغَنِيتُ سَبْتاً[5]. وقال أبو كبير[6]:

أزُهَيْرُ هل عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفِ
أم لا خُلودَ لباذِلٍ مُتَكَلِّفِ ٣٠٦[7]

وقال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾[8]: من الخُلد. وأنشد[9]:

---

(١) خلد بالمكان وأخلد أطال به الإقامة (الأساس/ خلد).

(٢) الخالدات والخوالد الأثافي في مواضعها والجبال والحجارة والصخور لطول بقائها بعد دروس الأطلال. وفي الأساس قال: وما بالدار إلا صم خوالد، وهي الأثافي اهـ. ويرمن يفارقن. والهامد البالي من كل شيء. وأشعث أي وتد صفة غالبة عليه غلبة الاسم لشعث رأسه. والفهر الحجر قدر ما يدق به. س: بالفهر.

(٣) كما في ي. القدر ناقص في م و ح و س. الأثافي جمع أثفية.

(٤) د لبيد ١/ ٢٥. في رواية الطوسي: وغنيت سبتا قبل مجرى داحس. ومجرى بضم الميم. قال: ويروى مجرى، بفتح الميم، وهو أجود الوجهين.

(٥) أي بقيت دهراً. والسبت والسبات الدهر، وأصله الراحة (صح/ سبت).

(٦) هو أبو كبير الهذلي.

(٧) رواية ل/ حرف: من محرف. م: متحلف، وهو تحريف. ي و س و ح و د الهذليين ٢/ ١٠٤: متكلف.

(٨) سورة الواقعة: الآية ١٧ وسورة الدهر: الآية ١٩ والمجاز/ مراد منلا ١٧٣.

(٩) البيت لحاتم الطائي. ديوانه ٢٣.

أريـــنـــي جَـــواداً مـــات هَـــزْلاً لأنَّـــنـــي[1]
أرى مـا تـريـن أو بـخـيـلاً مُـخَـلَّـداً ٣٠٧

لأنَّني أي لَعَلَّني، وهي لغة. ورجل مُخَلَّد، إذا أسنّ ولم يَشِبْ وأبطأ الشيب إليه[2]. وقال أبو عبيدة في قوله عزَّ وجلَّ وتقدّست أسماؤه: **﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾**[3]: أي تقاعد وتقاعس وضر بنفسه. ويقال: الْمُخَلد [الذي] تبقى ثَناياه حتى تخرج رباعِيَّتاه[4]. والْمخَلد أيضاً الْمسَوَّر الْمَحلَّى. وأنشد:

ومُـخَـلَّـداتٍ بـالـلُّـجـيْـن كـأنَّـمـا أعْـجَـازُهـنّ أفـاوِزُ الـكُـثْـبَـانِ ٣٠٨

يريد بالْمُخَلدات الْمُسَوَّرات، والأفاوز الرمال.

[درجات الجنة] ودَرَجَات الجنّة هي المنازل. وقال أبو عبيدة في قوله: **﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾**[5]: أي هم منازل. ومعناها: لهم درجات، كقولك: هم طبقات. قال ابن هَرْمَة[6]:

أرَجْـمـاً لِـلْـمَـنُـون يـكـون قـومـي لِـريْـب الدَّهـر أم دَرَجَ السُّيُول ٣٠٩ [7]

---

(١) رواية الديوان: مات هزلاً لعلنى. الجوهري (صح/ انن): أن المفتوحة قد تكون بمعنى لعل لقوله تعالى: **﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾**. وفي قراءة أبي: لعلها.

(٢) في ل/ خلد: المخلد الذي أبطأ شيبه. قال المطرزي: إلا أن الكسر مع التخفيف أكثر وأشهر.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٤) المجاز/ ١/ ٢٣٣: لزم وتقاعس وأبطأ. ي و س: قعد وتقاعس.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٣.

(٦) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة من الخلج، والخلج من قيس عيلان، يكنى أبا إسحاق. قال الأصمعي: ختم الشعراء بابن هرمة. ولد سنة تسعين. وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومئة قصيدته التي يقول فيه:

إن الـغـوانـي قـد أعـرضـن مـقـلـيـة لـمـا رمى هـدف الـخـمـسـيـن ميـلادي

ثم عمر بعدها طويلاً. وكان من مخضرمي الدولتين، مدح الوليد بن يزيد، ثم أبا جعفر المنصور. وكان منقطعاً إلى الطالبيين، وله في آل البيت أشعار لطيفة. ووفاته في خلافة الرشيد بعد الخمسين ومئة. وترجمته في الأغاني ٤/ ١٠٢ ـ ١١٤ راجع أيضاً الشعر والشعراء ٤٧٣ والخزانة ١/ ٣٨٢.

(٧) درج السيل ومدرجه منحدره وطريقه في معاطف الأودية. وفي ل/ درج: يقال فلان على درج كذا أي على سبيله. وقالوا: هو درج السيل، بالنصب، وإن شئت رفعت. وأنشد سيبويه (الكتاب ١/ ١٥٧):

أي هم على درج السيول. ويقال للدرجة التي يُصْعَد عليها: دَرَجَة. تقديرها: قَصَبَة[1]. قال الأثرم[2]: درجة منزلة. فكأن كلّ من كان أرفع منزلة عند الله وأعلى رتبة قيل: هو أرفع درجة. قال الله عزّ وجلّ: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ أُتُوا العِلْم دَرَجَات﴾**[3]. قال المفسّرون: يعني مراتب ومنازل.

[طوبى] وطوبى، يقال: إنّها شجرة في الجنّة. روى أبو عبيد[4] عن منصور[6] عن إبراهيم قال: طوبى شجرة في الجنّة. وروى عن ابن عبّاس قال: طوبى شجرة يسير الراكب في ظلّها ألف عام. وروى عن عُبَيد بن عُمَير[7] قال: طوبى شجرة في الجنّة. وروى في حديث آخر قال: ليس في الجنّة دار ولا بيت ولا قعر إلا فيه كنزٌ من أفنان طوبى. وفي أصلها يجتمع أهل الجنّة وزيارة الملائكة. ومنها يصدرون إلى الزيارة. قال بعض أهل

أنصب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول

والنصب على نزع الخافض، والرفع على أنه خبر. والأصل فيه: ذوو درج السيول، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع ارتفاعه. وهذا البيت يبكي به قومه لكثرة من فقد منهم.

(١) المجاز ١/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب النحو واللغة. أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، عنه ثعلب والزبير بن بكار وغيرهما. وكان أول أمره يورق لإسماعيل بن صبيح. وقال أبو بكر بن الأنباري: كان ببغداد من رواة اللغة اللحياني والأصمعي وعلي بن المغيرة. ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. راجع النزهة ٢١٨ ـ ٢٢١ والبغية ٣٠٥.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٤) كما في ي و س. م و ح: أبو عبيدة.

(٥) لعله منصور بن المعتمر السلمي أبو عتاب بمثناة الكوفي. قال الخزرجي (خلاصة تذهيب الكمال ٣٣٢): أحد الأعلام المشاهير. عن إبراهيم (النخعي) وأبي وائل وخلق، وعنه أيوب وشعبة وزائدة وخلق. وثقه العجلي، فقال: له نحو ألفي حديث. توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

(٦) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي. ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم. وعده غيره في كبار التابعين. وكان قاضي أهل مكة. مجمع على ثقته. مات قبل ابن عمر (تقريب التهذيب ١٧٢). وكان ابن عمر يجلس إليه، ويقول: لله در ابن قتادة ماذا يأتي به (التهذيب ٧/١٤٨). وابن قتيبة (المعارف ٢٢٩): وكان موته قريبًا من موت ابن عباس سنة ثمان وستين. انظر باب النفاق فيما يلي. =

العلم: مأخوذ من طاب يطيب، كأنّ أهل الجنّة طاب لهم أن يستظلّوا فيها[١]. وهو على وزن فُعْلَى. وهو غاية الطِّيب، كما قالوا: [١٤٣] عُلْيا وقُصْوَى غاية العُلُوّ وأقصى الأمور. فكذلك طوبى أي أطيب ظلّ. وقد كثر على ألسنة الناس أن يقولوا لكلّ من طاب له أمر: طوبى لك[٢].

[الكوثر] والكوثر، يقال: نهر في الجنّة. وروى عن ابن عبّاس في قول الله: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[٣]. قال: هو نهر في الجنّة. قال بعض أهل اللغة: كوثر من الكثرة[٤]. وهو فَوْعَل. قال لبيد:

وصاحِبِ مَلْحوبٍ فُجِعْت بيَوْمِه
وعند الرِّدَاعِ بَيْتُ آخَر كَوْثَرُ ٣١٠ [٥]

يعني كثير الخير. وقال الكميت:

وأنتَ كثيرٌ يا ابْنَ مَرْوانَ طيِّبٌ
وكان أبوكَ ابْنُ العَقَائِلِ كَوْثَرَا ٣١١ [٦]

قال: معناه مَلِكًا.

---

(١) في ل/ طيب قال: قال قتادة: طوبى كلمة عربية، وعند النحويين هي فعلى من الطيب. الجواليقي (المعرب/ طوبى): قيل طوبى اسم الجنة بالهندية اهـ. وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: اسم الجنة بالحبشية (ل/ طيب). وذكر فرينكل في Vocabilis ص ٢٤ أن نظيرها في السريانية طوبًا. فالكلمة مأخوذة من الأصل السامي المشترك: طوب טוב في العبرية، وطيب 𐩷𐩺𐩨 في العربية الجنوبية.

(٢) يقال: طوبى لك، وطوباك بالإضافة.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١.

(٤) كما في س و س. م و ح: كوثر الكثرة.

(٥) حاشية ي: قال ابن هشام: صاحب ملحوب عون بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب. وقوله: عند الرداع بيت آخر كوثر، يعني شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع. وكوثر أراد الكثير. ولفظه مشتق من لفظ الكثير اهـ. راجع السيرة ٣٦١. وذكر ابن حزم (جمهرة أنساب العرب ٢٦٨): ابني الأحوص بن جعفر بن كلاب. وقال: فولد الأحوص: عوف، وقد ساد، وعمرو، وقد ساد، وشريح، وقد ساد. ومنهم علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص الذي نافر عامر بن الطفيل.

(٦) حاشية ي: يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان. والبيت في ل/ كثر وفي سيرة ابن هشام ٢٦١.

باب النار

النار هو اسم العذاب الذي يعذّب الله به الكفّار في الآخرة. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأمَّا الذين شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾(١). ويقال: إنّ أدراك النار سبعة، واحدة الأدراك دَرَك. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّ الْمُنَافِقِين في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٢). وقال: ﴿حَتَّى إذا ادَّارَكُوا فيهَا جَميعاً﴾(٣). قال أهل التفسير: حلّ أهل كلّ درك محلّه من النار. ويقال: أسماؤها سبعة: لظى، والسعير، والحطمة، والجحيم، وجهنّم، والهاوية، وسقر. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كلاَّ إنّهَا لَظَى نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾(٤). وقال: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً﴾(٥). وقال: ﴿وَمَا أدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْموقَدَةُ﴾(٦). وقال: ﴿وإذَا الْجحِيم سُعِّرَتْ﴾(٧). وقال: ﴿إنّ جَهَنَّم لَموْعِدُهُمْ أجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أبْوَابٍ﴾(٨). وقال: ﴿وَأمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(٩). وقال: ﴿وَمَا أدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لا تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾(١٠). فذكر تبارك وتعالى هذه الأسامي كلّها في القرآن. وذكر أنّ للنار سبعة أبواب، لكلّ باب منهم جزء مقسوم.

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٤) سورة المعارج: الآيتان ١٥ ـ ١٦.

(٥) سورة الانشقاق: الآيتان ١١ ـ ١٢.

(٦) سورة همزة: الآيتان ٥ ـ ٦.

(٧) سورة التكوير: الآية ١٢.

(٨) سورة الحجر: الآيتان ٤٣ ـ ٤٤.

(٩) سورة القارعة: الآيتان ٨ ـ ٩.

(١٠) سورة المدثر: الآيتان ٢٧ ـ ٢٨.

[لظى] فأمّا لَظَى[1]، فقالوا: سمّيت بذلك لكثرة شَرَرها وشدّة التهابها. فإذا سكنت ولم يكن لها شرر، فلا تلظى لها. وقال امرؤ القيس:

بِــرَهِــيــشٍ مِــنْ كِــنَــانَــتِــهِ كــتَــلَــظِّي الْــجَــمْــر فــي شَــرَرِهِ ٣١٢ [2]

تلظّى الجمر توقُّده وتلهبه وشرره. ويقال: لَظّى فلان فلاناً، إذا أغضبه حتّى يكاد يلتهب. ويقال: هو شديد التلظّي، إذا امتلأ غضبًا. وفي حديث عثمان أنّ خَيْفَان بن عُرَّانَة[3] وصف له بَلْحارث بن كعب[4] فقال: تتلظَّى المنِيَّة في رماحهم[5].

[السعير] والسعير سُمِّيت من الاستعار. يقال: اسْتَعَرَتْ النار، إذا الْتَهَبَتْ. والْمُسْتَعِر الْمُلْتَهِبُ[6]. قال طرفة:

أَصَــحَــوْتَ الْــيَــوْمَ أم شَــاقَــتْــكَ هِــرْ ومِــنَ الْــحُــبِّ جُــنُــونٌ مُــسْــتَــعِــرْ ٣١٣ [7]

ومنه سُمِّيت الْخشَب[8] التي يتحرّك بها النار مِسْعَرا. ويقال للرجل: مِسْعَرُ حَرْب، إذا كان يُحرِّض عليها ويبرز فيها للأقران ويُلْهِبها[9]. قال الشاعر:

---

(١) لظى علم على جهنم لا تنون ولا تنصرف للعلمية والتأنيث.

(٢) ي: من شرره. م و ح و س و د امرىء القيس/ العقد ١٣٤: في شره. برهيش أي بسهم خفيف.

(٣) في ق/ عرن قال: وخيفان ابن عرانة كثمامة قدم على النبي ﷺ. وقال شارح القاموس (التاج/ عرن): فيه شيئان: الأول، أن الصواب في ضبط والده كرمانة. وهكذا ضبطه الحافظ وغيره، والثاني، أن خيفان هذا إنما قدم على عثمان رضي الله عنه فقال: كيف تركت أفاريق العرب. . . الحديث بطوله ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث. فهو إذن تابعي.

(٤) قال ابن عبد البر (الإنباه ١١٢): وأما الحارث بن كعب فمن جعلهم في الأزد قالوا هو بلحارث بن كعب بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر. ومن جعلهم في مذحج قال بلحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد. ومذحج أكمة حمراء باليمن اجتمعوا إليها، فقالوا: تعالوا نجعل مذحجاً، فتمذحجوا. فكل أزدي باليمن مذحجي اهـ.

(٥) ي: ساحاتهم. م و ح و س والنهاية/ لظى: رماحهم.

(٦) سعر النار والحرب يسعرهما سعراً وأسعرهما وسعرهما أوقدهما وهيجهما. واستعرت النار وتسعرت استوقدت. ونار سعير مسعورة بغيرها (ل/ سعر).

(٧) راجع د طرفة/ العقد ٦٠. هر اسم امرأة (صح/ هرر).

(٨) كذا في ي و س. م و ح: الخشبة.

(٩) في ل/ سعر قال: وسعر الحرب موقدها. ومنه حديث خيفان: وأما هذا الحي من همدان فأنجاد بسل مساعير غير عزل.

لا تَـنْـفِـري يـا نـاقَ عـنـه فـإنّـه   شِرّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوب ٣١٤ [١]

وقال جرير[٢]:

وأطْـفَـأتَ نـيـرانَ الْـمُـزُونِ وأهْـلِـهـا   وقد حَاوَلُوها فِتْنَةً أنْ تُسَعَّرَا ٣١٥ [٣]

سعر الفتنة إذا هيَّجها، وسعر الحرب[٤] إذا هيَّجها وأشعلها حتّى اسْتَعَرَتْ، كما تستعر النار[٥].

قال النابغة:

جِـنٌّ عـلـيـهـا مَـسَـاعِـيـرٌ لِـحـزبِـهِـم
شُـمُّ الـعَـرانِـيـن مـن مُـرْدٍ ومـن شِـيـب ٣١٦ [٦]

[١٤٤] المساعير الذين يسعرون الحرب أي يَشُبُّونها. واحدهم مِسْعَرٌ[٧]. وبذلك سُمِّي الرجل مسعراً. وأصل الاستعار من النار. ثمّ استعمل في جميع ذلك. قال الأعشى:

تُـلاقِـيـن قَـيْـسـاً وأتْـبَـاعَـه   يُـسَـعِّـرُ لِلْـحـرْبِ نـاراً فـنـارا ٣١٧ [٨]

وقال آخر:

قـد ظَـلْـتُ فـيـهـا مـعـي شَـغْـبٌ كـأنّـهُـمُ
إذا يَـشُـبُّ سَـعِـيـرُ الْـحَـرْبِ أزْمـاحُ ٣١٨ [٩]

---

(١) كذا في م و ح. س: يا ناق منه. ي: يا نار منه.

(٢) يمدح هلال بن أحوز المازني ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ويهجو الفرزدق وبني الطهبة بقصيدة مطلعها:

لـمـن رسـم دارٍ هـم أن يـتـغـيـرا   تـراوحـه الأرواح والـقـطـر أعـصـرا

(٣) توافق الأصول رواية المبرد (الكامل ٥٦٨). وجاء في د جرير ٢٤١:

وغـرقـت حـيـتـان الـمـزون وقـد لـقـوا   تـمـيـمـاً وعـزا ذا الـمـنـاكـب مـدسـرا
وأطـفـأت نـيـران الـنـفـاق وأهـلـه   وقـد حـاولـوا فـي فـتـنـة أن تـسـعـرا

والمزون عمان بالفارسية (الكامل ٥٦٨).

(٤) ضبطه ي و س بالتشديد: سعر الفتنة وسعر الحرب.

(٥) س: حتى استعرت النار.

(٦) حاشية ح و د النابغة/ العقد ٤: شعث عليها... البيت. ي و س: من قنو ومن شيب.

(٧) يقال مسعر ومسعار ويجمعان على مساعير ومساعر.

(٨) رواية ثعلب (الصبح المنير ٣٧): قيساً وأشياعه. ي: وأتباعها. وروى أبو عبيدة: يشبون للحرب.

(٩) ظلت أصلها ظللت بمعنى مكثت نهاري، كما قال ابن مالك في باب الإدغام: ظل وظلت في ظللت استعملا. ومنه قوله تعالى: ﴿فظلتم تفكهون﴾. وهو من شواذ التخفيف (أوضح

فالاستعار الالتهاب والاشتعال. ويقال ذلك في النار وفي الحرب وفي الفتنة. وأصله كلّه من النار. قال أبو عبيدة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾[1]: أي تأجُجاً، وفي قوله: ﴿وكَفى بِجَهنَّم سَعِيراً﴾[2]: أي تأجُجاً ووقوداً. وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿وإذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[3]: أوقدت. فسُمِّيت النار التي هي مأوى الكافرين في الآخرة سعيراً لشدّة تلهُّبها وتوقدها وتأجُجها.

[الحطمة] ويقال لها: الْحُطَمَة. الحطمة التي تدُقُّ الشيء بعضه على بعض وتكْسِرُه وتبْلَعه. ويقال: حَطَمَه، إذا دَقَّه دَقًّا عنيفًا وبَلعَه. ويقال للرجل النَّهِم الشديد الأكل السريع الاستراط: رجل حطمة. وفي حديث النبّي ﷺ: شرُّ الرعاء الحطمة[4]. يقال للراعي إذا كان عنيفًا بالإبل يخرُق في إيرادها وإصدارها: حطمة، لأنّه يحْطِمها، ويُلقي بعضها على بعض. ويقال أيضاً: حُطَم، بلا هاء. وأنشد الأصمعيّ:

قد لَفَّهَا اللّيْلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ ٣١٩[5]

= المسالك، باب الحذف، المسألة الثالثة). وفي صح/ شبب: شببت النار والحرب أشبها شبًا وشبوبًا إذا أوقدتها. وفي ق/ شبب؛ شبت النار شبًا وشبوبًا لازم ومتعد. ولا يقال: شابة، بَلْ مشبوبة. ضبطه ي و س: يشب (المبنى للمجهول).

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٧ والمجاز ١/ ٣٩١.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٥ والمجاز ١/ ١٣٠.

(٣) سورة التكوير: الآية ١٢. وفي ل/ سعر قال نقلاً عن اللحياني؛ وقرىء ﴿**وإذا الجحيم سعرت**﴾ بالتخفيف أيضاً، والتشديد للمبالغة.

(٤) مس الإمارة ٢٣: عن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول. إن شر الرعاء الحطمة. فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ. فقال: فهل كان لهم نخالة. إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم. وفي النهاية/ حطم قال: ضربه مثلاً لوالي السوء.

(٥) س: قد حشها. في ل/ حطم: وقال ابن بري في قوله: «قد لفها الليل بسواق حطم»: هو للحطم القيسي. ويروى لأبي زغبة الخزرجي يوم أحد وفيها:

أنا أبو زغبة أعدو بالهزم ... لم تمنع المخزاة إلا بالألم

يحمي الذمار خزرجي من جشم ... قد لفها الليل بسواق حطم

الهزم من الاهتزام وهو شدة الصوت. وقوله: بسواق حطم، أي رجل شديد السوق لها يحطمها لشدة سوقه. وهذا مثل. ولم يرد إبلاً يسوقها؛ وإنما يريد أنه داهية متصرف. =

والحطام يَبيس النَّبْت إذا تكَسَّر. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾[1] فسُمِّيت النار حطمة، لأنّها تحطم الكافرين وتسترطهم وتدقهم.

[الجحيم] ويقال لها: الْجحِيم. والْجحْمَة شدّة حرّ النار. وجمعها جُحَم. قال ساعدة:

إنْ تَـأتِـهِ فـي نـهـار الـصَّـيْـف لا تَـرَهُ
إلا يُـجَـمِّـع مـا يَـصْـلَـى مـن الْـجُـحَـم ٣٢٠ [2]

وقال قيس بن الخطيم:

ونَـصْـدقُ فـي الـصَّـبـاح إذا الْـتَـقَـيْـنَـا
ولـو كـان الـصَّـبـاحُ جَـحـيـم جَـمْـرِ ٣٢١ [3]

وقال عمرو بن قَمِيئَة[4]:

وهـاجِـرةٍ كـأوارِ الـجـحـيـم   قَطَعْتَ إذا الْجُنْدُبُ الْجَوْنُ قَالاَ ٣٢٢ [5]

الأوار شدّة حرّ النار. شبّه شدّة حرّ الهاجرة بشدّة حرّ الجمر. وقال ساعدة:

وأحْـصَـنَـه ثُـجْـرُ الـظُّـبَـات كـأنَّـهـا   إذا لـم يُغَيِّبْها الْجَفِيرُ جَحيم ٣٢٣[6]

= قال: ويروى البيت لرشيد بن رميض العنزي من أبيات:

بـاتـوا نـيـامـاً وابـن هـنـد لـم يـنـم   بـات يـقـاسـيـهـا غـلام كـالـزلـم
خـدلـج الـسـاقـيـن خـفـاق الـقـدم   لـيـس بـراعـي إبـل ولا غـنـم
ولا بـجـزار عـلـى ظـهـر وضـم

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) راجع د الهذليين ١/ ١٩٢ ول/ جحم. وقال أبو سعيد السكري في شرح البيت: ما يصلي، أي ما يصطلي به في الشتاء. يريد أن الهرم لا تراه في شتاء ولا في قيظ إلا يجمع ويعد للشتاء الحطب، لأنه لا يسافر ولا يبرح.

(٣) م و ح: ويصدق. ي مهملة. س: ونصدق، وهو الصواب توافقه رواية ابن السكيت. راجع د قيس بن الخطيم ٣٣.

(٤) هو قديم جاهلي من بني سعد بن مالك رهط طرفة بن العبد. وكان مع حجر أبي امرىء القيس. دخل بلد الروم مع امرىء القيس بن حجر فهلك. فقيل له: عمرو الضائع. راجع الشعر والشعراء ٢٢٢ ـ ٢٢٣ والمؤتلف والمختلف ١٦٨ والأغاني ١٦/ ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٥) الظاهر أن البيت من قصيدة قالها عمرو بن قميئة مطلعها (ديوان المعاني ١/ ٢٧٧):

نـأتـك أمـامـة إلا سـؤالاَ   وإلا خـيـالاً يـوافـي خـيـالاَ

(٦) م و ح: وأحضه بحر الظبات. ي و س و د الهذليين ١/ ٢٣١: وأحصنه ثجر الظبات. م =

يصف النصال بثُجرِ عراض[1]. والجفير الكنانة. يقول: هذه النصال إذا لم تكن في الكنانة توقّدت كما يتوقّد الجمر. والجحيم ها هنا الجمر.

وفي حديث النبي ﷺ أنه بعث عشرة [رجال] عيوناً[2]. وأمَّر عليهم عاصِم بن ثابت. فلقيه المشركون، فقال[3]:

أبــو سُـلَـيـمــانَ وِرَيْـشُ الْـمُـقْـعـدِ   ووَتَــرٌ مــن مَــتْــن ثَــوْرٍ أجْــرَدِ
وضَـالَـةٌ مِـثْـلُ الـجـحـيـم الْـمُـوقَـدِ ٣٢٤

يصف السهام وشبّهها في توقّدها بالجمر الذي يتوقّد. وسمِّيت النار جحيماً لشدّة حرّها وتوقّدها.

[جهنم] ويقال لها: جَهَنَّمُ، وهو مأخوذ من التجهُّم والتكرُّه. ويقال: رجل جَهْم الوجه، أي كريه الوجه. قال أبو عبيدة: جهنَّم اسم مؤنّث لا ينصرف لأنّه على أربعة أحرف[4]. وحكى [١٤٥] عن رؤبة قال: رَكيَّة

= و ح: إذا لم يغلبها. ي و س والديوان: إذا لم يغيبها. قال أبو سعيد: قوله أحصنه كأنه صار له معقلاً يمتنع فيه. يقول: منعته هذه الثجر، صيرته في حصن. وثجر عراض النصول. وجحيم كأنها نار توقد إذا لم توار في الجفير.

(١) م و ح: بحر عراض. س: ثجر. والعبارة «عراض... النصال» ناقصة في س. ي: ثجر عراض. عراض جمع عريض.

(٢) م و ح: بعث عشر عيناً. ي و س: بعث عشرة عيناً. وفي السيرة ٦٣٨: فبعث رسول الله ﷺ نفراً ستة من أصحابه. وقال ابن سعد (الطبقات ٣/(٢)/ ٣٣)؛ فوجه معهم عاصم بن ثابت في عدة من أصحابه.

(٣) حاشية م: كان عاصم بن ثابت يكنى أبا سليمان. يقول: أنا أبو سليمان. والمقعد، ويروى المعقد، وهما اسم رجل كان يريش لهم السهام. يقول: أنا أبو سليمان وهي سهام راشها المقعد، فما عذرى أن لا أقاتل. والضالة من شجر السدر يعمل منه السهام. وتمام الأبيات كما ذكره صاحب السيرة:

أبــو سـلـيـمــان وريـش الـمـقـعـد   وضـالـة مـثـل الـجـحـيـم الـمـوقـد
إذا الـنـواحـي افـتـرشـت لـم أرعـد   ومـجـنـأ مـنـي جـلـد ثـور أجـرد
ومــؤمــن بــمــا عــلــى مــحــمــد

قالها يوم الرجيع. راجع السيرة ٦٣٩. وورد الحديث في خ المغازي ٢٨: عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الخ.

(٤) هو ملحق بالخماسي بتشديد الحرف الثالث، ولا يجري للمعرفة والتأنيث. ومن جعل جهنم عجمياً لم يصرف أيضاً، فتكون جهنم على هذا لا تنصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث. =

جِهِنّام، أي بعيدة القَعْر[١]. وقال يونس: جهنّم اسم اعجميّ[٢]. وأنشد للأعشى:

دَعَـوْتُ خـلـيـلـي مِـسْـحَـلاً ودعـوا لـه
جِـهِـنّـامَ جَـدْعـاً لـلـهـجـيـن الْـمُـذَمَّـم ٣٢٥ [٣]

فلم يصرفه. قال: وهذا تقوية لقول يونس أنّه اسم أعجميّ.

[الهاوية] ويقال لها: الهَاوِيَة. قال: وسمّيت الهاوية لأنّها تَهْوِي بهم وتبلغ بهم قعرها. يقال: هَوَى في البئر، إذا تَرَدَّى فيها. ويقال: سمّيت هاوية، لأنّهم يهوون فيها أبداً مُعذبون لا يستقرّون ولا يجدون قراراً، فهم يهوون[٤]. وهو مأخوذ من الهواء الذي بين السماء والأرض، فكأنّهم أبداً في هواء لا قرار لهم. ويقال: هَوَتْ أمّه، إذا دعى عليه بالتّهلاك. قال الشاعر كعب بن سعد الغَنَوى يرثي أخاه[٥]:

---

(١) جهنام بكسر الجيم والهاء (كذا ضبطه الجوهري في صح/ جهنم). ويقال: جهنام، بضم الجيم والهاء وجهنام بفتح الجيم والهاء، وبئر جهنم وجهنام بعيدة القمر.

(٢) الجوهري (صح/ جهنم): هو فارسي معرب. وفي ل/ جهنم قال: وقيل هو تعريب كهنام بالعبرية اهـ. وهو بالعبرية(גיא הנם)جي هنم = جي أي واد + هنم أي الهمس وأنين. يعني به وادي البكاء والعذاب. راجع ليفي ١/ ٣٢٣. ويرى نولدكي (Beiträge ص ٤٧) أن الكلمة العبرية دخلت في الحبشية، ثم أخذتها العرب من الحبشية ገሀነም جهنم. وله بحث مستفيض في نفس المرجع من الألفاظ الدينية الحبشية التي دخلت في العربية، نحو المنبر والحواري والمنافق، وعن الألفاظ من اليونانية أو العبرية أو السريانية التي أخذتها العرب بطريق الحبشية، نحو الإنجيل وجهنم. راجع أيضاً شيخو: النصرانية ٦٠ وجيفري ١٠٥ - ١٠٦ وبرجشتراسر: التطور النحوي ١٥٣.

(٣) كان جهنام البكري - واسمه عمرو بن قطن - يهاجي الأعشى الأكبر، فقال فيه الأعشى: دعوت خليلي... البيت. راجع الصبح المنير ٩٥ وصح/ جهنم والمرزباني: معجم الشعراء ٢٠٣.

(٤) سقطت العبارة «فيها أبداً... فهم يهوون» في ي.

(٥) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي من بني سالم بن غني بن أعصر. ويقال له «كعب الأمثال» لكثرة ما في شعره من الأمثال. ومرثيته التي أولها:

تـقـول سـلـيـمـى مـا لـجـسـمـك شـاحـبًـا   كـأنـك يـحـمـيـك الـشـراب طـبـيـب

إحدى مراثي العرب المشهورة يرثى بها أخاه أبا المغوار. والظاهر أن البيت «هوت أمه» الخ من هذه المرثية. راجع المرزباني: معجم الشعراء ٣٤١.

هَوَتْ أمُّه ما يَبْعَثُ الدَّهْرُ غَادِيا ٣٢٦ [(١)]

ويقال: هَوَى الرجل يَهْوِي، إذا وَقَع في هلكة. قال كثير:

يـا عَـمْـرو لـو نـالـتْـك أزمـاحُـنـا كُـنْـتَ كـمـن تَـهْـوِي بـه الـهَـاوِيَـة ٣٢٧

والْمَهْواة ما بين أسفل البئر وأعلاها. وهوت الدَّلْو في البئر، إذا سقطت فيه، فهوت في مهواة البئر. قال الشاعر[(٢)]:

فَـشَـجَّ بـهـا الأمَـاعِـزَ وَهْـيَ تَـهْـوِي هَـوِيَّ الـدَّلْـو أسْـلَـمـهـا الـرِّشَـاءُ ٣٢٨ [(٣)]

شبّه سرعة جَرْيها بدَلْو انقطعتْ منه الرشاء، فهوت في البئر.

وقالت عائشة في صفة أبيها: وامْتَاحَ من الَمهْواة[(٤)]. والَمهْواة البئر. وكُل نَفْنَفٍ مهواة. قال ذو الرمّة:

وبَـيْـتٍ بِـمَـهْـواةٍ هَـتَـكْـتُ سَـمَـاءَهُ

إلـى كَـوْكَـبٍ يَـزْوِي لـه الـوَجْـهَ شـارِبُـهْ ٣٢٩[(٥)]

المهواة المفازة، سمّيت بذلك لأن الإنسان يهلك فيها كما سمّيت مَهْلِكَة. فقيل للنار: هاوية. وإنّما معناه مَهْوِيَّة. ولكن لما كان كل من فيها هاوِياً قيل لمعظمها هاوية.

---

(١) عجزه: وماذا يؤدي الليل حين يؤوب. م و ح: يبعث الصبح غادياً. ثعلب: هوت أمه، أي هلكت حين لا تأتي بمثله.

(٢) هو زهير بن أبي سلمى يصف عيراً وأتنه. اطلب باب الإسلام والإيمان فيما يأتي، م ١٨٩.

(٣) م: فشج بها. ح: قشح بها. ل/ هوا: فشد بها. ل/ شجج: يشج بها. والصواب ما جاء في ي و س و د زهير/ العقد ٦٧ ود زهير/ ثعلب ٧٦: فشج بها. وشج علا. بها أي بالأتن الأماعز. والأماعز جمع الأمعز والمعزاء، أي المكان الكثير الحصى الصلب. وهوى بالفتح يهوى هوياً وهوياناً وانهوى سقط من فوق إلى أسفل. ذكر الرياشي عن أبي زيد أن الهوى بفتح الهاء إلى أسفل وبضمها إلى فوق، وأنشد هوى الدلو بفتح الهاء. وأسلمها خذلها.

(٤) في النهاية/ ميح وهوى قال: وكل من أولى معروفًا فقد ماح. والآخذ ممتاح ومستميح. ومنه حديث عائشة: وامتاح من المهواة، أي أنه تحمل ما لم يتحمله غيره الخ. هذه اللفظة وردت في خطبة خطبتها عائشة بالبصرة بعد مقتل عثمان، وقد رواها الزمخشري في الفائق ٥٧٧/١.

(٥) د ذي الرمة ٤٩. بيت يعني بيت العنكبوت. والمهواة البئر. وسماء البيت أعلاه. والكوكب مخرج الماء. ويروى يقبض وجهه. ورد البيت في باب السماء والأرض فيما يلي، م ١٥١.

[سقر] ويقال لها: سَقَرُ[١]. وهو مأخوذ من قولك: سَقَرَتْه الشمس وصَقَرَتْه وصَهَرَتْه، أي أذابَتْه ولَوَّحَتْه وغَيَّرَتْه. وقال ذو الرمَّة:

إذا ذَابَتْ الشَّمْسُ اتَّقَى صَقَرَاتِهَا
بأفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلِ ٣٣٠ [٢]

صقراتها شدة وقعها. والصاقور الفأس الكبيرة التي تُكْسَر بها الحجارة. وفي سقر لغتان، صَقَر وسَقَر بالصاد والسين[٣]. وسمّي الصقر، لأنه يَدُقّ بجناحه الطير إذا صاده[٤] دقاً. وسَقْر اسم الرجل يقال بالسين والصاد، وسمِّي باسم الجارح الذي يُسمَّى صقْراً. وقال قوم: يكون من السَّقْر وهو عسل التمر. ويقال: صَقَرَه بكلامه، أي أبْلَغَ إليه. ويقال: صَقَرْته عَلَوته ضَرْبًا. وأصابته صاقورة. والصاقورة[٥] أيضاً حديدة تُحْمَى فيُكْوَى بها الحمار. فكأنّ سَقَر سمِّيت بذلك لأنها تُلوِّح من فيها وتغيِّرهم وتُبْلِغ إليهم وتدقُّهم وتُجهِدهم[٦].

---

(١) سورة المدثر: الآية ٢٧.

(٢) د ذي الرمة ٥٠٤. ذابت اشتد حرها. واتقي صقراتها أي تحرز منها. وقال الجوهري (صح/ ذوب وربع وعبل): عنى بقوله مربوع شجراً أصابه مطر الربيع أي شجراً مربوعاً فجعله خلفًا منه. والعبل بالتحريك الهدب، وهو كل ورق مفتول مثل ورق الأرطي والأثل والطرفاء ونحو ذلك. ويقال: أعبل الأرطي، إذا غلظ هدبه في القيظ وأحمر وصلح أن يدبغ به. والصريمة ما انصرم من معظم الرمل.

(٣) انظر باب الصراط فيما يلي. ص ٣٩٨. هامش رقم ٧.

(٤) كما في ي و س. م: صادفه. ح: صادقه.

(٥) كذا في ي و س. م و ح: الصاقور بغير هاء.

(٦) في ل/ سقر قال: سقر هو اسم أعجمي، علم لنار الآخرة، لا يعرف له اشتقاق. وقرىء: ما سلككم في سقر (المدثر ٧٤/ ٤٢) غير منصرف. لا يجري للتعريف والعجمة. وقول آخر: إنه عربي، اشتق من سقرته الشمس، كما حكاه أبو حاتم في هذا الباب.

باب الصراط

[الصراط طريق الحق] الصراط في كلام العرب هو الطريق. قال الله عزّ وجلّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]. قال المفسّرون: [١٤٦] هو طريق الحقّ والهداية. ويقال: الصراط الذي في الآخرة هو جسر على النار يجوز عليه الخلائق، عليه سبع قناطر، وهو أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعر[2]. روى ذلك في الحديث. والله أعلم بكيفيّته.

وروى أبو عبيد عن مجاهد في قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[3]، قال: الخلق يرجع إلى الله وعليه طريقه. قال الفرّاء: والعرب تقول للرجل في الوعيد: طريقك عَلَيَّ، أي لا بد لك من المصير إليَّ. قال: وقرأ بعضهم «صراطٌ عليٌّ مستقيمٌ». جعل العليّ من نعت الصراط. قال أبو عبيد[4]: وذهب إلى العلوّ والرفعة. وروى عن مجاهد أنّه فسّره: رفيع.

وروى عن عدّة من الفقهاء منهم ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم، قال: الصراط باللغة الروميّة[5]. وكذلك

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٢) مس معرفة طريق الرؤيا ٣٠٢ ونصه: قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤١.

(٤) كما في س. م وح وي: قال أبو عبيدة: ولم يرد في المجاز تفسير الآية.

(٥) قال السيوطي (الإتقان ١/ن ٣٨ والمتوكلي ٨): حكى النقاش وابن الجوزي أن الصراط الطريق بلغة الروم. ثم رأيته في كتاب الزينة لأبي حاتم اهـ. وأصل اللفظ في اللاتينية Strata سطراطاً أخذته اليونانية، وهو Στρατα ، ثم دخل مع الحكم الرومانى فى الآرامية اسطرطيا אסטרטיא ، وفي السريانية ܐܣܛܪܛܐ ومنها أخذته العرب. اطلب الزينة ١٤٢ هامش رقم ٤ والتطور النحوي ١٥٤.

القسطاس[1] والفردوس[2].

وقال ابن عبّاس في تفسير قوله: ﴿فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مستقيمٌ﴾[3]: يعني دِيناً مستقيماً. وهو في لغة العرب الطريق كما ذكرنا. وقد قالت فيه الشعراء. قال القَعْقَاع بن عَطِيَّة الباهليّ:

أكُرُّ على الحَرورِيّين مُهْري ... لأحملهم على وَضَح الصِّراطِ ٣٣١[4]

وقال آخر وهو جرير:

أميرُ المؤمنين على صراطٍ ... إذا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُستقِيم ٣٣٢[5]

يعني على طريق.

[صراط وسراط وزراط] قال أبو عبيد: في الصراط ثلاث لغات، صراط وسراط وزراط. ويروى عن ابن عبّاس وابن الزبير كانا يقرآن الصراط بالسين. ويروى أنّ عمر قرأ بالصاد. واتّفقت المصاحف على الصاد في جميع القرآن[6]. وكان أبو عمرو يجيزهما، ويقول: الصاد أعجب إلَيّ، وعليه قراءة العامّة. قال السجستانيّ: كل حرف فيه طاء أو خاء أو غين[7] أو قاف فالسين والصاد فيه لغتان، نحو الصراط والسراط، والسلطان

---

(١) الزينة ٤٢ هامش رقم ٥.

(٢) الزينة ٣٨٣، هامش رقم ٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥١ وسورة مريم: الآية ٣٦ وسورة الزخرف: الآية ٦٤.

(٤) م و ح و س و ل/ صرط: وأحملهم. ورواية ي والمبرد: لأحملهم. قال المبرد (الكامل ٥٨٩) قدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج. فلما رأى الجمعين (الشراة تحت قيادة أبي بلال وجيش عباد بن أخضر الذي اختاره عبيد الله بن زياد لمحاربة الخوارج) قال: ما هذا؟ قالوا: الشراة. فحمل عليهم ونشبت الحرب. فأخذ القعقاع أسيراً. فأتى به أبو بلال. فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائك. وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت. فأطلقه. فرجع إلى عباد. فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول:

أقاتلهم وليس على بعث ... نشاطاً ليس هذا بالنشاط

أكر على الحروريين مهري ... لأحملهم على وضح الصراط

ويروى: على وضح الطريق. اطلب باب الحرورية فيما يلي، م ٢٢٩.

(٥) د جرير ٥٠٧ والمجاز ١/ ٢٤ ول/ سرط.

(٦) في ل/ سرط قال: قال الفراء: في الصراط صاده بدل من السين. وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب وعامة العرب تجعلها سيناً.

(٧) كذا في م و ح. ي و س: عين. قال أبو محمد البطليوسي في كتاب الفرق بين الأحرف =

والصلطان، ومصلوخ ومسلوخ. وسَلَخْت الشاة وصَلَخْتها، وصَقَر وسَقَر. ألا ترى في البقرة: ﴿والله يَقْبِضُ ويَبْصُطُ﴾[1] بالصاد، وفي سائر القرآن يَبْسُطُ بالسين؛ و ﴿يَسْطُرُون﴾[2] ويَصْطُرُون؛ و ﴿لَسْتَ عَلَيهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[3] وبِمُسَيْطِرٍ.

وقال: في الصراط لغة أخرى بين الصاد والزاي. يقولون: الزِّراط والزَّقر[4]، ليست بزاي خالصة. قال: وذكر أبو عبيد[5] عن عريان بن أبي سفيان[6] أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقرأ كذلك، وعن عاصم بن بَهْدَلَة[7] أنه قرأ الزراط بالزاي الخالصة. قال السجستاني: لا أظنّ هذا شيئاً. وقد روى أنّ حمزة[8] قرأ بالزاي الخالصة. ولو جاز ذلك لجاز «واللاَّتِي تَخافُونَ

= الخمسة: من هذا الباب ما ينقاس ومنه ما هو موقوف على السماع. كل سين وقعت بعد عين، أو غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء جاز قلبها صاداً اهـ. جمع بين العين والغين، ومثل للأولى بقوله خطيب مصقع ومسقع ومثل للثانية بالرصغ يقال بالسين والصاد. راجع المزهر ١/٤٦٩ ـ ٤٧٠ النوع ٣٢ في الإبدال.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٢) سورة القلم: الآية ١.

(٣) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

(٤) اختلف رجلان في الصقر. فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد. فتحا كما إلى أعرابي. فقال: أما أنا فأقول الزقر بالزاي. فقال ابن خالويه: دل على أنها ثلاث لغات (المزهر ١/ ٤٧٥).

(٥) الأصول: أبو عبيدة. وقد قرأناه أبا عبيد، لأن الإسناد هو من خصائص أبي عبيد، وأن المقال لم نعثر عليه في المجاز.

(٦) لم نعثر على ترجمته ولم يذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء.

(٧) عاصم بن بهدلة أبي النجود أحد القراء السبعة وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه. قرأ على أنس بن مالك وأخذ القراءة عرضاً عن ذر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو بن الشيباني. وروى القراءة عنه سليمان بن مهران الأعمش وخلق لا يحصون. وروى عنه حروفًا من القرآن أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وحمزة الزيات وخلق. وثقه أحمدٌ بن حنبل. وكان عاصم والأعمش وأبو حسين لا يبصرون. توفي آخر سنة سبعٍ وعشرينّ ومئة. راجع المعارف ٢٦٣ والقراء ١/٣٤٦ ـ ٣٤٩ والتهذيب ٥/٣٨.

(٨) هو حمزة بن حبيب الزيات أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، وقيل من صميمهم. أحد القراء السبعة الإمام أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش وحمران بن أعين وابن أبي ليلى وجعفر =

نُشُوصَهُنَّ» في موضع ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾[1]. فإنّها لغة معروفة، امرأةٌ ناشِزٌ وناشِصٌ. ولا يؤخذ باختيار حمزة لأنّه لا علم له بالعربية وكلام العرب ولغاتهم وإعرابهم، ولا عِلم له بقراءة أهل الحجاز وقراءة الصحابة. [١٤٧] وإنّما اعتماده على الأعمش[2]، وكانا يلحنان في مواضع[3] من القرآن. وقد جاء في الصراط هذه اللغات وهو في المعنى على ما ذكرناه من العلماء.

وقال قوم: سمّى الصراط لأنّه يسترط الناس، أي يبلعهم. وقيل للطريق صراط لأنّه يسترطهم فيذهب بهم. قال: وكذلك شأن الطريق يَرى الجماعة إذا انتشروا في الطريق، فكأن الطريق قد استرطهم فذهب بهم، كما سمّى طريقاً لطروقهم الأزقة. واسترط معناه ابتلع، ومنه السِّرَطْرَاط[4] وهو طعام يبتلع من غير مَضْغ، فكأنّ الصراط سمّى بذلك. والله أعلم.

= بن محمد الصادق. وقيل استفتح حمزة القرآن من حمران وعرض على الأعمش وابن أبي ليلى: وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود. وكان ابن أبي ليلى يجودحرف علي. وهكذا كان اختيار حمزة. قرأ عليه وروى القراءة عنه الكسائي والفراء ويحيى بن المبارك العدوي اليزيدي وخلق. وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش. وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة. وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة فإن ذلك محمول على قراءة من سمع منه ناقلاً عن حمزة. وما آفة الأخبار إلا رواتها. توفي سنة ست وخمسين ومئة. راجع ابن الجزري: القراء ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٢) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام. أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وعاصم بن أبي النجود وغيرهم. روى القراءة عنه عرضا وسماعاً حمزة الزيات وأبان بن تغلب وابن أبي ليلى وغيرهم. قال هشام: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله من الأعمش. مات في سنة ثمان وأربعين ومئة. راجع القراء ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٣) كما في ي و س: م و ح: مواضع كثيرة.

(٤) ل/ سرط: السرطراط بفتح السين والراء الفالوذج، وقيل: الخبيص: الأزهري: أما بالكسر فهي لغة جيدة، لها نظائر مثل جلبلاب وسجلاط. وشرطراط بالفتح فلا أعرف له نظيراً. كررت في سرطراط الراء والطاء تبليغاً في وصفه واستلذاذ آكله إياه إذا سرطه وأساغه في حلقه اهـ.

باب الأعراف والبرزخ

[معنى الأعراف والبرزخ] قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[1]. أبو عبيدة: مجازه على بناء سور، لأنّ كلّ مرتفع من الأرض عند العرب أعراف. وأنشد:

كـلّ كِـنَـازٍ لَـحْـمُـهـا نِـيـافِ ... كالعَلَم الْمُوفِي على الأعْرافِ ٣٣٣

أي علي نَشَزٍ[2]. وروى أبو عبيد[3] بإسناد له عن ابن عبّاس قال: الأعراف الشيء الْمُشْرِف. وعن مجاهد قال: الأعراف حجاب بين الجنّة والنار، سورٌ له باب، وهو على الصراط. وروى عن أبي عبيدة أنّه قال: وكذلك هو في كلامهم الأعراف الشيء المشرف. قال[4]: وأحسبه قال: واحده عُرف. وأنشد للشماخ يذكر حُمُرا:

فَـظَـلَّـتْ بـأعـراف تَـغـالـى كـأنّـهـا ... رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرِّيح راكزُ ٣٣٤ [5]

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٢) المجاز ١/ ٢١٥ ول/ نوف. كناز ككتاب كثيرة اللحم صلبة. وناقة نياف طويلة في ارتفاع، والأصل نواف. والموفى من أوفى أي المرتفع المشرف. وفي الحديث أنه كان إذا أوفى على نشز كبر أي ارتفع على رابية في سفر.

(٣) كما في س. م و ح و ي: أبو عبيدة.

(٤) قال أي الراوي عن أبي عبيدة المفهوم من قوله «روى عن أبي عبيدة».

(٥) كذا في س والمجاز ١/ ٢١٥. م و ح و ي: نجاها. و د الشماخ ٥٣ برواية الشنقيطي: تغالي باليفاع. قال الشنقيطي: وروى «تغالي بالستار» وهو موضع. وفي رواية: مسببة قب البطون كأنها. ومعنى مسببة أن من رآها أي الحمر قال: قاتلها الله ما أجودها. وتغالي يحتك بعضها على بعض، وأصله تتغالى. وراكز من الركز غرزك شيئاً منتصبًا كالرمح تركزه ركزاً في مركزه. والمعنى أنها ظلت يحتك بعضها على بعض، فهي معوجةٌ، كأنها رماح مركوزة في جهة الريح. وروى الطبري في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿على الأعراف رجال﴾: وظلت بأعراف تعالت. ونجاها بالجيم يجوز أن تكون من نجا الشيء كشفه. والنجاء ما ارتفع من الأرض كالنجوى.

وقال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١]، قال: ما بين كلّ شيئين بَرْزَخ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ[٢].

[الأعراف علماء صالحون] وعن مجاهد في رواية أخرى قال: أصحاب الأعراف رجال صالحون، فقهاء علماء، استوت حسناتهم وسيئاتهم. وروت الشيعة أنّ ابن الكوّاء[٣] سأل أمير المؤمنين عليّاً كرّم الله وجهه عن الأعراف، فقال: نحن الأعراف، نعرف شيعتنا بسيماهم؛ ونحن الأعراف وُقوف[٤] يوم القيامة بين الجنّة والنار؛ لا يدخل الجنّة إلاّ من عَرَفَنا وعرَفْناه؛ ولا يدخل النار إلاّ من أنكَرَنا وأنكَرْناه؛ ولو شاء الله أن يُعرِّف نفْسَه خَلْقه حتى يُوحِّدوه لفَعَل؛ ولكنّه جعَلَنَا سبيله وصراطه. فمن عدل عن ولايتنا وضلَّ عنّا فهو ممن قال الله: ﴿وَإِنَّ الَّذِين لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لنَاكِبُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.

(٢) المجاز/ مراد منلا ١١٧. برزخ معرب عن برزك بالفارسية. ومعناه: النحيب والبكاء والشدة، أو الحال الذي فيه الشدة والنحيب، لأنه حاجز بين الحالين، ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث.

(٣) هو عبد الله بن الكواء من بني يشكر. قال ابن قتيبة (المعارف ٢٦٦): وكان ناسباً عالماً كبيراً. وفيه يقول مسكين الدارمي:

هلم إلى بني الكواء تقضوا بحكمهم بأنساب الرجال

(٤) وقوف بضم الواو ووقف بضم الواو وسكون القاف جمع واقف.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٧٤.

باب الثواب

هو ما يرجع الإنسان إليه من العمل الذي قدّمه إلى الله جلّ ذكره[(١)]، لأنّه يثوب إليه في الآخرة، ويصير إليه، ويرجع إليه. وكلّ من صار إلى أمر ورجع إليه فقد ثابَ إليه. وقيل لمنزل الرجل: مثَابَة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾[(٢)]. قال أبو عبيدة: يصيرون إليه[(٣)]. قال ابن قتيبة: يرجعون إليه[(٤)]. ومنه التثويب في الأذان، لأنّه يُرجَّع فيه. وفي حديث عمر: لا أُوتي بأحد ينقص من سُبُل المسلمين إلى مثاباتهم[(٥)]، يعني منازلهم. واحدها مثابة، لأنّ أهله يرجعون إليه. قال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَثُوبَة﴾: من الثواب[(٦)]، وقال في قوله: ﴿مثابة للناس﴾: مصدر يثوبون إليه [١٤٨] يصيرون إليه. ويقال: ثَابَ فلان إلى كذا وكذا، إذا رجع إليه. قال الشاعر[(٧)]:

ومــا لــمــثــابــات الــعُــرُوش بــقــيــةٌ
إذا اسْتُلَّ من تحت العروش الدَّعَائِمُ ٢٢٥ [(٨)]

(١) كذا في ح و س. م: تعالى. ي: عزّ وجلّ.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٣) في المجاز ١/١٢٥: مثابة مصدر يثوبون إليه، أي يصيرون إليه.

(٤) غريب القرآن ٣٣/ ب: مثابة للناس أي معاداً لهم من قولك ثبت إلى كذا وكذا عدت إليه... أراد أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

(٥) في النهاية/ ثوب: وفي حديث عمر: لا أعرفن أحداً انتقص في سبل الناس إلى مثاباته شيئاً. قال: أراد لا أعرفن أحداً اقتطع شيئاً من طرق المسلمين وأدخله في داره. أورده الزمخشري في الفائق ١/١٦٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٣ وسورة المائدة: الآية ٦٠ والمجاز ١/٤٩.

(٧) هو القطامي.

(٨) اطلب باب العرش (٣٣٤).

مثابات لأنهم يثوبون إليها، أي يرجعون. قال عديّ:

وأن تُـشَـمَّـر حـربٌ بـعـد مـا لَـقِـحَـتْ
حـتّـى تُـثَـوِّب شـيـئـاً كـان مِـنْـكـارا ٣٣٥ [1]

تُثَوِّب أي تُرجِّع شيئاً. وشيئاً من صفة الحرب. والْمُثَوِّب الذي يدعو دعاء بعد دعاء. قال الفرزدق:

ويـهـنّ نـدفـع كَـرْب كـلّ مُـثَـوِّبٍ ونرى لـهـا خُـدَداً بكـلّ مَـجالِ ٣٣٦ [2]

يصف الخيل، يقول: بها ندفع كرب كلّ من دعا إلى نصرته، فثوّب[3] في الدعاء. وقال آخر[5]:

مـن كـلّ مُـعْـنِـقَـةٍ يـظـلُّ عِـطـافُـهـا مـنـهـا يُـصرِّفـهـا ثـوابٌ يَـزْعَـبُ ٣٣٧ [6]

الثواب الرجوع. يزعب يتتابع. يقال: الوادي يزعب، إذا امتلأت جنبتاه يتتابع ويتدافع. وقال عديّ:

إذا أنـت طـالَـبْـتَ الـرجـال ثـوابَـهُـم فعِفَّ ولا تطلُبْ بجَهْدٍ فتَنْكَدِ ٣٣٨ [7]

يعني ما يرجعون إليه من العطايا. فالثواب مرجع عمل الرجل، وما

---

(١) الظاهر أن البيت من قطعة لعدي بن زيد في المدح أورده الأب شيخو في شعراء النصرانية ٤٦٩ أولها:
وأحـور الـعـيـن مـربـوب لـه غـصـن مـقـلـد مـن نـظـام الـدر تـقـصـارا

(٢) ي: وتراً. جميع الأصول: حددا. وهو تصحيف. د الفرزدق ٢/ ٧٣٢: خددا. والخدد جمع خدة، وهي حفرة مستطيلة في الأرض.

(٣) كما في ي و س. م و ح: فيثوب.

(٤) هو ساعدة بن جؤية الهذلي.

(٥) جاء الشطر الأول في د الهذليين ١/ ١٧٧ ول/ ثوب وعطف هكذا: من كل معنقة وكل عطافة. وعجزه في د الهذليين: مما يصدقها ثواب يزعب، وفي ل/ ثوب: منها يصدقها ثواب يرعب، وفي ل/ عطف: منها يصدقها ثواب يزعب. ي: يرعب. م و ح و س: يزعب. قال أبو سعيد السكري في شرح البيت: المعنقة الطويلة. يقول: خنط ماء هذه بماء هذه. وعطافته منحناه. وثواب موضع ما يثوب الهاء أي يجتمع فيه من الوادي. وفي ل/ رعب وزعب: رعب الوادي وزعب، فهو راعب وزاعب، إذا امتلأ بالماء. وقد ذكر الشاعر تتابع مياه الوادي.

(٦) ورد البيت في مجمهرته الطائرة الذكر في رواية أبي زيد (جمهرة أشعار العرب ١٠٣):
إذا أنـت طـالـبـت الـرجـال نـوالـهـم فـعـف ولا تـأتـي بـجـهـد فـتـجـهـد

يعود إليه في الآخرة من اكتسابه في الدنيا وما يرجع إليه وما يصير إليه منه. وهو مأخوذ من ثَابَ إليه أي رجع إليه[1].

(١) وكذلك تاب، ومعناها الرجوع. قال: برغشتراسر (التطور النحوي ١٥١): وأما ثاب فمادتها الأصلية ثوب، فهي في العبرية شوب، لأن التاء السامية صارت شيناً في العبرية، ومعناها الأصلي الرجوع. ونجد ثاب بالثاء في هذا المعنى نفسه في العربية؛ وأصبحت الثاء تاء في الآرامية، فنستدل على وجود التاء بدل الثاء على كونها أخذت من الآرامية اهـ.

باب العقاب والعقوبة

العقاب ما يُتَعَقَّب به المذنب، أي يُؤخذ به بعد الذنب، وأصله من العقب. والعَقْب والعَقِب من كل شيء ما يبقى بعده. وعَقْب الرجل ولده الباقون من بعده. يقال: عَقِب وعقْب بالكسر والتخفيف. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[١]. وقال المتلمّس:

وقـد كـنـتُ أرجـو أن أكـون لِـعَـقْـبِـكُـمْ

زنـيـمـاً فـمـا أُجْـرِزْتُ أن أتـكـلّـمـا ٣٣٩ [٢]

والعقوبة ما يلحق الإنسان[٣] من المحنة بعد الذنب، وهو مشتقّ من ذلك. وفي حديث النبي ﷺ: ومن عَقَّبَ على صلاته[٤]، أي أقام بعد ما يفرغ من الصلاة في مجلسه[٥]. ويقال: صلّى القوم وعَقَّب فلان، أي أقام بعد ما ذهبوا، كأنّه أقام عَقِب الصلاة، وهو من العَاقِبَة. وعاقبة كلّ شيء آخر أمره وما يجيء بعده. ومن صلّى بعد الفريضة تطوّعاً فهو مُعَقِّب. وكلّ من غزا بعد غزو فقد عَقَّبَ الفرض[٦]. ويقال: تَعقَّبه، إذا فَعَل مثل فِعْله

(١) سورة الزخرف: الآية ٢٨.

(٢) في رواية الأثرم وأبي عبيدة (د المتلمس ٢٢): وقد كنت ترجو أن أكون... البيت. ورواية الديوان هي اللائقة بسياق القصيدة. الزنيم المعلق في القوم ليس منهم. والإجرار أن يشق طرف لسان الفصيل والجدي لئلا يرضع.

(٣) كذا في ي و س. م و ح: الناس.

(٤) نصه: من عقب على صلاته فهو في صلاة. معناه أن يقيم في مجلسه عقب الصلاة. أورده الزمخشري في الفائق ٢/ ١٧٣.

(٥) س: بمجلسه.

(٦) كذا في ي. س: فقد عقب الفريضة. م و ح: فقد عقب وعقب الفرض.

بعده أو نقض فِعْله. قال الله عزّ وجلّ: ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[١]، أي ليس يقدر أن يُغَيِّر ما يحكم الله عزّ وجلّ به[٢] بعد ما يحكم. والعُقْبَة في السفر أُخِذ مِن هذا، وهو أن يتعاقب الرفيقان، يركب أحدهما، ثمّ ينزل ويركب الآخر بعده. وقال حاتم:

أنِـخْـهـا فـأردِفْـه فـإنْ حَـمَـلَـتْـكُـمَـا[٣]   وإلاّ فـإن كـان الـعِـقَـابُ فـعَـاقِـبِ ٣٤٠

فسمّاه عِقابًا لذلك. وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ خَيْر ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[٤] مجازه مجاز العاقبة، والعُقْبَى والعُقْبَة كلّهنّ واحد[٥]. والعُقبى آخر كلّ شيء ومصيره الذي يرجع إليه. وقال في قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسَى﴾: أي لم يرجع. ويقال: عَقَّب على ما كان عليه، أي رَدَّه ورجع عليه به[٦]. وأنشد غيره لعديّ:

مـؤمـن الـصَّـدْر يُـرَجّـى عَـقْـبُـه
حـيـن لا يُـكْـفَـر عَـبْـدٌ مـا ادَّخَـرْ ٣٤١[٦]

[١٤٩] عقبه يعني عاقبة عمله في الآخرة، يعقب بمثله. وقال الكميت:

والـوَحْـشُ بـعـد الأنـيـس قـاطِـنَـةٌ   لـكـلّ دار مـن أهـلـهـا عُـقَـبُ ٣٤٢[٧]

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٢) ي و س: ما يحكم به عزّ وجلّ.

(٣) في رواية ابن الكلبي (د حاتم الطائي/ آل سام ٣٩):

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع   رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فإن حملتكما   فذاك، وإن كان العقاب فعاقب

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٥.

(٥) المجاز ١/٤٠٥ وعقب كل شيء وعقبه وعاقبته وعقبته وعقباه وعقبانه آخره.

(٦) سورة النمل: الآية ١٠ وسورة القصص: الآية ٤١ والمجاز/ مراد منلا ١٢٩: ولم يعقب، أي لم يرجع. يقال: عقب على ما كان، فرده، أي رجع عليه.

(٧) الظاهر أن البيت من قصيدة قالها عدي يخاطب فيها النعمان (الأغاني ٢/٢٥)، ومنها:

طال ذا الليل علينا واعتكر   وكأني ناذر الصبح سمر
أبلغ النعمان عني مألكا   قول من خاف ظنا فاعتذر
واذكر النعمي التي لم أنسها   لك في السعي إذا العبد كفر

(٨) عقب جمع عُقبة. ولم يرد البيت في قصيدته الهاشمية التي قالها في مدح رسول الله وأهل بيته، مطلعها (د الهاشميات ٥٦):

=

يعني أنّ كلّ دار إذا خرج منها أهلها عاد فيها الوحش بعدهم، يعقبهم بمنزلة العُقْبَة، إذا نزل واحد ركب آخر. ويقال: عَاقَبَه الله على فعله، أي فعل به من الإساءة مثل فعله بعد فعله. والاسم منه: عِقَاب وعُقُوبَة. فما كان في الآخرة يقال له: عِقاب. وما كان في الدنيا يقال له: عُقُوبَة. والمصدر: مُعَاقَبَة. وقال النابغة:

ومَــنْ عَــصَــاك فــعــاقِــبْــه مــعــاقَــبَــةً
تَـنْـهَـى الظَّـلـومَ ولا تَـقْـعُـدْ عـلـى ضَـمَـدِ ٣٤٣ [1]

فالعِقَاب والعُقُوبَة مأخوذان من ذلك.

أنّـــي ومـــن أيـــن آبـــك الـــطـــرب | مـــن حـــيـــث لا صـــبـــوة ولا ريـــب
ومنها:
مـــا لـــي فـــي الـــدار بـــعـــد ســـاكـــنـــهـــا | ولـــو تـــذكـــرت أهـــلـــهـــا أرب
لا الـــدار ردت جـــواب ســـائـــلـــهـــا | ولا بـــكـــت أهـــلـــهـــا إذ اغـــتـــربـــوا

(١) د النابغة/ العقد ٧. الضمد بالتحريك الحقد.

باب الإثم والوزر

[الإثم ضد الأجر] قال أبو سعيد: سمّي الإثم إثما، لأنّ الآثم يُبطىء عن طاعة ربّه. يقال: أثِمَ، إذا أبْطَأَ. والآثِم المُبْطىء. ويقال: أثمت الناقة، إذا أبطأت. قال الشاعر هو الأعشى:

جُـمَـالِـيـةٍ تَـغْـتَـلـي بـالـرِّدَافِ
إذا كَـذَّبَ الآثِـمـاتُ الـهَـجـيـرَا ٣٤٤ (١)

فالإثم ضدّ الأجر. يقال: فلان مَأثوم، وفلان مأجور، لأن المأجور يسعى في الطاعة، ويعمل الأعمال التي يستوجب بها الثواب من الله عزّ وجلّ، وذلك الثواب هو أجر له بعمله؛ والآثم لم يعمل وقصّر وأبطأ عن الطاعة، فلا أجر له، فهو آثِم أي مُبطىء عن الطاعة.

وقال ابن قتيبة: الإثم العذاب. وقال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾(٢). قال: عذاب. قال: وكذلك الأثام العقاب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامَاً﴾(٣)، أي عقابًا.

---

(١) في رواية أبي العباس ثعلب (الصبح المنير ٧٠):

جـمـالـيـة تـغـتـلـي بـالـرداف — إذا كـذب الآثـمـات الـهـجـيـرا
إلـى مـالـك كـهـلال الـسـمـا — ء أذكـى وفـاء ومـجـداً وخـيـرا

قال ثعلب: قال أبو عبيدة: نعتلي بالعين أيضاً أي نجري خفيفًا. وروى: بالرديف. وروى: كذب بالتخفيف. الآثمات الكواذب لم تصدق. وفي ل/أثم: ابن خالويه: كذب ههنا خفيفة الذال. قال: وحقها أن تكون مشددة. ولم تجيء مخففة إلا في هذا البيت. قال: والآثمات اللاتي يظن أنهن يغوين على الهواجر فإذا أخلفنه فكأنهن أثمن.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢١٩.

(٣) سورة الفرقان/ الآية ٦٨.

وفي الحديث، قال النبي ﷺ: البِرّ ما سكَنَتْ إليه القلوب واطمأنت إليه النفوس، والإثم ماحك في صدرك وكرهتَ أن يطّلع الناس عليه[1].

[معنى الوزر] وأمّا الوِزْر فهو أن يحمل غيرَه على الذنب، فيكون قد تقلّد ذنبين، ذنب نفسه وذنب غيره. قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُم كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]. لما أضلّ غيره سمّاه وزراً.

قال النبي ﷺ: من استَنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة[3]. فسمّى ذلك وزراً، لأنّه استنّ لغيره، فتقلّد ذنب نفسه وذنب غيره.

وأصله من الموازرة وهي المشاركة والمعاضدة. ومن أجل ذلك سمّي وزير الملك وزيراً، لأنّه مأخوذ من المشاركة، كأنّه يَشْرَك المَلِك في سلطانه ويعضده. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[4] سمّاه وزيراً لّما كان شريكاً له ومعاضداً. فسمّي الوزر وزراً، لأنّ صاحبه اشترك مع من حمله[5] على الوزر وعاضده عليه.

---

(١) دي البيوع ٢، نصه: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك وأفتوك. وفي النهاية/ حكك: البر حسن الخلق والإثم ما حك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس. يقال: حك الشيء في نفسي، إذا لم تكن منشرح الصدر به، وكان في قلبك منه شيء من الشك والريب، وأوهمك أنه من ذنب وخطيئة.

(٢) سورة النحل/ الآية ٢٥.

(٣) مس الزكاة ٧٠: عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام حسنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

(٤) سورة طه/ الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

(٥) س: يحمله.

باب القيامة

[يوم القيامة] ليوم القيامة أسماء كثيرة. والقيامة مأخوذ من قَامَ يَقُومُ، والمصدر منه قِيام. ومثله: صَامَ يَصُومُ صِيَاماً، والصَّوُم اسم منه. والقِيامة هو فعل يكون من جميع الخلائق دفعة واحدة. فلذلك أدخل [١٥٠] فيه الهاء، فقيل: يوم القيامة، ولم يُقَل: يوم القيام.

[يوم الحشر والجمع] ويقال لذلك اليوم أيضاً: يوم الْحَشْر. والْحشْر الْجمْع. كأن الخلائق يُجْمَع بينهم في ذلك اليوم. قال الله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾(١). يعني اجْمعوا(٢) في مجمع واحد. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وإِذَا الْوُحوشُ حُشِرَتْ﴾(٣). قال المفسّرون: حَشْرها مَوْتها، فكأنّها لَمّا ماتت كلها دفعة واحدة سمّي ذلك حشراً. ويقال له أيضاً: يوم الجمع لذلك.

[يوم التغابن] ويوم التَّغَابُن، لأنّ المغبون من انكشفت سرائره في ذلك اليوم، فيظهر ما اكتسب في الدنيا من عبادة غير الله، وقدَّرَ أنّه قد اهتدى وأنه ينجو، فيكون أمره كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾(٤). فهذا هو المغبون مثل المغبون في الدنيا(٥) الذي يشتري سلعة أو يبيعها فُيقدِّر أنّه قد ربح؛ فإذا انكشف أمره ظهر خسرانه، فيقال له مغبون. فسمِّي يوم التغابن لذلك.

(١) سورة الصافات: الآية ٢٢.
(٢) ي و س: جمعوا كلهم.
(٣) سورة التكوير: الآية ٥.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٢٣.
(٥) سقط الدنيا في ي و س.

[يوم الدين] ويقال له أيضاً: يوم الدين. قال المفسرون: معناه يوم الحساب، لأنّ كلّ أحد يُحاسَب فيُجازَى بعمله. ومن أجل ذلك يقال: كما تَدينُ تُدان[1].

[يوم البعث] ويقال له: يوم البعث فالبعث الإثارة، لأنّ الله تعالى يثير أهل القبور من قبورهم. قال الله عزّ وجلّ: **﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنَا﴾**[2]، أي من أثارَنا والله أعلم.

[يوم النشور] ويقال أيضاً: يوم النُّشور. وذلك أنّ أعمال العباد تظهر في الصُّحُف، فيُعطَى كلّ واحد كتابه منشوراً. قال الله عزّ وجلّ: **﴿وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾**[3]. وقال: **﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾**[4]. فسمّى يوم النشور لنشور الصحف. ويكون أيضاً من نشور الموتَى. يقال: نَشَرَ الله الميّت فَنَشَر[5]. قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَانْظُرْ إلى العِظَامِ كَيْف نُنْشِزُها﴾**[6]. ويُقْرأ: كيف نَنْشُرها. قال الأعشى:

لو أسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها ... عَاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قابِرِ
حتّى يقول الناس مِمّا رأوا ... يا عَجَبًا للمَيِّت الناشِرِ ٣٤٥ [7]

---

(١) اطلب ما جاء في معنى الدين (الزينة ١٣٩ هامش ٤) وباب الديان (هامش) وباب الدين فيما يلي.

(٢) سورة يس: الآية ٥٢.

(٣) سورة التكوير: الآية ١٠.

(٤) بني إسرائيل: ١٣/١٧.

(٥) قال الجوهري (صحا/نشر): نشر الميت ينشر نشوراً، أي عاش بعد الموت. وأنشرهم الله أي أحياهم. ومنه قرأ ابن عباس: كيف ننشرها، واحتج بقوله تعالى: **﴿ثم إذا شاء أنشره﴾**. وقرأ الحسن: تنشرها. قال الفراء: ذهب إلى النشر والطي. قال: والوجه أن يقول: أنشرهم الله، فنشروا. قال الزمخشري (الأساس/ نشر ونشز): ومن المجاز نشر الله الموتى نشراً وأنشرهم فنشروا وانتشروا. قال: «كيف ننشزها» في قراءة زيد.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٧) قال الأعشى (الصبح المنير ١٠٥):

.... هيفاءِ مِثلِ المهرة الضامرِ
قد نهد الثدي على نحرها ... في مشرق ذي صبح نائر
لو أسندت.......... ... . البيت

فكأنّ الميت يكون مَطْوِيّاً في الأكفان في القبر، ثمّ ينشر بعد ذلك الطيّ. يقال: نَشَرَ الله الميّتَ فنشر.

[يوم الحسرة] ويقال أيضاً: يوم الحسرة، لأن الناجي والهالِك يومئذ في حسرة؛ يتمنّى الناجيْ أن يكون قد زاد من أعمال الخير والاجتهاد والعبادة، ويكون تقصيره حسرة عليه؛ ويتمنّى الهالِك أن يكون من الناجين. فالخلائق كلهم في حسرة. فمن أجل ذلك قيل له: يوم الحسرة. ومعنى الحسرة أن يَحسر عن الغائب الذي لم يكن يُرَى قبل ذلك، فتكشف السرائر، ويتكشّف للناس من الناجي ومن الهالِك. يقال: حَسَرَ عن ذِراعيه، إذا كَشَفَ عنهما وأبرزهما.

استدراك

صفحة ٢٢٧، هامش رقم ٣: إن التعسف ظاهر في دعوى اشتقاق الصورة من صار الشيء يصير ويصور، أوصاره بصورة أي أماله، وفي دعوى أن معناه التمام والغاية، وأن منه المثال والتمثال. وقد شاع استعمال صور 𐩮𐩥𐩧 بمعنى المثال والتمثال في اللغات العربية الجنوبية القديمة. وأغلب الظن أن العربية أخذته بهذا المعنى قديماً من الجنوب، ثم تسرب إلى الشمال، فوجدنا نظيره صورا צוּרָא وصورتا צורתא في الآرامية. راجع هومل chrestomathie ص ١٢٥) ومو ردتمان (.Him. Ins ص١٤ و١٥) وروسيني (Glossarium ص ٢٢٣) وجيفري ٢٠١.

صفحة ٣٣١ وهامش رقم ٣: وقد أفادنا صديقنا الفاضل فؤاد السيد أنه محمد بن عمر الصيمري من أصحاب أبي علي الجبائي (تو ٣٠٣) شيخ المعتزلة في عصره. وكان عالماً زاهداً. ذكره القاضي عبد الجبار في الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة، وذكره المرتضى في المنية والأمل ص ٤٥ (طبع حيدر اباد).

تقرير

عن الحياة الدراسية

للدكتور حسين فيض الله الهمداني

الاسم بالكامل : الدكتور حسين فيض الله الهمداني.

تاريخ الميلاد : ٢٣ ابريل ١٩٠١ ألف وتسعمائة وواحد ميلادية.

اسم الوالد : الشيخ فيض الله بن الشيخ محمد علي بن الشيخ فيض الله بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي بن الشيخ سعيد المساري الحرازي اليعبري الهمداني اليماني عبيد المدرسة المحمدية بسورت سابقاً وصاحب المدرسة العالية بسورت.

اسم العائلة : اليعابر من بني همدان من جبل حراز باليمن.

دراساته

اسم الجامعة	المدرسة أو الكلية	مدة الدراسة
جامعة بومباي (الهند)	المدرسة العالية بسورت	أربع سنوات
جامعة بومباي (الهند)	كلية منجلداس بسورت	أربع سنوات
جامعة بومباي (الهند)	كلية دكن ـ بونا	ستة شهور
جامعة لندن (انجلترا)	مدرسة الدراسات الشرقية بلندن	ثلاث سنوات
جامعة هيدلبرج (ألمانيا)		فصل واحد
جامعة برلين (ألمانيا)		سنة واحدة كطالب مستمع
الجامعة المصرية	كلية الآداب بالقاهرة	فصل واحد كطالب مستمع

الامتحانات التي اجتازها والشهادات التي حصل عليها

الامتحان أو الإجازة العلمية	الجامعة	موضوعات الدراسة	التاريخ
المتريكوليشن (بكالوريوس)	بومباي	الإنجليزية، الفارسية، التاريخ، الجغرافيا، الأوردية والجوجراتية	١٩٢٠
الآداب	بومباي	الإنجليزية، العربية، المنطق، التاريخ الهندي، الإدارة	١٩٢٢
ليسانس في الآداب	بومباي	الإنجليزية الإجبارية، الإنجليزية الاختيارية ـ امتياز	١٩٢٤
ماجستير في الآداب	بومباي	العربية ـ بامتياز، الفارسية	١٩٢٧
دكتوراه في الآداب	لندن	رسالة عن تاريخ الملل والنحل الإسلامية	١٩٣١

اللغات

قراءة فقط	قراءة وكتابة وتكلم	الامتحانات التي اجتازها
الفرنسية	العربية	بكالوريوس في الآداب بامتياز ـ بالعربية والإنجليزية ـ جامعة بومباي
الهولندية	الفارسية	ماجستير بالعربية والإيرانية ـ جامعة بومباي
العبرية	الألمانية	منهاج خاص بالألمانية في جامعتي هيدلبرج وبرلين
السبائية الحميرية	الانجليزية	دكتوراه بالعربية ـ جامعة لندن
	الأوردية	
	الجوجراتية	

البلاد التي زارها

البلد	تاريخ الزيارة	مدة الزيارة	الغرض من الزيارة
انجلترا	١٩٢٨ ـ ١٩٣٢	ثلاث سنوات	أبحاث دراسية باللغة العربية ـ جامعة لندن
ألمانيا	١٩٢٩ ـ ١٩٣١	سنة ونصف	دراسة بجامعات هيدلبرج وبرلين
السويد	١٩٢٩	أسبوعان	لحضوره مؤتمر تاريخ الأديان في لندن
النمسا	١٩٣٠	أسبوعان	لحضور المؤتمر السياسي للمستشرقين الألمان في ڤيينا
هولنده	١٩٣١	شهران	لحضور المؤتمر الدولى الثالث عشر للمستشرقين بليدن

فرنسا	١٩٣١	شهران	أبحاث علمية
بلجيكا وإيطاليا وتشكوسلوفاكيا	١٩٣١	أربعة شهور	إجازة
مصر	١٩٣١	ثلاث شهور	اتصالات أدبية بالأساتذة والهيئات العلمية
فلسطين	١٩٣٢	شهر واحد	لدراسة المشكلة الفلسطينية
اليمن	١٩٣٢	شهران	لزيارة بلاد الأجداد بدعوة من جلالة إمام اليمن

خبرته في التدريس والإدارة

عضو الجمعية الملكية الأسيوية البريطانية ١٩٣٠ ـ ١٩٣٢.
أستاذ اللغتين العربية والفارسية بكلية بسورت ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤.
مدير مدرسة انبمن إسلام العالية بأحمد آباد ١٩٣٣.
أستاذ مساعد للغة الفارسية بكلية الفنستون ببومباي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦.
نائب رئيس كلية إسماعيل يوسف ببومباي ١٩٣٢.
رئيس الجمعية العربية بكلية منجلداس بسورت ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤.
السكرتير العام للأصدقاء الدوليين بسورت ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤.
أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي وعميد القسم العربي بدرجة (أ) بكلية إسماعيل يوسف ببومباي ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧.
رئيس الآداب بكلية إسماعيل يوسف ببومباي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦.
السكرتير العام للجمعية العربية ببومباي ١٩٤١ ـ ١٩٤٤.
السكرتير العام للجمعية الثقافية العربية الهندية ببومباي سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧.
عضو لجنة الاستقصاء التي عينتها حكومة نظام حيدر آباد لتقديم التوصيات والمقترحات الخاصة بإصلاح مكتبة الآصفية بحيدر آباد سنة ١٩٣٤.
الأستاذ المسؤول عن مكتبة كلية إسماعيل يوسف ببومباي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧.
أستاذ للخريجين الذين تعتمدهم جامعة بومباي للإشراف على أبحاث الساعين للحصول على شهادة الدكتوراه باللغة العربية.
المدير المساعد للأبحاث الإسلامية في حكومية البنجاب الغربية بلاهور بالباكستان ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.
الملحق الصحفي لسفارة الباكستان بالقاهرة بدرجة (أ) سنة ١٩٤٨.

الأعمال الصحفية

رئيس تحرير مجلة «ذي بامز» بكلية إسماعيل يوسف ببومباي سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧.

رئيس تحرير مجلة «العروة» التي تصدرها الجمعية الثقافية الهندية العربية سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧.

المشرف العام على «رسالة الباكستان» التي يصدرها مكتب الصحافة والاستعلامات لسفارة الباكستان بمصر سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١.

خطب ألقاها في الاجتماعات الدولية [illegible]

المؤتمر الدولي لتاريخ الأديان بلند بالسويد [illegible] ي موضوع «المعتزلة».

المؤتمر السادس للمستشرقين الألمان بڤيينا بالن[illegible] سنة ١٩٣٠ في موضوع «رسائل إخوان الصفا».

الجمعية الملكية الأسيوية بلندن سن[illegible] ١٩٢[illegible] في موضوع «حياة السيدة أروى بنت أحمد».

المؤتمر الدولي الثالث للمستشرقين بليدن في هولندا سنة ١٩٣١ في موضوع «المؤيد في الدين هبة الله بن موسى».

الجامعة العبرية بالقدس فلسطين سنة ١٩٣٢ في موضوع «بعض المؤلفين الفاطميين المجهولين ومؤلفاتهم».

إدارة المعارف الإسلامية بلاهور سنة ١٩٣٣ في موضوع «إخوان الصفا».

جمعية الصداقة الدولية بسورت سنة ١٩٣٩ في موضوع «تاريخ تطور الاشتراكية القومية وأسبابها في ألمانيا».

جامعة بومباي في موضوع «الأدب العربي الحديث».

مؤتمر دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد سنة ١٩٣٥ في موضوع «كتاب الرياض».

محطة الإذاعة البريطانية سنة ١٩٣٥ في موضوع «العلاقات الهندية العربية».

نادي السمكة الفضية ببومباي سنة ١٩٤٥ في موضوع «موزار ـ حياته وموسيقاه».

راديو الهند سنة ١٩٤٦ في موضوع «رحلات ابن بطوطة في الهند».

دار الإذاعة المصرية في موضوع الشاعر الفيلسوف محمد إقبال.

الجمعية الثقافية الهندية العربية ببومباي سنة ١٩٤٧ في موضوع «بداية الأدب العربي الحديث».

أستاذ ممتحن

الجامعة	الامتحان	الموضوع	المدة
جامعة بومباي	المتريكوليشن	اللغة العربية	سنتان
جامعة بومباي	الشهادة المتوسطة	اللغة العربية	سنتان
جامعة بومباي	ليسانس الآداب	اللغة العربية	ثلاث سنوات
جامعة بومباي	ماجستير الآداب	اللغة العربية	ثلاث سنوات
جامعة البنجاب	ليسانس الآداب	اللغة العربية	ست سنوات
جامعة البنجاب	ماجستير الآداب	اللغة العربية	خمس سنوات
لجنة الخدمات الاجتماعية	الخدمة المدنية الإقليمية	اللغة العربية	سنة واحدة

مؤلفاته

١ ـ عصر وحياة ومؤلفات ثيودور نيولدكن بمجلة كلية منجلداس بسورت.
٢ ـ المؤيد في الدين هبة الله بن موسى (مجلة J.R.A.S.) لندن ١٩٣٢.
٣ ـ رسائل إخوان الصفا دار الإسلام هامبورغ سنة ١٩٣٢.
٤ ـ السجلات المستنصرية وثائق تاريخية هامة لندن سنة ١٩٣٢.
٥ ـ بعض المؤلفين الفاطميين المجهولين لندن سنة ١٩٣٣.
٦ ـ المؤيد (دائرة معارف الإسلام).
٧ ـ حياة السيدة أروى بنت أحمد (مجلة J.R.A.S.) لندن ١٩٣٢.
٨ ـ حياة ومؤلفات اجنار جولدزيهر بمجلة «ذي بامز» ببومباي سنة ١٩٣٤.
٩ ـ رسائل إخوان الصفا (بمجلة الرسالة) بالقاهرة سنة ١٩٥٠.
١٠ ـ كتاب الرياض حيدر آباد سنة ١٣٥٨ هجرية.
١١ ـ حركة العمال الألمان (بمجلة كلية الفنستون).
١٢ ـ كتاب زهر المعاني (بمجلة الثقافة الإسلامية).
١٣ ـ الأدب العربي الحديث في القرن التاسع عشر (بمجلة جمعية الشبان المسلمين) بسورت ١٩٤٥.
١٤ ـ نبينا (بمجلة ستار) ببومباي سنة ١٩٤٦.

بسم الله

سيدي أستاذنا العلامة الكبير
الدكتور حسين الهمداني حرسه الله
تحية محبة وتقدير واجلال

ارجو ان يصاحبكم اليسر في سفركم
ويكون معكم في الحل والترحال وانه لعزيز
علينا وعلى وطنكم اليمن ان نودعكم
احوج ما نكون الى علمكم وخبرتكم
واخلاصكم كما ارجو ان يكون اللقاء
قريباً وان يكون لليمن النصيب الأوفر
من جهودكم المباركة.
مع هذا كتاب السيد الدكتور مطهر علي
الارياني الرجاء ابلاغه [illegible]
شكري وتقديري ودعواتي [illegible]

مخلصكم
علي [illegible]

الفهرس

كتاب الزينة

في الكلمات الأسلامية العربيـة

تأليف

الشيخ ابي حاتم احمد بن حمدان الرازي

الجزء الثالث

تحقيـق

الدكتور عبد الله سلوم السامرائي

الملحــق

وقفة عند الكتاب ومؤلفه

ان الحديث عن ابي حاتم احمد بن حمدان الرازي صاحب كتاب الزينة سيكون حديثا مختصرا يتناول اسمه ، واصله ، ومذهبه حيث ان المؤرخين قد اختلفوا في هذه الامور اختلافات كثيرة ، ثم تقف وقفة ليست بالطويلة عند ثقافته ومؤلفاته ، ثم وقفة اخرى تتناول بالتوضيح كتاب الزينة وبخاصة القسم المتعلق بالمذاهب والفرق الذي كان محل اهتمامنا ، وقد حققناه ليكون دعما وسندا لكتابي هذا الذي هو الآخر يدور حول ظاهرة الغلو التي احتوت كثيرا من المذاهب والفرق •

لقد حقق الدكتور حسين الهمداني قسمين من كتاب الزينة كان القسم الاول منهما الذي يعتبر المقدمة التي وضعها المؤلف لكتاب الزينة يشتمل على معاني الاسماء واشتقاقات الالفاظ العربية الموجودة في القرآن ، وقد قسم هذه المقدمة الى جملة فصول في عناوين منها « فضل لغة العرب » ، « امة العرب تامة الحروف » ، « النقصان والزيادة في اللغات » ، « قوام العربية وبنيتها بالحساب » ، « قانون اللغة العربية » ، « بلاغة العربية »، « النحو والاعراب »، « معنى العروض » ، « الشعر ديوان العرب » ، « مزايا الشعر العربي قبل مبعث النبي » ، « الشعر والشعراء عند ظهور الاسلام » ، « تعلم اللغة والشعر الاول» ، «الاغاني القديمة بالفارسية» ، «الفرق بين الشعر والغناء» ، «الاسماء الاسلامية ومعانيها » ، « اسماء الله الحسنى » ، « اسماء الاشياء ومعانيها » ، « الاسماء الاعجمية في القرآن » ، « ظهور الاسماء على عهد النبي » ، « لسان ابراهيم السريانية » ، « تعلم اسماعيل العربية من اليمن » ، « اسماعيل اول من تكلم بالعربية » ، « لغة القرآن هي لغة قريش » ، « اليهودية والنصرانية والمجوسية في العرب » •

اما القسم الثاني الذي حققه الدكتور حسين الهمداني فيشمل اول ما

يشمل باب « ما جاء في : بسم الله الرحمن الرحيم » ويستمر في تعريف اسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم من ص ١ الى ص ١٣٧ ، ومن ص ١٣٨ الى نهاية الجزء الثاني حيث عالج مواضيع منها « القضاء » ، « الدنيا والاخرة » ، « القلم » ، « اللوح » « الكرسي » ، « العرش » ، « الملائكة » ، « الجن والانس » ، « الشيطان وصفاته » ، « ابليس » ، « الجنة وصفاتها » ، « النار وصفاتها » ، « السراط » ، « الاعراف والبرزخ » ، « الثواب » ، « العقاب والعقوبة » ، « الاثم والوزر » ، « القيامة » (١) •

وقد شمل تحقيقنا القسم الثالث من كتاب الزينة وهو المتعلق باصحاب الاهواء والمذاهب والذي اشتمل على معنى المذهب والفرقة ووضح الفرق الاسلامية والفرق التي تفرعت عنها من أهل الاهواء والنحل المختلفة وقد اعتمدنا على مخطوطة مديرية الآثار العامة العراقية وقد امتد هذا القسم في هذه المخطوطة بين الصفحات (١٩٤ ــ ٢٥٥) •

اســـمه :

لقد اختلف المؤرخون في تحديد اسمه ، فذهب الحافظ في كتابه « لسان الميزان » الى ان اسمه (ابو حاتم احمد بن حمدان بن احمد الورسامي الليثي) (٢) • ويتساءل الدكتور حسين الهمداني عن ماهية هاتين النسبتين « الورسامي والليثي » (٣) ومن تساؤله وعدم اجابته على هذا يبدو انالهمداني لم يجد تفسيرا لهاتين النسبتين •

ويرى القاضي عبدالجبار المعتزلي ان اسمه (ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي الكلائي) (٤) • ولم يوضح القاضي عبدالجبار المراد بالكلائي ، كما

---

(١) أنظر حسين الهمداني : كتاب الزينة في الجزئين اللذين حققهما •
(٢) الحافظ : لسان الميزان ج ١ ص ٥٢٣ •
(٣) انظر حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٦ •
(٤) حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٨ نقلا عن مخطوط في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول رقم ١٥٧٥ ورقة ١٥٠ •

وان الدكتور الهمداني لم يوضح المراد بهذه النسبة والذي يبدو لنا ان هذه النسبة الى قبيلة كلاء وهي قبيلة عربية من قبائل العرب الجنوبية .

اما الدكتور حسن ابراهيم حسن فيقول في اسمه (ويسميه الاسماعيلية سيدنا ابا حاتم عبدالرحمن الرازي الورسناني)[٥] ، وقد انفرد الدكتور حسن ابراهيم بهذه التسمية ولم يشر الى المصدر الذي اخذ منه والذي يبدو ان الدكتور حسن قد خلط بين ابي حاتم الرازي موضوع بحثنا وبين شخص آخر يدعى « عبدالرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس » الذي عاش معاصرا لحياة الرازي ولم يكن هناك صلة بين الاسمين الا ان كنيتهما واحدة [٦] .

وذهب مصطفى غالب في تحديد اسمه ولقبه فقال (هو ابو حاتم احمد بن حمدان الليثي الورسناني)[٧] فهو يقدم الليثي على الورسناني خلافا لما ذهب اليه الحافظ في « لسان الميزان » حيث قدم الورسامي على الليثي ، ولم يشر مصطفى غالب الى اصل الورسناني كما لم يوضح معنى النسبة الى الليثي .

والذي يمكن تقريره بخصوص اسمه انه « ابو حاتم احمد بن حمدان بن احمد الرازي » وهذا ما اتفق عليه اكثر من كتب عنه ، اما بقية الاضافات المتعلقة باسمه ونسبته فهي موضع نقاش تبقى موقوفة الى حين التوصل الى رأي نهائي فيها في ضوء معلومات اخرى اكثر شمولا واكثر صلة بهذه الشخصية .

اصـــله :

ان الاختلاف في اسمه ولقبه كان دليلا على اختلاف الباحثين في اصله ، ومما عقد تحديد وتعيين اصله ان ابا حاتم هذا كان (من اكبر الدعاة الـذين انجبتهم الدعوة الاسماعيلية)[٨] ، فكانت مهمته كداعية كبير ان يخفي كثيرا مما يتعلق بشخصيته سواء ما يتعلق باسمه او اصله او مذهبه ، كما وان هذه المهمة تتطلب منه ان يتنقل في اكثر من مكان ، لذلك فنحن نراه قد (ظهر ...

(٥) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٤٥ .
(٦) أنظر كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٩ .
(٧) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ .
(٨) المصدر السابق : ص ٩٧ ــ ٩٨ .

في بلاد المغرب وكان ممن استجاب لدعوة عبيدالله بن الحسين المهدي) [٩] •
ولم يستقر في المغرب طويلا اذ نراه ينتقل الى المشرق فقد (دخل ارض الديلم) [١٠] ، كما وانه اقام في بغداد فترة اتصل خلالها بأبي العباس ثعلب [١١] ، ولم يستقر في هذه الديار طويلا انما رحل الى بلاد ما وراء النهر ويبدو ان اقامته فيها كانت طويلة حيث انسحب عليه لقب هذه المدينة فعرف بالرازي ، والنسبة الى المدينة لا يمكن ان تحدد بشكل قاطع صلة الانسان بالمدينة اذ ان الانتساب الى المدن قد يحصل من انتماء الانسان الى مدينة ما وقد يقع نتيجة اقامة انسان فترة في هذه المدينة دون ان تكون له جذور ممتدة في سكانها •

وعليه فان تنقل ابي حاتم هذا وظهوره في المغرب والمشرق لا يمكن ان يقدم دليلا على انه من هذه المنطقة او تلك ومن هنا جاء امر التعقيد في اصله • فقد حاول البعض اعتباره فارسي الاصل نتيجة تمكنه من اللغة الفارسية• ويرد على هؤلاء الدكتور حسين الهمداني قائلا (واما ••• عن تمكنه في اللغة الفارسية ••• فهذا لا يدل على انه فارسي) [١٢] • وذهب البعض الى اعتباره عربيا من المغرب لانه قد ظهر في هذه المنطقة وليس بين ظهوره في المغرب وبين تعيين اصله من صلة •

والذي نرجحه بخصوص اصله ان ابا حاتم من اصل عربي ، ذلك ان حماسه للعربية وفضل العرب ولغتهم الذي يؤلف القسم الاول من كتابه « الزينة » وتأكيده « ان لغة العرب تامة الحروف » لا يمكن ان يأتي الا من انسان يتصل اصلا بهذه الامة ، كما وان ذهاب اكثر من مؤرخ الى لقبه (الليثي) [١٤] الذي يبدو انه نسبة الى قبيلة ليث العربية او لقبه الكلائي نسبة الى قبيلة كلاء العربية ايضا يشيران الى ان ابا حاتم يعود باصله الى أرومة عربية ، والى جانب هذا فان اهتمامات ابي حاتم اللغوية ومقارنته بين اللغة

---

(٩) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٨٠ •
(١٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ •
(١١) حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٦ ــ ٢٧ •
(١٢) المصدر السابق : ص ٢٦
(١٣) المصدر السابق : ص ٢٧ •
(١٤) القلقشندي : قلائد الجمان ص ٤٩ •

العربية وغيرها من اللغات الاخرى في فترة كان النزاع بين العربية وخصومها عنيفا وهي الفترة التي عاش فيها ابو حاتم فان هذا الحماس منه وتفضيل لغة العرب على اللغات الاخرى يدل دلالة واضحة على انه يمتد في اصولـــه الى الامة العربية •

مذهبـــه :

لقد اختلف الباحثون في مذهبه مثلما اختلفوا في اصله وفي اسمه وكان الاختلاف في مذهبه اكثر تعقيدا واكثر تباعدا ، فقد حكـم عليه البغـدادي (بالزندقة وباعتناق مبادىء الثنوية والدهرية) [١٥] ، وحكم عليه آخـرون باحكام اخرى ، وكان هذا الاختلاف مرجعه المذهب الباطني الذي كان عليه ابو حاتم حيث انه كان اكبر داعية للاسماعيلية وهذا يحتم عليه اخفاء مذهبـه والظهور بمذاهب تتناسب ومصلحة الدعوة ولهذا نرى ان فريقا من الباحثين يرى فيه انه سني من أهل الحديث ويرى آخرون انه لم يكن على مذهب معين انما اشتهر بمعرفته فحكم عليه السيوطي بانه ابو حاتم اللغوي دون الحديث عن ماهية مذهبه وقال فيه مرتضى بن الداعي الحسني الرازي صاحب كتاب تبصرة العوام (ان ابا حاتم كان من الشافعية) كما ظن صاحب الروضـات (انه امامي جعفري) [١٦] •

لقد عمل ابو حاتم الرازي على اخفاء مذهبه والتظاهر بالمذهب الـذي يتناسب مع السلطة الحاكمة ، ولما كان مذهب الدولة العباسية في الفترة التـي عاش فيها الرازي هو مذهب اهل السنة والجماعة ، فاننا نجد صاحبنا الرازي يقول في اهل السنة والجماعة (الذين قد اجتمعوا على امام هاد جامع لهم وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه قال افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وسائرها هالكـة قيل يارسول الله ومن الفرقة الناجية قال اهل السنة والجماعة قيل فمن اهل السنة والجماعة قال : ما انا وأصحابي عليه اليوم) [١٧] •

---

(١٥) أنظر البغدادي : الفـرق بين الفـرق ص ٢٦٧ وابن النـديم : الفهرست ص ٢٦٦ •

(١٦) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٢ •

(١٧) المخطوطة : ص ١٩٩ من كتاب الزينة •

ونتيجة لهذا التستر والتخفي لم يشر قسم من الباحثين الى ميول ابي حاتم ولم يحدد مذهبه ، وفي هذا يقول الهمداني ان عددا ممن كتب عن الرازي لم يذكر شيئا عن مذهبه امثال (البطليوسي وياقوت الحموي والعيني والبقاعي والسيوطي) (١٨) .

وعلى الرغم من هذا التستر فان المتأخرين من الكتاب اكدوا انه كان على المذهب الاسماعيلي ويعلق الهمداني بهذا الصدد فيقول (وعلى الرغم من انه حاول جاهدا اخفاء آرائه وميوله فقد كان من المتعذر عليه التزام المنهج اللغوي البحت والواقع ان الخلاف الديني كان قد تغلغل بين المسلمين منذ الصدر الاول لدرجة تعذر معها عدم تحيزه والكشف عن ميوله ومحاباته ... وكان ابو حاتم حذرا كل الحذر في معالجة موضوع الملل والنحل الاسلامية فقد سلك فيها مسلك اللغوي ... ومع ذلك فان فاطمية ابي حاتم كانت من الشهرة والذيوع بحيث لا تترك مجالا لمناقشتها ، كما ان ميوله للمذهب الفاطمي لا تخفى على من له المام بمبادىء هذه الدعوة) (١٩) .

ويؤكد پول كراوس اسماعيليته قائلا (وكان ابو حاتم من كبار دعاة الاسماعيلية واشتهر بدعوته الى المذهب الفاطمي ولعب دورا عظيما في الشؤون السياسية في طبرستان والديلم ولا سيما في اصفهان والري) (٢٠) .

ويؤكد القاضي عبدالجبار المعتزلي انه من الدعاة (ان ابا حاتم وغيره من الدعاة كانوا في حالة قلق واضطراب من جراء تصرفات ابى طاهر الجنابي القرمطي وتسليمه امر الدعوة الى زكريا الاصفهاني) (٢١) ، ان اشارة القاضي عبدالجبار الى انه من الدعاة وتكرار الاشارة بقوله « وتسليمه امر الدعوة » فان كلمة الدعوة في هذه المرحلة التي يتحدث عنها القاضي عبدالجبار يراد بها الدعوة الفاطمية .

ويقول عنه الدكتور حسن ابراهيم حسن (... وكان داعي الاسماعيلية

---

(١٨) الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٢ .

(١٩) المصدر السابق : ص ٢٢ ــ ٢٣

(٢٠) بول كراوس : رسائل فلسفية ص ٢٩١ .

(٢١) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٧ نقلا عن مخطوطة من مكتبة شهيد علي باشا باستانبول رقم ١٥٧٥ ورقة ١٥٠ .

في بلاد الري [٢٢] ، ويؤكد مصطفى غالب ذلك فيقول (••• من اكبر الدعاة الذين انجبتهم الدعوة الاسماعيلية) [٢٣] ، ويؤكد الدكتور حسين الهمداني فاطميته ولتأكيده هذا اهمية خاصة لانه هو الآخر فاطمي المذهب ويستطيع ان يتلمس ويقف على ميول من يدين بهذا المذهب بشكل دقيق اكثر من غيره فقد قال فيه « ان فاطمية ابي حاتم كانت من الشهرة والذيوع » واضاف بخصوص علاقته برئيس الدعوة الفاطمية قوله (واما المغرب حيث كان ابو حاتم يتوجه اليه بميوله الدينية والسياسية فكانت تسيطر عليه دولة اهل البيت برياسة المهدي عبيدالله بن الحسين الفاطمي ••• وفي هذه الاحوال السياسية برز ابو حاتم) [٢٤] •

كما وان ابا حاتم نفسه قد كشف بشكل او بآخر عن ميوله ومذهبه الاسماعيلي في كتابه الزينة فقد جاء في الصفحة ٢٣٢ من المخطوطة عند حديثه عن الامامية ما يشير الى معارضته في ضوء عقيدته الاسماعيلية فقد جاء (••• وكذلك جعفر بن محمد بقي خمسا وعشرين سنة ليس له ولد غير اسماعيل وعبدالله وانه دل على اسماعيل واشار اليه حتى قال بامامته خلق كثير في حياة جعفر ••• وهو لا ينكر عليهم حتى قال قوم ان اسماعيل لم يمت في حياته وان جعفرا غيبه حذرا عليه ، وقال كيف يجوز هذا وقد قلدناه امره وامرنا بطاعته واحتجوا بان جعفر لم يكن يتزوج غير امهما باحد من النساء ولا تسرى بجارية) [٢٥] • ففي هذا النص جملة صريحة تؤكد مذهبه الاسماعيلي فقوله في ام اسماعيل (••• لم يتزوج على ام اسماعيل ••• اذ عرف الحجة في ولدها) [٢٦] وجاء في ذات الصفحة بشأن اسماعيل (وقد كان الله اعطى اسماعيل هذه المنزلة في حياة ابيه فلما حضرته الوفاة كان ابنه محمد احق بميراثه من اعمامه وهو اكبر سنا من اعمامه الا عبدالله ولا يكون هذا الامر في اخوين بعد الحسن والحسين لما رويت من الاخبار في ذلك قالوا ونظرنا في دعاوى

---

(٢٢) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٤٥ •
(٢٣) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ ـ ٩٨ •
(٢٤) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٩ •
(٢٥) المخطوطة : ص ٢٣٢ •
(٢٦) المخطوطة : ص ٢٣٢ •

من ادعى لعبدالله ومحمد فرأينا عبدالله قد مضى ولا عقب له واما محمد فانه خرج بمكة وشهر بسيفه في الشهر الحرام وفي البلد الحرام الذي اجتمعت الامة على تحريم ذلك فلو تم امره لبطلت الدعاوى منهم من هذه الجهة مع انقراضهم وتلاشي امرهم واما من ادعى لموسى فاختلفوا فيه ايضا بعد موته وشكوا)(٢٧)، ان حديثه عن عبدالله ومحمد كما ذكرناه تأكيد على تشكيكه بامامة محمد حيث اعلن الحرب في الشهر الحرام وفي البلد الحرام وهذا خلاف لما تنص عليه الشريعة والتقاليد العربية والاسلامية مما يؤكد عدم اخذه بالتسلسل الامامي الاثنى عشرى لصالح مذهبه الاسماعيلي •

ويعود ابو حاتم ثانية مشككا في التسلسل الاثنى عشرى فيقـــول (••• ثم ان علي بن موسى ايضا مات وليس له ولد بالغ وانما كان له ابـــن واحد وهو محمد بن علي وهو ابن سبع سنين لا تجوز الامامة به ولا تحـــل الصلاة خلفه ولا تحل ذبيحته ولا تقبل شهادته ولا يؤتمن على ماله ولا يقـــام عليه حد ومع ذلك فاختلافهم في عقبه وانقراض نسل من ادعى له الامامة من ولده باتفاق من الامامية الا" دعاوى لاتصح ولابرهان عليها ولا بينة فيها)(٢٨) •

ان حديثه عن محمد بن علي بن موسى بهذا الشكل حيث لا يعتـــرف بامامته لانه لم يبلغ السن القانوني التي تسمح له بهذه الامامة يمتد الى الامام الثاني عشر محمد بن الحسن المنتظر الذي تؤكد الروايات ان اباه قد توفي ولا زال صغيرا يتراوح عمره بين الخامسة او يزيد قليلا • كل هذه تؤكد ان ابا حاتم كان فاطمي المذهب •

ثقـافته ومؤلفـاته :

لقد أكد أكثر من مؤلف أن أبا حاتم الرازي كان داعية اسماعيليا وذهب بعضهم الى أنه من أكبر دعاة هذه الحركة ، وان مهمة الدعاة لهذه الفرقة تقتضي أن يلم الداعي بصنوف المعرفة الدينية واللغوية والفلسفية والتاريخية وأحوال الناس وميولهم وكيفية الاتصال بهم وكسبهم وضرورة معرفة أكثر من لغـــة

---

(٢٧) المخطوطة : ص ٢٣٢ •
(٢٨) المخطوطة : ص ٢٣٣ •

ليكون قادرا على التحدث وقادرا على اختيار المواقف المناسبة لكسب الانصار •

وقد أشار أكثر من مؤلف الى شهرة أبي حاتم العلمية ، فقال فيه الحافظ (ان أبا حاتم ••• كان من أهل الفضل والادب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيرا وله تصانيف)[٢٩] • وقد اشتهر في اللغة شهرة كبيرة حتى وصفه السيوطي (••• بأبى حاتم اللغوي وقد أصبح كتاب الزينة عند السيوطي مرجعا للالفاظ الدخيلة في القرآن)[٣٠] وقد أشار الدكتور ابراهيم أنيس الى أهمية القسم المتعلق بألفاظ اللغة ومعانيها بقوله (••• كتاب في البحث الدلالي اعتبر عمدة الباحثين في العصور التي جاءت بعده ورغم ان ما اشتمل عليه من ألفاظ اعدت للشرح والتفسير في حدود اربع مئة لفظ فان هذا الكتاب لاصالة بحثه وقدم عهده يعد خير مرجع لشرح هذه الالفاظ)[٣١] •

ولم تكن اللغة هي المجال الذي برز فيه ابو حاتم انما كان قد برز في مجالات المعرفة الاخرى ، وتنهض اسماء الكتب التيألفها دليلا على تفرع معرفته وعمقها ومن هذه المؤلفات (١ ـ كتاب اعلام النبوة ، ٢ ـ كتاب الاصلاح ، ٣ ـ كتاب الرجعة ، ٤ ـ كتاب الجامع ، ٥ ـ كتاب الزينة)[٣٢] •

ويعلق الدكتور حسين الهمداني على هذه الكتب قائلا (أما كتاب أعلام النبوة وكتاب الاصلاح وكتاب الزينة ••• توجد مخطوطات هذه الكتب في مكتبتنا المحمدية الهمدانية وأما كتاب الرجعة فقد ذكره المؤلف في كتاب الزينة ولم نعثر عليه وكذلك كتاب الجامع فاننا لم نعثر عليه)[٣٣] •

ان هذه المؤلفات تشير عناوينها الى اهتمامات أبي حاتم الدينية والفلسفية وقد يكون هناك عدد آخر من مؤلفاته قد فقد في حومة النزاع المذهبي بين الفرق الاسلامية ولم نعثر عليها •

---

(٢٩) الحافظ : لسان الميزان ج١ / ص ٥٢٣ •
(٣٠) كتاب الزينة : ص ٢٣ •
(٣١) الهمداني : كتاب الزينة ص ٨ ـ ٩ مقدمة بقلم الدكتور ابراهيم أنيس •
(٣٢) المصدر السابق : ص ٣١ •
(٣٣) المصدر السابق : ص ٣١ •

ومما يشير الى سعة معرفته مناقشته الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي المتوفى عام ٣١١ هـ والتي برز فيها اسلوب أبي حاتم العلمي وامكانيته في الحجة ودحض حجج خصمه(٣٤) وقد فصّل في كتابه أعلام النبوة الحجج الاساسية في اثبات النبوة بشكل يدل على سعة وعمق معرفته ، ولاشك أن موضوع النبوة يعتبر من أعقد المواضيع التي عالجها الفلاسفة فسقط من سقط منهم وضل من ضل الا أن أبا حاتم كان قد خرج في كتابه هذا من الامتحان ناجحا .

ويعلق الكرماني على مناقشات أبي حاتم وكتابه اعلام النبوة هذه بقوله (ان ابا حاتم الرازي في مقدمة العلماء الذين يجب ان تقرأ كتبهم قبل النظر في كتابه) (٣٥) .

كتاب الزينة :

يعتبر كتاب الزينة من أهم كتب ابي حاتم الرازي ، وقد اختلف الباحثون في عدد أوراق هذا الكتاب ، فقد ذكر ابن النديم (... وله كتاب الزينة كبير نحو أربع مائة ورقة)(٣٦) ، ويذهب مصطفى غالب الى رقم آخر فيقول (من أهم مؤلفات الرازي ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة)(٣٧) . وهناك فرق كبير بين ما ذهب اليه ابن النديم وبين ما ذهب اليه مصطفى غالب ، والذي يبدو أن الكتاب يتراوح بين أربع مائة وقد يزيد وقد ينقص وذلك بحسب طريقة الكتابة وحسب خط الناسخ .

لقد أكد الكتّاب أهمية كتاب الزينة فقديما قال فيه ابن النديم (كتاب جامع فيه فقه وغير ذلك)(٣٨) ، ويعلق الدكتور ابراهيم أنيس على القسم المتعلق باللغة والكلمات ومعانيها فيقول فيه (ان ما اشتمل عليه من ألفاظ اعدت للشرح والتفسير في حدود أربع مئة لفظ فان هذا الكتاب لاصالة بحثه

(٣٤) انظر كتاب الزينة ص ٣٠ .
(٣٥) المصدر السابق : الهامش ص ٣٠ .
(٣٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ .
(٣٧) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ .

وقدم عهده يعد خير مرجع لشرح هذه الالفاظ)[٣٩] ، وقد أكد الدكتور حسين الهمداني ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم أنيس في أهمية هذا القسم بقوله (وهذا الاتجاه ••• في منهج اللغويين واضح كل الوضوح في معالجة مسألة الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية ••• جمع المؤلف في كتابه بعض الاسماء التي وردت في القرآن والالفاظ التي اصطلح عليها المسلمون وذكر معانيها ومدلولاتها الجاهلية والاسلامية ، واستشهد على ذلك بالشعر المعروف وأورد فيها ما روى عن علماء العربية وأهل التفسير في تفسير كل كلمة)[٤٠] •

أما القسم الثالث من كتاب الزينة فهو المتعلق بأصحاب الاهواء والمذاهب وقد شمل من المخطوطة التي اعتمدنا عليها وهي مخطوطة المتحف العراقي الصفحات (١٩٤ ــ ٢٥٥) وهذا القسم يعتبر من أهم أقسام المخطوطة وقد اشار الدكتور حسين الهمداني الى أهميته بقوله (ان هذا القسم من الكتاب من أقدم المصادر لموضوع المذاهب الاسلامية)[٤١] ، ويذهب السيد عباس الهمداني الى اعتبار ما جاء بهذا القسم من ، رمات وآراء متعلقة بالفرق والمذاهب الاسلامية من أقدم الكتب التي كتبت في هذا الحقل ، كما انه يذهب الى اعتباره أقدم من كتاب فرق الشيعة للنوبختي فيقول (وينقل الكشي والطوسي في كتبهما عبارات للقمي وهذه العبارات لا تختلف عما جاء في كتاب فرق الشيعة للنوبختي • وقد أشار بروكلمان ••• ان هذه العبارات التي نقلها الكشي والطوسي من روايات القمي تدل على أن القمي والنوبختي كلاهما يستند الى « الاصل المشترك » • ونحن نرى ان هذا الاصل المشترك ما هو الا كتاب الزينة)[٤٢] •

ان وقفة ملية على هذا القسم المتعلق بالفرق الاسلامية مع مقارنته بكتب الفرق الاخرى تعطي الملاحظات والنتائج الآتية :

١ ــ قدم معلومات دقيقة وصادقة عن جميع الفرق الاسلامية التي كانت قد ظهرت في أيامه وقبل أيامه ، كما بيّن الفرق والمذاهب الاخرى التي

(٣٩) الهمداني : كتاب الزينة ــ المقدمة بقلم الدكتور ابراهيم انيس ص ٨ــ٩ •
(٤٠) المصدر السابق : ص ١٨ ــ ١٩ •
(٤١) المصدر السابق : ص ٢٣ •
(٤٢) المصدر السابق : ص ٢٣ ــ ٢٤ •

انشعبت عن تلك الفرق الاسلامية الاصلية وبيّن خصائصها والمبادىء الأساسية التي اعتمدتها ٠

٢ ـ لقد أكد بشكل دقيق كيف انشعبت هذه المذاهب والفرق والاهواء عن الفرق الاصلية ووضح الفروق الأساسية بين آراء ومذاهب هذه الفرق والاهواء عن الفرق الاسلامية ٠

٣ ـ قدم معلومات دقيقة عن كل فرقة ودعم هذه المعلومات بما كان لديه من معرفة واسعة في اللغة ساعدته في تفسير أساس كل فرقة وامتدادها اللغوي وصلتها بالقرآن والحديث وعلاقتها بالرسالة الاسلامية من جميع زوايا هذه العلاقة ٠

٤ ـ قدم معلومات دقيقة حول الفرق والمذاهب التي انشعبت عن الفرق الاصلية فهو في حديثه عن أهل السنة والجماعة يأتي بمعلومات يغني فيها القارىء عن الزيادة وكذلك الأمر بالنسبة للخوارج والشيعة وان كان بحثه في المعتزلة جاء مختصرا ، كما قدم معلومات عن الفرق التي تفرعت عن هذه الفرق بشكل واسع وشامل ٠

٥ ـ ان المعلومات الدقيقة التي قدمها عن الغلو والفرق الغالية تعتبر من أقدم المعلومات واصدقها واشملها فكان لمعنى الغلو وامتداده اللغوي وتفسير الآيات القرآنية بهذا الخصوص والاحاديث النبوية والتطبيقات العملية على الاشخاص والمواقف والفرق يدل دلالة أكيدة على طول باعه في هذا الميدان ٠

٦ ـ ان ما قدمه في موضوع التناسخ واقسامه يجعله من أقدم الباحثين الذين كتبوا في هذا المجال ، فهو بذلك أقدم من أبن سينا الذي كتب رسالته الاضحوية في أمر المعاد ، كما ان المعلومات الدقيقة التي قدمها ابو حاتم الرازي كانت الاساس للذين كتبوا من بعده في هذا الموضوع ٠

٧ ـ لقد حاول ابو حاتم الرازي أن يكون حياديا الى حد كبير في تقديمه المعلومات المتعلقة بالفرق الاسلامية وبالمذاهب والاهواء التي تفرعت عنها وكان حياده هذا واضحا من اختلاف المفسرين لمذهبه فكل ذهب الى اعتباره من مذهب معين على اختلاف هذه الاحكام مما يشير الى

حياده هذا ، وقد حاول ان يستعين بخبرته اللغوية ومعرفته في هذا الحقل الى جانب معرفته بأحوال الفرق وأحوال أصحابها ان يقدم صورة تكاد تكون كاملة في المعلومات وفي عدم التعصب والانحياز الى هذه الفرقة أو تلك مما يؤلف مصدرا من أهم المصادر في معرفة ودراسة أحوال الفرق الاسلامية ٠

٨ ـ وبالرغم من حياده هذا لم ينس مهمته كواحد من كبار المذهب الاسماعيلي فحاول بشكل دقيق وباسلوب غاية في الدقة والبراعة كي يقدم لمذهبه الصور التي أرادها ودفع بشكل غير مباشر أكثر من رأي وصورة اسماعيلية في ثنايا كتابه هذا فكان أمينا على مهمته مخلصا لرسالته ، وقد عرض لهذه الصور الاسماعيلية بشكل خالص وصاف وحاول ان يقلم ويزيل كثيرا مما علق في الصور الاسماعيلية من شوائب وزوائد جاءتها عن القرامطة وعن الغلاة الذين دفعوا بها الى طريقها المغالي المضاد ٠ وقد توضح موقفه هذا في دعم المذهب الاسماعيلي في الصفحات (٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧) من المخطوطة التي اعتمدناها « مخطوطة المتحف العراقي » ٠

لقد شمل هذا القسم المواضيع الآتية :

معنى أصحاب الاهواء والمذاهب ، أصحاب البدع وقد قدم معلومات دقيقة في معنى البدعة وعلاقة أصحاب الاهواء والنحل في ذلك ، وتحدث عن معنى السنة والجماعة وقدم في هذا الباب معلومات دقيقة وشاملة بحيث ظن الكثير انه واحد من أهل السنة اذ جاء بجميع حججهم وجميع ما يدعم موقفهم من أحاديث وتفسيرات لها ٠

وتحدث عن معنى المناصب وربط بين المرجئة وبين المناصبة وقدم معلومات دقيقة وجديدة في معنى المرجئة وقد اعتبر المرجئة هم المخالفون والمناقضون للشيعة والذين رفضوا امامة الامام علي ٠ ويتبين من حديثه عنهم انه يحاول ان يحملهم مسؤولية هذه المناصبة ويعتبر موقفهم موقفا يبعدهم عن جانب من جوانب العقيدة الاسلامية ٠

وتحدث عن ألقاب الفرق في الاسلام فأشار الى معنى الشيعة وفصّل في

ذلك تفصيلا واسعا كما فصّل في معنى المرجئة واطنب في ذلك وتحدث عن أصحاب الحديث وفرقهم واعتبر فرقا من المشبهة من أهل الحديث والسنة خلافا لما ذهب اليه أصحاب الفرق أمثال البغدادي والشهرستاني وابن حزم والاشعري ، واعتبر الجهمية من أصحاب الرأي ضمن أهل السنة والجماعة ثم تحدث عن الرافضة وأصل هذه الكلمة وتطبيقاتها العملية ، كما تحدث عن معنى القدرية وعلاقاتها بالمعتزلة وتحدث باختصار عن حركة الاعتزال ، ثم تناول الخوارج واطلق عليهم اسم « المارقة » كما تحدث بتفصيل واسع عن اسماء هذه الفرقة وعن أشخاصها وعن كثير من آرائها ومواقفها بشكل يشير الى المامه من ناحية والى رغبته في تقديم صورة باهتة عنهم ، كما تحدث عن الفرق التي توزعت اليها حركة الخوارج الا ً انه لم يقدم جميع هذه الفرق انما ذكر الفرق الرئيسية منها .

وتحدث بشكل مفصل ودقيق عن ألقاب فرق الشيعة واستعرض بشكل شامل الفرق التي انشعبت عن فرق الشيعة ، فذكر منها : الناووسية والشمطّية والفطحية والاسماعيلية ، وقد فصل فيها ، المباركية والخطابية والواقفة والممطورة والقطعية والطاحنية ، ثم وقف عند الفرق التي قالت بأمامة الحسن ، ثم استعرض بتفصيل فرقة الكيسانية والكربية والبيانية والهاشمية والحارثية والعباسية والرزامية والهريرية والراوندية .

ثم وقف عند الزيدية وقفة ليست بالقصيرة وأشار الى فرقها ومنها الجارودية والسرحوبّيه كما تحدث عن فرقة العجلية والمغيرية .

ووقف وقفة دقيقة عند معنى الغلاة وقدم توضيحا لهذه الكلمة وتطبيقاتها ثم ذكر الفرق الغالية فاعتبر السبأية والمعمرية والعلبائية والعينية والميمية والمخمسة من الفرق الغالية ، ثم تكلم بدقة عن معنى التناسُخ واصنافه وقدم في هذا المجال معلومات وافية ، ثم تحدث عن أصحاب الرجعة وأساس هذه العقيدة بشكل دقيق ومفصل .

من كل هذه المواضيع التي عالجها بالدقة والشمول الذي يراه القارىء لهذه المخطوطة ، يكون مصداقا لما ذهبنا اليه في أهمية القسم المتعلق بالمذاهب والفرق من كتاب الزينة ، كما يؤكد ما ذهب اليه الاستاذ عباس الهمداني من

ان هذا القسم يعتبر من أقدم ما كتب في موضوع الفرق الاسلامية وان من جاء بعده أو من عاصره قد أخذ من هذا الكتاب واستفاد منه •

لقد كان لكتاب الزينة الذي أصدره الدكتور حسين الهمداني الفضل الاول في تنبيهنا الى ما في كتاب الزينة الاصلي من معلومات حول الفرق والمذاهب الاسلامية ، ولما كان كتابي يتعلق بموضوع الفرق الغالية وجدت ان ما في كتاب الزينة من معلومات وآراء حول المذاهب والنحل والفرق الاسلامية يكون مادة جديدة الى جانب الكتاب ، حيث ان المعلومات التي ثبتها ابو حاتم الرازي تعتبر من أقدم وأوسع المعلومات في هذا الحقل ، ولما كان الدكتور الهمداني قد وقف عند القسم الاول والثاني من هذه المخطوطة فقد وجدت من المفيد الوقوف عند القسم الثالث وتحقيقه واخراجه لعلّ في ذلك خدمة للمعرفة ، ولعل في ذلك توضيحا للبحث الذي أتقدم به •

لقد أشار ابن النديم الى كتاب الزينة ، كما اشار غيره اليه ، وقد عمل الدكتور حسين الهمداني مشكورا على توضيح المخطوطات المختلفة لكتاب الزينة وأماكنها بشكل أعطى صورة دقيقة حول مناطق وجود هذه المخطوطات وما يتعلق بها من أوصاف ومن أشكال •

ومن هذه النسخ التي أشار الهمداني اليها (١ ــ نسخة محفوظة في المكتبة الهمدانية « بسورت الهند » ، كتبت بخطوط مختلفة من أصل يمني ••• وهي تقع في ٣٩٥ صفحة وعدد الاسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط ومتوسط الاسطر ٢٥ سطرا في الصفحة الواحدة ، ٢ ــ نسخة اخرى محفوظة بخزانة الامير ••• عبد الله حكيم الدين بمدينة سورت الهند ••• ويبدو ان هذه النسخة والنسخة السابقة استنسختا من أصل يمني مشترك ••• ٣ ــ ونسخة محفوظة بمكتبة الامام يحيى المتوكل على الله بصنعاء اليمن تحت رقم ٦٣ آداب ••• وهي تقع في مئة وخمس عشرة ورقة ، ٤ ــ نسخة محفوظة بمكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء تحت رقم ٤٥ لغة ، وتوجد منها بدار الكتب المصرية نسخة مصوّرة تحت رقم ٣٣٦ ج وهي ناقصة من أولها ومن آخرها ، ٥ ــ نسخة محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء

تحت رقم ٤٦ لغة ، وبدار الكتب المصرية نسخة مصورة منها تحت رقم ٤٣٣٧ ج ، ٦ ـ نسخة محفوظة بالمتحف العراقي ببغداد تحت رقم ١٣٠٦ ، وتوجد بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة منها مصورة على الشريط المصغر « الميكرو فيلم » كبّرت منها نسخة لمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٤٠١• وهذه النسخة ناقصة من أولها ومن آخرها)[٤٣] •

ولقد اعتمدت نسخة المتحف العراقي وهي مكتوبة بخط واضح حينا وغير واضح أحيانا ، وتقع هذه النسخة في أربع مئة وخمس وثمانين صفحة ناقصة من أولها ومن آخرها ، وقد كان معدل الاسطر في الصفحة الواحدة يتراوح بين ٢١ الى ٢٢ ، ويبدو انها مكتوبة بخط يعود الى خطوط القرن السادس الهجري ، وقد استعنت في تفسير وتوضيح بعض الكلمات الغير الواضحة بنسخة دار الكتب المصرية •

وقد بذلت جهدا خاصا في القضايا المتعلقة بالفرق والمذاهب ، أما ما كان متعلقا بالاشعار والكلمات التي ليست لها علاقة بموضوع الفرق فقد كان اهتمامي بها اهتماما قليلا حيث ان كتابي والمخطوطة متعلقان بموضوع الفرق أكثر من المواضيع الاخرى ، فرأيت الاهتمام بهذا الجانب أكثر من بقية الجوانب •

---

(٤٣) انظر كتاب الزينة : القسم الاول ص ٣٣ ـ ٣٦ •

نص المخطوط

أصحاب الأهواء والمذاهب

قال أبو عبيد في قول الله عزّ وجل « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل »(٤٤) قال يروى عن الشعبي قال (مــا)(٤٥) ذكر الله هوى في القرآن الاّ ذمّه • يعني مثل قوله «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله(٤٦)» وقوله « واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٤٧) ••• ومثله كثير في القرآن ، ولم نجد الهوى يوضع الاّ موضع الشر ، ليس هو بهذا الخير ، انما يقال في الخير بأنه الارادة والنية ، وفي الشر بالهوى ••• وذلك بيّن في غير حديث •

وروى باسناد له عن ميمون بن مهران قال « اياكم وكل هوى يســمّى بغير الاسلام » وفي حديث آخر قال : قال رجل لابن عباس : « الحمد لله الذي جعل هواي على هواك » • قال ابن عباس : كل هوى ضلالة •

وعن أبي ولابة قال : ما وجدت مثل الأهواء الاّ مثل النفاق ، فان الله عزّ وجل ذكر النفاق بقول مختلف الاّ ان جماع ذلك ضلال •

وقال بعض العلماء : الهوى اله معبود ، وذكر الآية « أرأيت من اتخذ إلاهه هواه »(٤٨) وكل من عبد غير الله فقد عبد هواه ، لأن عبادته لا تغني عنه شيئا • ويقال لأن عبادته تهوى به في جهنم •

وقال آخر : أصحاب الاهواء سمّوا بذلك لان الأهواء تهوى بهم في جهنم • وانما قيل له هوى ، لأن صاحبه يجيل فكره فيه ولا يستقر على شيء

(٤٤) الآية ٧٧ من سورة المائدة •
(٤٥) في الاصل بياض وسياق الكلام يدل على أن الكلمة هي « ما » •
(٤٦) الآية ٥٠ من سورة القصص •
(٤٧) الآية ٢٨ من سورة الكهف •
(٤٨) الآية ٤٣ من سورة الفرقان •

ولا يعتمد على أصل ثابت ،فهو يتقلد أبدا لانه لم يجد الحق ، فاذا وجد الحق وطريق النجاة استقر وثبت عليه فلا يهوى •

وروى عن محمد بن علي[٤٩] عليه السلام انه قال « ان النفس لا تـزال تتردد بين الحلق والتراقي حتى تجد الحق ، فاذا وجـدت الحـق اطمـأنت وسكنت » فهكذا سبيل أصحاب الأهواء لايزالون يتنقلون من فرقة الى فرقة لا يستقرون ، فهم يهوون أبدا لا يستقرون على شيء ••• فقيل : هو صاحب هوى ، أي : صاحب لاشيء •

والهواء ، في كلام العرب ، هو لاشيء • قال الله عزّ وجل « وأفئدتهـم هواء[٥٠] » •• أي : لا تعي شيئا • قال زهير :

كأنّ الرّحل منها فوق صعـل[٥١] من الظّلمان جؤجؤه[٥٢] هـواء[٥٣]

ولذلك يقال : هوى الرجل المرأة يهواها •• لأن قلبه يهوى أبدا لا يستقر الاّ عليها ، فاذا وجدها وتمكن منها سكن واطمأن • قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبـا فارغـا فتمـكنا

يعني انه لم يعرف حبا قبل أن يعلّق قلبه بحبها ، فكان يهوى أبدا ثـم استقر على محبتها • ولم يزل لأنه لم يهو غيرها ، فكان يجول في هواه الأول •

والهوى ، في الدين ، مقصور •• والهواء الذي بين السـماء والأرض ممدود •

قال الله عزّ وجل : « واتبعوا أهواءهم » [٥٤] •• وهما جميعا مشتقان من معنى واحد ، ففرّق بينهما بالمدّ ليدل كل اسم على معناه •

---

(٤٩) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية •
(٥٠) آية ٤٣ سورة ابراهيم •
(٥١) صعل : الدقيق الراس من النعام (المنجد ، مادة : صعَل) المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٤
(٥٢) الجؤجؤ : الصدر من السفينة والطير (المنجد مادة جأجا) .
(٥٣) ديوانه : دار الكتب ١٩٤٤م •
(٥٤) الآية ١٤ من سورة محمد •

والهوى ضد الرأي ، لأن صاحب الهوى لا رأي له • وكل من عمل عملا بلا مشورة قيل : يعمل بهواه لا يعتمد على رأي غيره ومشورته •• فاذا قلت في الدين فان الهوى ضد السنّة وانه اتبع هواه ولم يعتمد على سنّة تقدمت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ولا استقر على أصل ثابت فهو يهوى في الضلالات ويتردد في الشبهات لا يحصل على شيء ولا ينتفع بعمل ، وتكون عاقبة أمره أن يهوى في النار •

وأما أهل المذاهب ، فواحد المذاهب مذهب ، وهو مشتق من ذهب يذهب اذا أخذ في وجه من الوجوه ، وذهب فيه • والمذهب : الوجه الذي تأخذ فيه وتمضي وتتجنب سواه • قال علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب(٥٥)
ولم يك حقا كل هذا التجنب

وقال آخر :

قال الغواني ما ذهبت مذهبا
وعبنني ولم أكن معيّبا

فمن اختار بهواه شيئا وشذّ عن الجماعة فقد أخذ في مذهب •

والمذاهب : الفرق ، والمذهب مذموم ، والفرقة مذمومة ، ولا يجوز أن يقال اني على مذهب كذا ، وأنا من فرقة كذا الاّ على المجاز • يقال أنا على مذهب الحق ومن فرقة الحق ••• لأن الحق يجمع المذاهب والفرق كلّها ••• فصاحب الحق ثابت على الجماعة ، لم يأخذ برأيه في مذهب ولم يختر فرقة ولكنه ثبت على الجماعة •

أصحاب البدع

البدع ابتداء احداث ما لم يكن له من قبل ذكر ، ولا جرت به سنّة • وأبدع الشيء اذا أحدثه من غير مثال تقدّمه ، ومنه بديع السموات

---

(٥٥) ديوانه •

والارض[٥٦] ••• معناه : مبدعهما • هو فعيل بمعنى مفعل وفي معنى فاعل ، لأنه عزّ وجل أبدع الخلق من غير مثال سبقه أو تقدمه •• فكذلك من أبدع شيئا لم يتقدمه فيه امام فهو مبدع ومبتدع • قال الله عز وجل « قل ما كنت بدعا من الرسل » [٥٧] ••• يعني : لست اول من بعثه الله من الانبياء ، قد خلت من قبلي انبياء ورسل • تصديقه قول الله عز وجل « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل [٥٨] » • قال الله عز وجل « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم» [٥٩] أي : لم تجر بها من الاله سنة ولا توقيت ، بل ابتدعوها من عند انفسهم •

وتقدير البدعة من الفعل : الفعلة ••• مثل الركبة والجلسة والجهة ، التي منها يركب ومنها يجلس • ويقال : جاءنا من بديع ، وأتانا بالبدائع ••• اذا جاءنا من محدث عجيب لم يعرف قبل ذلك • قال الشاعر :

غوى أشعثي يبتغي فيك بدعة
سقى الله من اصحاب تلك البدائع

يعنى : عبدالرحمن بن محمد الاشعث ، وكان خرج على الحجاج • والبدعة كل محدثة • وقال آخر :

ما زال طعن الاعادي والوشاة بنا
والطعن امر من الواشين لابدع

وقال القطامي : [٦٠]

اذن لهلكت لو كانت صغارا
من الاخلاق تبتدع ابتداعا

(٥٦) الآية ١١٧ من سورة البقرة •
(٥٧) الآية ٩ من سورة الاحقاف •
(٥٨) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران •
(٥٩) الآية ٢٧ من سورة الحديد •
(٦٠) ديوانه ٣٧ طبع بيروت ١٩٦٠ بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب •

تبدع : تستحدث • يقال : سقاء بديع اذا كان جديدا • والبدعة ، في الدين ، كل محدث يحدث بعد رسول الله صلى الله عليه مما ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله •• وانما قيل لها بدعة لانه ليس لها مثال من الرسول ولا سيرته ، فهو مخترع مبتدع مبتدأ به • يقال : ابدع الرجل بدعة ، وابتدع فهو مبدع ومبتدع • وقوم مبدعون ومبتدعون ••• والابداع المصدر ، والبدعة الاسم لما ابدع من الدين وغيره • والبدعة ضد السنة لان السنة ما تقدم به امام •

قال الشاعر :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها

فكل امر من امور الدين تقدمت به سنة وامام ومثال يقال له سنة ، وما احدثه الناس من غير امام ولا مثال بعد رسول الله صلى عليه فهو بدعة • وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله « كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، وفي حديث علي عليه السلام ان رجلا قال له : يا أمير المؤمنين ! •• اخبرنا عن البدعة والسنة ، فقال : السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه ، والبدعة ما احدث من بعده • وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أدنى الشرك ان يبتدع الرجل رأيا فيحب عليه ويبغض » وقال « من رد على صاحب بدعة بدعته فهو في سبيل الله » وقال « ان عند كل بدعة تكون بعدي يكايدها الايمان ، ولنا من أهل بيتي موكلا يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق ، وبنوره يذب كيد الكائدين » يعبر عن الضعفاء ، فاعتبروا يا أولي الألباب وتوكلوا على الله ، فالمبتدع في الدين ضال هالك استوجب اسم الشرك لقول رسول الله صلى الله عليه « ادنى الشرك ان يبتدع الرجل رأيا فيحب عليه ويبغض » ولانه ضاد الله في فعله وتحلى بصفته ، والله عز وجل مبدع ••• لانه ابدع الخلق بغير مثال ، فمن ابتدع في الدين امرا من غير مثال فقد ضاد الله وناوأه وضل عن سنة رسول الله صلى الله عليه لتركه سنته وابتداعه البدعة واحداثه ما لم ينطق به كتاب ولا جرت به سنة ، فهو مشرك ، ضال ، هالك في النار •

معنى السنّة والجماعة

الجماعة : مأخوذ من الاجتماع والمجامعة على أمر واحد ورأي واحد وشكل للسنة وقرين لها • يقال : فلان من أهل السنة والجماعة اذا كان متمسكا بسنة رسول الله صلى الله عليه تاركا لما ابتدعه المبتدعون بعده ثابتا مع اهل الجماعة الذين اجتمعوا على امام هاد جامع لهم •

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه قال « افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وسائرها هالكة » • قيل : يارسول الله ومن الفرقة الناجية ؟ • قال : اهل السنة والجماعة • قيل : فمن اهل السنة والجماعة ؟ • قال : ما انا واصحابي عليه اليوم •

وضد الجماعة : الفرقة ••• لان الجماعة نعت لقوم مجتمعين على امام واحد لا يتفرقون عن امره ولا يختلفون عليه في رأيه متمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه •

وأهل الفرقة متفرقون في اهواء شتى وآراء مختلفة متبددون متلاعنون يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا • والفرقة نعت لهم • وفي حديث علي صلوات الله عليه ان رجلا سأله ، فقال : اخبرنا عن اهل الجماعة ، ومن اهل الفرقة ، ومن اهل السنة ، ومن اهل البدعة ؟ • قال : اما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وان كثروا ، واما اهل البدعة فالمخالفون لامر الله عز وجل وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه ؛ العاملون بآرائهم واهوائهم وان كثروا ، واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وان قلوا •

وقال بعض العلماء : لا تكون الجماعة الا بجامع موفق مسدد بتأييد من الله عز وجل ونصر منه وخلافة من رسول الله صلى عليه ، وان لم يكن له من الله عز وجل نصر وتأييد ومن رسوله خلافة فهو رأس الفتنة لمن اتبعه من اهل الفرقة والبدعة والاختلاف ••• لان الله عز وجل قال « واعتصموا بحبل الله

جميعا (٦١) » فحبل الله أمانه وعهده وكتابه . قال النبي صلى الله عليه وسلم « كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض طرف منه بيد الله وطرف منه بايديكم » فالحبل : العهد والامان . قال الله عز وجل « الا بحبل من الله وحبل من الناس (٦٢) » قال المفسرون : عهد من الله وعهد من المؤمنين . واهل الفرقة والاختلاف خارجون عن الجماعة والسنة وان كثروا لانهم لم يجتمعوا على مؤلف جامع مؤيد من الله ، فقولهم باطل وعملهم ضائع وامرهم منتشر . واهل السنة والجماعة مجتمعون على امام واحد مؤيد جامع لامورهم ... فهم على نظام واحد متسقون ، متصلون ، متآخون في الله . لان الامام لهم بمنزلة النظام الذي قد نظمهم ، والامام في كلام العرب : النظام ، والمثال الذي يؤلف بين المختلفين ويجمع شمل المتفرقين ، وهو لهم مثال وقدوة . قال لبيد (٦٣) :

وكنت امامنا ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنظام

فكما يحفظ النظام الخرز والجزع ان ينتشر ، فكذلك الامام يحفظ اهل الجماعة ويضمهم على سنة رسول الله صلى الله عليه من ان ينتشروا ويتبددوا ويتفرقوا لا يستغنون عنه طرفه عين والا تفرقوا والاضاعوا وهلكوا وتفرقوا تفرق الجزع والجواهر اذا انقطع نظامها . وقد وصف الله اهل الجماعة في كتابه انهم مؤتلفون مجتمعون على كلمة واحدة قد ألف بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم . فهذا في اصحاب رسول الله صلى الله عليه الذين قال فيهم انهم اهل السنة والجماعة حيث يقول : ما انا واصحابي عليه اليوم . واما اهل الفرقة فهم اضداد لاهل الجماعة فهم وان اجتمعوا بابدانهم فانهم متفرقون بآرائهم . متبددون في مذاهبهم واهوائهم ... وبهذا وصفهم الله عز وجل ، فقال « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » (٦٤) فهذا في من خالف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .. فلما جرت السنة من هذه في اهل الجماعة الذين ثبتوا على الجماعة وتمسكوا بالسنة فكذلك جرت السنة في من كان مخالفا لاهل الجماعة

---

(٦١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٦٢) الآية ١١٢ من سورة آل عمران .
(٦٣) ديوانه بشرح احسان عباس ص ٢٠٩ طبع وزارة الارشاد في الكويت ١٩٦٢م .
(٦٤) الآية ١٤ من سورة الحشر .

والسنة ، فانهم وان كانوا في ظاهر امرهم مجتمعين على امر واحد فانهم متباينون متباغضون متشتتون يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم بعضا لانهم يتأولون الكتاب بآرائهم ويقيسون الدين بمذاهبهم ، فمن استحسن رأيا اخذ به ، لا يرجعون الى امام مؤيد ، ولا يفزعون الى عالم موفق ، بل اعتمدوا على عقولهم، وعولوا على اختياراتهم ، فان اصابوا خافوا ان يكونوا قد اخطأوا ، وان اخطأوا ظنوا انهم قد اصابوا ... كما وصفهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لم يلجأوا الى حصن منيع فيمتنعوا ، ولم يأووا الى ركن وثيق فيحترزوا ، ولا قائد لهم فيهديهم ، ولا هادي لهم فيرشدهم ... فهم سدى مهملون كأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل حيث يقول « ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٦٥) ولا قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حيث يقول « من مات ولا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ، نعوذ بالله ممن هذه حاله ، فهذه صفة اهل القرية الذين لا راعي لهم ، ولا امام عليهم . واما اهل الجماعة فقلوبهم مؤتلفة وآراؤهم مجتمعة ... قد تمسكوا بامام مؤيد مسدد مطهر يرجعون اليه فيما يلتبس عليهم من امر دينهم فيخرجهم من ظلم العمايات ، ويزيل عنهم الشكوك والشبهات عاملا بكتاب الله آخذا بسنة رسول الله صلى الله عليه .. بنوره يستضيؤون ومن علمه يقتبسون وبه يقتدون ، يعيشون علماء ، ويموتون هادين مؤمنين ، ابصروا نور الهدى فاهتدوا ، وعرفوا الضلال فنجوا ، يعرفون في دنياهم بهاديهم ، ويدعون في الآخرة بامامهم ، فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ، لو انصفوا لنجوا ولو تركوا العناد لاستراحوا ، ولو تدبروا لعلموا ان الناس لا يصلحون بلا هاد ولا يستقيمون بلا امام ولا قائد الا من اهتدى وعرف الطريق فهدى ، . ولا امام الا لمن علم به وائتم به المسترشد فسلم ، وقد قال الأفوه (٦٦) :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

---

(٦٥) الآية ٣٦ من سورة القيامة .

(٦٦) هو الأفوه الأودى : أنظر : ديوان الافوه ص ١٠ بتحقيق عبدالعزيز الميمني القاهرة ١٩٣٧ .

ومن تبع الاهمال هو اعذر ممن يأتم بالجهال ... بل هما جميعا ملومان، والمعذور من وجد الامام العادل فاهتدى ، وتعلم فوعى ، وتعلق بحجزة هاد فنجا ... فان الارض لا تخلو من امام عالم حجة لله على خلقه : كلما مضى سلف قام مقامه خلف ، هم الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلين وتأويل الغالين وانتحال المبطلين » ، وهم الذين وصفهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه حيث يقول : « لا تخلو الارض من قائم بحجة : اما ظاهر ناطق واما خائف مغمور لكي لا تبطل حجج الله وبيناته ، فهم ائمة الهدى ومصابيح الدجى » ، وهم كما قال الاول :

كواكب دجن (٦٧) كلما انقض كوكب
بدا ــ وانجلت عنه الدجنة ــ كوكب

وكما قال الآخر :

اذا مقرم منا ذرا حد نابه
تخمط فينا ناب آخر مقرم(٦٨)

واما الجماعة التي تدعيها العامة من الناس فأصل ذلك اجتماعهم على أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله ، ثم على عمر ، ثم على عثمان ، ثم على علي ... فقيل لهم : اهل الجماعة . وكان هذا الاسم لان مآلهم بعدخروج علي عليه السلام واصحاب الجمل واهل الشام حتى قتل علي عليه السلام ، فلما قتل وكثرت الفتن بخروج الحسن ، ثم بخروج الحسين ، ثم بعد ذلك ايام ابن الزبير والخوارج ... كان السواد الاعظم وعامة الناس مجتمعين على بني امية ايام معاوية ، وبعده على ولده ، ثم بعد ذلك على بني مروان ... فادعت العوام من التابعين هذا الاسم ،وقالوا نحن اهل الجماعة .. من خالفنا فقد شق العصا ، وخالف الامة ، وترك السنة . ونحن اهل السنة والجماعة ، يعنون انهم مجتمعون على امام واحد مع اختلافهم في المذاهب والآراء ، وابتداعهم الاهواء الكثيرة ، واقامتهم على التنازع والتشاجر بينهم في الاحكام والفرائض،

---

(٦٧) دجن : بمعنى الظلام .
(٦٨) مقرم : المقرم هو الكبير العظيم .

وتكفير بعضهم لبعض ، وتبرؤ بعضهم من بعض ••• يعنون بذلك اجتماعهم على ولاية من وليهم من الولاة برا كان ام فاجرا ، ومعاونتهم من غلب وقام بالامر من غير معنى اجتماع على دين ، بل معناهم التفرق في المذاهب،والابتداع في الاهواء ••• الا ان الاكثر والاغلب الذين يقال لهم السواد الاعظم فرقتان يقال لهما : اصحاب الحديث ، واصحاب الرأي ثم لهم — بعد ذلك — ألقاب كثيرة لكثرة آرائهم قد لقبوها بعضهم بعضا ، ونسبوا الى رؤسائهم • ونحن نذكر ألقابهم ، بعد ذلك ، ان شاء الله •

معنى المناصب

يقال : مناصب وناصب ، واكثر ما يلزم هذا اللقب المرجئة الذين يبغضون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم • يقال لهم : هؤلاء مناصبون ونواصب ، ورجل مناصب ، ورجل ناصب • وهو مشتق من « نصب ينصب » • فاما المناصب فهو المفاعل ؛ والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين • ويقال ان رسول الله صلى الله عليه نصب عليا واشار اليه ، وامر الناس بموالاته يوم غدير خمّ • كما روى في الحديث انه حين انصرف من حجة الوداع ، وترك الجحفة على الغدير ••• جمع اليه اصحابه ثم مال الى جنب دوحة ، فخطب الناس وقال « ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم » قالوا : اللهم •• نعم • فأخذ بيد علي ، فرفعها ، وأقامه للناس ، ثم قال « من كنت مولاه فعلي مولاه ••• اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ••• اللهم ، اني قد بلّغت » •

وروت الشيعة عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال « ان الله اوحى الى نبيه صلى الله عليه ، وامره ان ينصب لهم عليا اماما يقتدون به من بعده • فخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول الناس انه جاء بابن عمه ، فأوحى الله اليه تبارك وتعالى : « يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (٦٩) • فقام يوم الغدير ، فنصب

---

(٦٩) الآية ٦٧ من سورة المائدة •

لهم عليًا ، وذكر الحديث . قال، فانزل الله : «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٧٠) قال «فطاعة علي آخر فريضة نزلت من فرائض الاسلام ، وبها أتم الله النعمة وأكمل بها الاسلام » .

ورووا في ذلك اخبارا كثيرة ، وقال فيه (٧١) شعراؤهم .

وقال السيد (٧٢) بن محمد في ذلك :

ثم أتته بعد ذا عزمة (٧٣)
من ربه ليس لها مدفع
فقام في الناس النبي الذي
كان بما قيل له يصدع
مقام مأمون وفي كفّه
كفّ عليّ لهم يلمع
كفّ له أكرم بكفّ الذي
يرفع والكفّ الذي يرفع
من كنت مولاه فهذا له
مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

وقال في ذلك أيضا :

وبخُمّ إذ قال الامين بعزمه :
قم يا محمد بالولاية فاخطب
وانصب أبا حسن لقومك انه
هاد وما بلّغت ان لم تنصب
فدعاه ثم دعاهم فأقامه
فيهم فبين مصدّق ومكذب
جعل الولاية بعده لمهذب
ما كان يجعلها لغير مهذب

(٧٠) الآية ٣ من سورة المائدة .
(٧١) في الاصل : وقال فيهم ـ والصحيح من السياق « وقال فيه » .
(٧٢) السيد بن محمد : هو السيد الحميري .
(٧٣) في الاصل : حتى اذا اتته عزمة تتله . والصحيح ثم أتته بعد ذا عزمة .

والحديث مشهور قد رواه الخاصة والعامة ، وروت الشيعة في قراءتهم ان جعفر بن محمد رضي الله عنه قرأ الآية في « ألم نشرح » : فاذا فرغت فانصب . بكسر الصاد ، وقالوا : اذا فرغت من اكمال الشريعة فانصب لهم عليا اماما . واما القراءة المشهورة التي عليها الامة « فانصب » بفتح الصاد ، وفسروها : اذا فرغت من الصلاة فانتصب للدعاء . فقالت الشيعة : لما امر الله عزوجل بذلك نصب النبي صلى الله عليه عليا واشار اليه وأهله للامامة، وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، فمن نازعه في الامامة ، ودعا الى مخالفته ، ونصب اماما بازائه غيره فقد ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله لانه نصب عليا ، وهذا نصب غيره وخذل عليا وعاداه وترك نصرته ، وصار مع عدوه حربا عليه ، فهو له مناصب .. لانه ناصب النبي صلى الله عليه ، ففعل مثل فعله .

ونصبت الشيء معناه : اقمته ورفعته ودعوت اليه ، ومنه اشتق النصب الذي كان ينصب في الجاهلية ، لانه كان يرفع ويقام ويدعى اليه .

والمناصب المفاعل في غير هذا الموضع ، فاما الناصب فهو ايضا قريب المعنى من ذلك ... ان هذا ينصب غير محاك فعل غيره ولكنه لما لم يجد اماما يقتدي به نصب اماما اختاره برأيه من غير ان تقدمت به سنّة او جرت فيه من امام عدل اشارة .. بل نصبه اماما اختاره واطاعه بهواه .

ويقال : نصب ، فهو ناصب ، وتكون المناصبة في العداوة ايضا . يقال : ناصبه في العداوة ، ونصب له العداوة .. لان احدهما ينتصب لصاحبه بالخصومة والمنازعة يقال : نصب لي فلان نفسه اذا برز لي (٧٤) وانتصب لخصومتي (٧٥) . واصوله مأخوذة ايضا مما تقدم ذكره من امر النصب . وقال الكميت :

واحمل احقاد الاقارب فيكم ... وينصب لي في الابعدين وانصب

وقال ايضا في هذا المعنى :

فيهم كنت للبعيد ابن عم ... واتهمت القريب ايّ اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... ـبة اعراضهم وقلّ احتشامي

(٧٤) في الاصل: اذا برز له : والسياق اذا برز لي .
(٧٥) في الاصل : وانتصب لخصومته والسياق : وانتصب لخصومتي .

ذكر ألقاب الفرق فى الاسلام

اما الالقاب القديمة التي ذكرت على عهد رسول الله صلى الله عليه «و» [٧٦] جاءت «فيها» [٧٧] الاخبار عن النبي صلى الله عليه وعن الصحابة والتابعين فخمسة ألقاب هي : الشيعة والمرجئة والرافضة والقدرية والمارقة ... فهذه خمسة قديمة جاءت فيها الاخبار ، وسائر الالقاب حدثت من بعد ، وهي كلها ألقاب فرق انشعبت من هذه القرق الخمس ومرجعها الى هذه الفرق . اولها الشيعة .

معنى الشيعة

يقال ان الشيعة لقب لقوم كانوا قد ألفوا امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفوا به مثل سلمان الفارسي و « أبى » [٧٨] ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وغيرهم ... كان يقال لهم شيعة علي واصحاب علي ، وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه « اشتاقت الجنة الى اربعة سلمان وابي ذر والمقداد وعمار » ثم لزم هذا اللقب كل من قال بتفضيله بعده الى يومنا .

وانشعبت من هذه «الفرقة» فرق كثيرة سميت باسماء متفرقة والقاب شتى مثل : الرافضة والزيدية والكيسانية ... وغير ذلك من الالقاب ، وهم كلهم داخلون في جملة هذا اللقب الواحد الذي يسمى الشيعة على تباينهم في المذاهب وتفرقهم في الآراء . وشهر كل فريق بما ينتحله من المذهب وينسب اليه ، كما ان جميع فرق الاسلام قد عمهم اسم الاسلام ، وان كانوا مختلفين في مذاهبهم .

---

(٧٦) في الاصل بياض والسياق يقتضى اضافة « و » .
(٧٧) في الاصل : جاءت فيه ـ والسياق « جاءت فيها » .
(٧٨) في الاصل : وابو ذر والصحيح : ابى ذر .

قد عرفت كل فرقة بما تنتحله من المذهب ، فكذلك كل فرقة من فـرق الشيعة مخصوصون بلقبهم وقد عمهم اسم التشيع • ولم يرو في ذم اللقـب شيء من الاخبار اعنـي في التشيع ••• كمـا روى في المرجئـة والرافضـة والمارقة والقدرية •

ولم يلقّب أحد من المسلمين بشيء من الألقاب في حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا اشتهروا به الاّ اللقب الواحد ، وانما حدثت الألقاب بعد وفاته صلى الله عليه حين أبدعوا البدع وتفرقوا في الأهواء ، وقد كان لها ذكر قبل ذلك •

فأما الشيعة في اللغة فمعناه الفرقة • قال الله عزّ وجل « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا »[79] قال أبو عبيدة : معناه فرقا وأحزابا ، كل حزب بمـا لديهم فرحون ••• أي : كل شيعة وفرقة • ويقال : شاع الخبر في الناس •• اذا ذاع وتفرق • ويقال الشيعة : الأمة • قال مجاهد في قول الله تعالى « من كل شيعة » [80] قال : من كل امة • يقال : هو من شيعة فلان ••• اذا مشى معه ، وانما قيل شيعة فلان ••• أي الفرقة التي تبعتـه • قال الكسـائي : التشايع ــ عندهم ــ التعاون ، وقـال في قوله « من كل شـيعة » من كل متشايعين ، تشايعوا : تعاونوا • قال أبو عبيد : ومنه قيل للرجل الشـجاع مشيع • وقد يكون التشيع التفريق • قال : ومنه الحديث قيل لابن مسعود أو لسعد : ما يمنعك من كذا وكذا ؟ • قال : اني لأكره أن آتي نبي الله صلى الله عليه ، فيقول لي : شيّعت بين أمتي • قال : ومنه قوله « كانوا شيعا » قال : تفسيره فرقا : وقال في قوله « ثم لننزعن من كل شيعة » قال : معناه من كل من تشايع ، والمتشايع المتعاون • وقوله « أشد على الرحمن عتيا » قال : الأكابر فالأكابر • رواه باسناد له عن الاحوص عن عبدالرحمن • وقـال أبو عبيدة في قوله « شيع الأولين[81] » في أمم الاولين ، واحدتها شيعة ، وأولياء

(٧٩) الآية ١٥٩ من سورة الانعام •
(٨٠) الآية ٦٩ من سورة مريم •
(٨١) الآية ١٠ من سورة الحجر •

أيضا شيع . وقال في قوله « وجعل أهلها شيعا »[٨٢] ... أي : فرقا ، وأنشد للأعشى[٨٣] :

وبلدة يكره الجوّاب دلجتها   حتى تراه عليها يبتغي الشّيعا

أي الأصحاب والجماعات . وقال في قوله « أو يلبسكم شيعا » [٨٤] من الالتباس . شيعة وشيع : فرق . فهذا ما جاء في معنى الشيعة والتشيع . وكان الذين سمّوا شيعة علي ... لأنهم الفرقة «التي»[٨٥] تابعته وعاونته ، وكانت أمة معه . قالوا : وكان يقال لأنصار علي الشيعة ، ولأنصار معاوية الاحزاب . وقال الكُميت في ذلك :

أقبّل أيدي الأحزاب اني   الى الدنيا لمنقطع القرين

وقالوا في قول الله عزّ وجل « كل حزب بما لديهم فرحون »[٨٦] أي : كل فرقة . قالوا : والاحزاب : الذين تحزبوا[٨٧] على الباطل ، وصاروا مع المبطل على المحق . قال الله عزّ وجل « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله[٨٨] » وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجل « فان حزب الله هم الغالبون[٨٩] » أي : أنصار الله ... وأنشد لرؤبة :

وكيف أضوى وبلال حزبي

أضوى : استضعف . رواه أبو عبيدة أضوى بفتح الألف ، ورواه الاصمعي أضوى بضم الألف . فالشيعة تكون معرفة ونكرة . يقال : هؤلاء الشيعة اذا أردت به شيعة علي ، واردت به القوم المعروفين بالتشيّع . ويقال أيضا : هؤلاء شيعة فلان لمن أردت من الناس ، فيعرّف بالاضافة . فأما الحزب

---

(٨٢) الآية ٤ من سورة القصص .
(٨٣) ديوانه ص ٨٣ بتحقيق جاير ، لندن ١٩٢٨م .
(٨٤) الآية ٦٥ من سورة الانعام .
(٨٥) في الاصل « الذين » والصحيح « التي » .
(٨٦) الآية ٣٢ من سورة الروم .
(٨٧) في الاصل يحزبوا والاصح تحزبوا .
(٨٨) الآية ٢٢ من سورة الأحزاب .
(٨٩) الآية ٥٦ من سورة المائدة .

فانه لا يجيء الا نكرة . لا يقال : هؤلاء الحزب حتى تعرفه بالاضافة ، فتقول : حزب فلان ، واذا تكلست به على الجماعة فان الاحزاب قد تجيء معرفة ونكرة . قال الله عزّ وجل « ولما رأى المؤمنون الاحزاب » فجاء به على معرفة . والشيع اذا جمعته لا يجيء الا نكرة ولا يكون معرفة . قال الله عزّ وجل « شيع الأولين »[90] فعرّفه بالاضافة . ولا يقال : هؤلاء الشيع ... كما يقال : هؤلاء الاحزاب . والعلّة في هذا أن أهل الحق لا يكونون متفرقين ... انما تكون فرقة واحدة في اسم الشيعة اذا كان واحدا معرفة ، لأن أصحاب علي عليه السلام كانوا فرقة واحدة غير مختلفين ، فقيل لهم الشيعة ، ولم يقل لهم شيع ... فكأنّ أصحاب معاوية على الباطل فقيل لهم الاحزاب ، ولم يقل لهم الحزب . وهذا دليل على أن أصحاب علي هم أهل الجماعة ، وأصحاب معاوية هم أهل الفرقة .

معنى المرجئة

واما المرجئة فقد روى فيهم عن النبي صلى الله عليه أنه قال « المرجئة يهود هذه الأمة » . وروي عن محمد بن علي عليه السلام أنه قال « المرجئة بدّلوا سنّة الله ظاهرها وباطنها ، وهم يهود هذه الامة ، وهم أشدّ لنا عداوة من اليهود والنصارى » .

وقد تأول الناس في هذا اللقب تأويلات كثيرة ، فكل فريق يتنصل منه ويلزمه غيره ويتأول فيه تأويلا ينتفي به عنه . قال قوم من العامة ــ وهم الذين قالوا : الايمان قول بلا عمل ، ويزعمون ان من شهد الشهادتين فهو مؤمن حقا وان ارتكب الكبائر وترك الصلاة والصيام وسائر الفرائض ــ زعموا ان المرجيء هو الذي يزعم ان الايمان قول وعمل ، ولا يبنون الشهادة على من شهد الشهادتين انه مؤمن حقا ، ويشكّون في أمره ، ويقولون نرجو أن يكون مؤمنا . قالوا : واستوجب[91] هؤلاء اسم الارجاء من أجل قولهم « نرجو أن يكون مؤمنا » ، وألزموهم هذا اللقب لهذه العلة ... وهذا جهل باللغة

---

(٩٠) الآية ١٠ من سورة الحجر .

(٩١) في الاصل : « استوجبوا » والصحيح « واستوجب » .

وتصريف كلام العرب ، لأن المرجيء هو من أرجأ يرجيء فهو مرجيء ، وهو من باب أفعل • و « نرجو » هو من رجا يرجو فهو راج ، وهو من باب فعل • وهذا قول عامي يدل على خطأ المتأول ، وذكرناه[٩٢] على رثاثته لأني سمعت قوما يقولون به ، فبيّنا غلط المتأولين فيه •

وزعم قوم من أهل الكلام ان المرجئة هم الذين تركوا القطع على أهل الكبائر اذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو مغفرة ، وأرجأوا أمرهم والحكم عليهم الى الله عزّ وجل ، وقالوا : ان الله تبارك وتعالى ان غفر لواحد غفر لكل من هو على مثل حاله ،وقالوا : ان الله تبارك وتعالى لا يدخل النار أحدا بارتكاب الكبائر ، وانه يعفو عما دون الكفر ••• مثل أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم من أهل الفقه ، وجهم بن صفوان وغيلان بن مروان وأبى شمر[٩٣] والفضل الرقاشي وغيرهم من أهل الكلام ، ومن العامة اتباعهم الذين يعرفون بأصحاب الرأي الذين يقولون « الايمان قول بلا عمل » • قالوا : وانما استحقوا اسم الارجاء لقولهم « نرجيء أمرهم الى الله والحكم عليهم »[٩٤] فلذلك قيل لهم المرجئة ••• فهؤلاء قد أصابوا من جهة اللغة ، وأخطأوا من جهة التأويل • وقال قوم آخرون من أصحاب الحديث من أهل المعرفة باللغة مثل عبد الله بن مسلم بن قتيبة وغيره ان المرجئة استحقوا هذا الاسم لأنهم قالوا : « الايمان قول بلا عمل » ، فقدّموا القول وأخّروا العمل •• فلذلك استحقوا هذا اللقب •

وهذه التأويلات اذا تدبرتها وجدتها متناقضة : أما القول الأول الذي ادعاه أبو حنيفة وأصحابه أنه لزمهم اللقب لأرجاء أمرهم الى الله ، فان هذا قول قد قال به قوم من المعتزلة ، وقوم مالوا الى التشيع ••• وان كان الأمر على هذا فقد لزم الفرقتين جميعا اسم الارجاء ••• أعني : المعتزلة والشيعة • واذا كان هكذا فقد جاز أن يقال هذا شيعي مرجيء ، وهذا قول غير مشهور ولا تعرفه الأمة • والذي قاله ابن قتيبة أيضا فهو خطأ ، لأن هؤلاء قالوا « الايمان قول مجرد والعمل ليس هو من الايمان » فثبتوا القول وأسقطوا

---

(٩٢) في الاصل : « واذكرناه » والصحيح « وذكرناه » •
(٩٣) في الاصل : « وابو شمر » والصحيح « وأبى شمر » •
(٩٤) في الاصل : « والحكم عليه » والصحيح « الحكم عليهم » •

العمل عن شريطة الايمان • وانما يقال : أرجأت الشيء ••• اذا أخرته ، ولايقال أرجأته بمعنى أسقطته • فاذا كان كذلك فان الذين زعموا « أن »[٩٥] الايمان قول مجرد وان العمل ليس هو من الايمان ••• قد اسقطوا العمل عن شريطة الايمان ، فلا يقال أرجأوا •

وقال بعض أهل المعرفة : ان الارجاء ، في اللغة ، هو التأخير • قال الله عزّ وجل (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء[٩٦]) يعني تقرب من تشاء وتؤخر من تشاء • وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجل « وآخرون مرجون[٩٧] لأمر الله » • يقال : ارجأتك ••• أي : أخرّتك • وقال في قوله « ارجه وأخاه[٩٨] » يعني أخرّه • ويقال أرجيت الشيء وأرجأته ••• أي : أخرته • وهذا الحرف يهمز ولا يهمز ، وقد قرأ قوم بالهمز « ترجيء من تشاء » أي تؤخر « وتؤوي اليك من تشاء » أي تضم ، وهما جميعا بمعنى واحد • وقال الكسائي في قوله « ارجه » أخره[٩٩] يقولون أرجيته في الأمر ، أي أخرته ، قال : وناس من قيس يهمزونها « أرجأته » واما تميم وأسد فلا يهمزونها ، وكان الكسائي لا يهمز في القراءة • « ارجه واخاه » ويكسرون الهاء ، وهي قراءة أهل المدينة • وكان أبو عمرو يهمزها « ارجئه واخاه »••• فأصل الارجاء التأخير •

والمرجئة هو لقب قد لزم كل من فضّل أبا بكر وعمر على علي بن أبي طالب ، كما أن التشيع هو لقب قد لزم كل من فضّل علياّ على أبي بكر وعمر • هذا ما يتعارفه الناس بينهم ظاهرا ، واتفقت الامة عليه • وقيل فلان مرجيء قدري ، وفلان شيعي قدري : قد قيل ذلك لجماعة من المشهورين من المذاهب ورأينا قوما كثيرين من الشيعة يقولون بالقدر ، فهم الشيعة القدرية •• وقوما كثيرين ممن يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر على عليّ يقولون بالقدر ، فهم المرجئة القدرية • ولم نر أحدا يقال له هذا مرجيء شيعي أو مرجيء رافضي •

(٩٥) « ان » كانت ساقطة والسياق يقتضيها •
(٩٦) الآية ٥١ من سورة الاحزاب •
(٩٧) الآية ١٠٦ من سورة التوبة •
(٩٨) الآية ١١١ من سورة الاعراف •
(٩٩) في الاصل « آخاه » والصحيح آخره ليستقيم المعنى •

هذا محال جدا ، كما أنه محال ان يقال هذا ثوب أبيض أسود ، وهذا شيء حلو مّر ... لا تجتمع صفتان متضادتان في شيء واحد وهذا حكم بيّن عند الامامية ان المرجيء لا يكون شيعيا والشيعي لا يكون مرجئيا ، فالارجاء ــ على ما قلنا ــ هو نعت قد لزم كل من فضّل أبا بكر وعمر على علي ، كما أن التشيع قد لزم بتفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ... وانما سمّوا مرجئة لأنهم ارجأوا عليا ... أي : أخّروه ، وقدّموا أبا بكر عليه ، فهذا اللقب لازم لكل من ذهب هذا المذهب من أي الفرق كان . وقد قال في ذلك محارب بن دثار شعرا وهو رجل مشهور المنزلة ومن رواة الحديث بتحقيق ما قلنا ... ويعترف في شعره باسم الارجاء ويستصوبه . ويتبجح به وهو قوله :

يعيب علي أقوام سفاها — بأن ارجي أبا حسن عليّا
وارجائي أبا حسن صواب — على القطرين بر أو شقيّا
وعثمان وماج الناس «فيه»[١٠٠] — فقالت فرقة قولا بذيّا
وقال الآخرون امام صدق — وقد قتلوه مظلوما بريّا
وليس علي في الارجاء «بأس» — ولا شين ولست أخاف شيّا

فهذا يصحح أن الارجاء هو تأخير عليّ وتقديم أبي بكر ، وثبت اسم الارجاء لكل من قال بذلك ... كما ان التشيع هو لازم لكل من قال بتفضيل عليّ على أبي بكر . وقد قال بعض شعراء الشيعة وهو السيّد بن محمد[١٠١] :

خليليّ لا ترجيا وأعلما — بأن الهدى غير ما تزعمان
فارجاء ذي الشك بعد اليقين — وضعف البصيرة بعد البيان
ضلال أزيلاهما عنكما — فبئست لعمركما الخصلتان
أيرجى علي امام الهدى — وعثمان ما أعتدل المرجيان

(١٠٠) في الاصل كلمة « فيه » محذوفة وسياق الوزن ومعناه يقتضي وضعها .
(١٠١) وهو المشهور بالسيد الحميري . وهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ١٠٥ ــ ١٧٣هـ وقال المرزباني انه اسماعيل بن محمد بن وداع الحميري . أنظر فوات الوفيات ج ١/ص ٣٢ــ٣٣ .

ويرجي ابن هند وأحزابه وهوج[١٠٢] الخوارج بالنهروان
ويرجى الألى نصروا نعثلا بأعلى الخريبة والسامران

ويقال ان أول ما وضع اسم الارجاء وظهر وشاع لما افترق أصحاب عليّ بعد الحكمين ، فصار الناس ثلاث فرق : فرقة مع علي سمّوا الشيعة فظهر اسم التشيع ظهورا شائعا ، وفرقة خرجت عليه فسمّوا المارقة وظهر هذا اللقب عليهم ، وفرقة كانوا مع معاوية فسمّوا المرجئة وظهر اللقب واعلن اعلانا ، وسمعت من يذكر ان النبي صلى الله عليه انما شبّه المرجئة باليهود وشبّه الرافضة بالنصارى ، فقال : المرجئة يهود هذه الامة ، والرافضة نصارى هذه الامة ... لأن الارجاء لقب وقع في هذه الامة قبل الرفض ، كما ان اليهودية قبل النصرانية . قالت الرافضة سمّوا المرجئة بذلك لأن المرجئة ضاهوا اليهود في فعلهم ... لأن عليا قام مقام رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله ، فأول من عاداه المرجئة ، وكتموا فضائله ومناقبه ، وجهلوا حقه ، وتركوا ما أمروا به من تفضيله وتقديمه ... كما أن اليهود كانوا أول من عادى رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب ، وكتموا ذكره الذي وجدوه عندهم مكتوبا في التوراة ، ومحوه منها ، وجهلوا حقه ، وكفروا به ... فكان فعل المرجئة بعلي مثل فعل اليهود برسول الله صلى الله عليه ، فمن أجل ذلك شبّهوا باليهود .

★ ★ ★

ومن ألقاب فرقهم ، أي أصحاب هذه المقالة الذين لزمهم اسم الارجاء فانهم فرق كثيرة ، لقّبوا بعضهم بعضا عند اختلافهم في المذاهب مع اجتماعهم على ولاية من تولاهم من الولاة ، واقامتهم على الأصل الأول بعد قتل علي عليه السلام وثبوتهم على دعواهم ... انهم أهل السنّة والجماعة ، وهم على أصلين يقال لهما : أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأي .

---

(١٠٢) في الاصل : « يهود » والوزن لا يصح وسياق المعنى يقتضي ان تكون الكلمة الصحيحة « وهوج » كما اثبتناه .

أصحاب الحديث :

أما أصحاب الحديث فسمّوا بذلك ... لأنهم انكروا الرأي والقياس ، وقالوا علينا أن نتبع ما روى لنا عن رسول الله صلى الله عليه ، وعن الصحابة والتابعين وما جاء عنهم من الحديث في الفقه والحلال والحرام ، ولا يجوز لنا أن نقيس بآرائنا ... فقيل لهم أصحاب الحديث وأصحاب الأثر ، وهم مجتمعون على أن الايمان قول وعمل والقرآن غير مخلوق ، وكفّروا من قال بخلق القرآن .

الحشويّة :

ومن ألقابهم الحشوية ، لقّبوا بذلك لاحتمالهم كل حشو روى من الاحاديث المختلفة المتناقضة ... حتى قال فيهم بعض الملحدين : يروون[١٠٣] أحاديث ثم يروون[١٠٤] نقيضها . ولروايتهم أحاديث كثيرة مما أنكره عليهم أصحاب الرأي وغيرهم من الفرق في التشبيه وغير ذلك ... فلقّبوهم الحشوية بذلك .

معنى المشبّهة :

ويقال لهم أيضا المشبّهة لروايتهم الأحاديث الكثيرة في التشبيه واحتمالهم الأخبار المنكرة عند غيرهم ... مثل قولهم : ان الله عزّ وجل ينزل الى السماء الدنيا في قفص من الملائكة ، وان العرش يئط من تحته كأطيط الرحل الحديد ، وانه ليفضل من كل جانب أربع أصابع . ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : « لقيني ربي فصافحني وصافحته وكافحني وكافحته ووضع يده بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله » ومثل قوله « اشتكت عينا الرب فعادته الملائكة » وأمثال ذلك مما يطول شرحه ، فسمّوا المشبهة لذلك ، وقد دخل في جملة هذا اللقب قوم من أهل الكلام ممن قالوا بالصورة . لقّبوا بذلك لأنهم شبّهوا الله بخلقه .

---

(١٠٣) في الاصل « يروى » والاصح يروون .
(١٠٤) في الاصل يروى : والاصح والسياق « يروون » .

الشكاك :

ويقال لهم : الشكاك ، لقبوهم بذلك لقولهم ان الايمان يزيد وينقص ، وانهم لم يثبتوا الشهادة على من شهد الشهادتين انه مؤمن حقا وشكّوا في أمره ويقولون : نرجو أن يكون مؤمنا • وانما الواجب عليهم أن يقولوا ان ايمانه مثل ايمان محمد صلى الله عليه وايمان جبريل ، وأن يشهدوا عليه انه مؤمن حقا وان لا يشكّوا فيه •

المالكية والشافعية :

ويقال لقوم منهم المالكية ، ولقوم الشافعية • فالمالكية هم الذين قالوا بقول مالك بن أنس في الفقه وخالفوا الشافعي وأصحابه • وكان الشافعي من اصحاب مالك وتلميذا له ، فخالفه في أشياء كثيرة وخطّأه فيها ، فسمّى من قال بقول مالك مالكية ، ومن قال بقول الشافعي الشافعية •

اصحاب الرأي :

وأصحاب الرأي سمّوا بذلك لأنهم أجازوا الرأي والقياس في الفقه ، وقالوا يجوز لنا اجتهاد الرأي فيما اشتبه علينا مما لم نجده في الكتاب والسنّة فسمّوا بذلك أهل الرأي •

الجهمية :

يقال لقوم منهم الجهمية • نسبوا الى جهم بن صفوان ، ويقال لهم مرجئة أهل خراسان • وكان جهم يكفّر أهل التشبيه تكفيرا[١٠٥] صراحا ، ويقول بنفي التشبيه ، ويظهر القول بخلق القرآن ••• ويكفّر من خالفه في ذلك ، ويسميه مشركا •

الغيلانية :

ومنهم الغيلانية ، نسبوا الى غيلان بن مروان ، ويقال لهم مرجئة أهل الشام ، وكان يخالف جهم بن صفوان وأبا حنيفة في أشياء كثيرة من الاصول

---

(١٠٥) في الاصل « اكفارا » والصحيح « تكفيرا » •

والفروع ، فمنها أنه كان يقول : الامامة تصلح في غير قريش لمـن[١٠٦] كان قائما بالكتاب والسنّة .. فمن كان قائما بالكتاب والسنّة فهو مستحق لها الا" انها لا تثبت الا باجماع من الأمة .

الماضـرية :

ومنهم الماضرية ، نسبوا الى قيس بن عمرو الماضري ، ويقال لهم مرجئة أهل العراق وهم أبو حنيفة ونظراؤه ، وكانوا يخالفون جهم بن صفـوان في القول بخلق القرآن ويقفون فيه ، ويخالفون غيلان في الامامة ويزعمون انهـا لا تصلح الا" في قريش للحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : الأئمـة من قريش ويخالفونهم في كثير من الاصول والفروع .

الشـــمرية :

ومنهم الشمرية ، ينسبون الى أبي شمر ، وكان أيضا يوافق غيلان في القول بالامامة وانها تصلح في أفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنّة ، ويخالفه في أشياء كثيرة .

الضـرارية :

ومنهم الضرارية ، ينسبون الى ضرار بن عمرو [١٠٧] ، وكان من المعتزلة الا انه كان يخالف المعتزلة في القول بالامامة . يقول انها تصلح في افياء الناس في قريش وغيرها ، فاذا اجتمع قرشي ونبطي ولينا النبطي وتركنا القرشي لانه اقل عددا وأهون شوكة واذا عصى الله خلعناه . وهذا عنده احتياط الاستلام. وقال بعض المعتزلة : هي تصلح في افياء الناس من قريش وغيرها ، فاذا اجتمع قرشي ونبطي اخترنا القرشي وتركنا النبطي . وخالفهم ضرار في ذلك في اشياء غيرهـــا .

---

(١٠٦) في الاصل « من » والاصح « لمن » .

(١٠٧) في الاصل غير موجودة والتوضـيح يقتضى تكملة الاسـم وهو « ضرار بن عمرو » .

الرافضـة

قال ابن قتيبة بلغني عن الاصمعي انه قال سميت الرافضة ... لانهـم رفضوا زيد بن علي ، وتركوه . ثم لزم هذا الاسم كل من غلا منهم في مذهبه، ويبغض السلف . وقال بعض اصحاب الكلام انما سموا رافضة لرفضهم زيد بن علي وتركهم الخروج معه . وقال قوم ان المغيرة بن سعيد هو الذي سماهم الرافضة لما رفضوه . وكان المغيرة بن سعيد يزعم ان ابا جعفر رضوان الله عليه اوصى اليه ، وقالت فرقة بامامته يقال لها (١٠٨) المغيرية . وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله .

وقال غيرهم : كانت طائفة من الشيعة قبل ظهور زيد بن علي مجتمعين على امر واحد ، فلما قتل (١٠٩) زيد انحازت منهم طائفة الى جعفر بن محمد ، وقالوا بامامته ، فسماهم اصحاب زيد الرافضة لرفضهم زيدا ، فمنهم اصناف الرافضة. وخرجت فرقة مع زيد فسموا الزيدية ، فمنهم اصناف الزيدية .

والرفض ــ في اللغة ــ معناه : الترك . يقال : رفض فلان موضع كـذا اذا تركه . ورفض الاجير العمل اذا تركه.والرفض ايضا التفرق.(يقال)(١١٠) : ارفض القوم اذا تفرقوا ، وارفض النظام اذا تفرق عنه الخرز . قال الكميت :

فألحقنا روافضهم ببصرى   حفاة كالرعال وني علينا

انما يريد قوما منهزمين .. اي : بلغت هزيمتهم اوائل الشام كالرعال ... أي : يعدون جماعات متفرقين . ولم يعن بهذا البيت الرافضة ، انما عني قومـا تفرقوا كالرعال . والرعال : جمع رعيل ، وهي الجماعة . قال الحطيئة :

تذكرتها فارفض دمعي صبابـة (١١١)

ارفض .. اي : تفرق .

---

(١٠٨) في الاصل غير موجودة والسياق يقتضى اضافتها .

(١٠٩) في الاصل غير موجودة والسيـاق والواقع التـاريخي يقتضى اضـافة كلمة « قتل » .

(١١٠) في الاصل غير موجود والاصح ان تضاف هنا كلمة « يقال » .

(١١١) ديوانه بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ص ٣٦٣ وفيه كأنه بدلا من صبابه تحقيق نعمـان امين طـه طبع مصـطفى الحلبي ١٩٥٨م القاهرة .

قالت المرجئة : انما شبه رسول الله صلى الله عليه الرافضة ، فقال « الرافضة نصارى هذه الامة » لانهم ضاهوا النصارى في القول في امير المؤمنين علي عليه السلام ، فقالوا فيه مثل قول النصارى في المسيح عليه السلام ، فقالت الغلاة منهم بالوهيته كما قالت النصارى بالوهية المسيح صلوات الله عليه .. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقالت طائفة بنبوته ، وقال آخرون بامامته ... وهم اول من غلا في القول في هذه الامة وقالوا بالهية البشر . ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله خبر لا ينكره الرافضة ولا غيرهم انه قال صلى الله عليه لعلي عليه السلام « لولا ان تقول فيك طائفة من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من المسلمين الا اخذوا من تراب قدميك ومن فضل طهورك » فهذا الذي يلحقهم بشبه النصارى . ورووا فيهم اخبارا كثيرة ، منها قولهم ان رسول الله صلى الله عليه قال « يخرج في آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة ... فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فانهم مشركون » .

والرافضة لا تنكر هذا اللقب ، ويزعمون انهم رفضوا الباطل وتبعوا الحق ، ويريدون ان ينفوا عن انفسهم ذم هذا اللقب كما قالت القدرية انالمجبرة هم القدرية ... وارادوا ان يتنصلوا من ذم هذا اللقب . وفي ذلك يقولالسيد ابن محمد وكان يهجو سوار بن عبدالله العنبري قاضي ابي جعفر في أمر كان بينهما ، فقال في شعر له فيه :

ابوك ابن سارق عنز النبي وانت ابن بنت أبي جحدر
ونحن على زعمك الرافضون لاهل الضلالة والمنكر

وروت الرافضة عن بعض الائمة انه قال : كان في امة موسى قوم كانوا على الحق ، وكانوا يلقبون بالرافضة ، وان سنّة اولئك جرت فيهم لقول رسول الله صلى الله عليه كان في امتي ما كان في بني اسرائيل . وهذا قول بيّن الخطأ لان تلك الشريعة كانت بالعبرانية ، وهذا لقب عربي ، ولم تكن تلك الامة تعرف بهذا اللقب .

معنى القدرية

قالوا : سميت القدرية بهذا اللقب ... لانهم قالوا ان العباد يفعلون ما لا يريده الله عز وجل ولم يقدره من افعال الشر مثل القتل والزنا وغير ذلك . وقالوا : هذا ليس بقدر الله ، وقد قدر العباد على ما لا يريده الله من هذه الاعمال . فهذا القول هو الاصل الذي يجمعهم . ثم لهم ـ بعد ذلك ـ فروع كثيرة قد اختلفوا فيها ، وهذا لقب قديم قد رويت فيه الاخبار ، منها ما روى « القدرية مجوس هذه الامة » . قالت المجبرة : انما شبّهوا بالمجوس لانهم ضاهوا المجوس في قولهم حين قالت : ان الله خلق الخير ولم يخلق الشر ، ولم يرووه ، وان الشيطان يخلق الشر ... تعالى الله خالق كل شيء .

ورووا في الخبر ان رجلا قام الى علي صلوات الله « عليه » (١١٢) عند منصرفه من صفين ، فقال : يا امير المؤمنين ... اخبرنا عن مصيرنا الى الشام ، ابقضاء من الله وقدر ؟

فقال : والله ما هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر . فقال الرجل : عند الله يحتسب عنائي ... اذن ، مالي من اجر . فقال : ويحك : لعلك ظننت قدرا لازما وقضاء حتما ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، وما كانت تأتي من الله محمدةلمحسن ولا مذمة لمسيء .. (تلك) (١١٣) مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمان واولياء الشيطان قدرية هذه الامة ومجوسها . ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا ، لم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها . فقال الرجل : فما هذا القضاء والقدر (اللذان) (١١٤) ما علونا تلعة ولا هبطنا واديا الا بهما ؟ قال : هو الامر من الله ، ثم تلا « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » (١١٥) فنهض الشيخ مسرورا ، وانشد يقول :

انت الامام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ... جزاك ربك عنا فيه احسانا

---

(١١٢) ناقصة : والتكملة اضافة كلمة عليه .
(١١٣) في الاصل : ذلك والصحيح « تلك » .
(١١٤) في الاصل : « اللذين » والصحيح اللذان .
(١١٥) آية ٢٣ من سورة الاسراء .

وزعمت القدرية ان المجبرة هم القدرية ... وذلك انهم قالوا : الخير والشر بقدر من الله ، وقلنا ان الشر ليس بقدر من الله ونفينا ان الشر بقدر ، فهم اولى بان ينسبوا الى القدر ، وانما ارادوا ان يخرجوا انفسهم من اللقب المذموم . واحتجت عليهم المجبرة فقالت : لو كان (الامر) (١١٦) كما تزعمون لكنا مشتهرين بهذا اللقب لا انتم ، وقالوا : لو ان رجلا دخل مدينة فسأل عن القدرية لارشد اليكم لا الينا لاشتهاركم بهذا اللقب عند الامة . ومما يؤكد حجة المجبرة في هذا ان كل من عرف بهذا المذهب في قديم الدهر من المعارف سمي قدريا . وقد قرأت كتابا ألفه رئيس من رؤساء هذه المقالة المعروفة بالقدرية يعرف بالبلخي ، وذكر هذا القول واحتج به على المجبرة وألزمهم هذا اللقب وانتفى منه بما قدمنا ذكره من الحجة ، ثم نقض قوله بان عدّد بعد ذلك رجالا من المعارف يذكرهم في كتابه هذا ويتبجح بهم (على) (١١٧) انهم من اهل مذهبه ، وذكر قوما من آل الرسول صلى الله عليه ، وقوما من التابعين ، وقوما من رواة الحديث ، وقال في حكاياته ان فلانا كان قدريا ، وفلانا كان يقول بالقدر ... فان كان الامر على ما يدعيه ان المجبرة هم القدرية ، فما بال هؤلاء « القوم » (١١٨) المذكورين قد عرفوا بالقدر وشهروا به وسموا قدريين ؟ .. وان كانوا سموا قدريين وشهروا بالقدرية لانهم كانوا مجبرة .. فما باله يعددهم ويتبجح بهم ويشيد بنيانه بذكرهم ؟؟

المعتزلة

وللقدرية لقب يقال لهم المعتزلة ، وهم الى هذا اللقب اميل وبه ارضى . ويقال ان اول ما وقع اسم الاعتزال ايام امير المؤمنين علي صلوات الله عليه حين اعتزل عنه جماعة مثل سعد بن مالك — وهو سعد بن ابي وقاص — وعبدالله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه ... ثم بعد ذلك الاحنف بن قيس وغيرهم ، فسموا

(١١٦) في الاصل : غير موجودة والسياق يقتضيها .
(١١٧) في الاصل « أو انهم » والسياق يستلزم « على انهم » .
(١١٨) في الاصل : « القول » والصحيح « القوم » ليستقيم المعنى .

معتزلة . على ان هؤلاء لم يعرفوا بالقول بالقدر . ويقال ان اول من لقب بالاعتزال ممن كان يقول بالقدر عمرو بن عبيد . قالوا : وكان السبب في ذلك انه كان يجالس الحسن البصري ويغشى مجلسه ويجالس اصحابه ، فلما مات الحسن اعتزل عن تلك الحلقة واتخذ لنفسه مجلسا ، فقيل صار عمرو معتزليا. وكان عمرو مشتهرا بالقول بالقدر ، فلقب بعد ذلك كل من قال بالقدر بالاعتزال، ولزمهم هذا اللقب دون غيرهم ، ودرس الذكر الاول الذي جرى في اولئك الذين اعتزلوا عليا عليه السلام .

وقد لقبت المعتزلة نفسها بلقب آخر ، فقالوا نحن اهل العدل والتوحيد. يعنون بالتوحيد انهم خرجوا من شرط التشبيه . ولعمري انهم خرجوا من شرط التشبيه ولكنهم سقطوا عن حكم التنزيل ... لان ظاهر التنزيل يدل على التشبيه والتمثيل ، ولا يصح تحريف التوحيد الا بالتأويل ومن خرج عن حكم ظاهر التنزيل من غير معرفة التأويل دخل في التعطيل . وتأول هؤلاء القوم في آيات من القرآن التي يحتج بها اهل التشبيه وتأويلات مثل قول الله عز وجل « الرحمن على العرش استوى (١١٩) » قالوا معناه استولى . يقال استوى فلان على الامر استولى عليه . وانشدوا :

حتى استوى بشر على العراق

فقال الذين ردوا عليهم : انما يقال استولى فلان على كذا وكذا لمن لم يكن قبل ذلك مستوليا ثم استولى ، وهو ايضا تشبيه . وتأولوا في قوله عز وجل « ان تسجد لما خلقت بيدي » (١٢٠) . قالوا اليد القوة ، وقال الذين ردوا عليهم: انما قال يدي وهما يدان ولو كان بيدي لاحتمل ما تأولتم فيه فما معنى قوتي ... هذا الى تأويلات كثيرة لو ذكرناها طال بها الكتاب وانطلقت الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه في ذلك ابطالا ولو وجدوا السبيل الى ابطال الآيات من القرآن ولكن لا سبيل لهم الى ذلك ما داموا مقيمين على الملة . ويعنون بقولهم اهل العدل انهم خرجوا من حد الاجبار ، والاجبار عندهم جور . فان كان الاجبار عندهم جورا وكذلك القول بالقدر عند المجبرة جور

---

(١١٩) الآية ٥ من سورة طه .
(١٢٠) الآية ٧٥ من سورة ص .

وان جاز لهم ان ينسبوا الى العدل لخروجهم عن حد الاجبار فقد جاز للمجبرة ان ينسبوا الى العدل لخروجهم عن حد القدر ، لان القدر عندهم جور (كعمى العين) لان كلا المقالتين عدل للاخرى ، والطائفتان جميعا عدلان متكافئان فهؤلاء هم اهل العدل لا اهل العدل (لان) [١٢١] الجور هو الميل الى (احد)[١٢٢] الطرفين ... يقال جار الحاكم في الحكم اذا مال الى احد الخصمين . والعدل مشتق من الاعتدال وهو الاستواء . يقال : عدل الحاكم في الحكم اذا سوى بين الخصمين وانصفهما ولم يمل الى احد دون الآخر . فمن قال بالاجبار فهو جائر ومن قال بالقدر فهو جائر ، والعدل ان لا تقول باجبار ولا قدر كما روى عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه : وسأله رجل ، فقال : العباد مجبورون . قال : ان الله هو اعدل من ان يجبر خلقه (على) [١٢٣] المعاصي ثم يعاقبهم (عليها) [١٢٤] . قال : فمفوض اليهم . قال : هو اعز من ان يكون لاحد في ملكه سلطان . قال : وكيف هو . قال : هو امر بين امرين ،لاجبرولاتفويض . فهذا هو العدل ... لان القائل بهذا القول لا يميل الى احد الطرفين دون الآخر بل يعدل بينهما . والعدل في كلام العرب هو الانصاف والتسوية بين الشيئين المتكافئين كما يعدل القاضي بين الخصمين ولا يميل الى احد دون الآخر ، فاذا مال (الى) [١٢٥] احدهما قيل قد جار وقال (ابن الزبعري) [١٢٦] في العدل انه الانصاف :

فقتلنا النصف من ساداتهم   وعدلنا مثل بدر فاعتدل

والاجبار هو مأخوذ من اجبرت فلانا على الامر اذا قهرته واكرهته عليه ، ويقال : اجبرته اجبارا فهو مجبر والفاعل مجبر . ويقال رجل مجبر من قوم مجبرة ، وانما جمع على هذا الوزن لانهم ارادوا به الفرقة المجبرة ، ويقال ايضا قوم جبرية بفتح الجيم وسكون الباء وهم خلاف القدرية فاذا فتحت الباء وقلت

---

(١٢١) في الاصل « الا ان » والصحيح المتساوق مع الجملة هو « لأن » .
(١٢٢) في الاصل « احدى » والصحيح « أحد » .
(١٢٣) في الاصل « عن » والسياق يقتضى أن تكون « على » .
(١٢٤) في الاصل « عليه » والصحيح « عليها » .
(١٢٥) في الاصل ناقصة والسياق يقتضى اضافتها .
(١٢٦) في الاصل وقال « أبو الزبعر » والصحيح وقال « ابن الزبعرى » .

جبرية (فانما)[127] معناه التجبر والتكبر . ويقال : جبرت العظم فهو مجبور والفاعل جابر وهو الذي يقال له مجبر . وللقدرية آراء مختلفة ومذاهب كثيرة وقد نسبوا اليها ... نذكرها في موضعها ان شاء الله .

المارقة

المارقة خمسة ألقاب يقال لهم المارقة والشراة والخوارج والحرورية والمحكمة ، فاما اللقب القديم الذي جاءت فيه الاخبار عن النبي صلوات الله عليه وآله فهو المارقة . قال : حدثني ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة باسناد له ان عليا صلوات الله عليه وجه هدية من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه ، فقسمها ارباعا ، فاعطى الاقرع بن حابس المجاشعي ربعا ، وزيد الخيل الطائي ربعا ، وعلقمة بن علاثة الكلابي ربعا ، وعيينة بن حصن الفزاري ربعا . فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتيء الجبهة فقال : لقّد رأيت قسمة ما اريد بها وجه الله . فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى تورد خداه .. ، ثم قال : يأتمنني الله على اهل الارض ولا تأتمنونني ، فقام عمر فقال : الا نقتله يارسول الله . فقال : انه يكون من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود احد ثدييه مثل ثدي المرأة مثل البضعة تدردر .

قال اهل اللغة في تفسير هذا الحديث : الرمية معناه المرمية وهي الطريدة انثوها لذلك وهي فعيلة في معنى مفعولة ، وهي بمنزلة الضحية . وفي المثل : بئس الرمية الارنب . ويقال هذه ذبيحتك بمنزلة الضحية . ويقال : مرق السهم اذا اصاب الرمية وخرج الى الجانب الآخر لحدة نصله نفوذا سريعا فلم يعلق به دم ولا فرث يعنى انهم دخلوا في الدين ثم خرجوا منه خروجا سريعا كسرعة نفوذ السهم في الرمية . وشبه تجردهم عن الدين وقلة ما نالوا منه بتجرد هذا السهم وقلة ما نال من الرمية من الفرث والدم . والقذذ هو ريش السهم واحدها

---

(١٢٧) في الاصل « وانما » والاصح « فانما » .

قذة . والاقذ : السهم الذي لا ريش عليه . وفي الحديث حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة . والنضى : قال ابو عمرو الشيباني هو نصل السهم . وقال الاصمعي لانه ذكر النصل بعد النضى . والنصل : هي الحديدة شبه الزج يكون في السهم . والبضعة : القطعة من اللحم . وتدردر وتقلقل وتدلدل بمعنى واحد اي تضطرب وتجيء وتذهب . وروى هذا الحديث من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله كان يقسم غنائم هوازن يوم حنين للمؤلفة قلوبهم يتألفهم ليدخلوا في الاسلام ، فقال رجل من تميم يقال له ذو الخويصرة او ذو الخنيصرة ان هذه لقسمة ما يراد بها (وجه [١٢٨]) الله . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه ، فقال : من يعدل ان لم يعدل الله ورسوله ؟ فقال عمر بن الخطاب ائذن لي يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه انه يكون له عقب يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون (اليه) [١٢٩] ابدا . وفي حديث آخر : هم وقود النار وان قتلهم اجر لمن قتلهم . وقال : طوبى لمن قتلهم وقتلوه . وفي حديث آخر : ستقتتل طائفتان من امتي عظيمتان ، فتمرق منهم طائفة تقتلهم اولى الطائفتين . [١٣٠] وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وآله لما وصفهم قال : سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، علامتهم رجل مخدج اليد . ويروى من وجه آخر ان النبي صلى الله عليه نظر الى رجل ساجد الى ان صلى النبي صلى الله عليه ، فقال : الا رجل يقتله ، فحسر ابو بكر عن ذراعيه وقصد نحوه ، ثم رجع الى النبي صلى الله عليه ، فقال : اقتل رجلا يقول لا اله الا الله . فقال : ألا رجل يقتله ، ففعل عمر مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قصد له علي بن ابى طالب صلوات الله عليه ، فلم يره ، فقال رسول الله صلى الله عليه : لو قتل لكان اول فتنة وآخرها . وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه ذكر المقتول بالنهروان ، فقال : هو شيطان الردهة . قال ابن قتيبة : الردهة نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء . وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وعلى آله قال لعلي عليه السلام : انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين ، فتأولوا في الناكثين اصحاب الجمل ، وذلك ان طلحة والزبير بايعاه

---

(١٢٨) في الاصل لم تكن موجودة والسياق يقتضيها .
(١٢٩) « اليه » ليست موجودة في الاصل وسياق الجملة يقتضيها .
(١٣٠) وبعد الطائفتين كلمة « الله » حذفتها لانها ليست ذات علاقة في سياق الجملة .

ثم نكثا البيعة وخالفاه وحارباه فسميا ناكثين ، وسمى من تبعهما باسميهما • يقال : نكث البيعة اذا نقضها • قال الله عز وجل « ومن نكث فانما ينكث على نفسه [١٣١] » • وقال « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم [١٣٢] » واما القاسطون فانهم تأولوا انهم اهل صفين معاوية واصحابه • والقاسط الجائر

يقال : قسط ، اذا جار • قال الله عز وجل « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا [١٣٣] » ويقال : قسط قسوطا ، اذا جار • فاذا ادخلت فيه الالف ، فقلت: اقسط يقسط اقساطا ، فمعناه : عدل • والاسم منه القسط • قال الله عز وجل (ان) [١٣٤] حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين [١٣٥] وقال : « قائما بالقسط [١٣٦] » • فكلما جاء على وزن فعل يفعل فهو من الجور ، وما كان على وزن افعل يفعل فهو من العدل • وقد تقدم تفسير المارقين ، وانما سموا بذلك لخروجهم عن الدين • وخرج تأويل الحديث موافقا لقول النبي صلى الله عليه وآله • لان امير المؤمنين صلوات الله عليه لم يقاتل بعده الا هذه الفرق الثلاث • ويقال انه لما فرغ من قتال المارقين امر ان يفتش القتلى ، وقال : اطلبوا المخدج ، فطلبوه فلم يجدوه حتى ساءه ذلك • وقال رجل : والله ما هو فيهم يا امير المؤمنين • فقال : والله ما كذبت ولا كذبت • فجاء رجل وقال : قد اصبناه يا امير المؤمنين • فخر علي ساجدا • وكان اذا اتاه امر يسر به من الفتوح سجد وقال لو علمت شيئا افضل منه لفعلت ، ثم قال : سيماه ان يده كالثدي عليه شعرات كشارب السنور ، ائتوني بيده المخدجة • فأتوه بها ، فنصبها • ويقال انه اخرج من بين القتلى وله ثدي كثدي المرأة • فهذا هو اللقب القديم الذي جاءت فيه الاخبار عن النبي صلى الله عليه ، وسائر القابهم حدثت من بعد ، وهم يكرهون هذا اللقب ، وينتفون منه ، لما جاء فيه من الاخبار ، ولقبح المعنى فيه ، وانى لهم بالانتفاء منه ولا ينتفون من سائر الالقاب •

---

(١٣١) الآية ١٠ من سورة الفتح •
(١٣٢) الآية ١٢ من سورة التوبة •
(١٣٣) الآية ١٥ من سورة الجن •
(١٣٤) الآية ٤٢ من سورة المائدة •
(١٣٥) الآية : ان حكمت فاحكم •• وفي الاصل واذا حكمت والصحيح ان حكمت كما هي في القرآن الكريم •
(١٣٦) الآية ١٨ من سورة آل عمران •

الحرورية

ويقال لهم الحرورية ، لانهم نزلوا بحروراء ، وهو موضع بالنهروان ، واجتمعوا هناك ، فناظرهم امير المؤمنين صلوات الله عليه ، فرجع منهم ألفان ، فقال امير المؤمنين : ما اسميكم ، انتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء • وقال السيد في ذلك في مخاطبته الشيعة :

انتم قليل من كثير فاقصدوا ودعوا التعمق واحذروا ان تمرقوا
ان الذين بنهروان انما مرقوا من الاسلام حين تعمقوا
نزعوا غداتئذ لحكم واقع عند الحكومة جاهلين فاغرقوا

ويقال : نهروان (بضم النون والراء) • قال الطرماح(١٣٧) :

قل في شط نهروان اغتماضي

رواه ابو بكر بضم النون والراء • وقال ثعلب : نهروان بفتح النون والراء• ويقال في النسب الى حروراء حروراوي ، وكذلك كل ما جاء في آخره ألف التأنيث الممدودة ، ولكنه نسب الى البلد فحذفت الزوائد فقيل حروري • وقال الشاعر :

اكر على الحروريين مهري لاحملهم على وضح الطريق

المحكمة

واما المحكمة فانما سموا بذلك لانه لما جرى امر الحكمين بصفين اجتمع قوم من جملة اصحاب امير المؤمنين صلوات الله عليه فيما ذكر انهم عبدالله بن الكواء ، وعروة بن جرير ، ويزيد بن عاصم المحاربي ، وجماعة معهم ،فاعتزلوا وبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن حصين بعد ان امتنع عليهم، واوميء الى غيره ، فلم يقنعوا الا به ، فكان امام القوم ، وكان يوصف بالرأي• وتبرأوا من الحكمين وممن رضي بهما وصوب امرهما ، وكفروا امير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا لا حكم الا لله ، وان الله قد حكم في التنزيل وقال :

---

(١٣٧) ديوانه ص ٢٦٢ بتحقيق الدكتور عزت حسن طبعة دمشق ١٩٦٨ •

« فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله [١٣٨] » وقالوا ان عليا ترك حكم الله وحكم الحكمين ، فلا حكم الا لله .

وقالوا : اول من لفظ بهذا رجل من بني سعد بن زيد بن مناة يقال له الحجاج بن عبدالله يلقب بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على اليته لما سمع بذكر الحكمين ، وقال (اتحكم [١٣٩]) في دين الله ، لا حكم الا لله نحكم بما حكم به القرآن ، فسمعها رجل ، فقال : طعن والله فانفذ . فسموا المحكمة بذلك . ويقال انه لما سمع علي بن ابي طالب قولهم لا حكم الا لله قال : كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولابد من امارة برة او فاجرة . ويقال ان اول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن اذينة وذلك انه اقبل على الاشعث ، فقال له : ما هذه الدنية يا اشعث وما هذا التحكم ... اشرط اوثق من شرط الله عز وجل ، ثم شهر السيف والاشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فتفرق اليمانية ، وكانوا اجل اصحاب علي عليه السلام . فلما رأى ذلك الاحنف مشى هو وجماعة الى (الاشعث) [١٤٠] فسألوه الصفح ، ففعل . وعروة بن أذينة هذا نجا بعد ذلك من حرب النهروان فبقي الى ايام معاوية ثم اتي به الى زياد ومعه مولى له فسأله زياد عن ابي بكر وعمر فقال خيرا ، فقال له : ما تقول في امير المؤمنين عثمان وابي تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في امر علي مثل ذلك الى ان حكم ثم شهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا وسأله عن نفسه ، فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة ، وانت بعد عاص لربك ، فأمر به فضربت عنقه ، ثم دعا مولاه فقال : صف لي امره . فقال : اطنب ام اختصر، فقال : بل اختصر، فقال : ما اتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط .

معنى الشراة

وسموا شراة لانهم قالوا شرينا انفسنا من الله ، نقاتل في سبيل الله فنقتل ونقتل . وذهبوا في ذلك الى قول الله عز وجل (ان الله اشترى من

(١٣٨) الآية ٩ من سورة الحجرات .
(١٣٩) في الاصل : وقال الحكم في دين الله ، والاصح « اتحكم في دين الله » .
(١٤٠) في الاصل الاحنف والصحيح الاشعث ليستقيم المعنى .

المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللـه فيقتلـون ويقتلون) [١٤١] • وقولـه (ومن النـاس من يشرى نفسـه ابتغـاء مرضاة الله)[١٤٢] • ويقال ان اول من شرى رجل من بني يشكر جاء منكرا للتحكيم فقتل رجلا من اصحاب امير المؤمنين صلوات الله عليه غيلة فوثب عليه قوم من همدان فقتلوه وفي ذلك يقول شاعر همدان :

ما كان اغنى اليشكـري عن التي تصلى بها جمرا من النـار حاميا
غداة ينادي والرماح تنوشـه جعلـت عليـا مـاديا ومعاويـا

وواحد الشراة شاري • ومعنى شرى نفسه من الله اي باعها • يقـال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت وكذلك بعت الشيء بمعنى اشتريت وبمعنى بعت • قال ابو عبيدة في قول الله عز وجل : «وشروه بثمن بخس[١٤٣]» اي باعوه واذا ابتعته انت قلت اشتريته • وانشد ليزيد بن مفرغ :

وشريت بردا ليتنـي من بعـد برد كنت هامـه

شريت بردا معناه بعته • وبرد اسم غلام له • وقـال اوس [١٤٤] في بعت بمعنى اشتريت :

وقارفَتْ وهي لم تَجْرَب وباع لها من الفصافص بالنـِّمّي سِفْسيرُ

باع لها أي اشترى لها • ويقال : شاري وشراة مثل قاضي وقضاة ورامي ورماة • وتجمع ايضا على هجاءين من شار وشارون • قال السيد :

أمين في مثلهم في مثل حالهـم في عصبة هاجروا في الله شارينا

ولم يكن السيد من الشراة ، ولكنه جعل كل من قاتل في الله شاريا فقد شرى نفسه أي باعها من الله • وهذا تأويل قول الخوارج : « نحن الشراة »

---

(١٤١) الآية ١١١ من سورة التوبة •
(١٤٢) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة •
(١٤٣) الآية ٣٠ من سورة يوسف •
(١٤٤) ديوانه ص ٤١ بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم • بيروت ١٩٦٠م •

وهم يتبجحون بهذا اللقب ، وقد قالوا في ذلك شعرا كثيرا . قال قطري بن الفجاءة في يوم دولاب وهو من رؤسائهم :

رأوا فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وقال الطرماح ، وكان يرى رأي الشراة[145] :

لقد شَقِيتُ شَقَاءً لاانقطاع لَهُ انلم أفُزْ فَوزَةً تُنْجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد الاالمُنِيبُ بقلب المُخْلِصِ الشاري

الخوارج

واما الخوارج فسموا بذلك لخروجهم على كل امام ، واعتقادهم ان ذلك فريضة عليهم لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا ويتخذوا لانفسهم دار هجرة وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين حربا لهم ، والمسلمون عندهم كفار مشركون الا من رافقهم وبايعهم واستجار بهم حتى يسمع كلام الله . فهذه خمسة ألقاب تجمع جميع فرق المارقة و « الذي »[146] اجتمعوا عليه ، وهو أصل مقالتهم ... القول بالبراءة من علّي وعثمان واكفارهما واكفار كل امام بعد أبي بكر وعمر والبراءة منهم ، واجماعهم على امام يختارونه من أفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنّة . والامام عندهم يثبت بعقد رجلين . وقولهم : انا نحتكم بما حكم به القرآن ، والخروج على كل امام جائر ، والاكفار بارتكاب الكبائر . فهذا أصلهم الذي قد اجمعوا (عليه)[147] . ثم لهم فروع مختلفون فيها ، ولهم أئمة قد نسبوا اليهم ولقّبوا بهم وهم يسمون كل أمام لهم أمير المؤمنين ، ولهم في ذلك أشعار كثيرة . قال ابن جدلة الخارجي :

لا ضيرَ ان كانت قريش عداتنا يصيبون منا مرة ونصيب
فلا صلحَ إنْ كانت منابرُ أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

(١٤٥) ديوانه ص ٢٥٣ .
(١٤٦) في الاصل الذين والصحيح الذي .
(١٤٧) في الاصل : قد اجمعوا « عليهم » والصحيح « قد اجمعوا عليه » .

فان «يكُ»[١٤٨] منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنّا سويد والبطين وقعنب ومنّا أمير المؤمنين شبيب
ومنّا سنان الموت و(ابن) عويمر ومرّة فانظر أي ذاك تعيب

ويقال انه لما بلغ هذا الشعر عبد الملك قال أعيبهم كلهم . قال : وأخذ قائل هذا الشعر فقدم الى عبد الملك بن مروان ، فقال : أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب . فقال له : لم أقله هكذا ، انما قلت : ومنا أميرَ المؤمنين شبيب ، فنقله الى معنى النداء . يريد يا أمير المؤمنين منا شبيب .

وقال رجل منهم يرثي نافع بن الازرق[١٤٩] :

شمت ابن[١٥٠] زيد والحوادث جمة والجائرون بنافع بن الازرق
والموت حتم لا محالة واقع من لا تصبحه نهارا يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون ومن يصبْهُ يعلق

ومن ألقاب فرقهم الاباضية .

والاباضية سمّوا بذلك لأنهم « ينسبون »[١٥١] الى عبد الله بن اباض ، وكانت له مقالة . يقول : ان اعداءنا كأعداء رسول صلى الله عليه ، لا احرم مناكحتهم ومواريثهم لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام ودعوة الاسلام تجمعهم وهم ككفار النعم .

الصفرية

سموا بذلك لانهم نسبوا الى ابن صفار رئيس لهم . وقال قوم : هم قوم نهكتهم العبادة ، فاصفرت وجوههم . وقال ابو عاصم التيمي ، وكان خارجا ثم صار مرجئا :

فارقت نجدة والذين تزرّقوا وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصُفْرِ اللونِ الذين تخيروا دينا بلا ثقةٍ ولا بكتاب

---

(١٤٨) في الاصل « يكن » والصحيح « يك » .
(١٤٩) شعر الخوارج ص ١٠٤ جمع احسان عباس . بيروت دون تاريخ .
(١٥٠) ابن زيد هو المهلب بن ابى صفرة .
(١٥١) كلمة (ينسبون) غير موجودة في الاصل والسياق يقتضيها .

البيهسية

سموا بذلك لانهم نسبوا الى « أبي »[152] بيهس وكان يخالف الازارقة • يقول : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وان أصيب من الاطفال ولا حرج • والازارقة لا تقبل أحدا من غير أهل مقالتهم في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة •

الازارقة

نسبوا الى نافع بن الازرق الحنفي ، وكان رئيس الخوارج في البصرة والأهوازومن فقهائهم وفرسانهم وشجعانهم مقدما عندهم وله مع ابن عباس مسائل كثيرة •

وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل ذبائحهم ومناكحتهم ومواريثهم ، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم الا الاسلام (أو)[153] السيف ولا يحل القعود عن الجهاد • والقعدة كفار • والازارقة هم الذين أحاطوا بالبصرة حتى رحل أكثر أهلها ثم حاربهم المهلب فأخرجهم الى الاهواز ثم الى كرمان وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

ونحن رددنا أهلَهـا إذْ ترجلوا ... وقد نظمت خيل الازارق بالجسر

وقال ابن الرقيات :[154]

ألا طرقت من آل نـذرة طارقة ... على انها معشوقة الدل عاشقه
نبيتُ وأرض السوس بيني وبينها ... وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابةٌ ... حروريةٌ أضحت من الدين مارقه

وقال الصلتان العبدي :

أرى أمةً شهرتْ سيفَها ... وقد زِيْدَ في سوطها الأصبحي
فنجديـة وحروريـة ... وازرق يدعو الى أزرقي

---

(١٥٢) في الأصل : ابو .
(١٥٣) في الاصل : « الاسلام والسيف » والصحيح « أو » السيف •
(١٥٤) انظر ديوان ابن الرقيات ص ١٦٢ — تحقيق محمد يوسف نجم • بيروت •

النجـدات والقعـدة

والنجدات يقال لهم القعدة وانما سموا النجدات لأنهم نسبوا الى نجدة بن عامر الحنفي وكان من رؤسائهم ، وكان يصلي بالناس بمكة في الجمعة بحذاء عبدالله بن الزبير ، وعبد الله بن الزبير من جانب • وعبد الله يطلب الخلافة وأمسكا عن القتال من أجل الحرم ، وفي ذلك يقول الراعي :

ما ان اتيتَ أبا خبيب وافداً (حتى)[155] اريد ببيعتي تبديلا
ولقد اتيت لنجدة بن عويمر أبغي الهوى فيزيد بي تضليلا

أبو خبيب هو ابن الزبير • وكان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرقوا عنه • واختلف نافع ونجدة وصار نافع الى البصرة ونجدة الى اليمامة وكان سبب اختلافهم أن نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن الجهاد كفر واحتج بقول الله « اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية »[156] وقوله « يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم[157] » وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقول الله « الا أن تتقوا منهم تقاة »[158] وبقوله « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه[159] » وقال القعود جائز والجهاد اذا أمكن أفضل • « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »[160] وقال : لولا أن القعود جائز والجهاد اذا أمكن هكذا فقال نافع ان هذا (في)[161] أصحاب رسول الله حين كانوا مقهورين بمكة • وقال القعد كفر واحتج بقول الله « وقعد الذين كذبوا الله ورسوله[162] » •• فهذه ألقاب فرق الخوارج ولهم مقالات كثيرة ليس هذا موضعها •

---

(١٥٥) في الاصل فراغ والسياق والوزن يقتضيان وضع «حتى» ليستقيم الوزن والمعنى •
(١٥٦) الآية ٧٧ من سورة النساء •
(١٥٧) الآية ٥٤ من سورة المائدة •
(١٥٨) الآية ٢٨ من سورة آل عمران •
(١٥٩) الآية ٢٨ من سورة غافر •
(١٦٠) الآية ٩٥ من سورة النساء •
(١٦١) في الاصل غير موجودة وسياق الكلام يقتضي وضع « في » •
(١٦٢) الآية ٩٠ من سورة التوبة •

ألقاب فرق الشيعة

افترقت الشيعة فرقا كثيرة ، وهي كلها متشعبة من ثلاث فرق وهم الكيسانية والرافضة والزيدية • والى هذه الثلاثة مرجعها كلها • ولها ألقاب كثيرة • أما الرافضة فهو اللقب القديم الذي رويت فيه الأخبار وقد ذكرنا سببه ومعناه • ثم تفرقت الرافضة فرقا كثيرة ، وذلك انهم كانوا مجتمعين على القول بامامة علي ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ••• فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو أصل لجميعهم ، ثم بعد مضى جعفر عليه السلام (تفرقوا)[١٦٣] فرقا كثيرة ، وسمّوا بألقاب شتى ، فمنهم من قد ثبت على أصل مقالته ويقول (بها)[١٦٤] الى يومنا هذا ، ومنهم من قد انقرضوا وبطل أصل مقالتهم حتى لا يوجد أحد يقول (بها)[١٦٥] ونحن نذكر العلة فيه ان شاء الله •

الناووسية

فرقة منهم كانوا يسمون الناووسية • سموا بذلك لأن رجلا من أهل البصرة كان يقال له ابن الناووس زعم ان جعفر بن محمد لم يمت وهو حي لا يموت حتى يظهر ويلي الأمر ، وهو القائم المهدي • وزعم هو ومن قال بقوله انهم رووا عنه انه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف • وقد انقرضت هذه الفرقة ، ولايوجد اليوم أحد يقول بهذا القول •

الشمطية

فرقة يقال لهم الشمطية ، نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له يحيى بن أبي شمط وكانوا يقولون بامامة محمد بن جعفر بن محمد أخي موسى واسحق ابني جعفر لامهم • وامهم ام ولد اسمها حميدة • ورووا أن محمد بن جعفر دخل على أبيه وهو صبي صغير فكبا في قميصه لحرّ وجهه ، فقام اليه جعفر

---

(١٦٣) في الاصل غير موجودة وسياق الكلام يقتضي وجودها •
(١٦٤) « بها » غير موجودة واضيفت ليستقيم المعنى •
(١٦٥) « بها » غير موجودة واضيفت ليستقيم المعنى •

فقبّله ومسح التراب عن وجهه وضمه الى صدره ، وقال : سمعت أبي يقول : اذا ولد لك ولد فسمه باسمي فهو شبيه رسول الله صلى الله عليه وعلى سنته يجعل هؤلاء الامامة فيه وفي ولده من بعده • وقالوا : ان جعفرا قال : ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم واسم ابيه اسم أبي نبيكم عليه السلام ، ولم يكن له ولد اسمه محمد بن جعفر صاحبنا • وقد انقرض هؤلاء حتى لا يعرف أحد يقول بهذا القول •

الفطحية

وفرقة يقال لهم الفطحية نسبوا الى ذلك لأنهم قالوا بامامة عبد الله بن جعفر وهو أخو اسماعيل بن جعفر وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب وامها اسماء بنت عقيل بن أبي طالب • وزعمت هذه الفرقة ان الامام عبدالله بن جعفر بعد أبيه وذلك انه كان أسن أولاده وزعموا ان جعفرا قال ان الامامة في الاكبر من ولد الامام وانه قال الامامة في من يجلس مجلسي ، فجلس عبد الله مجلس أبيه وانه قال الامام لا يغسله الا الامام ولا يصلي عليه الا الامام وانه هو الذي تولى غسله والصلاة عليه • وهو أخذ خاتمه وصار اكثر أصحاب جعفر اليه وقالوا به وروى بعض اصحابه أن جعفرا دفع اليه وديعة وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وأن يتخذه اماما وانه لم يطلب ذلك منه أحد غير عبد الله مع روايات كثيرة رواها أصحابه فيه • وسموا فطحية لأن عبد الله كان أفطح الرأس وقال قوم سموا بذلك لأنهم نسبوا الى رئيس لهم من أهل الكوفة ، ويقال له عبدالله بن فطيح • وقد انقرضت هذه الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول • وعاش عبد الله بعد أبيه سبعين يوما ولم يخلف ولدا ذكرا •

الاسماعيلية

وفرقة يقال لهم الاسماعيلية ، لأنهم قالوا : الامام بعد جعفر اسماعيل بن جعفر وادعوا ان جعفراً أشار اليه في حياته ودل الشيعة عليه فكانوا مجمعين كلهم انه الامام بعد أبيه وان جعفرا قلدهم ذلك في حياته وأمرهم به ثم قالوا بامامة محمد بن اسماعيل من بعده وانكروا امامة سائر ولد جعفر وقالوا لم يكن نبي ولا رسول الا كان له خليفة في حياته وبعد موته ، وان الله أمر

أولياءه بذلك ، وان ابراهيم قبل أن كان له ولد قد اتخذ لوطا خليفة له ثم لما ولد له اسماعيل كان خليفته ، وكذلك موسى اتخذ ما ون خليفة لنفسه فتوفي في حياة موسى فأقام يوشع بن نون مقامه ، وكذلك داود كان سليمان خليفته في حياته ووصيه بعد موته ، وكذلك المسيح كان شمعون خليفته ووصيه بعد موته ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه كان علي بن أبي طالب صلوات الله عليه خليفته في حياته في أهله واموره ووصيه بعد موته ، وكذلك جعفر بن محمد بقي خمسة وعشرين سنة ليس له ولد غير اسماعيل وعبد الله وانه دلّ على اسماعيل وأشار اليه حتى قال بامامته خلق كثير في حياة جعفر من أصحاب جعفر وهو لا ينكر عليهم حتى قال قوم ان اسماعيل لم يمت في حياته وان جعفرا غيّبه حذرا عليه ، وقالوا : كيف يجوز هذا وقد قلدنا أمره وأمرنا بطاعته ، واحتجوا بأن جعفراً لم يكن متزوجا غير أمهما بأحد من النساء ولا (تسرّى)[166] بجارية كرسول الله صلى الله عليه لم يتزوج على خديجة ولا تسرى عليها حتى ماتت رضي الله عنها . وهكذا فعل جعفر رضوان الله عليه لم يتزوج على ام اسماعيل وهي فاطمة بنت عمه حتى ماتت اذ عرف ان الحجة من ولدها . قالوا : والامامة والوصية من الله عزّ وجل ، وقد كان الله أعطى اسماعيل هذه المنزلة في حياة أبيه فلما حضرته الوفاة كان ابنه محمد أحق بميراثه من أعمامه ، وهو أكبر سنا من أعمامه الا عبد الله ولا يكون هذا الأمر في أخوين بعد الحسن والحسين لما رويت من الاخبار في ذلك . قالوا : ونظرنا في دعاوى من أدعي لعبد الله ومحمد فرأينا عبد الله قد مضى ولا عقب له ، واما محمد فانه خرج بمكة وشهر سيفه في الشهر الحرام وفي البلد الحرام الذي اجتمعت الامة على تحريم ذلك فلو تم أمره لبطلت الدعاوى منهم من هذه الجهة مع انقراضهم ولأنتهى أمرهم . واما من ادّعى لموسى فاختلفوا فيه أيضا بعد موته في علي حتى وقف قوم على موسى وأدعوا انه حي لم يمت وان عليا لا يصلح للامامة ثم ان علي بن موسى أيضا مات وليس له ولد بالغ وانما كان له ابن واحد وهو محمدبنعليوهو ابن سبع سنين لا تجوز الامامة به ولا تحل الصلاة خلفه ولا تحل ذبيحته ولا تقبل شهادته ولا يؤتمن على ماله ولا يقام عليه حد ومع ذلك فاختلافهم في عقبه وانقراض نسل من ادعى له

(١٦٦) في الاصل « اسرى » ولا يستقيم المعنى والصحيح « تسرى » .

لامامة من ولده باتفاق من الامة الا دعاوى لا تصح ولا برهان عليها ولا بينة فيها ولهم مع ذلك حجج غيرها فمنها ما يبدونها ومنها ما يخفونها يطول بشرحها الكتاب وخلق كثير من الناس قد اقاموا على المقالة وهم يزدادون في كل يوم •

المباركيـــة

وفرقة كانوا يسمون المباركية نسبوا الى رئيس لهم كان اسمه مبـــارك وكان مولى لاسماعيل بن جعفر وقالوا بامامة محمد بن اسماعيل في حيـــاة جعفر وأظهروا الأمر له وادعوا أن جعفراً أمرهم بذلك ، وثبتـــوا عليه حتـــى دخلوا في جملة الاسماعيلية •

الخطابيـــــة

نسبوا الى أبي الخطاب واسمه محمد بن زينب الأسدي الاجدع وكان يقول بامامة اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه جعفر فلما مات اسماعيل رجعوا الى القول بامامة جعفر وغلوا في القول غلوا شديدا وخرج أبو الخطاب في حيـــاة جعفر بالكوفة في المسجد في « زمن »(١٦٧) عيســـى بن موســـى بن علي بن عبد الله بن العباس وأظهر الدعوة الى جعفر ، فتبرأ منه جعفر ولعنـــه ودعـــا عليه ، وقتل هو وأصحابه كلهم • ويقال انه لم يفلت منهم الارجل واحد اسمه سالم بن مكرم الجمال ويكنى بأبي سلمة ويلقب بأبي خديجة • وكان أبـــو الخطاب يقول بالوهية جعفر ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وثبت قوم من اهل مقالته بعده على القـــول بذلك وقالوا في الأئمة كلهم بالغـــلو الشديد • وخرجت فرقة منهم الى القول بامامة محمد بن اسماعيل بعد ابيـــه اسماعيل ، وزعموا أن أبا الخطاب أمرهم بذلك ودلهم عليه ، وقالوا فيه مثل ما قالوا في سائر الأئمة من القول الكبير والكفر العظيم ثم تفرقوا بعد ذلك فرقا كثيرة نذكر ألقابهم بعد ذلك عند ذكر الغلاة ان شاء الله •

الواقفـــة والممطورة

وفرقة يقال لهم الواقفة ، ويقال الممطورة ، وانما سموا بذلك لأنهم قالوا

---

(١٦٧) كلمة « زمن » لم تكن موجودة في الاصل وسياق المعنى يقتضي تثبيتها •

الامام موسى بن جعفر بعد أبيه جعفر ، وزعموا انه حي لا يموت وانه القائم الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا • وقفوا على القول بامامته وانكروا امامة علي بن موسى بعده ، ورووا أن جعفرا قال ان القائم اسمه اسم صاحب التوراة ، ورووا عنه انه قال لبعض أصحابه عدّ الايام فعدّها من الأحد « حتى »(١٦٨) بلغ السبت ، فقال له كم عددت ، فقال سبعة ، فقال جعفر : سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ومن لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم ، وأشار الى موسى • قالوا : فموسى هو السابع وهو القائم فثبتوا على الوقف عليه ، فمنهم من ادعى انه حي لم يمت • ورووا أن جعفرا قال : لو رأيتم رأسه « يدهده »(١٦٩) عليكم من الجبل فلا تصدقوا فانه القائم • وقال بعضهم : قد مات ولا تكون الامامة « لغيره »(١٧٠) حتى يرجع فيقوم • ورووا عن جعفر انه قال وبه شبه من عيسى ، فهم جميعا الواقفة لهم بالوقف عليه ، وقيل لهم المطورة لأن علي بن اسماعيل « التميمي »(١٧١) ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم حين خرجوا الى المشافهة ، قال لهم علي بن اسماعيل : ما أنتم الا كلاب ممطورة فلزمهم هذا اللقب ، ويقال ان الكلاب اذا مطرت صارت في غاية النتن وقد ثبت على هذا القول جماعة الى يومنا هذا •

القطعية

وفرقة يقال لهم القطعية وهم الذين قالوا بامامة علي بن موسى بعد موت موسى بن جعفر وقطعوا على وفاة موسى وعلى امامة علي بن موسى بعده ورضوا به وسموه الرضا • وزعموا ان موسى بن جعفر حمله هارون الرشيد من المدينة الى البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندي « بن شاهك »(١٧٢) ، وان يحيى بن خالد بن

---

(١٦٨) « حتى » ساقطة في النسخ على ما يظهر والسياق يقتضيها •
(١٦٩) في الاصل « بهذا هذا » وليست لهذه الكلمات علاقة بسياق الجملة والصحيح « يدهده » أي يلقى بها ـ والمعنى مع هذه الكلمة يستقيم •
(١٧٠) في الاصل لغيرهم والصحيح « لغيره » •
(١٧١) في الاصل « المتيمي » وهذا غير صحيح ، والصحيح « التميمي » •
(١٧٢) في الاصل السندي بن شاهد : والمعروف انه السندي بن شاهك فاقتضى التصحيح •

برمك سمّه في رطب وعنب فقتله ، وكان في الحبس ، ثم اخرج فدفن في مقبرة قريش فسمت هذه الفرقة القطعية لقطعهم على موته . والقول بامامة علي بن موسى من بعده ثم بواحد بعد الواحد من ولد علي بن موسى حتى انتهى الامر بهم الى علي بن محمد العسكري فلم يزالوا على ذلك الا قوم منهم شذّوا فشكوا في محمد بن علي ورجعوا عن القول به ، وقالوا مات ابوه وهو صغير غير مستحق الامامة ولا علم عنده وثبت قوم على القول بامامته واختلفوا بعد موته وقال قوم « بامامة »(١٧٣) موسى بن محمد ، وثبت قوم على القول بامامة علي بن محمد وهو العسكري . فلما مات افترقوا وقال قوم بامامة محمد بن علي بن محمد وكان مات في حياة أبيه وقال قوم بامامة جعفر بن علي العسكري وقال قوم بامامة الحسن بن علي العسكري وهم كلهم في الجملة الملقبة بالقطعية على اختلافهم وتشتتهم ولم يكن لفرقهم ألقاب الا بعد موت علي بن محمد فان الذين قالوا بامامة جعفر سموا الطاحنية .

الطاحنيـــة

وانما قيل لهم الطاحنية لانهم نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له علي بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام وهو الذي قوّى سبب جعفر وأمال الناس اليه وأعانه فارس بن حاتم بن باهويه واخت لفارس . فهذه الفرقة قالت بامامة جعفر في حياة الحسن وقالوا قد امتحنا الحسن ولم نجد عنده علما ولقبوا من اتبع الحسن وقال بامامته الحمارية وقالوا انما تبعوا الحسن على غير علم ولا معرفة ومرقوا من جعفر بعد موت الحسن واحتجوا بأن الحسن بلا خلف وقالوا انما بطلت امامته وبطل قول من قال به لانه لم يعقب والامام لا يكون الا وله خلف وعقب . وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعاوى ادعاها من قال بامامة الحسن من حل في جواره ومنع من قسمة ميراثه حتى بطلت دعاويهم وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بامامة الحسن وتفرقوا فرقا كثيرة، فثبتت هذه الفرقة على القول بامامة جعفر ورجع اليه قوم كثيرون ممن كان يقول بامامة الحسن منهم الحسن بن علي بن فضال وهو من أجلة أصحابهم ومن فقهائهم ورواة الحديث مقدما فيهم .

---

(١٧٣) في الاصل « أمة » والصحيح « أمامة » كما جرى التصحيح .

دو"ن كثيرا « من »[174] الحديث والفقه ثم قالوا بعد جعفر بعلي بن جعفر وفاطمة ، ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا ومنهم قوم غلوا في القول غلوا كبيرا وقالوا في الأئمة مثل قول أبي الخطاب وأصحابه •

الفرقة التي قالت بامامة الحسن ولقبهم

اصحاب جعفر الحمارية

كما أن هؤلاء لقبوا أولئك الطاحنية لما قد ذكرنا من العلة في اللقبين وافترقت هذه الفرقة التي قالت بامامة الحسن بعده احدى عشرة فرقة وليست لهم ألقاب مشهورة ولكنا نذكر أقاويلهم • فرقة قالت ان الحسن حي لم يمت وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهرا لأن الارض لا تخلو من امام وقد روينا ان القائم له غيبتان فهذه احدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة اخرى • وقالت الفرقة الثانية ان الحسن مات ولكنه يحيا أو هو حي" وهو القائم ولا"نا رأينا ان معنى القائم هو القيام بعد الموت • وقالت الفرقة الثالثة ان الحسن قد مات وأوصى الى جعفر ورجعت الى القول بامامة جعفر • وقالت الفرقة الرابعة ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين في الائتمام « به »[175] لانه لم يكن اماما فلما مات ولا خلف له علمنا ان جعفر كان محقا في دعواه وان الحسن كان مبطلا • وقالت الفرقة الخامسة ان الحسن قد مات ولم يكن اماما وانا مخطئون في القول به وان الامام كان محمد بن علي أخو الحسن وجعفر وهو المتوفي في حياة أبيه وذلك ان امامة الحسن بطلت عندهم لانه مات ولا عقب له • وجعفر لا يستحق الامامة لما وجدناه فيه من الفسق الظاهر والاعلان به وانا وجدنا في الحسن مثل ما وجدنا في جعفر ولكنه كان يتستر فلما بطلت الامامة فيهما جميعا علمنا ان الامام محمد اذ « كان »[176] له عقب وكانت من أبيه اليه اشارة وهو القائم المهدي ولا يجوز غيره أو القول ببطلان الامامة • وقالت السادسة ان للحسن بن علي

---

(١٧٤) دون كثيرا « من » الحديث والفقه ، وكانت « من » ساقطة والسياق يوجبها •

(١٧٥) « به » غير موجودة في الاصل وسياق المعنى يوجبها •

(١٧٦) في الاصل « اذ له عقب » والاصح اذ « كان » له عقب •

ابنا وليس الأمر على ما ذكر انه مات ولا عقب له واسمه محمد ولد قبل وفاة ابيه بسنتين وانه مستور خائف من جعفر وغيره من اعدائه وهو الامام القائم • وقالت السابعة : بل له ابن ولد بعد موته بثمانية أشهر وان الولد الذي يدعيه من زعم انه مات وله ابن لسنتين باطل لأن ذلك لم يخف ولا يجوز أن يكابر العيان والمعقول وقد كان « الحبل »[177] ولما مضى وادعى ذلك • وقالت الثامنة لا ولد للحسن أصلا لأنّا قد أمتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم نجده ولو جاز أن يدعى ذلك لجاز مثل هذه الدعوى في غيره ولجاز أن يقال ان النبي صلى الله عليه كان له خلف نبيا أو اماما وكذلك جاز أن يدعي في غيره ولكن هناك حبل قد صح وعرف في سرية له وستلد ذكرا اماما وهو القائم • وقالت التاسعة : قد صحت وفاة الحسن وصح أن لا ولد له وبطل ما ادعى من أمر الحبل ، وثبت أن لا امام بعد الحسن وهو جائز في المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض بمعاصيهم وهي فترة وزمان لا امام فيه والارض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل ظهور النبي صلى الله عليه • وقالت العاشرة أن الحسن مات وصح موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا يدرى كيف هو ولكنا نشك ان له ولدا ولا ندري ولد قبل موته أو بعده الا انا نعلم ان الارض لا تخلو من حجة واسمه محمد وهو الخلف الغائب المستور ونحن متمسكون بهذا حتى يظهر • وقالت الحادية عشرة : نعلم ان الحسن مات ولابد للناس من امام ولا تخلو الارض من حجة ولا ندري من ولده أم من ولد غيره فهذه جملة « فروع »[178] القطعية وليست لها ألقاب مشهورة الا ما ذكرناها وهم اليوم متنازعون في دعاويهم قد بطلت تلك الاصول كلها فهم مقيمون لجملتهم على فرقتين منهم من يقول بامامة ولد الحسن ومنهم من يقول بامامة ولد جعفر ، حيارى متشتتون متفرقون غير ثابتين على قول واحد ولا راجعين على أصل يعتمدون عليه •

---

(177) يراد بكلمة « الحبل » ان الحمل كان بعد مضيه وهذا لا يجوز الا بزواج زوجته من شخص غيره ذلك من أجل اثبات عدم وجود عقب للامام الحسن ! ! وان هذا الحبل كان في سرية من سراياه ــ كما هو واضح من بقية النص •

(178) في الاصل « فروق » والصحيح « فروع » ليستقيم المعنى •

الكيســـانية

هم فرق كثيرة مختلفة يجمعهم كلهم هذا اللقب ، وانما « لقبوا »(179) بذلك لأنهم زعموا ان محمد بن الحنفية هو الامام المهدي وهو القائم المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وزعموا انه استعمل المختـار على شيعته وأمره بطلب ثأر الحسين وسماه كيسان ، وقال قـوم ان كيسـان كان مولى لأمير المؤمنين عليه السلام وعنه أخذ المختار هذه المقالة ، وقال قـوم : كيسان هو مولى « علي »(180) وهو صاحب المختار وكيسان كنيته أبو عمرة وفيه يقول الشاعر :

وقد حـلّ بهـا بعـــ ــدك كيســان أبو عمـره

وذلك ان كيسان هذا كان مع المختار ، وكان المختار يتبع قتلة الحسـين فيقتل من كان يتهم بقتله ويخرب بيوتهم • قال : وكان المختار لا يوقف له على رأي صحيح ولا عقيدة ولا مذهب • كان خارجا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا في ظاهر أمره وكان يدعي انه يلهم ضربا في الشجاعة لأمر يكون ثم يحتـال فيوقع ذلك ويقول للناس هذا من عند الله • وكان صاحب دعاوى ونيرنجات وشبه ومخاريق ، وكان يكنى بأبي اسحق • وقال ذات يوم : لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار أسماء • فذكر ذلك لأسماء (بن خارجة) فقال : سجع بي أبو اسحق ، هو والله محرق داري • فترك الدار وهرب • وله في مثل ذلك كلام كثير ومخاريق كثيرة • وله يقول « ابن الرقيات »(181) :

والذي نغّص ابن دومة مايو حي الشياطين والسيوف ظمـا

ابن دومة هو المختار والذي نغصه مصعب بن الزبير ، وكان المختار واليا لابن الزبير على الكوفة فعزله ، وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفيـة في خمسة عشر نفرا من بني هاشم في حبس يقال له عارم فبعث المختار قومـا

---

(179) في الاصل « لقبوه » والاصح « لقبوا » .

(180) في الاصل كلمة « عرينة » والمعنى غير دقيق ولما كانت الروايات تشـير الى أن كيسان هذا كان مولى لعلي بن أبي طالب – فيبدو لي أن الاصح ان تكون الكلمة مولى « علي » •

(181) في الاصل ابن « الرقاب » والصحيح « ابن الرقيات » الشاعر المعروف •

يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا السجن واستخرجوه مع بني هاشم حتى صاروا الى مأمنهم . وفي حبسهم يقول كثير عزة :

تخبّرُ من لاقيت إنك عائذ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى ... من الناس يعلم انه غير ظالم
سميّ النبي المصطفى وابن عمه ... وفكّاك أغلال وقاضى مغارم

قوله « انك عائذ » كان ابن الزبير يدعى العائذ ، لانه عاذ بالبيت ، وفيه يقول ابن « الرقيات »(182) :

بلد تأمنُ الحمامةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفة المظلوم

وكان يقال : المُحِلّ ، لاحلاله القتال في الحرم . وقال بعض الشعراء في رملة بنت الزبير :

ألا من لقلب معنّى عذل ... بذكر المحلة أخت المحل

وفيه وفي ابن الحنفية يقول الكميت :

وسميّ النبى بالشعب ذي الخيف طريد المحل بالاحرام

فلما عزل ابن الزبير المختار كتب اليه :

« من المختار بن أبى عبيد خليفة الوصي محمد بن علي الى عبدالله بن أسماء » ثم ملأ الكتاب بسبّه ، وخالفه ودعا الى ابن الحنفية ، وأظهر القول بامامته . ويقال كان عنده كرسي قديم قد غشّاه بالديباج وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام ، وكان اذا حارب يضعه في « براح »(183) القتال ويقول : قاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة في بني اسرائيل . ويقال كان قد اشتراه من نجار بدرهمين . قالوا ولما خرج ابراهيم بن الاشتر الى قتال عبيد الله بن زياد دفع الى ثقاته حماما بيضا ووجههم معه وقال ان رأيتم الأمر لنا فامسكوها وان رأيتم علينا فارسلوها ثم سجع فقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فاني أجد في محكم الكتاب واليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب في صور الحمام دون السحاب .

---

(182) ابن « الرقيات » وليس الرقيات .
(183) في الاصل « براكا » والصحيح « براح » والبراح : الساحة والفناء .

فلما التقوا كانت على ابراهيم فأرسل أصحاب المختار الحمام فتصايح النـاس الملائكة الملائكة فرجعوا فانكشف اصحاب عبيدالله وقتل ابراهيم بن الاشتر عبيد الله بن زياد ،فأصل فرق الكيسانية كلها هي منسوبة اليه وهـم فـرق كثيرة في أهواء مختلفة يقيمون كلهم على القول بامامة محمد بن الحنفيـة فمنهم من يزعم انها كانت بعد علي في الحسن ثم في الحسين ثم في محمد بن الحنفية وفي ذلك يقول « الشاعر »(١٨٤) :

علي والثلاثـة مـن بنيـه	هم الأسباط ليس بهم خفـاء
فسبط سـبط ايمـان وبـر	وسـبط غيبتـه كربـلاء
وسبط لا يذوق الموت حتـى	يقود الجيش يقدمـه اللواء

ويزعمون أنه حي لا يموت مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة أسـد عن يمينه ونمر عن يساره يأتيه رزقه غدوة وعشية حتى يخرج فيمـلأ الارض عدلا كما ملئت جورا وهو القائم المهدي الذي بشرنا به وكان السيد بن(١٨٥) محمد يقول بامامته • وفي ذلك يقول :

ياشعب رضوى فالمزيل لايرى	حتى متى تخفى وأنت فقيـد

وله أيضا :

ياشعب رضوى ان فيك لطيبا	من آل أحمد طاهرا مفقـودا
هجر الأنيس وحل طلاً بارداً	فيه يراعي أدْربـا واسـودا

ويقول أيضا ·

ذكرتُ محمداً فجرت لعيني	دموعٌ كالجمان على وسـاد
ذكرتمُغَيّباًبشِعابرضوى	فبتّ وما يلائمنـي مهـادى

---

(١٨٤) الشاعر ـ صاحب هذه الابيات هو كثير عزة ـ وهو كثير بن عبدالرحمن بن ابي جمعة بن الاسود بن عامر بن عويمر بن مخارق ••• من شعراء الدولة الاموية واشتهر بكثير عزة اضافوه الى : عزة بنت جميل بن حفص من بنى حاجب وهو احد عشاق العرب وكان يقول بتناسخ الارواح/انظر مقالات الاسلاميين ٩٠ـ٩١ الملل والنحل ج١/ص ١٥٠ • الاغانى ج٨/ص ١٥ • وفيات الاعيان ج٣/ص ٣٦٥ •

(١٨٥) هو الشاعر المعروف بالسيد الحميري •

الكربية

والكربية زعموا ان الامامة كانت لمحمد بن الحنفية بعد علي وابطلوا امامة الحسن والحسين وقالوا انه كان صاحب رايته يوم البصرة دفعها اليه أبوه دون اخوته كما كان علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وان أباه سماه المهدي وانه لم يمت ولا يدرى أين هو وسيرجع ويملك بعد غيبته وانما قيل لهم الكربية لانهم نسبوا الى رجل كان يقال له أبو كرب وكان ضريرا ونسبوا اليه لانه خالف من قال بامامة الحسن والحسين قبل محمد بن الحنفية •

البيانية

وفرقة يقال لهم البيانية زعمت ان محمد بن الحنفية مات واوصى الى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان أكبر ولده وقالوا ان عبد الله قد مات وهو يرجع وانه المهدي الذي يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وهؤلاء يقال لهم البيانية ونسبوا الى رئيس لهم كان اسمه بيان النهدي ويقال انه كان تبانا وادعى النبوة وقال بالغلو وتأول في كتاب الله عز وجل « هذا بيان للناس »[١٨٦] وقال الي أشار الله بهذه الآية وكتب الى محمد بن علي بن الحسين رضوان الله عليه ودعاه الى نفسه وفي كتابه اسلم تسلم ، وترتقي في سلم ، فانه لا ندري حيث يجعل الله النبوة ، فأمر محمد بن علي رسوله أن « أكل »[١٨٧] قرطاسه الذي جاء به ، وكان اسم الرسول عمر بن عفيف الازدي وقتل بيان على ذلك •

الهاشمية

زعموا أن أبا هاشم أوصى الى أخيه علي بن محمد وان عليا أوصى الى ابنه الحسن بن علي وأوصى الحسن الى ابنه علي بن الحسن فالامامة عندهم في بني محمد بن الحنفية لا تخرج الى غيرهم ومنهم يكون القائم المهدي • وهؤلاء هم الكيسانية الخلص وهم المختارية •

---

(١٨٦) الآية ١٣٨ من سورة آل عمران •

(١٨٧) في الاصل ان لكل قرطاسه ـ والمعنى غير مستقيم ويبدو ان الكلمة « ان أكل قرطاسه » أي مزق أو أحرق الكتاب الذي جئت به •

الحـــارثية

وفرقة قالت ان أبا هاشم مات وأوصى الى عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الخارج بالكوفة وان أبا هاشم دفع الوصية الى صالح بن مدرك وأمره بحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية وذلك لانه كان صغــيرا فلما بلغ دفعها اليه • وعبد الله بن معاوية هو صاحب اصفهان الذي قتله أبو مسلم في جيشه وسموا هؤلاء الحارثية نسبوا الى رئيس لهم كان يقـال لـه عبد الله بن الحارث من أهل المدائن وغلوا في القول غلوا كبـيرا وأباحــوا المحارم وزعموا ان عبد الله بن معاوية حي لا يموت وانه مقيم بجبال اصبهان ولا يموت حتى يقوم وهو القائم المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليـه ولا يموت حتى يلي أمر الناس فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ثم يسلمها الى رجل من بني هاشم فيموت حينئذ • وقال قوم : بل قد مات ولم يوص وليس بعده امام ، وقالوا بامامة رؤسائهم • وهم أصناف : الحارثية وهم الذين يقال لهم : الخرّمدينية •

العبـاســـية

وفرقة يقال لهم العباسية : زعموا أن أبا هاشم عبد الله بن محمد أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، لانه مات عنـــده بأرض الشراة بالشام ، ودفــع وصيته الى أبيــه علي بن عبد الله ، وذلك أن محمد بن علي بن عبدالله كان صغيرا عند وفاة أبي هاشم ، وأمره ان يدفعها اليه اذا أدرك فهو الوصي الامام ، وقد كان اختصم أصحاب عبد الله بن معاوية الذين ادعوا ان أبا هاشم أوصى اليه • وأصحاب محمد بن علي أن أبا هاشم أوصى الى رئيس من رؤسائهم كان يقال له : رباح ، فشهد ان أبا هاشم أوصى الى محمد بن علي وانه الامام فرجع الى القول بامامة محمد بن علي جماعـة منهم وأما الباقون فثبتوا على القول بامامــة عبد الله بن معاويـــة وافترقت العباسية ثلاث فرق فهذه احدى الفرق الثلاثة •

الرزّاميـــة

وفرقة زعمت ان محمد بن علي أوصى الى أبنه ابراهيم الامـام وهــو صاحب أبي مسلم الذي دعا اليه ، وقالوا بولاية أبي مسلم ســرا وادعوا له

الدلائل والمعجزات وقالوا فيه قولا عظيما • وهم أيضا ممن يعرفون بالخرمية متفرقون في ولايات أسلافهم ورؤسائهم • وكانوا ينسبون الى رئيس لهم يقال له رزّام ، فمنهم من زعم أن أبا مسلم حي لم يمت ، ودانوا بترك الفرائض ، وقالوا :الدين معرفة الامام واداء الامانة فقط ، ومنهم تشعبت فرقهم ، وادعوا ان الامامة صارت الى محمد بن علي من جهة أبي هاشم ، وأنها صارت في ولد العباس من جهة محمد بن الحنفية ، وان محمد بن الحنفية كان الامام بعد أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام وفرقة زعمت ان الامامة كانت للعباس بن عبد المطلب بعد رسول الله صلى الله عليه ، وثبتت على ولاية أسلافها سرا وكرهت أن تشهد على أسلافها بالكفر • وهو يتولون أبا مسلم ويعظمونه ، ويقولون فيه بالغلو • وكان المنصور قد دعاهم الى القول باثبات الامامة للعباس بعد رسول الله صلى الله عليه ، وقال : انما كان عمه ووارثه • وقد قال الله جل وعز « واولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله »(١٨٨) وان أبا بكر وعمر وعلي وكل من دخل فيها الى ان ولي أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عاصون متوثبون ، فعقد الامامة للعباس بعد النبي صلى الله عليه ، ثم لعبد الله بن العباس ، ثم لعلي بن عبد الله بن العباس ، ثم لمحمد بن عبد الله ، ثم لابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله ،وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا اليه ، ثم لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، ثم لابي جعفر المنصور بن عبدالله بن محمد بن علي ، ولعيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وذلك أن أبا العباس عبد الله بن محمد أوصى اليهما جميعا ، فكانوا مجتمعين على هذا ، وعلى أن الامام عيسى بن موسى بعد أبي جعفر المنصور وأجروها في ولد عيسى بن موسى ، وخطأوا أبا جعفر المنصور في عقده الخلافة لابنه المهدي ، وتصييره الأمر لعيسى بن موسى بعد المهدي ، وأنكروا ذلك وخالفوه حتى حاربه أبو مسلم وخرج عليه ، ثم هرب فتوارى حتى أخذ بعد ذلك بأمان وقتل • وانما خالفه أبو مسلم لادعائه الامامة والوصية من قبل العباس وانكاره أمر محمد بن الحنفية وأما الباقون فانهم اثبتوها للعباس بعد رسول الله صلى الله عليه وأنكروا عليه أمر المهدي بن المنصور وسموا الهريرية برئيس لهم كان يقال له أبو هريرة الدمشقي وهو

---

(١٨٨) الآية ٧٥ من سورة الأنفال •

الذي أصّل لهم هذا القول انها وراثة للعبـاس من النبي صلى الله عليـه ، وهؤلاء يقلدهم الشيعة العباسية وفي ذلك يقول شاعر ولد العباس[189] :

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثـة الأعمـام

ورد عليه شاعر العلوية فقال :

ما للطليق وللتـراث وانمـا ... سجد الطليق مخافة الصمصام

يعني بالطليق العباس ، وذلك أنه أسر يوم بدر كافرا ويزعم هذا انـه أسلم كرها مخافة السيف .

الرونـــدية

وطائفة منهم غلوا في القول وزعموا أن أبا مسلم نبي وان أبا جعفـر المنصور هو الاله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا . وطلبهم أبو جعفـر المنصور واستتابهم فرجع عن ذلك قوم ، وثبت عليه قوم فلم يتوبوا ، فقتلهم وصلبهم وسموا الروندية ، نسبوا الى عبد الله الرونـدي . ثم افترقـوا في ولايات أسلافهم ورؤسائهم .

الزيدية والجارودية والسـرحوبية

قالت الزيدية من دعا الى طاعة الله من آل محمد فهو امـام مفتـرض الطاعة ، وكان علي اماما حين دعا الى نفسه ، ثم الحسين ، ثم زيـد بن علي ، المقتول بالكوفة ، ثم يحيي بن زيد المقتول بخراسان ، ثم عيسى بن زيد ، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الخارج بالمدينة المقتول بها ، وكان ابراهيم أخوه خرج بالبصرة ودعا الى امامة أخيه محمـد فقتله أبو جعفر المنصور ، فهؤلاء عندهم هم الائمة ، وكان من ظهـر من آل الحسن والحسين من السبطين جميعا دون سائر الناس ، فهو عندهم امام حق وجائز له أن يخرج ويدعو الى نفسه ويدعى الامامة ، وهم كلهم شرع ، سواء من قام منهم فهوامام مفترض الطاعة على أهل بيته وعلى جميع المسلمين ، ومن

---

(١٨٩) هو مروان بن سليمـان بن يحيى بن أبى حفصـة ، أنظر الحور العين ص ١٥٣ .

قعد عنه وهو مستطيع فهو كافر مشرك ، ومن ادعى الامامة وهو قاعد في بيته غير شاهر لسيفه فهو كافر ، ومن قال بامامته وهو قاعد في بيته أو قاعد عن امام يقول بامامته وهو مستطيع فهو كافر ، مشرك ، وهؤلاء يقال لهم الزيدية .

الجارودية ، وانما سموا زيدية لانهم نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، وهو اول من قال بهذا القول . وقيل لهم الجارودية لانهم نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له ابو الجارود . وقيل لهم سرحوبية لان ابا الجارود كان مكفوف البصر ، وكان ابو جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه لقّب ابا الجارود بسرحوب . وقال ان سرحوب شيطان أعمى يسكن البحر ، وكان ابو الجارود يقول : ان عليا افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الناس بالامامة . ومن خالفه وتقدمه وادعى الامامة عليه هو كافر ، وهم اصحاب فضيل الرسان ، وأبي خالد الواسطي ، وهم مختلفون في الاحكام والسنن . وذلك ان بعضهم زعم ان من كان من ولد الحسن والحسين فعلمه مثل علم محمد صلى الله عليه قبل ان يتعلم، وان كان في الحرف كراهية ان يلزموا الامامة بعضهم دون بعض ، ومنهم من زعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم جائز ان يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العوام وربما لم يوجد عندهم ما يحتاج اليه ووجد عند غيرهم فجائز للناس ان يأخذوا غيره .

العجلية والبترية

العجلية نسبوا الى هارون بن سعيد العجلي وكانت له مقالة . وفرقة يقال لهم البترية قالوا ان عليا افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه واولى الناس « بالامامة » (١٩٠) . واجازوا خلافة ابي بكر وعمر وقالوا ان عليا سلّم الامر لهما ورضى بذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه فنحن راضون لما رضي ، مسلمون لما سلم ، لا يحل لنا غير ذلك في تسليم علي ورضاه ، ولو لم يرض علي لكان ابو بكر هالكا مشركا كافرا . وهم الذين قالوا بالفاضل والمفضول ، واجازوا امامة المفضول على الفاضل وقالوا علي هو الامام بعد

(١٩٠) في الاصل « واولى الناس بالامة » وقد يكون « اولى الناس بالامامة » — ويجوز المعنى الاول .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم هي في ولد الحسن والحسين • من خرج وشهر سيفه فهو امام وهي فيهم خاصة دون سائر الناس ، واجازوا جميعا خلافة ابي بكر وعمر وقال قوم منهم كانت خلافتهما خطأ ولكن لا يستحقان اسم الفسق لتسليم علي لهما ، ومنهم من تبرأ من عثمان وشهد عليه بالكفر ، ومنهم من وقف فيه • واول من قال بالفاضل والمفضول على ما روى رجل من فقهائهم ، كان يقال له الحسن بن صالح بن حي • فلما بلغ زيد بن علي قولهواتباع الناس اياه قال : بترتم امرنا بتر الله اعماركم فسموا البترية بذلك • ومنهم سليمان بن جرير وهو الذي قال ان ائمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما على كذب ابدا ، القول بالبداء ، واجازة التقية • وبايعهم على القول بالفاضل والمفضول قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكثير النواء وهو من اصحاب الحديث •

المغيرية

وقالت المغيرية الامام علي بن ابي طالب بعد رسول الله صلى الله عليه ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب الخارج بالمدينة • وزعموا انه حي لم يمت ، ولم يقتل ، وانه القائم المهدي ، وانه مقيم بجبل يقال له الطمية ، وهو الجبل الذي بطريق مكة بحذاء الحاجر عن يسار الذاهب الى مكة وهو جبل كبير فهم يزعمون انه الامام بعد محمد بن عبدالله حتى يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا • وسموا المغيرية نسبة الى المغيرة بن سعيد ، وكان مولى لخالد بن عبدالله القسري • وكان يدعى ان ابا جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام اوصى اليه • وان محمد بن عبدالله بن الحسن اوصى اليه • وكان يدعى لنفسه النبوة والامامة ويقول بالغلو ويزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي ، وانه يحيي الموتى واخذه خالد بن عبدالله فقتله وصلبه • ومن المغيرية قوم يزعمون ان محمد بن عبدالله قد مات وانها في ولده • ويقال ان المغيرة هذا هو الذي لقب الرافضة بهذا اللقب لما مات ابو جعفر محمد بن علي وحين اظهر المغيرة هذه المقالة بريء منه جماعة من اصحابه ، ومالوا الى القول بامامة جعفر بن محمد رضوان الله عليه ورفضوا المغيرة فسماهم الرافضة •

الغـــلاة

والغلاة فرق كثيرة مختلفون في أئمتهم ورؤسائهم • واصل الغلو الارتفاع• يقال غلا يغلو في القول : اذا ارتفع عن الحد ، وقال فوق الحد وجاوزه ، وبعّد الى الباطل • قال الله عز وجل « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله (١٩١) » الى قولـه « انما الله اله واحد سبحانه » وانما خاطبهم الله بذلك لانهم غلوا في القـول وقالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال الله عز وجل « ولا تقولوا ثلاثة » والغلو كمـا قلنا هو الارتفاع ، يقال غلا في الدين غلوا اذا ارتفع عن المقدار ، فقال الامام هو نبي ، والنبي اله • تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • ويقال غـلا السعر غلاء اذا ارتفع وزاد ، وغلا الرجل في الطول غلوا • قال الشاعر :

لم يلتفت للداتهـا ومضت على غلوائهـا (١٩٢)

يصف امرأة وحسن ثباتها اي انها نمت في الطول قبل اوانه ، وقبل ان تبلغ لداتها • واللدات الاقران والاتراب • ويقال للجارية اذا شبت شبابا حسـنا وجازت لداتها غلا بها عظم وقال الشاعر(١٩٣) :

خمصانة قلق موشحهـا رؤد الشباب غلا بها عظم

ويقال غلا في عمله اذا افرط • وانشد :

فـرع فصـيم غلا صوابعـه

وقال ذو الرمة (١٩٤) :

وما زال يغلو حب ميّة عندنا ويزداد حتى لم نجد من يزيدها

---

(١٩١) الآية ١٧١ من سورة النساء •

(١٩٢) هو ابن الرقيات . انظر ديوانه ص١٧٦ .

(١٩٣) أنظر : ابن منظور لسـان العرب ج ٩ / ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ونسبـه الى الحارث بن خالد •

(١٩٤) ديوانه ص ١٦٤ طبع كمبردج ١٩١٩م بتحقيق ماكارتني •

وروى الاصمعي والاخفش بيت لبيد (١٩٥) :

فعلا فروع الايهقان واطفلت   بالجهلتين ظباؤهـا ونعامهـا

قالا : غلا ارتفع ، ويقال : غلا السهم اذا جاوز الهدف ، يغلـو غلـوا . والغالي في الرمي هو الذي يستفرغ مجهوده في النزع ولا يرمي هـدفا ولا رميّة . ويقال غلا بالسهم غلوا ، وغلت القدر غليانا ، وانما سمي الغالي لانه جاوز المقدار فقال في النبي انه اله ، كما قالت النصارى في المسيح بربوبيته . وفي حديث علي عليه السلام قال : يهلك في اثنان ، محب غال ومفرط قال .

وفي حديث ابي موسى انه قال : من تعظيم جلال الله اكرام ذي الشيبـة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، واكرام ذي السلطان المقسط . قال ابو عبيدة : الجافي عنه هو المضيّع لحدوده . والغـالي فيه ، المتعمق المفرط حتى يتعداه الى غيره . وقال : وهو عندي مثل رأي الخوارج واشباههم من اهل الاهواء فانهم غلوا في تأويله حتى كفّروا الناس بالـذنوب فخرجوا بذلك من الدين . ونعتهم بيّن في حديث النبي صلى الله عليه انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فليس يكون المروق الا مـن شدة الدخول في الرمية حتى يبعد الى الوجه الآخر بانها منها ، وكذلك خروج الخوارج من الدين ، وهكذا كل من « عمق » (١٩٦) في الامور . وقال في قول الله عز وجل « لا تغلوا في دينكم » يقال غلا يغلو غلوا وهو التعمق في الدين والافراط حتى يخرج الى ما ليس فيه قال : ومما يبين ذلك حديث النبي صلى الله عليه وآله حين أتي بحصيات كحصى الحذف غداة جمع فقال بامثال هؤلاء واياكم والغلو في الدين . هذا قول ابى عبيدة ، فالغلو على ما قلنا هو الخروج عن الحد وتجاوز المقدار . وانشد ابو عبيدة :

الا كناشرة الذي صنعتم   كالغصن في غلوائه المتنبت

فالقرآن والحديث واللغة تدل على ان الغلو هو التجاوز عن الحد والمقدار فكل من قال بنبوة من ليس بنبي ، وبالاهية البشر ، وبامامة من ليس بامـام

---

(١٩٥) ديوانه ص ٢٨٩ .

(١٩٦) في الاصل غمص : والاصح عمق أي تعمق في الشيء وذهب فيه بعيدا .

فقد استحق اسم الغلو • والغلاة هم في كل شريعة من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين • وهم اصناف كثيرة ، واكثر الغلاة من اهل الذمة هم في النصارى ، واكثرهم في هذه الامة من الشيعة • ومن اجل ذلك وقع شبه الرافضة بالنصارى لغلو في القول في امير المؤمنين علي عليه‌السلام وفي الائمة من بعده • ويقال : ان « اول » (١٩٧) من اظهر القول بالغلو في هذه الامة عبدالله بن سبأ وهو الذي قال في علي بالغيبة وقال بالاهيته تعالى الله •

السبأية

وقيل لفرقة من الغلاة السبأية نسبوا الى عبدالله بن سبأ • وكان هو ومن قال بقوله يزعمون ان عليا هو الاله ، وانه يحيي الموتى • وادعوا غيبته بعد موته ووقفوا عليه • وقالوا هو القائم الذي يخرج ، وانه حي لم يمت ، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا، وهي اول فرقة قالت بالوقف •

ويقال ان عبدالله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ، ووالى عليا • وانه كان يقول في اليهودية في يوشع بن نون بعد موسى مثل ما قال في علي بعد رسول الله صلى الله عليه • ويقال هو اول من اظهر القول بالفرض بامامة علي ، وقد انقرضت السبأية الذين قالوا بالوقف على علي ، فليس احد اليوم يعرف بهذا القول • ومن السبأية انشعبت اصناف الغلاة وتفرقوا في المقالات ، ومنهم اصناف الكيسانية • ومن الغلاة البيانية والنهدية اصحاب صائد النهدي ، واصحاب بيان النبّان • والهاشمية من قال بابي هاشم • والحارثية اصحاب عبدالله بن الحارث • ومن قال بقول عبدالله بن معاوية صاحب اصبهان بالغلو• والعباسية الذين قالوا بولد العباس • والرزامية اصحاب رزام • والهريرية ، والروندية • هؤلاء كلهم غلاة منهم انشعبت اصناف الغلاة الكيسانيةوهم اهل القول بالتناسخ • وهم في بلدان متفرقة ولهم في كل بلد « لقب » (١٩٨) يلقبون

---

(١٩٧) ويقال ان ـ في الاصل والسياق والمعلومات التاريخية تقتضى اضافة « أول » حيث أن المؤرخين يرون أن عبدالله بن سبأ أول من اظهر القول بالغلو •

(١٩٨) لقب : ليست في الاصل وان وضعها في مكانها ينسجم مع المعنى ويقتضيه السياق •

به ، وهم يسمون ببلاد اصبهان الخرمية والكوذلية وبالري وغيرها من ارض الجبال المزادكة والسنباذية وبالماهين المحمرة وباذربيجان الدقولية وهم ألقاب كثيرة ، ومذاهب مختلفة ينتسبون الى رؤسائهم • ومن الغــلاة الســلمانية وهم الذين قالوا بنبوة سلمان(١٩٩) وقوم قالوا بالاهيته تعالى الله عن ذلك فمنهم من وقف ومنهم من قال بغيره بعده وتأولوا في قول الله عز وجل « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا (٢٠٠) » قالوا انما هو سلمان وانما كانت الكتابة فــي المصحف الميم ملصقة بالنون بلا ألف وهو سلمن كماكتب لقمن وعثمن بلا ألف• وغلا فيه قوم حتى فضلوه على امير المؤمنين علي بن أبي طالب •

ومن الغلاة الخطابية ابو الخطاب ومن قال بقوله في الامامة بالسبق من علي بن ابي طالب الى جعفر بن محمد ، ومن نزل الى اســماعيل ومحمد بن اســماعيل •

والبزيغية اصحاب بزيغ بن « موسى » (٢٠١) كان يقول : ابو الخطاب هو نبي مرسل ارسله جعفر بن محمد ، وادعى إلاهية جعفر ، وزعم ان ابا الخطاب ارسل بزيغا وادعى النبوة •

المعمريــــة

ينسبون الى رجل من رؤسائهم يقال له معمر وكان يزعم ان ابا جعفر وابا الخطاب الهان ، تعالى الله عما يقولون ، ويزعم انهما الها السماء ، وان معمرا اله الارض وهو يعرف فضل اله السماء • ويقول بالهية ابي طالب وعبدالمطلب ، وبالهية محمد وعلي عز الله وجل •

ومن غلاة الشيعة المغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد • كانوا يقولون في الامامة بالغلو والوقف • ومنهم الناووسية الذين قالوا بالوقف على جعفر وغلوا فيه• ومنهم المطورة الذين وقفوا على موسى وغلو في القول وفي الائمة• ومنهم القطعية الذين قالوا بنسق الامامة الى الحسن بن علي العسكري ، والــذين

(١٩٩) أي : سلمان الفارسي •
(٢٠٠) الآية ٤٥ من سورة الزخرف ••
(٢٠١) أنظر الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٧ •

قالوا بجعفر بن علي العسكري في كل هذه الفرق قوم قالوا بالغلو في الائمة وادعوا لهم الالهية • وزعموا ان الائمة حجب ومقامات ، وان الآلهية تحل في هذه الاجسام وتنتقل من جسم الى جسم ، وقالوا بالتناسخ •

العلبائية والعينية والميمية والمخمسة

ومنهم قوم يقال لهم العلبائية وهم ينسبون الى رئيس لهم كان يقال له العلباء بن ذراع الدوسي • وقال قوم هو أسدي ، وكان يفضل عليا على محمد صلى الله عليه ويزعم انه الاله الذي ارسل محمدا • وكان يقول بذم محمد • لعن الله العلبائية ـ ويزعم ان عليا ارسل محمدا ليدعو اليه فدعا الى نفسه •

والعينية الذين قالوا بآلهية علي ومحمد ، ويقدمون عليا على محمد ويفضلونه عليه •

والميمية يقولون بالهيتهما جميعا ويفضلون محمدا على علي •

والمخمسة وهم الذين زعموا ان محمدا ، وعليا ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، خمستهم شيء واحد • والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر • وزعموا ان فاطمة لم تكن امرأة • وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالتأنيث ، وقالوا فاطم في ذلك يقول بعض شعرائهم :

تولیت بعد الله في الدين خمسة   نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

أصناف التناسخ

اصناف الغلاة كلهم متفقون على القول بالتناسخ على اختلاف مقالاتهم في الرؤساء ، ومع تباينهم في المذاهب والاديان من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين • وكذلك قوم من الثنوية ومن الفلاسفة قالوا ان الارواح تنسخ في اربعة اجناس : نسوخ ، ومسوخ ، وفسوخ ، ورسوخ •

فاما النسوخ فما ينسخ في اجساد الآدميين ، روح تنقل من بدن انسان الى بدن انسان آخر فهذا هو النسخ •

والمسوخ ما ينقل من ارواح الآدميين في البهائم والسباع والطير فهذا هو المسخ • والفسوخ ما يمسخ في دواب الارض ، ودواب الماء من الحرشات ، مثل الحيات والعقارب والخنافس والدود والسراطين والسلاحف .فهذا هو الفسخ •

والرسوخ ما يمسخ في انواع الشجر والنبات فهذا هو الرسخ • فزعموا ان الناس يمسخون في هذه الاصناف كلها على قدر مراتبهم ومقدار طبقاتهم ولا يزالون يكرون في الاجساد من جسد الى جسد حتى يذوقوا وبال ما اكتسبوا في هذا البدن الآدمي • وادعوا لرؤسائهم انهم انبياء ورسل وآلهة • وقالوا بالادوار والكرّات في هذه الدار ، وزعموا ان لا دار غيرها •

والقيامة عندهم خروج الروح من بدن الى بدن آخر ، ان خير فخير وان شر فشر ، مسرورون في هذه الابدان منعمون فيها ، والآخرون معذبون متعوبون • فالمنعم في الابدان الحسنة الانسية المتنعمة • والمعذبون في الاجسام الردية المشوهة من الكلاب والقردة والخنازير والحيات والعقارب متنقلون فيها أبد الآباد تكون فيها حتى يذوقوا وبال ما اكتسبوا • فاذا ما يمسخون في دودة صغيرة مقدار ما تدخل في سم الابرة يردون الى الآدمية • وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل « حتى يلج الجمل في سم الخياط [٢٠٢] » ، ولهم في هذا اقاويل

(٢٠٢) الآية ٤٠ من سورة الاعراف •

مختلفة على قدر اختلافهم في النحل والاديان • فهذه عندهم الجنة والنار • والاجساد عندهم بمنزلة الثياب التي يلبسها الانسان فتبلى وتطرح • وتأولوا في ذلك ايضا قول الله عز وجل « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب (٢٠٣) » ، وقوله « في اي صورة ما شاء ركبك (٢٠٤) » ، وقوله « وننشؤكم في ما لا تعلمون (٢٠٥) » ، وقوله « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم (٢٠٦) » ، فزعموا ان هذا الخلق من الحيوان هم الامم من الناس الذين كروا في المسوخية •

ثم لهم مقالات كثيرة يختلفون فيها ، فمنهم من زعم انهم يتعارفون في الاجساد في المسوخية • ومنهم من يزعم ان من يمسخ في اجساد الانس ذكر ما كان فيه من امر المسوخية • ومنهم من يزعم ان الدور الذي يكر فيه مقدار ألف سنة • ومنهم من يزعم انه عشرة آلاف سنة • ومنهم من زعم انه اذا صفى وانتقل من هذا الجسد طار فصار مع الملائكة ، وهؤلاء يقال لهم الطيارة • ولهم دعاوى كثيرة ومقالات مختلفة واهواء متشتتة ، ونعوذ بالله من العمى والضلال •

ويتعلق كثير من اهل التناسخ بحديث النبي صلى الله عليه : كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل • قالوا : قد مسخ قوم من بني اسرائيل قردة وخنازير ، وكذلك يمسخ من يستحق ذلك في هذه الامة واذا كان الامر على ما يزعمون فانه يجب ان يمسخ في هذه الامة قوم في عصر واحد كما كان في بني اسرائيل •

وروى ابو عبيدة باسناد له عن ابي مالك في قول الله عز وجل « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم (٢٠٧) » • قال لعنوا على لسان داود فجعلوا قردة ، ولعنوا على لسان عيسى فجعلوا خنازير •

وروى عن مجاهد انه قال : القردة والخنازير مسخت من يهرد • وعن ابن عباس وغيره في هذا روايات كثيرة • يروى عن الزهري انه قال : بلغنا انه

---

(٢٠٣) الآية ٥٦ من سورة النساء •
(٢٠٤) الآية ٨ من سورة الانفطار •
(٢٠٥) الآية ٦١ من سورة الواقعة •
(٢٠٦) الآية ٣٨ من سورة الانعام •
(٢٠٧) الآية ٧٨ سورة المائدة •

مسخ من بني اسرائيل من الآدميين عشرون صنفا ، منهم القردة ، والخنازير ، والضب ، والدب ، والدعموص ، والعقرب ، والفيل ، والكلب ، والزنبور ، والقنفذ ، والزهرة ، وسهيل ، والخرتيت ، وابن عرس ، والببغاء ، والفأرة ، وابن مقرض ، والعقعق ، والبطاه وهي العنكبوت ، والخفاش ٠

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله فيه اخبار كثيرة ٠ وروت الشيعة عن الائمة صلوات الله عليهم فيه اخبار كثيرة غير ان التأويل فيه غير ما ذهب اليه اصحاب التناسخ الذين جعلوا اصناف الحيوانات كلها مسوخا ٠ والقول في هذا يكثر ٠

أصحاب الرجعة

قال بالرجعة قوم من الكيسانية وهم اول من احدثوا القول بالرجعة ، وكان اصله من السبأية الذين قالوا برجعة امير المؤمنين ، ثم خرج ذلك القول في فرقهم الذين قالوا بالوقف على الائمة من الكيسانية وغيرهم ولهم في ذلك اخبار يروونها عن اسلافهم وقال فيهم شعراؤهم • قال السيد وكان يقول بالرجعة :

واسماعيل (٢٠٨) يزعم غير شك	مقالته مقالة غير آل
فان الله يبعث غير شك	زجالا هامهم فلق بوال
الى الدنيا واسماعيل يأتي	عظيم في المقال من الجبال
وأمر الله اصغره عظيم	تعالى ذو المعارج والجلال
وامتنا على ناموس موسى	كحذو النعل في قذذ النبال

يعني به قول النبي صلى الله عليه وآله « حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة » قالت الممطورة بذلك وكذلك القطعية وهم الذين يشددون فيه الا انه قد ثبتوا عليه وشددوا فيه ، حتى رووا فيه عن جعفر بن محمد صلوات اللهعليه انه قال من لم يتمتع بمتعتنا ولم يؤمن برجعتنا فليس منا •

واحتجوا بآيات من القرآن منها قوله عز وجل « ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين (٢٠٩) » وبغيرها • ورووا فيه اخبارا كثيرة واحتجوا فيه بان النبي صلى الله عليه وآله قال « كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة » وان الله احيا قوما بعد الموت في بني اسرائيل مثل قوم موسى حيث صعقوا ، وقوم حزقيل حيث يقول : « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم (٢١٠) » • وبقصة اصحاب

---

(٢٠٨) اسماعيل : اسم الشاعر المعروف بالسيد الحميري وهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة •

(٢٠٩) الآية ١١ من سورة غافر •

(٢١٠) الآية ٢٤٣ من سورة البقرة •

الكهف حيث يقول : « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم [٢١١] » . وفي قصة عزير عليه السلام حيث يقول : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه »[٢١٢] . قالوا : يجب ان يحيي الله في هذه الامة كما احيا فيما مضى من الامم . وقالوا ان الله يبعث للمؤمنين من هذه الامة جميع الامم حتى ان الانبياء صلوات الله عليهم الذين سلفوا يوم ظهور القائم لينصروه ولينتقموا به من اعدائه ثم يموتون بعد ذلك ، ويبعثون يوم القيامة ايضا . فهذا اصل قولهم في الرجعة . ولهم في ذلك روايات واحتجاجات يطول الكتاب « بها » [٢١٣] وقد افردنا لذكرها والرد عليها بالحجج والبراهين كتابا . فمن احب الوقوف عليه نظر فيه .

ومعنى الرجعة الرجوع مرة ، اذا قلت بفتح الراء فهو اسم الفعل رجع رجعة ، كما تقول : ركب ركبة واحدة ، وهو حسن الركبة والجلسة من الركوب والجلوس . والرجعة في الطلاق هي المراجعة . وفلان يملك الرجعة اي المراجعة . وراجعها رجعة بفتح الراء أي القطعة كما قالوا الرشدة والزنية فهذه ألقاب الفرق في الاسلام وتركنا الاستقصاء في ذكر مقالتهم ولم يكن القصد الى ذلك بكتابنا هذا بل اردنا ان نذكر ألقابهم والعلة فيها ليكون ذلك رسما في هذا الكتاب . ومن هذه الفرق التي ذكرنا ألقابها فرق كثيرة قد انقرضت ومنها قوم بقوا على مذاهبهم وحدثت ايضا فرق كثيرة ليست لها ألقاب مشهورة ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضاه والقبول الى الجماعة التي لا تفرق فيها ولا خلاف معها والاعتصام بدينه القيم من الفتنة برحمته .

---

(٢١١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢١٢) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٢١٣) « بها » ليست في المخطوطة : اضيفت ليستقيم السياق .

الفهارس

تنبيـــه

يرجى مراعاة ما يأتي :

١ ـ في فهرسي الاعلام والملل والعقائد حصرت جميع الاسماء التي وردت في كتابي وكتاب الزينة (الملحق به) •

٢ ـ عقدت الفهارس الاخرى على محتوى كتاب الزينة فقط •

الأعـــلام

اللغـــة

الشواهد القرآنية

آيـات ومقاطع

الأحاديث والأخبار المأثورة

الامثـال

الايـام

الامكنــة

الشعر

الأبيات الكاملة

الشعر

انصاف الابيات

الملل والعقائد

المحتوى